

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد السادس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



(٦)



فصل[1]

فضل أمة محمد على غيرها في الإيمان والعمل آية لنبوته

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم ــ وذلك مستلزم لكونه رسولاً صادقاً كما تقدم، وهو آية وبرهان على نبوته، فإن كل ملزوم، فإنه دليل على لازمه.

[2]إن الأمم نوعان: نوع لهم كتاب منزل من عند الله، كاليهود والنصارى. ونوع لا كتاب لهم، كالهند، واليونان، والترك، وكالعرب قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وما من أمة إلَّا ولا بد لها من علم وعمل، بحسبهم، ويقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم ــ وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان، بل لكل حي[3]، كما يهدي الحيوان[4] لجلب ما ينفعه بالأكل والشرب، ودفع ما يضره باللباس والكِنّ[5]، وقد خلق الله فيه حباً لهذا، وبغضاً لهذا. قال ــ تعالى ــ :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[6].

---

(١) في ك و ط زيادة (في المعاد).

(٢) في ك و ط زيادة (أعلم).

(٣) في ك و ط (حيوان).

(٤) في ك و ط (إلى).

(٥) الكِنُّ، هو وقاء كل شيء وستره، وهو البيت ــ أيضاً ــ .
انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٦٠ مادة (كنن).

(٦) سورة الأعلى: الآيات ١ ــ ٣.

وقال موسى [(١)]:

﴿... رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [(٢)].

وقال في أول ما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [(٣)].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [(٤)].

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق ـ تعالى ـ وفي الإقرار بالمعاد[(٥)] بعد الموت: إما للأرواح فقط، وإما للأبدان فقط، وإما لمجموعهما، كما هو قول سلف الأمة[(٦)]: المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة، ومتفاضلون فيما يحمدونه[(٧)] ويستحسنونه من الأفعال والصفات، وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك.

---

(١) في ك و ط زيادة (لفرعون).

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.
بعد هذا زيادة في ك و ط: وقال الخليل:
﴿**الذي خلقني فهو يهدين**﴾ [سورة الشعراء: الآية ٧٨]

(٣) سورة العلق: الآيات ١ ـ ٥.

(٤) سورة البلد: الآيات ٨ ـ ١٠.
النجدان، هي: الخير والشر.
انظر: صفوة التفاسير ٥٦٢/٣٠.

(٥) في ك و ط (بمعاد).

(٦) سقطت (الأمة) من ك و ط.

(٧) في ك و ط (يجدونه).

لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم، والصدق خير من الكذب، والعلم خير من الجهل، فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم.

وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء، فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب، وإن كان على وجه قاصر، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم، وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب سلف المسلمين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم، من أهل السنة والحديث، من الفقهاء والصوفية والنظار: وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان[1] جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى، ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين، القيامة الصغرى بالموت، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة، حيث قال في أولها:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا [2] ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا [3] ۝٦ وَكُنتُمْ

---

(١) في ك و ط (الروح والبدن).

(٢) أي: فتت تفتيتاً حتى صارت كالدقيق المبسوس ـ وهو المبلول.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣٠٥ ـ ٣٠٦ م ٣.

(٣) أي: غباراً متطايراً في الهواء، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل النافذة، المنبث: المتفرق.
انظر: المصدر والموضع السابق.

أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١).

ثم ذكر ـ سبحانه ـ حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى، وقال في آخر السورة:

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٢) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٣) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٤) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ (٥) مِّنْ حَمِيمٍ (٦) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (٧).

(٨) وكذلك في سورة القيامة:

---

(١) سورة الواقعة: الآيات ١ ـ ٩.
في ك و ط زيادة آية: (في جنات النعيم).

(٢) هو الحلق، بعد الفم، وهو موضع النَّفس ومجرى الطعام والشراب.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٦.

(٣) أي: محاسبين ومجزيين.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣١٥ م ٣.

(٤) روح: استراحة. انظر: المصدر السابق ٢٧/٣١٦ م ٣.

(٥) النزل: أول شيء يقدم للضيف.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) الحميم: السائل الحار الذي يصهر البطون لشدة حرارته.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة الواقعة كاملة، ما عدا الآيتين: ٩٥ ـ ٩٦ الأخيرتين.
في ك و ط زيادة الآيتين الأخيرتين: **﴿إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم﴾**.

(٨) في ك و ط زيادة (قال).

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ[1] أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ[2] بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ[3] يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ[4] وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ[5] إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ .

فذكر القيامة الكبرى، ثم قال ــ في آخر السورة ــ :

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ[6] وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾[7] .

ولبسط هذا[8] موضع آخر، فإن ذِكْرَ ما ينال[9] الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية .

---

(١) النفس اللوامة: هي النفس المؤمنة التقية، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٤ راق.

(٢) هو: أطراف الأصابع.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) أي: يستمر على الفجور، ويقدم على الشهوات والآثام.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) أي زاغ البصر وتحير، وانبهر من شدة الأهوال والمخاطر.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٥ م ٣.

(٥) أي: لا ملجأ له ولا مغيث من عذاب الله.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) التراقي: أعالي الصدر. من راق: من يُطب ويشفي هذا المريض.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٨٧.

(٧) سورة القيامة: الآيات ١ ــ ٣٠.

(٨) في ك و ط (وبسط هذا له).

(٩) في ك و ط (تناله).

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة، فكثير جداً، لأن محمداً[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم الأنبياء، وقد بعث بين يدي الساعة، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره، كما ذكر المسيح ـ في صفته ـ فقال: «إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للرب»[2].

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة. وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو[3] قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة.

والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط، وأن الأبدان لا تعاد. وهذا لم يقله أحد من أهل الملل، لا المسلمين، ولا اليهود، ولا النصارى. بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى.

ولكن من تفلسف من هؤلاء، فوافق سلفَه من الصابئة والفلاسفة المشركين، على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة، وخاطبوهم بإثبات الصفات لله وليس له[4] حقيقة، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق،

---

(١) في أ سقطت الألف من (محمداً) وقد صححناه من ك و ط.

(٢) انظر: الإصحاح السادس عشر ١٣ ـ ١٥، من إنجيل يوحنا، العهد الجديد ١٤٥.

(٣) في ك و ط زيادة (من).

(٤) في ك و ط (لها).

وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله، ولا معرفة شيء من أمر المعاد.

وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء[1] ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء، من المسلمين، واليهود، والنصارى. وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل، لظهور أديانهم، وهو في الباطن على هذا الرأي. وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط، منهم من يقول: بأن الأرواح تتناسخ، أما في أبدان الآدميين، أو أبدان الحيوان مطلقاً، أو في موضع[2] الأجسام النامية. ومنهم من يقول بالتناسخ[3] للأنفس الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ.

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً، كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك وغيرهم، والمتفلسفة أتباع (أرسطو) كالفارابي وأتباعه، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال: قيل: بالمعاد للنفس[4] العالمة والجاهلة. * وقيل: بالمعاد للعالمة دون الجاهلة *[5] وقيل: بإنكار الاثنين، والفارابي ـ نفسه ـ قد قال الأقوال الثلاثة. وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر[6]، إذ المقصود

---

(١) في ط (هؤلاء).
(٢) في ك و ط (جميع).
(٣) في ك و ط (في) بدلاً من اللام.
(٤) في ك و ط (الأنفس) بالجمع.
(٥) ما بين النجمتين سقط من ك و ط وقد وضعت ط للجملة السابقة رقم **١** و **٢** جميعاً.
(٦) انظر: مجموع الفتاوي ٢٦٢/٤ وما بعدها.

هنا أن كل ما عند أهل الكتاب، بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح، فهو عند المسلمين.

وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تُنال بها السعادة والنجاة. وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم والفواحش، ولهم علوم إلهية، وعبادات بحسبهم، ويعظمون أهل العلم والدين منهم. والهند واليونان والفرس[١] في ذلك أكمل من كفار الترك، والبربر ونحوهم، مع أن هؤلاء ــ أيضاً ــ فيهم[٢] قسط من ذلك[٣].

ومعلوم عند الاعتبار أن الأمم الذين لهم كتاب، كاليهود والنصارى، أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم، في الفضائل العلمية والعملية، فإن ما لم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار[٤]، أو[٥] بالمنام والإلهام[٦]، وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الأمم[٧].

وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والإلهامية وغيرها، شارك[٨]

---

(١) في ك و ط تقدمت (الفرس) على (اليونان).
(٢) في ك و ط تقدمت (فيهم) على (قسط).
(٣) في ك و ط زيادة (بحسبهم).
(٤) الاعتبار، هو التدبر والنظر والمقايسة.
انظر: لسان العرب ٤/٥٣٠. مادة: عبر.
(٥) في ك و ط بالعطف بدلاً من (أو).
(٦) الإلهام: ما يلقى في الروع ــ النفس ــ فيبعث على الفعل أو الترك. وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده.
انظر: المصدر السابق ١٢/٥٥٥ مادة (لهم).
(٧) في ك و ط (العلم).
(٨) في ك و ط (يشارك).

أهل الكتاب فيه مَنْ لا كتاب له. ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء، ليس في قوة من ليس بنبي أن يعلمها، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات المنزلية[١] والمدنية. فإن جنس أهل الكتاب ولو كان منسوخاً مبدلاً، [٢]أحسن حالاً ممن لا كتاب له.

وأما[٣] في العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر، فرجحانهم فيه ظاهر.

وأما علوم وأعمال يكون ضررها راجحاً، كالسحر والطلسمات[٤] وما يتوسل به من الشرك إلى استخدام الشياطين ونحو ذلك، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أَقْوَمُ به[٥]، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا لما ذكر الله ــ سبحانه[٦] ــ في قصة سليمان براءته عن

---

(١) في ك (المكية) وفي ط (الملكية).

(٢) في ك و ط زيادة (هم).

(٣) في ك و ط (أما).

(٤) من (طلسم الساحر) أي كتب الطلاسم، و(الطِلَسْم) و(الطِلَّسم) هو فيما يزعمون ــ تسلط القوى السماوية الفعالة على القوى الأرضية المنفعلة، بواسطة خطوط وأوفاق معينة، وقد اشتغل المصريون القدماء والبابليون والكلدانيون والسريانيون بعلم الطلاسم، وكان له عندهم المؤلفات الكثيرة، ولكن لم يترجم منها إلّا القليل، وقد اشتغل به في المشرق جابر بن حيان ــ كبير السحرة ــ وبعده مسلمة بن أحمد المجريطي في الأندلس.

انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٧٧٠.

(٥) من قام بالأمر: إذا تكفل به واعتنى بشأنه.

انظر: المصدر السابق ١٢/٥٠٣ مادة (قوم).

(٦) في ك و ط وردت كلمة التقديس (تعالى).

ذلك، وكانت الشياطين قد[1] كتبت كُتَبَ كفر وسحر، ودفنتها تحت كرسي سليمان، فلما مات أظهروا ذلك، وقالوا: إنما كان يسخر الجن بهذه الأسماء والعزائم، فصدقهم فريقان. فريق قدحوا في سليمان بل كفروه، من أهل الكتاب، وقال[2]: من فعل ذلك فهو كافر. وفريق قالوا: نحن نقتدي بسليمان، ونفعل كما كان يفعل، وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن، ويقولون: إن سليمان كان يستخدمهم بها، حتى يقولوا: إن هذه الأسماء كانت مكتوبة على تاجه، وهذا صورة خاتمه، وهذا كلام (آصف بن برخيا)[3] إلى أمثال ذلك مما يضيفونه إليه، وهو كذب على سليمان[4].

وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ

---

(١) سقطت (قد) من ك و ط.

(٢) في ك و ط (وقالوا).

(٣) هو: ابن خالة النبي سليمان ـ عليه السلام ـ، وهو الذي أحضر عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى بيت المقدس، في طرفة عين، وهو من الصِّديقين، وكان لا يُرد عن أبواب سليمان، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل ـ حاضراً كان سليمان أو غائباً ـ وقيل: هو رجل من مؤمني الجان كان ـ فيما يقال ـ يحفظ الاسم الأعظم، وقيل: هو رجل من بني إسرائيل من علمائهم.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٤٩٧؛ والبداية والنهاية ٢/٢٣ ـ ٢٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٩٣ ـ ١٩٦.

وَمَٰرُوتَۚ (١) وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ (٢) وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

فذم ــ سبحانه ــ من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله، واتبع ما تتلوه الشياطين على عهد سليمان، وبين ــ سبحانه ــ أن سليمان لم يكفر، ولكن الشياطين كفروا، وأنهم يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل، وأن الملكين: هاروت وماروت(٤)، ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

وأخبر ــ سبحانه ــ أنهم لا يضرون به أحداً ــ إلَّا بإذن الله ــ

---

(١) هما من الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن. في قول جماعة كثيرة من السلف، وقد ورد في قصة هاروت وماروت، وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات، ومن الناس من قرأ (الملِكين) بكسر اللام ــ ويجعلهما ــ عِلجين من أهل فارس، قاله الضحاك. ومنهم من يقول: بأنهما ملكان من السماء، ولكن سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما ــ إن صح به الخبر، ويكون حكمهما كحكم إبليس ــ إن قيل أنه من الملائكة ــ خلافاً للراجح، وقد روى ابن منده أن مجاهداً ــ المفسر ــ لا يسمع بأعجوبة إلَّا ذهب إليها، وأنه ذهب إلى حضرموت فرأى بئر هوت، وذهب إلى بابل فرآها ــ أيضاً ــ.
انظر: البداية والنهاية ٤٨/١ ــ ٤٩ و ٢٢٦/٩.

(٢) خلاق: أي نصيب، أو جهة عند الله، أو دين.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٠٧/١.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٠١ ــ ١٠٣.

(٤) في ك و ط تقدم ذكر (هاروت وماروت) على كلمة (وإن الملكين).

وأنهم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ثم قال:

﴿ . . . وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ . . . ﴾:

أي من[1] نصيب، أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لا نصيب له في الآخرة، وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من الهوى، [3]وذلك ضار لهم لا نافع، كما قال في المشرك[2]:

﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ . . . ﴾[4].

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[5].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أنه[6] بالإيمان والتقوى، يحصل من ثواب الله ما هو خير لهم من هذا، فإنهم إنما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم، وهذا خير لهم، وهذا كقوله:

﴿ . . إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟[7] إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ . . . ﴾[8].

---

(١) سقطت (من) من ك و ط.

(٢) الهوى: محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه.
انظر: لسان العرب ٢٧٢/١٥، مادة: (هوا).

(٣) في أ لم تتضح الميم فصارت كأنها (الشرك).

(٤) سورة الحج: الآية ١٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٣.

(٦) في أ تقدمت (أنه) قبل (سبحانه) والأصوب تأخيرها كما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٧) أي: امضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة، والسعي هنا بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وفسره الحسن: بالسعي بالقلوب والنية والخشوع.
انظر: صفوة التفاسير ٣٨١/٢٨.

(٨) سورة الجمعة: الآية ٩.

فإن ما تطلبه النفوس فيه لها لذة، يجعل[1] خيراً بذلك الاعتبار، لكن إذا كان الألم زائداً على اللذة، كان شره أعظم من خيره.

والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فهي تأمر بما تترجح[2] مصلحته، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد، وتنهى عما ترجحت مفسدته، وإن كان فيه مصلحة مرجوحة، كتناول المحرمات من الخمر وغيره. ولهذا أمر ــ تعالى ــ أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا. فالأحسن: إما واجب، وإما مستحب، قال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا . . . ﴾[3].

وقال:

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم . . . ﴾[4].

فأمر باتباع الأحسن والأخذ به. وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ . . . ﴾[5].

فاقتضى أن غيرهم لم يهده، وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن، وهو مشكل، وقد تكلم الناس فيه، ونظيره قوله ــ تعالى ــ :

---

(١) في ك و ط (فجعل).
(٢) في ك و ط (ترجح).
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ٥٥.
(٥) سورة الزمر: الآيتان ١٧، ١٨.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ . . . ﴾[1] .

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ . . . ﴾[2] .

مع قوله ــ تعالى ــ في موضع آخر:

﴿ . . . وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ . . . ﴾[3] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ . . . ﴾[4] .

وقال :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[5] .

وقال ــ تعالى ــ[6] :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[7] .

في موضعين .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣ .
أي : يفسد ويهيج بين الناس الشر، ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يفلت بها اللسان .
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٦٤ .

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٦ .

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٢ ؛ وسورة القصص: الآية ٥٤ .

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٦ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط .

(٧) سورة الأنعام: الآية ١٥٢ ؛ وسورة الإسراء: الآية ٣٤ .

وقد يقال هذا نظير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ . . . ﴾[1] .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[2] .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3] .

وقوله :

﴿ . . . وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[4] .

وقوله :

﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[5] .

وقوله :

﴿ . . . فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[6] .

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٩ .

(٢) سورة النمل: الآية ٥٩ .

(٣) سورة الشعراء: الآية ٩٧ ــ ٩٨ .

(٤) سورة طه: الآية ٧٣ .

(٥) سورة الأعلى: الآية ١٧ .

(٦) سورة النساء: الآية ٥٩ .
تأويلاً: عاقبة ومآلاً .
انظر: صفوة التفاسير ٥/٢٨٤ .

وقوله:

﴿ . . . أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[3].

وقوله:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[4].

ونظائر هذا كثيرة، مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه، وإن كان الأول واجباً، والثاني محرماً.

وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على[5] * مفسدة مرجوحة، والمنهي عنه يشتمل على * مصلحة مرجوحة، فيكون باعتبار ذلك في

---

(١) سورة مريم: الآية ٧٣.
نديا: مسكناً وعيشاً ومنتدى ومجلساً.
انظر: صفوة التفاسير ٢٢٥/١٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.
الحنيف: هو المائل عن الأديان كلها، المستقيم على الإسلام.
انظر: البحر المحيط ٤٠٦/١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٦.

(٥) ما بين النجمتين سقط من ط.

هذا خير وحسن. وفي هذا شر وسيِّىء، لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجباً[1]. فقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم . . . ﴾[2].

هو أمر بـالأحسن من فعل المـأمور أو تـرك المحظور، وهـو يتناول الأمر بالواجب والمستحب، فإن كلاهما[3] أحسن من المحرم والمكروه. لكن يكون الأمر أمر إيجاب، وأمر استحباب، كما أَمَر بالإحسان في قوله ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

والإحسان منه واجب، ومنه مستحب.

• • •

(١) جاءت هذه العبارة في ط هكذا: (لكن لما كان هذا خيراً وأحسن كان واجباً).
(٢) سورة الزمر: الآية ٥٥.
(٣) في ط (كليهما).
(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

فصل[1]

توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات والحلال والحرام وغير ذلك

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل ـ في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ـ ممن لا كتاب له، فمعلوم أن أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] أكمل من طائفتي أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وأعدل، وقد جُمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل. فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية إلاَّ وأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكمل منهم فيها.

فأما العلوم: فهم أحذق ـ في جميع العلوم ـ من جميع الأمم، حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية، كعلم الطب ـ مثلاً ـ والحساب، ونحو ذلك، هم أحذق فيها من الأمتين، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين، بل أحسن علماً وبياناً لها من الأولين[3] الذين كانت هي غاية علمهم[4]. وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوز[5] بنفاق وإلحاد، ولا قدر له عندهم، لكن حصل[6] له بما يعلمه من

---

(١) في ك و ط زيادة (في وجوب العدل، ومقصود العبادات وصفاتها).

(٢) في ك و ط (أمته). فلم يذكر الاسم الشريف ولا الجملة الدعائية.

(٣) في ك و ط (الأوائل).

(٤) الشيخ المؤلف يتحدث عن عصر النهضة الذي سبق الفترة التي عاش فيها، أما الحال هذه الأيام (القرن ١٤ الهجري ٢٠ الميلادي) فالانحطاط والتخلف لدى المسلمين مؤسف جداً، وتقدم الأمم الأخرى عليهم لا يحتاج إلى دليل.

(٥) في ط (منبوذ) والمعنى: مُلَقَّب بنفاق وإلحاد، فيقال: فلان المنافق والملحد. انظر: اللسان ٥/٤١٣، مادة نبز.

(٦) في ك و ط (يحصل).

المسلمين من العقل والبيان[1] ما أعانه على الحذق في تلك العلوم، فصار حثالة[2] المسلمين أحسن معرفة وبياناً لهذه العلوم من أولئك المتقدمين.

وأما العلوم الإلّهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب، كالعرش، والملائكة، والجن، والجنة، والنار، وتفاصيل المعاد، فكل[3] من نظر في كلام المسلمين فيها، وكلام علماء اليهود والنصارى، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم. ومعلوم أن علم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم، وأما العبادة، والزهد، والأخلاق، والسياسة المنزلية[4] والمدنية فالكلام فيها مبني على أصل: وهو معرفة المقصود بها، وما به[5] يحصل المقصود.

فنقول: للناس في مقصود العبادات مذاهب:

منهم من يقول: المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها، لتستعد[6] بذلك للعلم، وليست هي مقصودة في نفسها، ويجعلونها من قسم الأخلاق، وهذا قول متفلسفة اليونان، وقول من اتبعهم من الملاحدة والإسماعيلية[7] وغيرهم، من المتفلسفة الإسلاميين،

---

(١) في أ (أما) ويظهر أن الألف قبل الميم زيادة من الناسخ ولهذا صححناه من ك و ط.

(٢) **الحثالة**: الرديء من كل شيء، وحثالة الناس: رُذَالتهم.
انظر: اللسان ١٤٢/١١، مادة حثل.

(٣) في أ (وكل) وما أثبتناه من ك و ط أجود.

(٤) في ك (المكية) وفي ط (الملكية).

(٥) سقطت (به) من ط.

(٦) في ك و ط (ليستعد).

(٧) هم الذين يعتقدون الإمامة إلى جعفر بن إسماعيل بن جعفر الصادق، سابع الأئمة، وزعموا أن الإمامة بعده إلى ابنه إسماعيل، وهم فرقتان. الأولى: فرقة منتظرة لإسماعيل المذكور، مع اتفاق المؤرخين على موت إسماعيل في حياة أبيه. الثانية: =

كالفارابي وابن سينا وغيرهما، ومن سلك طريقهم[1] من متكلم، ومتصوف، ومتفقه. كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد، والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد، وابن عربي، وابن سبعين. لكن أبو حامد يختلف كلامه، تارة يوافقهم، وتارة يخالفهم.

وهذا القدر، فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام[2] الجمع بين ما جاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ـ أرسطو وأمثاله ـ ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية، إذ[3] كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم. وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات، وما للسحرة من العجائب، هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، هذا قصده الشر، وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بُسط الكلام عليه في موضع آخر[4]. فإنه مبني على إنكار الملائكة وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم.

ثم أن هؤلاء لا يقرون من المعجزات إلَّا بما جرى على هذا

= فرقة جعلوا الإمامة إلى جعفر ثم جعلوها بعده في ابنه موسى، وزعموا أنه حي لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر وتسمى «الموسوية» و«الممطورة».
انظر: الفرق بين الفِرق: ص ٦٢ ـ ٦٤؛ والملل والنحل ١/١٩١ ـ ١٩٢.

(١) في ك و ط (طريقتهم) بزيادة تاء بعد القاف.

(٢) من رام الشيء: إذا طلبه وبابه قال.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٤.

(٣) في أ (إذا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) في ك و ط (في غير هذا الموضع).
انظر في هذه الرسالة، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

الأصل، وأمكن أن يقال فيه هذا، مثل نزول المطر، وتسخير السباع، وإمراض الغير وقتله، ونحو ذلك. وأما[1] قلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإخراج الناقة من الهضبة، وانشقاق القمر وأمثال ذلك، فلا يقرون به. وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق[2]، بسبب أفعال الجن، وبسبب أفعال الملائكة. وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم: مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذلك إلَّا من هو من أجهل الناس، وكذلك من فسرها بقوى النفس، وهذا غير إخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب.

وأما الملائكة فأمرهم أجلُّ[3]، وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[4].

وقال[5]:

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾[6].

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ[7] في كتبه من أخبارهم وأصنافهم

---

(١) في ك و ط (فأما).

(٢) في خوارق العادات، من خرق الثوب، إذا شقه، وخرق الأرض جابها.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٣.

(٣) أي: أعظم.
انظر: المصباح ١٠٠.

(٤) سورة النازعات: ص ٥٠

(٥) هكذا في ك و ط (قال) وليست في أ، وقد أثبتناها فاصلاً بين الآيتين حيث أنهما من سورتين.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٤.

(٧) لم ترد كلمة التقديس في أ.

ما يطول وصفه، وآثارهم موجودة في العالم، يعرف ذلك بالاعتبار، كما قد بسط في موضعه[1]. إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس، في العبادات. وهؤلاء غاية ما عندهم في العبادات، والأخلاق، والحكمة العملية، أنهم رأوا النفس، فيها شهوة وغضب، من حيث القوة العملية، ولها نظر من جهة القوة العلمية. فقالوا: كمال الشهوة في العفة، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة، وكمال القوة النظرية في العلم. والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل.

وما ذكروه من العمل متعلق بالندب، لم يثبتوا خاصية النفس التي هي[2] محبة الله وتوحيده، بل ولا عرفوا[3] ذلك، كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلاَّ قليل، مع[4] كثير من الباطل، كما[5] بسط الكلام عنهم في موضعه[6].

ومحبة الله وتوحيده، هو الغاية التي فيها صلاح للنفس، وهو عبادة الله وحده لا شريك له. فلا صلاح للنفس، ولا كمال لها إلاَّ في ذلك، وبدون ذلك تكون فاسدة، لا صلاح لها، كما قد بسط الكلام على ذلك

---

(١) انظر هذه الرسالة ص ١٠٩ ــ ١١٠. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/٣٣٢ ــ ٣٤٠ وذلك ضمن حديث الشيخ ــ رحمه الله ــ في تفسير سورة الإخلاص، فقد توسع في تفسيرها، وتفسير المعوذتين واستغرق ذلك مجلداً كاملاً من مجموع الفتاوى، وهو الجزء الرابع من كتاب التفسير.

(٢) في ك و ط (الذي هو).

(٣) في ك و ط زيادة (كمال).

(٤) في ك و ط (مشتمل على).

(٥) في ك و ط زيادة (قد).

(٦) في ك و ط (عليهم في موضع آخر).
وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/٢٧٣ وما بعدها.

في موضع آخر. ولهذا كان هذا[1] هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، [2]، قال الله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[3].

وقال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[4].

وقال:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . . . ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

---

(١) سقطت (هذا) من ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (وهو جماع دعوة المرسلين).

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

الطاغوت: كل معبود من دون الرب كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال.

انظر: صفوة التفاسير ١٤/١٢٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا[1] كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2].

وقال ــ لمَّا ذكر قصص الأنبياء ــ :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا[5] ۚ لَا تَبْدِيلَ

---

(١) زبرا: أي فرقاً عديدة، وأدياناً مختلفة، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع.
انظر: صفوة التفاسير ٣١٢/١٨.
زبرا: جمع زبور: أي كتباً مختلفة، يعني جعلوا دينهم أدياناً، وزبرا: قطعاً، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فَرِحٌ ببطاله، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق.
انظر: الكشاف ٣٤/٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١ ــ ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان ٩٢ ــ ٩٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.
أقيموا الدين: أي اجعلوه قائماً محفوظاً من غير خلاف فيه ولا اضطراب.
انظر: صفوة التفاسير ١٣٥/٢٥.

(٥) أي خلقة الله التي خلق الناس عليها، وهو فطرة التوحيد.
انظر المصدر السابق ٤٧٨/٢١.

لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1].

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم، عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل (لا إله إلا الله) ولهذا[3] بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس[4] وتزكو وتكمل إلاّ بهذا، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ . . . ﴾[5].

أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان[6].

وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ . . . ﴾[7].

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠ ــ ٣٢.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) في ك و ط (وبهذا) بالباء في أوله.
(٤) في ك و ط (فلا تصلح جميع النفوس).
(٥) سورة فصلت: الآية ٦.
(٦) انظر: تفسير الكشاف ٣/٤٤٣.
(٧) سورة النساء: الآية ٤٨ و ١١٦.
في ط زيادة: (وهذا).

في موضعين من كتابه، وهذا أول الكلمات العشر التي أنـزلها الله على موسى حيث قال: «أنا الله[1] * لا إله إلا أنا آلهك الـذي أخرجتـك من أرض مصـر، من التعبد، لا يكـون لك إلّـه غيري، لا تتخـذ صـوراً ولا تمثـالاً، مـا في السمـوٰات من فـوق، ومن في الأرض من أسفــل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، إني أنا ربك العزيز»[2].

وقد شهد المسيح ــ عليه السـلام ــ أن هذا هـو أعظم وصيـة في النـاموس[3] * فعبـادة الله وحده لا شـريك لـه، وأن يكون الله أحب إلى العبـد من كل مـا سواه، هـو أعظم وصيـة وكلمـة جـاء بهـا المـرسلون، كموسى، والمسيح، ومحمد ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ وضد هـذا هو الشرك الذي لا يغفره[4] الله ــ تعالى ــ، قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا[5] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ... ﴾[6].

---

(١) من هذه النجمة بياض بنسخة أ بقدر ما وجدنا في ك و ط. والذي أكملناه منهما.

(٢) نص الترجمة الحالية مـا يلي: «وراء الرب إلّهكم تسيـرون، وإياه تتقـون، ووصايـاه تحفظون، وصوته تسمعون، وإيـاه تعبدون، وبـه تلتصقون، وذلـك النبـي أو الحاكم ذلك الحلم يُقْتل، لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلّهكم، الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلّهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم».

انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر ٤ ــ ٥؛ والعهد القديم ص ٢٢٦.

(٣) إلى هنا انتهى البياض بالأصل.

(٤) في أ سقطت هاء (يغفره).

(٥) أي رؤساء وأصناماً.

* انظر: صفوة التفاسير ٢/١١١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع[1]، وبُين أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال، إلاَّ بأن يكون الله معبودها ومحبوبها، الذي لا أحب إليها منه، ولهذا كثر في الكتب الإلٓهية الأمر بعبادة الله وحده. ولفظ (العبادة) يتضمن كمال الذل بكمال الحب. فلا بد أن يكون العابد محباً للإلٓه المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل. فمن أحب شيئاً ولم يَذِل له لم يعبده، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده ـ وكمال الحب والذل[2] لا يصلح إلاَّ لله وحده، فهو الإلٓه المستحق للعبادة، التي لا يستحقها إلاَّ هو، وذلك يتضمن كمال الحب والذل، والإجلال والإكرام، والتوكل والعبادة.

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها[3] ومنتهى مرادها وبغيتها، ومن[4] حيث هو ربها وخالقها. فمن آمن بالله[5] رب كل شيء وخالقه، ولم يعبد إلاَّ[6] الله وحده، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، وأخشى عنده من كل ما سواه، وأعظم عنده من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب: بحيث يحبه مثل ما يحب الله، ويخشاه مثل ما يخشى الله، ويرجوه مثل ما يرجو الله، ويدعوه مثل ما يدعوه، فهو

---

(١) انظر: درء التعارض العقل والنقل ٢٦٩/٣ وما بعدها.
وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (المؤلف) ٤٠١/١١ وما بعدها.

(٢) تقدمت كلمة (الذل) على كلمة (الحب) في ك و ط.

(٣) في ك و ط زيادة (الذي هو محبوبها).

(٤) سقطت العاطفة من أ.

(٥) في ك و ط (فمن أقر بأن الله).

(٦) سقطت (إلاَّ) من أ و ك و ط، وقد أثبتناها من إكسفورد.

مشرك[1] الشرك الذي لا يغفره الله. ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه، وكان حكيماً[2] شجاعاً.

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية، ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس، وتنجو من العذاب، كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية، ليس فيها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس، ولا من الأخلاق ما هو دين حق، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله ــ تعالى ــ[3]:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

وهذه الفضائل الأربع[5] التي ذكرها[6] المتفلسفة، لا بد[7] منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها.

والمتفلسفة لم يَحُدّوا[8] ما يحتاج إليه بحد يبين مقدار ما تحصل به

---

(١) في أ (شرك).
(٢) في ك و ط (حليماً).
(٣) ليس في أ كلمة التقديس.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦٢.
(٥) أي العفة في الطعام والنكاح والحكمة والشجاعة.
(٦) في ك و ط (ذكرتها).
(٧) سقطت (بُدَّ) من أ.
(٨) حَدُّ كل شيء: نهايته.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٦.
في جميع النسخ (يجدوا) والظاهر أن المعنى لا يستقيم إلاَّ بالحاء كما أثبتنا.

النجاة والسعادة. ولكن الأنبياء بينوا ذلك، وقد قال ـ سبحانه ـ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا [1] وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمها[3] تحريماً مطلقاً، لم يُبح منها شيئاً لأحد من الخلق، ولا في حال من الأحوال. بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير، وغير ذلك، فإنه يحرم في حال، ويباح في حال. وأما الأربعة فهي محرمة مطلقاً.

فالفواحش متعلقة بالشهوة. والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب، والشرك بالله فساد أصل العدل، فإن الشرك ظلم عظيم، والقول على الله بلا علم فساد في[4] العلم، فقد حرم ـ سبحانه ـ هذه الأربعة، وهي فساد الشهوة، والغضب، وفساد العدل والعلم.

وقوله:

﴿ . . . وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا . . . ﴾[5].

يتضمَّن تحريم أصل الظلم[6] في حق الله، وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله ـ تعالى ـ[7] وهو عبادته وحده، لا شريك له، فإن

---

(١) أي: حجة وبرهاناً.
انظر: صفوة التفاسير ٨/٤٤٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٣) في ك زيادة اسم الجلالة المعظم.

(٤) سقطت (في) من ك و ط.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٦) في أ (العلم) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٧) لم ترد في أ كلمة التقديس.

النفس لها القوتان: العلمية والعملية، وعمل الإنسان عمل اختياري، والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد.

وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته، فإن الإنسان حساس، يتحرك[1] بالإرادة، ولهذا قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أصدق الأسماء الحارث وهمام»[2]. والإرادة لا بد لها من مراد، وكل مراد فأما أن يراد لنفسه، وأما أن يراد لغيره ــ والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه.

فالقوة العملية تستلزم أن يكون للإنسان مراد، وذلك المراد لنفسه هو[3] علة فاعلة للعلة الفاعلة[4]، ولهذا قيل: العامة تقول:

---

(١) في ك و ط (متحرك).

(٢) رواه أبو داود. كتاب الأدب، ، باب في تغيير الأسماء ٢٨٧/٤ (٤٩٥٠)؛ والإمام أحمد في المسند ٣٤٥/٤؛ والبخاري في الأدب المفرد.
انظر: فضل الله الصمد ٢٧٧/٢ ــ ٢٧٨ (٨١٤) لفضل الله الجيلاني، ط ٢ المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٨هـ، قال الحافظ ابن حجر: «وكأنّ المؤلف ــ رحمه الله ــ لَمَّا لم يكونا ــ أي هذا الحديث وحديث عند مسلم ــ على شرطه، اكتفى بما استنبطه من أحاديث الباب» ــ أي باب من سمى بأسماء الأنبياء.
انظر: فتح الباري ٥٧٨/١٠، قال الجيلاني في الموضع المذكور آنفاً ــ ما معناه: ورجال هذا الحديث ثقات غير أحمد بن الروتنيسي وعقيل بن شبيب وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات، وهو من رواية عبيد الله بن عبيد الكلاعي، وله صحبة في قول الأكثرين. خلافاً لمن قال بأنه مرسل.
الحارث: الكاسب، وهمام: فعال من هَم يَهم فهو هَام، وإنما كان همام أصدق الأسماء، لأن الإنسان كاسب وهمام بالطبع، ولا يكاد يخلو من كسب وهم.
انظر: جامع الأصول ٣٥٩/١.

(٣) في ك و ط زيادة (المحبوب لنفسه، وهو الإله الذي يستحق أن يكون محبوباً لذاته، وهذا هو العلة الغائية الذي هو).

(٤) في ك و ط (فاعلية للعلة الفاعلية).

«قيمة كل امرىء ما يحسنه»[1]، والعارفون يقولون: «قيمة كل امرىء ما يطلب» وفي بعض الكتب المتقدمة: «إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى هِمّته».

وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس، وإنما جعلوا كمالها[2] العملي في تعديل الشهوة والغضب، بالعفة والحلم، وهذا غايته ترك الإسراف في الشهوة والغضب، والشهوة: هي جلب ما ينفع البدن ويبقي النوع، والغضب دفع ما يضر البدن. ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته[3]. مع أنهم إنما تكلموا[4] فيما يعود إلى البدن، وجعلوا ذلك إصلاحاً للبدن، الذي هو آلة للنفس[5]، وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم.

وقد بسطنا غلطهم في هذا الأصل، من وجوه، في غير هذا الموضع[6]، وبينا أن النفس لها كمال في العمل[7] والإرادة، كما أن لها

---

(١) في ك و ط (يحسن) بدون هاء.
هذا من الحكم المنسوبة للإمام علي.
انظر: نهج البلاغة ٤/١٨ لمحمد بن الحسين بن موسى، الشريف الرضي ـ ١٤٠٦هـ دار الهدى الوطنية، بيروت.

(٢) في ك و ط (كلامها).

(٣) في ك و ط (كدأبه).

(٤) في ك (نظروا).

(٥) في ك و ط (النفس).

(٦) انظر: كتاب النبوات ٧٧ ـ ٩٢، فقد عقد الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك فصلاً كاملاً حيث ناقش هؤلاء وغيرهم، وجاء فيه ذكر كثير من أعلامهم، كالطرسوسي والمازري وابن عقيل وأبو البيان وابن حمدين ورفيق أبي حامد أبو نصر المرغيناني وابن عربي وابن سبعين وغيرهم.

(٧) في ك و ط (العلم).

كمالاً في العلم، وأن العلم المجرد ليس كمالاً لها ولا صلاحاً، ولو كان كمالاً، لم يكن ما عندهم من العلم ما هو[1] كمال النفس[2]، وبينا غلط الجهمية الذين قالوا: «الإيمان هو مجرد العلم»[3]، وأن الصواب قول السلف والأئمة: «إن الإيمان قول وعمل»[4]، أصله: قول القلب وعمل القلب، المتضمن علم[5] القلب وإرادته.

وإذا كان لا بد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلاَّ به، ولا تكمل إلاَّ به، وذلك هو إلهها، فليس لها إله يكون به صلاحاً[6] إلاَّ الله، ولهذا قال الله[7] ــ تعالى ــ :

﴿ . . . لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا . . . ﴾[8].

وليس ذلك للإنسان فقط، بل وللملائكة والجن، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون، لهم علم وعمل اختياري[9]، ولا صلاح لهم إلاَّ بمرادهم المحبوب لذاته، وهو معبودهم، ولا يجوز أن يكون معبوداً محبوباً لنفسه إلاَّ الله، فلو كان في السموات والأرض إله إلاَّ الله لفسدتا. فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له.

---

(١) سقطت (ما) من أ و ط وأثبتناها من ك.

(٢) في ك و ط (للنفس).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين ١٣٢ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ــ ٣٢٤هـ، تصحيح هلموت ريتر، ط ١ دار إحياء التراث العربي: بيروت.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣٧٣ لمحمد بن علي بن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ ط ٦، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ.

(٥) في ك و ط (عمل).

(٦) في ك و ط (صلاحها).

(٧) في ط أثبت اسم الجلالة المعظم.

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٩) الملائكة ليس لهم اختيار في أعمالهم، ولا أدري لماذا أطلق الشيخ المؤلف ولم يستثن!

وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء، فضلاً عما تسعد به. ومما يبين ذلك أن (أرسطو) معلمهم الأول، هو وأتباعه، إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية، فقالوا: «الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية، فقوامه بحركته الاختيارية، وفساده بعدمها، وقوام حركته بما يتحرك لأجله، فإن الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية، التي يتحرك لأجلها، وغايته التي يتحرك لأجلها، هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها»[(١)].

فجعلوا قوام العالم[(٢)] كله بالعلة الأولى من حيث هو متشبه به، لأن المتحرك باختياره لا بد له من مراد. ومعلوم أن الحركة الإرادية تطلب مراداً محبوباً لنفسها[(٣)]، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها مشبهاً[(٤)] به، فإن كل متحرك بالإرادة لا بد له من مراد محبوب لنفسه، فإن الإرادة لا بد لها من مراد، والمراد يكون إما مراداً[(٥)] لنفسه، وإما[(٦)] لغيره، والمراد لغيره إنما يراد لذلك الغير، فلا بد أن يكون ذلك الغير مراداً لنفسه، أو منتهى[(٧)] إلى مراد لنفسه، وإلاَّ لزم التسلسل في العلل الغائية، وذلك باطل، كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية، بصريح

---

(١) انظر: الملل والنحل ٢/١٢٠.
(٢) في أ (العلم) وقد اخترنا ما في ك و ط.
(٣) في ك و ط (لنفسه).
(٤) في ك (متشبهاً) وفي ط (تشبهاً).
(٥) في أ (مراد) بغير النصب.
(٦) في ك و ط زيادة (مراداً) قبل كلمة (لغيره).
(٧) في ك و ط (ينتهي).

العقل واتفاق العقلاء. وبسط هذا له موضع آخر[1].

و[2]إذا كان الفاعل باختيار يستلزم مـراداً لنفسه محبوبـاً، فلا بـد أن يكون لما يتحرك في السمٰوات بـإرادته سـواء كان هؤلاء، المـلائكة، أو مـا يسمونـه ــ هم ــ نفساً، من محبـوب مراد لـذاته، يكـون هو الإلٰـه المعبـود المـراد بتلك الحـركـات، وكـذلـك نفس الإنســان، حـركتهـا بالإرادة[3] من لوازم ذاتها، فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهـو الإلٰه، وهذا المحبوب المراد لذاتـه هو الله ــ تعـالى ــ ويمتنع أن يكـون غيره، كما قد بُسط هذا في موضع آخر، وبُين أنـه يمتنع[4] أن يكـون موجـوداً بغيره، بل هو واجب الوجود بنفسه، فيمتنع أن يكون مراداً لغيره بل مراد لنفسه.

وكمـا[5] يمتنع أن يكـون للعـالم ربَّـان قـادران، يمتنـع أن يكـون للعالم إلٰهان معبودان، فإن كـون أحدهمـا قادراً، ينـاقض كون[6] الآخـر قـادراً، لامتناع[7] اجتمـاع القـادرين على مقـدور واحـد، وامتنـاع كـون أحدهما قادراً على الفعل حين يكـون الآخر قـادراً عليه، وامتنـاع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافؤ[8].

---

(١) سقطت كلمة (آخر) من أو أثبتناها من ك و ط.
وانظر: درء التعارض ٨/٢١٦ ــ ٢٣٨.
(٢) سقطت الواو من أ وأثبتناها من ك و ط.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بالإرادية) بزيادة ياء والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٤) في ك و ط (أنه كما يمتنع).
(٥) سقطت (كما) من أ وقد أثبتناها من ك وط لدواعي السياق.
(٦) في أ (كونه) ولا نرى مبرراً لزيادة الهاء.
(٧) في أ (امتناع) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٨) رسمت في النسخ كلها (التكافي) والأصح ما أثبتناه.

كذلك يمتنع أن يكون إلهان معبودان محبوبان لـذاتهما، لأن كـون أحدهما هو المعبود لذاته، يناقضه أن يكون غيره معبوداً لذاته، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا، وبعض ذلـك لهذا، وذلـك ينـاقض كون الحب والعمـل كله لهذا، فـإن الشـركـة نقص في الحب، فلا[1] تكون حركة المتحرك بإرادته له، فلا يكون أحدهما معبوداً معمـولاً له إلا إذا لم يكن الآخـر كذلـك، فـإن العمـل لهـذا ينـاقض أن يكـون لـه شريك، فضلاً عن أن يكون لغيره.

وكل من أحب شيئين فإنما يحبهما لثالث غيرهمـا، وإلاَّ فيمتنع أن يكون كل منهما محبوباً لذاته، إذ المحبوب لذاته هو الذي تـريده النفس وتطلبه وتطمئن إليه، بحيث لا يبقى لهـا مراد غيـره، و[2]هذا ينـاقض أن يكون له شريك.

والقـول الثـاني[3]: [4]قـول من يقـول: إن الله عـوض[5] النـاس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت، فـإن الإنعام بـالثواب لا يحسن بـدون التكليف، لمـا فيـه من الإجـلال والتعـظيم، الـذي لا يستحقـه إلاَّ مكلف، كمـا يقـول ذلـك القـدريـة[6]، من المسلمين وغيرهم.

---

(١) في ك و ط (ولا).

(٢) في ك و ط (ولهذا).

(٣) تقدم القول الأول ٢٣/٦.

(٤) في ك و ط زيادة (في مقصود العبادات).

(٥) في ك و ط (عرض).

(٦) في ك و ط زيادة (كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب).
هم الذين ينكرون إضافة الخير والشر إلى القـدر، وقد حـدثت هذه البـدعة في آخـر أيـام الصحـابـة على يـد معبـد الجهني وغيـلان الـدمشقي ويونس الأسواري وتبعهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وقد زاد الأخير على الذي قبله في مسائل القدر. =

وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفاً في الواجبات العقلية.

وقد يقولون إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل، والعلم ذريعة إليه، حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله ـ تعالى ـ يقولون[1]: إنما وجبت لأنها لطف[2] في أداء الواجبات العقلية العملية.

والقول الثالث: قول من يقول: بل الله أمر بذلك لا لحكمة مطلوبة، ولا بسبب بل لمحض المشيئة، وهذا قول الجبرية[3] المقابلين[4] للقدرية، كالجهم[5]، والأشعري[6]، وخلق كثير من

= انظر: الملل والنحل ١/٣٠؛ ومقالات الإسلاميين ص ٥٥٠؛ والفرق بين الفرق ص ١١٤ ـ ١١٥.

(١) في أ (يقولوا) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) سقطت كلمة (لطف) من ط.

(٣) هم الجهمية، أتباع جهم، الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وأنه لا فعل لأحد ـ في الحقيقة ـ إلاَّ لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك وإنما فعل ذلك بهما الله ـ تعالى ـ إلاَّ أنه خَلَق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة واختياراً، كما خلق له طولاً ولوناً.
انظر: الفرق بين الفرق ص ١١٤ ـ ١١٥ و ٢١١؛ ومقالات الإسلاميين ص ٢٧٩.

(٤) لم تظهر الميم في كلمة (المقابلين) في أ كما في ك و ط.

(٥) هو ابن صفوان، السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وكان من موالي بني راسب. وكَتَب للحارث، قتل سنة ١٢٨هـ بأمر نصر بن سيار.
انظر: لسان الميزان ٢/١٤٢.

(٦) هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إليه تنسب الطائفة الأشعرية، مولده سنة ٢٧٠هـ كان معتزلياً ثم تاب، وصنف الكتب في الرد على أهل البدع، وكان فيه دعابة ومزاح كثير، مات سنة ٣٣٠هـ. =

المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم.

القول الرابع: قول سلف الأمة وأئمتها، وهو أن نفس معرفة الله ــ تعالى ــ ومحبته مقصودة لذاتها، وأن الله ــ سبحانه ــ محبوب مستحق للعبادة لذاته، لا إله إلَّا هو، ولا يجوز أن يكون غيره محبوباً معبوداً[1] لذاته، وأنه ــ سبحانه ــ يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم، ويفرح بتوبة التائب، ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم[2] ويذمهم، وأن في ذلك من الحكم البالغة، وكذلك[3] من الأسباب ما يطول وصفه في هذا *[4] الخطاب، كما قد بُسط في موضعه، إذ المقصود ــ هنا التنبيه على أن المسلمين * في هذا[5] أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة.

وإذا عُرف[6] مذاهب الناس في مقاصد العبادات، فهم ــ أيضاً ــ مختلفون في صفاتها. فمن الناس من يظن أن كل ما[7] كان أشق على النفس وأشد إماتة[8] لشهوتها فهو أفضل. وهذا مذهب كثير من

= انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٨٤ ــ ٢٨٥ وتبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى... الأشعري ٣٤ و١٤٦ لعلي بن الحسن بن عساكر ــ ٥٧١هـ دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(١) تقدمت (معبوداً) على كلمة (محبوباً) في ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (ويلعنهم).

(٣) سقطت الواو من أ.

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أثبتناه من ك و ط حيث أنه بمقدار سطر ولأنه ظاهر أن في السياق بتراً وانقطاعاً.

(٥) سقطت (في هذا) من ك و ط.

(٦) فس ط (عرفت).

(٧) في أ: رسمت هذه الكلمة هكذا (كلمنا) ويظهر أن النون زيادة من الناسخ.

(٨) في أ (أمانة) وهو نقص نسخي.

المشركين: الهند[1] وغيرهم، وكثير من أهل الكتاب اليهود، والنصارى، وكثير من مبتدعة المسلمين.

و[2]**الثاني**: قول من يقول: إن أفضلها ما كان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية.

والثالث: قول من يقول: فَضْلُ بعضها على بعض لا علة له، بل يرجع إلى محض المشيئة.

والرابع: ــ وهو الصواب ــ أن أفضلها ما كان لله أطوع وللعبد أنفع. فما كان صاحبه أكثر انتفاعاً به، وكان صاحبه أطوع لله به[3] من غيره، فهو أفضل، كما جاء في الحديث: «خير العمل أنفعه»[4].

وعلى كل قول: فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم. أما عن الأول: فأولئك يقولون: «كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل». ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين[5]: الهند وغيرهم، ومن النصارى، ومبتدعة هذه الأمة، ولكن يقال لهم: الجهاد أعظم مشقة من

---

(١) في ك و ط (والهند).

(٢) في ك و ط زيادة (القول).

(٣) سقطت (به) من ك و ط.

(٤) أورده في المقاصد الحسنة بلفظ: (خير العمل ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وخير الناس أنفعهم للناس) عن زيد بن خالد، مرفوعاً، وعزاه للطبراني، ولم أجده في المجمع.

انظر: المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ٢٠١ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ــ ٩٠٢هـ تصحيح عبد الله الصديق، ط ١، دار الكتب العلمية. بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٥) في ط زيادة (في).

هذا كله، فإنه بَذْل النفس وتعريضها للموت، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها، وفيه جهاد النفس في الباطن، وجهاد العدو في الظاهر»[1].

ومعلوم أن المسلمين أعظم جهاداً من اليهود والنصارى. فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه، والنصارى لا يجاهدون على دين.

وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفاً في الواجبات العقلية[2]، فلا ريب أن عبادات المسلمين ـ كصلاتهم وصيامهم وحجهم ـ أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل.

وأما على قول نفاة التعليل، وردّ ذلك إلى مشيئة الله: فيكون الأمر في ذلك راجعاً إلى محض مشيئة الله وتعبده[3] للخلق. وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله، الذي جاء به الرسل، يكون متعبداً بما أمر الله به. بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم، من غير أن يأتيهم بها رسول الله[4] من عند الله.

وأما على القول الرابع: فإن[5] عِلْم: أن الله أمر به، يتضمن طاعة الله. وهذا إنما يكون في عبادات أمر الله بها، وهي عبادات المسلمين

(١) في ك و ط زيادة (وتلك العبادات توجد من الضعفاء).
(٢) سقطت (العقلية) من أ.
(٣) في ط (وتعبد).
(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك ولا ط.
(٥) في ك و ط (فإنما).

دون من ابتدع كثيراً من عباداتهم أكابرهم[1].

وأما انتفاع العباد بها، فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب. فليتدبر الإنسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم[2]، يظهر له[3] الفرق بينهم وبين غيرهم.

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال، كالطهارة، والاصطفاف، والركوع، والسجود، واستقبال بيت إبراهيم، الذي هو إمام الخلائق، والإمساك فيها عن الكلام، وما فيها من الخشوع، وتلاوة القرآن، واستماعه، الذي يَظْهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب، لكل متدبر منصف، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم.

وأما حكم المسلمين في الحدود والحقوق، فلا يخفى على عاقل فضله. حتى إن النصارى ــ في طائفة من بلادهم ــ ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين، إذ لم يكن لهم شرع[4] يحكم به الناس. وليس في الإنجيل حكم عام، بل عامته وإنما فيه[5] الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق، وهو مما يأمر به المسلمون ــ أيضاً ــ .

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين، متوسطين بين اليهود

---

(١) (أكابرهم) بدل من (من ابتدع) بدل كل من كل.
(٢) كررت (عدلهم) في أ مرتين وهو خطأ نسخي ظاهر.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (لهم) والأصح ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.
(٤) في ك و ط زيادة (تمام).
(٥) سقطت (وإنما فيه) من ك و ط.

والنصارى، في التوحيد،والنبوات، والحلال والحرام[1]، وغير ذلك، مما يبين أنهم أفضل[2] من الأمتين، مع أن دلائل هذا كثيرة جداً، وإنما المقصود، التنبيه على ذلك، وحينئذ ففضل الأمة، يستلزم فضل متبوعها.

• • •

---

(١) في ط تقدمت (الحرام) على (الحلال).

(٢) في ك و ط (أكمل).

فصل

أقسام مدعي النبوة، ودلالة ذلك على صدقه ـ عليه السلام ـ

ومما يبين أمر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام:

إما أن يكون نبياً صادقاً، مرسلاً من الله، كما أخبر عن نفسه، بمنزلة نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى، وداود وسليمان، وغيرهم من الأنبياء، الذين ذكرهم الله، في قوله ـ تعالى ـ[1]:

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2].

وإما أن يكون ملكاً مسلماً[3] عادلاً، وضع ناموساً سياسياً[4]،

---

(١) ليس في ك ولا ط كلمة القديس.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٦٢ ـ ١٦٦.

(٣) سقطت كلمة (مسلماً) من ك و ط.

(٤) أي: علماً ونظاماً سياسياً.
انظر: لسان العرب ٦/٢٤٤، مادة نمس.

وقانوناً[١] عدلياً، ينفع[٢] به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة بمبلغ[٣] علمه، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس، مثل واضعي النواميس من اليونان، والهند، والفرس وغيرهم. وإن كان واضع الناموس مختصاً بقوة قدسية، ينال بها العلم بسهولة و[٤]قوة نفسية، يتصرف[٥] فيها تصرفات خارجة عن العادة، ويكون له قوة تخييلية، تمثل له في نفسه أشكالاً نورانية، وأصواتاً يسمعها في داخل نفسه، فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول (ابن سينا) وأمثاله من المتفلسفة: إنها خواص النبي، ومن قامت به كان نبياً، والنبوة مكتسبة عندهم.

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق، ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين، أتباع الأنبياء، كالخلفاء الراشدين، وحواريي عيسى، وأصحاب موسى، جعلناها من هذا القسم، إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة، بحسب ما معه من العلم والعدل، فهذا القسم الثاني. وإما أن يكون رجلاً كاذباً، فاجراً أفاكاً أثيماً، يتعمد الكذب والظلم، أو يتكلم بلا علم، فيخطىء خطأ من يتكلم بلا علم.

ومن يظن الكذب صدقاً، والباطل حقاً، والضلال هدى، والغي

---

(١) قانون: قيل: هي فارسية، وقيل: رومية، وهو مقياس كل شيء وطريقه، جمعه: قوانين. قال ابن سيده: (وأراها دخيلة).
انظر: المصدر السابق ١٣/٣٤٩، مادة قنن.

(٢) في ك و ط (ينتفع).

(٣) في ك و ط (ليبلغ).

(٤) في ك (له وقوة) وفي ط (وله قوة).

(٥) في ط (ينصرف).

رشداً، والظلم عدلاً، والفساد صلاحاً، وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والإيجاب، بأن يصدقوه بما[1] أخبر، ويطيعوه فيما أمر به وأوجبه[2] باطناً وظاهراً، من غير أن يخير[3] أحداً في[4] اتّباعه وتصديقه وطاعته، ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه، لا في الباطن ولا في الظاهر. لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.

وذلك لأنه، إما أن يكون قصده الإثم والعدوان، أو قصده البر والعدل. فإن كان قصده الأول، فهو ظالم فاجر، ومثل هذا لا يكون إلَّا كاذباً عمداً أو خطأً. وإن كان قصده البر والعدل، فلا يخلو ـ مع ذلك ـ إما أن يكون عالماً بكل ما يخبر به من الغيوب، جازماً بصدق نفسه جزماً لا يحتمل النقيض، عالماً بأن ما يأمر به[5] عدل، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه، وإما أن لا يكون جازماً بذلك. فإن كان جازماً بذلك: كان هذا هو النبي المعصوم، الذي لا يخبر إلَّا بحق[6]، ولا يأمر إلَّا بعدل:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[7].

بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه، فإن

---

(١) في ك و ط (فيما).
(٢) في ك و ط (أوجبه وأمر به) وسقطت (به) من أ.
(٣) في ك (يخبر).
(٤) في ك و ط (على).
(٥) في ك و ط زيادة (هو).
(٦) في ك و ط زيادة (وصدق).
(٧) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

هذا قد يـأمر بـأشياء يجـوز أن تكون المصلحـة والعدل والصـدق[1] في خلافها[2]، ويخبر بأشيـاء باجتهـاده، يجوز أن يكـون الأمر فيهـا بخلاف ذلك، ولا بد أن يَغْلِط في بعض ما يخبر به من العلميات، وما يأمـرهم[3] بـه من العمليات، فـإنه لا معصـوم إلاَّ الأنبياء، ولهـذا لم يجب الإيمـان بكل ما يقوله بشر، إلَّا أن يكون نبياً، فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي بـه النبـي.

قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ[5] وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾[6]. الآية.

وإذا كان الأمر[7] كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمداً ذكـر أنه رسـول

---

(١) سقطت (والصدق) من ك و ط.
(٢) في ك و ط زيـادة (ويخبر بـأشياء بـاجتهاده، يجـوز أن تكون المصلحـة والعـدل في خلافها).
(٣) في ك و ط (يأمر).
(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٥) أي: جهة المشرق أو المغرب.
انظر: صفوة التفاسير ١١٧/٢.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٧) سقطت (الأمر) من ك و ط.

كإبراهيم وموسى وعيسى. بل أخبر أنه سيد ولد آدم[١]، وأن آدم فمن[٢] دونه تحت لوائه يوم القيامة، وأنه لما أسري به وَعَرَج إلى ربه، علا على الأنبياء كلهم، على إبراهيم، وموسى وهرون، ويحيى وعيسى[٣]، وغيرهم، وأخبر أنه لا نبي بعده، وأن أمته هم الآخِرون في الخلق، السابقون يوم القيامة، وأن الكتاب الذي أنزل إليه أحسن الحديث، وأنه مهيمن[٤] على ما بين يديه من الكتب، مع تصديقه لذلك[٥].

وحينئذ، فإن[٦] كان عالماً بصدق نفسه، فهو نبي رسول، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب، فهو من أظلم الناس وأفجرهم:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[٧].

وإن كان يظن صدق نفسه وليس كذلك، فهو مخطىء غالط ملبوس عليه، وإذا كان كذلك، فلا بد أن يخطىء فيما يخبر به من الغيوب، ويظلم فيما يأمر به من العدل، ولا يتصور استمراره على هذا، بل لا بد أن يتبين له ولغيره أنه صادق أو كاذب.

فإن من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق،

---

(١) في أ (إبراهيم).

(٢) في ك و ط (ومن).

(٣) في ك و ط تقدم ذكر (عيسى) على (يحيى) ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ.

(٤) أي: أنه أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، فجمع الله فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وتكفل ـ تعالى ـ بحفظه بنفسه المقدسة. انظر: تفسير القرآن العظيم ١١٩/٣.

(٥) سقط النصف الأول من هذه الكلمة من أ، وقال الناسخ في الهامش: لعله (لذلك).

(٦) في ك و ط (فإذا).

(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

يكـون من أجهـل النـاس وأظلمهم وأبعـدهم عن التمييـز بين الحق والباطل، والصـدق والكذب والخيـر والشر، فـإن هذا بمنـزلة من اشتبـه عليه النبـي الصادق بالمتنبـي الكذاب[١]، وهذا من أجهل الناس. [٢]إذا اشتبـه عليـه حـال غيـره، فكيف بمن اشتبـه عليـه حـال نفسـه ولم يعلم ما يقوله، أصدق هو[٣] أم كذب؟

ومن كـان جاهـلاً مع هـذه الدعـوى العظيمـة، التي لم يَدَّع بشـر مثلها، ومع كثرة ما يخبـر به من الغيـوب الماضيـة والمستقبلة، ويأمـر به وينهى عنـه، من[٤] الأمـور الكليـة، والسنن العـامـة[٥]، والشـرائـع والنـواميس، فـلا بـد أن يكـون فيهـا من الضـلال والغي مـا يبين لأكثـر الخلق.

فـإذا كـانـت[٦] أخبـاره عن المـاضي والمستقبـل، يصـدق بعضهـا بعضاً، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم، والكتاب الذي جـاء بـه، كتـاب متشابه مثاني، يشبه بعضه بعضاً في الصدق، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[٧].

---

(١) في ك و ط (بالنبي الكاذب).

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف.

(٣) في ك و ط جاء الضمير هو في الموضع الأول وسقط في الموضع الثاني وجـاء في ك في الموضع الأخير (أو) بدلاً من (أم).

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (عن) والأولى ما في ك و ط ولهذا أثبتناه منهما.

(٥) هذه الكلمة رسمت في أ وكأنها (العامية) أو (العلمية) ويمكن قراءتهـا أيضاً (العـامة) كما هي في ك و ط.

(٦) في ك و ط (كان).

(٧) سورة النساء: الآية ٨٢.

فإنه لو كان من عند غير الله، لوجب أن يكون فيه تناقض، لامتناع قدرة البشر على أن تخبر بهذه الأخبار، وما فيها من الغيوب، ويأمر بهذه الأوامر، مع سلامة ذلك من التناقض. ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك.

وإذا[1] كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد عُلم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرى الصدق والعدل، وأنه ما جُربت[2] عليه كَذبة قط، وعلم أنه كان جازماً بما يخبر به، مع عظم الأخبار وكثرتها، [3] ـ وهو وحده ـ قام يدعو الناس إلى ما جاء به، ومن عادة طالب المُلْك والرياسة ـ ولو كان عادلاً ـ أن يستعين بمن يعينه، كأقاربه وأصدقائه ونحوهم، وأن يبذل للنفوس من العاجل، ما يرغبها به، كالمال والرياسة، ويُرَهب من خالفه.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا الناس وحده وهو بمكة، فآمن به المهاجرون، ثم آمن به الأنصار بالمدينة، ثم آمن به أهل البحرين[4]، ولم يعط أحداً منهم درهماً، ولا كان معه ما يخيفهم به، لا سيف، ولا غيره. بل مكث[5] بمكة بضع عشرة سنة، هو[6] والمؤمنون به مستضعفين[7]، لم يكن له مال يبذله لهم، ولا سيف يخيفهم به.

---

(١) في ك و ط (فإذا).

(٢) في ك و ط (جرت).

(٣) في ك و ط زيادة (أنه).

(٤) وهي منطقة الأحساء حالياً.
انظر: معجم البلدان ١/٣٤٧.

(٥) في ك و ط (أقام).

(٦) في ك و ط (وهو). (٧) في ك و ط (مستضعفون).

وكان أعظم من آمن به، أبو بكر الصديق، مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه، ومحبتهم له وعلو قدره فيهم، أنفق ماله كله في سبيل الله، حتى قال له النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما تركت لأهلك؟» قال: «تركت لهم الله ورسوله»(١) ولم يعطه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ درهماً واحداً يخصه به، ثم تولى الأمر بعده، وترك ما كان معه للمسلمين، واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله، ومات وهو فقير من فقراء المسلمين. وتولى بعده عمر بن الخطاب، وفتح أعظم ممالك العالم، مملكة فارس والروم، فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر.

وأميره الكبير (أبو عبيدة)(٢) أزهد الخلق في(٣) الأموال، وأعبدهم للخالق، وأرحمهم للمخلوق، وأبعدهم عن هوى النفس، ولهذا قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيه: «إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه

---

(١) أورده البخاري معلقاً حيث قال: (كفعل أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ حين تصدق بماله) كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلَّا عن ظهر غنى، ٢٩٤/٣ من فتح الباري، ورواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك ــ أي الخروج من المال، ١٢٩/٢ (١٦٧٨). والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ٦١٤/٥ (٣٦٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والدارمي، كتاب الزكاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ٣٩١/١. والحاكم في المستدرك ٤١٤/١، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، الفهري المكي، أحد السابقين الأولين، وشهد له النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة، توفي سنة ١٨هـ وله ٥٨ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/١ ــ ٢٣؛ وتقريب ٣٨٨/١.

(٣) في ك و ط زيادة (ولايته).

الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1]. وأميره على فارس (سعد بن أبي وقاص)[2] الذي كان مستجاب الدعوة، وكان من أزهد الناس[3]، وكان آخر من بقي من أهل الشورى، والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق[4]، لا يزاحم أحداً. فقال له ابنه[5] عمر[6]: تركتَ الناس يتنازعون[7] المُلك وجلستَ ههنا؟ فقال: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني[8] النقي الخفي»[9].

• • •

(١) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ٨/٩٤ (٤٣٨٢) من فتح الباري، ومسلم بمثله ــ أيضاً ــ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة...، ٤/١٨٨١ (٢٤١٩).

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو إسحاق، القرشي الزهري المكي، أحد العشرة وأحد السابقين الأولين، شهد بدراً والحديبية، توفي بقصره بالعقيق ــ على سبعة أميال من المدينة، وحمل إليها سنة ٥٥هـ وله ٨٢ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ١/٩٢ ــ ١٢٤؛ وتقريب ١/٢٩٠.

(٣) في ك و ط (الخلق).

(٤) هو: واد من أودية المدينة لربيعة، وقد كان فيه نخل كثير وسيوح (مياه جارية) وآبار. انظر: صفة جزيرة العرب ص ٢٦٤ و٢٩٧ للحسن بن أحمد الهمداني ــ ٣٤٤هـ، ت: محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

(٥) في ك و ط (ابن).

(٦) هو ابن سعد بن أبي وقاص، أمير السرية الذين قاتلوا الحسين ــ رضي الله عنه ــ ثم قتله المختار، وكان ذا شجاعة وإقدام، قتل هو وولداه صبراً.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٩ ــ ٣٥٠.

(٧) في ك و ط زيادة (في).

(٨) ليس في أ (الغني) وفي ك و ط (النقي) وما أثبتناه هو ما في الصحيح.

(٩) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق.

انظر: المقدمة ٤/٢٢٧٧ (٢٩٦٥). وأخرجه أحمد في المسند ١/١٦٨.

فـصـل

من آيات النبوة: قصة الفيل وحراسة السماء

ومن آيات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودلائل نبوته التي[1] في القرآن، قصة الفيل، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[2] ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ[3] ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ[4] مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[5].

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل، وأن أهل الحبشة: النصارى ساروا بجيش عظيم، معهم فيل، ليهدموا الكعبة، لما أهان بعض العرب كنيستهم، التي باليمن، فقصدوا إهانة الكعبة، وتعظيم كنايسهم. فأرسل الله عليهم طيراً أهلكهم[6] وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم.

---

(١) سقطت (التي) من ط.

(٢) أبابيل: جماعات متتابعة، بعضها في إثر بعض.
انظر: صفوة التفاسير ٢٠/٦٠٥.

(٣) سجيل: طين متحجر.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٤) كعصف مأكول: ورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم خرج منها.
انظر: المصدر والمرجع السابق.

(٥) سورة الفيل، كاملة.

(٦) في ك و ط زيادة (عامتهم).

فعُلم بذلك أن هـذه الآية لم تكن لأجـل جيران البيت حينئـذ، بل كـانت لأجل البيت، أو لأجـل النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، الـذي ولد به[١] في ذلك العام عنـد البيت، أو لمجموعهمـا، وأي ذلك كـان، فهو من دلائل نبوته.

فإنه إذا قيل: إنما كانت آية للبيت وحفـظاً له، وذبـاً عنه لأنـه بيت الله الذي بناه إبراهيم الخليل. فقد عُلم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلى إليه، إلا أمة محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، ومحمد[٢] هو الذي فرض حجه والصلاة إليه. فإذا كـان هذا البيت عنـد الله خيـراً[٣] من الكنـائس التي للنصـارى، حتى إن الله أهلك النصـارى أهل[٤] الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانة البيت. عُلم أن دين[٥] أهـل هذا البيت خيـر من دين النصـارى، والمشـركـون ليسـوا خيـراً من النصـــارى. فتعين أن أمـة محمـــد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ خيـــر من النصارى، وذلك يستلزم أن نبيهم صـادق، وإلا فمن كانـوا متبعين لنبـي كـاذب، فليسوا خيـراً[٦] من النصارى، بـل هم[٧] شرار الخلق، كـأتباع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وغيرهما، وقال ــ في القرآن ــ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ ﴾[٨].

---

(١) سقطت (به) من ك و ط.

(٢) لم ترد كلمة (ومحمد) في ط.

(٣) في ك و ط (خير) بالرفع.

(٤) سقطت (النصارى أهل) من ك و ط.

(٥) لم ترد كلمة (دين) في ط.

(٦) في أ (خير) بغير النصب والأصح ما في ك و ط. بالنصب ولهذا أثبتناه.

(٧) في ك و ط زيادة (من).

(٨) سورة الفيل: الآيات ١ ــ ٣.

والأبابيل جماعات في تفرقة[1]، فوج بعد فوج[2](ترميهم بحجارة من سجيل) أي من طين مستحجر[3]، (فجعلهم كعصف مأكول) كالتبن[4] الذي أُكِل.

وقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

إستفهام في معنى التقرير، وهذا يقتضي أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه، وقد قررهم على ذلك، لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق. [5]ومن آياته الظاهرة التي في القرآن، ما ذكره من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، بخلاف ما كانت العادة جارية به، قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾.

---

(١) في ط (متفرقة).

(٢) سقطت كلمة (فوج) الثانية، من ط.

(٣) في ك و ط زيادة بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذا، وهي كالآتي: (وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية (سنك) و (كل) بالفارسية هي الطين، ويقولون في الجمع (كيلان) أي أطيان، لأن الألف والنون في الفارسية للجمع فيقولون (مسلمان، وفقيهان، وعالمان): أي مسلمون وعلماء وفقهاء. ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ويعرفون معناها، والقرآن نزل بلغتهم العربية، والمعرب عربي).

(٤) التبن: ساق الزرع بعد دياسة.
انظر: المصباح المنير ص ٧٢.

(٥) في ك و ط قبل هذا (فصل).

إلى قـولـه:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾[١].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢ ﴾[٢].

وهـذا[٣] كان النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يقرؤه على الناس، وهم يقرؤنه، ولم ينكـره أحد، ولا ارتـاب به مؤمن، ولا احتـج به عليـه كافر، فدل[٤] أن الناس علموا صدق ما أخبرت بـه الجن، من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنهم لم يتمكنوا حينئـذ مما كـانوا يتمكنـون منه قبل ذلك من الاستماع.

ومعلوم أن هـذا أمر يـراه الناس بـأبصـارهم، فـإن امتـلاء السمـاء بـالشهب، أمـر يـراه النـاس كلهم، فلو لم يكن كـذلـك، لكـان النـاس يكـذبـون بهـذا، مؤمنهم وكـافـرهم، فـإن الجمـاعـة العـظيمـة الـذين لم يتواطؤا، يمتنع اتفاقهم على الكذب، وعلى التصديق بما يعلمـون أنه كذب، وعلى كتمان ما يعلمونه، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب.

---

(١) سورة الجن: الآيات ١ ـ ١٠.
(٢) سورة الشعراء: الآيات ١١٠ ـ ١١٢.
(٣) في ط (قد).
(٤) في ك و ط زيادة (على).

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا كان موجوداً ــ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ــ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت، فلما لم ينكر ذلك أحد، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب، الذي لم يُعهد مثله، حتى صاروا يشكون: هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا: إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم، فلما رواه فيما دونها، علموا أنه لأمر حدث. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: (انطلق رسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في طائفة من أصحابه عامدين[1] إلى سوق عكاظ[2]، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب[3]، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين السماء، أرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا[4] مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا: ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون

---

(١) أي قاصدين.
انظر: فتح الباري ٨/٦٧٠.

(٢) **عكاظ**: نخل في واد، بينه وبين الطائف مسيرة ليلة (٤٠ كلم تقريباً) وبينه وبين مكة ثلاث ليال (١٢٠ كلم تقريباً) كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له (الأثيداء) وبه كانت حرب الفجار، وهو أعظم أسواق العرب.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٩٥٣.

(٣) جمع شهاب: وهو شعلة من نار ساطعة.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٩.

(٤) الضرب في الأرض: السير فيها لابتغاء الرزق أو غيره.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٨.

مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر[1] الذين أخذوا نحو تهامة، وهي بنخل[2]، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو[3] يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا:

﴿ . . . إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾[4].

فأنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ . . . ﴾[5].

وفي لفظ البخاري بنخلة قريباً من مكة، وهو الصواب.

---

(١) النَّفَر: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة، ، ومثله: النَّفير والنَّفْر والنَّفْرة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٢.

(٢) نخل: موضع بنجد، من أرض غطفان، وهو في طرف الشام من ناحية مصر، وقيل: منزل لبني مرّة بن عوف، أوبني ثعلبة، على ليلتين من المدينة (٨٠ كلم تقريباً).
وقد رجح الشيخ المؤلف أنه (نخلة).
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٣٦٤.

(٣) في ط (وكان الرسول).

(٤) سورة الجن: الآيتان ١ ـ ٢.

(٥) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾.
سورة الجن: الآية ١.
رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة **﴿قل أوحي إليّ﴾** ٨/٦٦٩ (٤٩٢١) من فتح الباري. ومسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقرآة في الصبح. . .، ١/٣٣١ ـ ٣٣٢ (٤٤٩).

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال، والصواب: أنه كان الرمي[1] بها ــ كما هو الآن ــ أحياناً، كما ثبت في صحيح مسلم، عن ابن عباس، ورواه ــ أيضاً ــ أحمد في مسنده، أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بينما هو في نفر من الأنصار إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم: «ما كنتم تقولون في هذا النجم، الذي يرمى به في الجاهلية»؟ قالوا: كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك. وُلِد[2] مولود. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ليس ذلك كذلك، ولكن الله إذا قضى في خلقه أمراً يسمعه أهل العرش، فيسبحون، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم، فيسبح من تحت ذلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض: لم سبحتم؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم. فيقولون: ألا تسألون من فوقكم مم سبّحوا؟ فيسألونهم[3]، فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا: الأمر الذي كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيتحدثون به، فتسترقه الشياطين بالسمع، على توهم منهم واختلاف، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض، فيحدثونهم، فيخطئون ويصيبون، فيحدث[4] الكهان»[5].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله ، إن

---

(١) في ك و ط (يرمى).

(٢) في ط زيادة واو العطف.

(٣) في ك و ط (فيسألون).

(٤) في ك و ط (فيتحدث به).

(٥) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ٤/١٧٥٠، (٢٢٢٩). والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ، ٥/٣٦٢ (٣٢٢٣). وأحمد في المسند ١/٢١٨.

الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقاً، قال: «تلك الكلمة من الحق، يخطفها[١] الجني، فيقذفها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مائة كَذبة»[٢].

وروى البخاري في صحيحه، عن عائشة أنها سمعت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «إن الملائكة تنزل في العَنَان، وهو السحاب، فتذكر الأمر، قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٣].

وفي صحيح البخاري ــ أيضاً ــ عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء[٤] ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَاناً[٥] لقوله، كأنه سلسلة على

---

(١) **الخطف**: الأخذ والاستلاب بسرعة.
انظر: المصباح المنير ص ١٧٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الطب، باب الكهانة، ١٠/٢١٦ (٥٧٦٢) من فتح الباري ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهان،٤/١٧٥٠(٢٢٢٨)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/٣٠٤ (٢٢١٠). من فتح الباري.

(٤) يفسر ذلك رواية الطبراني: (إذا تكلم الله بالوحي...).
انظر: فتح الباري ٨/٥٣٨.

(٥) خضعانا: من الخضوع، وهو مصدر بمعنى: خاضعين.
انظر المصدر والموضع السابق.
في ك و ط (خضعاً).

صفوان[١]، فإذا فُزِّع[٢] عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: (الحق، وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا، بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها[٣] على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا[٤]: كذا وكذا. الكلمة التي سمعت من السماء، فَيُصَدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[٣].

ورواه محمد بن إسحاق، عن الزهري، وقال ــ في آخره ــ : «ثم إن الله ــ عز وجل ــ حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة، فلا كهانة»[٤]. ورواه مَعْمَر عن الزهري، وقال: «فقلت للزهري: أوكان يرمي بها في الجاهلية؟ قال نعم. قلت: يقول الله:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ . . .﴾[٥] الآية.

قال: غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي ــ صلَّى الله عليه

---

(١) في ك و ط (الصفوان).

(٢) أي زال الفزع والخوف.

(٣) في ك و ط زيادة (إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها).

(٤) سقطت (كذا) الثانية من أ، والصواب إثباتها كما في الصحيح.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم. . .)، ٥٣٧/٨ ــ ٥٣٨، (٤٨٠٠). من فتح الباري.
ورواه الترمذي مختصراً، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة سبأ، ٣٦٢/٥ (٣٢٢٣).

(٤) السيرة لابن هشام ٢٢٠/١.
في ط (كهلانة).

(٥) سورة الجن: الآية ٩.

وسلَّم ـ[1]. وروى الطبري[2] عن داود[3]، ثنا عاصم بن علي[4] بن عاصم[5] عن عطاء بن السائب[6] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي، وكان الوحي إذا أوحي، سمعت الملائكة كهيئة الحديدة رمى[7] بها على الصفوان[8]، فإذا سمعت الملائكة صلصلة[9] الوحي، خرّ[10] لجباههم من في السماء

---

(١) المسند للإمام أحمد ٢١٨/١، بإسناد رجاله ثقات، وأورده الهيثمي مختصراً في المجمع ١٢٩/٧ م ٤، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم الحافظ، أبو جعفر، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، قال ابن خزيمة: (ما على أديم الأرض أعلم منه). كانت ولادته سنة ٢٢٤هـ. وتوفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤ ـ ٢٨٢؛ وطبقات الحفاظ: ٣١٠.

(٣) داود: هو ابن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني الحافظ العلامة عالم الوقت، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر، ولد سنة ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٧٠هـ سير أعلام النبلاء ٩٧/١٣ ـ ١٠٨.
انظر: لسان الميزان ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٤.

(٤) في ك و ط زيادة (ثنا علي).

(٥) عاصم بن علي بن عاصم: هو ابن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، صدوق يخطىء ويصرّ، رمي بالتشيع، مات سنة ٢٠١هـ وله أكثر من ٩٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٣٩/٢؛ وتهذيب التهذيب ٣٤٤/٧.

(٦) هو أبو محمد، ويقال: أبو السائب، الثقفي الكوفي، صدوق، اختلط ـ ضعفت ذاكرته ـ مات سنة ١٣٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢٢/٢؛ وتهذيب التهذيب ٢٠٣/٧.

(٧) في ك و ط (يرمى).

(٨) هو الحجارة الملس، ويستعمل اللفظ في الجمع والمفرد.
انظر: المصباح المنير ص ٣٤٤.

(٩) الصلصة: صفاء صوت الرعد.
انظر: اللسان ٣٨٢/١١، مادة صلل.

(١٠) في ط (خروا).

من الملائكة[1]، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فينادون قال ربكم:

﴿ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2].

قال: فإذا نزل إلى السماء الدنيا، قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتاً، وكذا وكذا حياة، وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خصباً، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبتدي ـ تبارك وتعالى ـ، فنزلت الجن، فأوحوا إلى أوليائهم من الأنس ما[3] يكون في الأرض. فبينما هم كذلك، إذ بعث النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ[4] فزجرت[5] الشياطين[6]، ورموهم بالكواكب، فمنعوا، فجعل لا يصعد أحد إلاّ احترق، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، فقالوا: هلك[7] من في السماء. وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحر كل يوم بعيراً لآلهتهم، فينطلق صاحب الغنم، فيذبح كل يوم شاة، فينطلق صاحب البقر، فيذبح كل يوم بقرة. فقال لهم رجل: ويلكم لا تهلكوا أموالكم، فإنّ معالمكم[8] من

---

(١) سقطت جملة (من في السماء من الملائكة) من ط.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٣.
(٣) في ك (مما) وفي ط (بما).
(٤) في أ (عليه السلام).
(٥) الزجر: المنع والنهي والانتهار.
انظر: اللسان ٤/٣١٨، مادة زجر.
(٦) في ك و ط زيادة (عن السماء).
(٧) في ك و ط (أهلك).
(٨) جمع معلم، وهو ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه.
انظر: اللسان ١٢/٤١٩، مادة علم.

الكواكب التي تهتدون بها، لم يسقط منها شيء. فأقلعوا[1]، وقد أسرعوا في أموالهم[2]. وقال[3] إبليس: حدث في الأرض حدث، فأتوني[4] من كل[5] مكان في الأرض بتربة، فجعل لا يؤتى بتربة أرض إلا شمها، فلما أتى بتربة تِهامة قال: «ههنا حدث الحدث». فصرف الله إليه نفراً[6] من الجن، وهو يقرأ القرآن، فقالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . . .﴾[7].

حتى ختم الآية، فولوا:

﴿. . . إِلَىٰ قَوْمِهِم[8] مُّنذِرِينَ﴾[9].

---

(١) الإقلاع عن الأمر: الكف عنه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٨.

(٢) أي في إفنائها.

(٣) في ك (وكان إبليس حدث) وفي ط (وكان إبليس قال).

(٤) في ك و ط (فإني).

(٥) في ط زيادة (مكان في).

(٦) هم جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل إلى سبعة، ولا يقال (نفر) فيما زاد على العشرة.
انظر: المصباح المنير ص ٦١٧.

(٧) سورة الجن: الآية ١.

(٨) سقطت من ط (إلى قومهم).

(٩) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.
أورد الحافظ في الفتح ٨/٦٧١ أول هذا الأثر وشطراً كبيراً من آخره وعزاه للطبري وابن مردويه وغيرهما بالطريق التي ذكر المؤلف نفسها، وقد تتبعت مضانه عند الطبري في التفسير والتاريخ فلم أعثر عليه.
ولم يشر السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥/٢٣٦ مصور طبعة بولاق، دار المعرفة، بيروت. لم يشر إلى رواية الطبري هذه، وكذلك فعل تلميذه الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ــ ٩٤٢هـ في كتابه: سبل الهدي والرشاد في

ورواه أبو زرعة عن موسى بن إسماعيل[1] عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه، ورواه البيهقي من طرق[2] عن حماد بن سلمة عن عطاء ــ أيضاً ــ .

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث، ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وقبل ذلك لم يكن الحرس شديداً، ولا[3] كانت السماء مملوءة حرساً وشهباً ــ كما هي الآن[4] ــ يرمى[5] بها أحياناً، وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع: أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلى حديث غيره، مختفياً بسماعه، مسترقاً له، فكانت الشياطين تسترق (أي تستمع) ما تقوله الملائكة. فلما بعث محمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ صار أحدهم إذا سمع[6] وجد الشهاب قد أرصد له، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك.

• • •

= سيرة خير العباد ٢/٢٦٤ ــ ٢٧٩. ت: د. مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، وقبلهما ابن كثير لم يذكر رواية الطبري، السيرة النبوية ١/٤١٥ ــ ٤٢١.

وقد أخرجها أبو نعيم في الدلائل ١/٢٩٣ بالطريق نفسها التي ذكر المؤلف ــ عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ــ وبلفظ مقارب، وبالطريق نفسها أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٤٠ بمثله.

(١) **موسى بن إسماعيل**: هو المنقري التبوذكي، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار الطبقة التاسعة، ولا التفات إلى قول ابن خراش: «تكلم الناس فيه». مات سنة ٢٢٣هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٨٠؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٣٣٣ ــ ٣٣٥.

(٢) سقطت (من طرق) من ك و ط.

(٣) في ط (بل).

(٤) سقطت (الآن) من ط.

(٥) في ك و ط (ترمى).

(٦) في ك و ط (استمع).

فصل

من آيات النبوة ما ثبت بالقرآن أو بالتواتر وهو أكثر

وقد ذكرنا بعض آياته التي في القرآن، لأن من أهل الكتاب من يقول: لا نصدق إلاَّ بما في القرآن، كما في التوراة والإنجيل، [1]من آيات موسى والمسيح، إذ كان نقل القرآن عنه متواتراً، لا يستريب فيه أحد، فنبهنا على بعض ما في القرآن، مع أن آياته التي ليست في القرآن كثيرة جداً.

وليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون في القرآن، بل كما تواتر عنه من شريعته ما ليس في القرآن، وهو من الحكمة التي أنزلها الله عليه ــ كذلك ــ وتواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس في القرآن، وهو من براهينه وآياته[2]، وقد قال ــ تعالى ــ في غير موضع:

﴿ ... وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴾[3].

فالحكمة نزلت[4] عليه، وهي منقولة في غير القرآن.

وقد تواتر عنه كون الصلوات[5] خمساً، والفجر ركعتين[6]،

(١) في ك و ط (ما فيهما).

(٢) في ك و ط تقدمت (آياته) على (براهينه).

(٣) سورة النساء: الآية ١١٣؛ وانظر: سورة البقرة: الآية ١٢٩؛ وآل عمران: ١٦٤؛ والجمعة: ٢.

(٤) في ك و ط (منزلة).

(٥) في ط (الصلاة).

(٦) في أ (ركعتان). وما أثبتناه من ك و ط أصوب.

والمغرب ثلاثاً، والباقي أربعاً أربعاً[١]، والرباعية في السفر ركعتان، وتواتر عنه سجود السهو. [٢]كذلك متواتر[٣] عنه أنواع من المعجزات والأخبار المتواترة[٤] في أصناف آياته وبراهينه كثيرة جداً، لا يمكن إحصاؤها، وهي مشتملة على جنسي: العلم والقدرة: على أنواع من الإخبار بالغيوب المستقبلة، مفصلة، كأنما رآها بعينه، لم يأت منها خبر إلَّا كما أخبر به، وهذا أمر لم يكن قط إلَّا لنبي.

أما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء، فيكذبون كثيراً، كما يصدقون أحياناً[٥]، ويخبرون بجمل غير مفصلة.

وأما أهل الولاية والصلاح: فأعظمهم كشفاً[٦]، يخبر عن ذلك بأمور قليلة، لا تبلغ عشر معشار ما أخبر به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[٧]، ولا يخبرون بها مفصلة كخبره، وعلى أنواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات. إما من باب العلم والخبر والمكاشفة[٨]. وإما من باب القدرة والتأثير والتصرف.

---

(١) في أ و ك (أربع أربع).
(٢) في ط زيادة الواو العاطفة.
(٣) في ك و ط (تواتر).
(٤) في ك و ط (المأثورة).
(٥) سقطت (أحياناً) من أ.
(٦) الكشف: هو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم، فيُكشف للعبد عنه كأنه يراه رأي العين. انظر: حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بهامش قوت القلوب ٢/٢٧٣.
(٧) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.
(٨) المكاشفة هي الكشف المذكور آنفاً.

وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات، شيء كثير، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ[1] وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[2].

فغَلَبت الروم فارس في بضع سنين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى[3]، وكقوله ـ تعالى ـ[4]:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا . . . ﴾[5].

وكان كما أخبر.

وروى الدارمي[6] ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

---

(١) أي أقرب أرضهم إلى فارس.
انظر: صفوة التفاسير ٤٧١/٢١.

(٢) سورة الروم: الآيتان ١ ـ ٢.

(٣) انظر الجواب الصحيح (ط المدني) ٨٨/١.

(٤) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط.

(٥) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿ . . . **يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** . . . ﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

(٦) **الدارمي**، هنا: هو أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان الدارمي السرخسي، الإمام الفقيه الحافظ الثبت، أبو جعفر، ولد سنة نيف وثمانين ومائة، وسمع الحديث، وأكثر التطواف، وتوسع في العلم، وبَعُد صيته وتولى قضاء سرخس، مات بنيسابور سنة ٢٥٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٢ ـ ٢٣٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٤٥؛ وتقريب التهذيب ١٥/١. وقد كنت أظن أنه الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن)، صاحب =

عن أُبَي بن كعب[١] قال: «لما قدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه المدينة[٢]، وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلَّا في السلاح، ولا يصبحون إلَّا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين، لا نخاف إلَّا الله ــ عز وجل ــ؟ فنزلت:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .﴾[٣].

إلى آخر الآية[٤].

وكان كذلك، استخلف الله المؤمنين في الأرض، ومَكَّن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

= السنن، ثم دلني عليه كتاب أسباب النزول: ص ٢٤٨ لعلي بن أحمد الواحدي ٤٦٢هـ، عالم الكتب، بيروت.

(١) هو ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء ويكنى أبا الطفيل ــ أيضاً ــ من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً قيل سنة ١٩ وقيل سنة ٣٢هـ وقيل غير ذلك.

انظر: تقريب التهذيب ١/٤٨؛ وأسد الغابة ٦١ ــ ٦٣.

(٢) في أ (بالمدينة).

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) قال الهيثمي في المجمع ٧/٨٣، (رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات). ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، ٢/٤٠١، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الدلائل ٣/٦. وقد عزاه السيوطي ــ أيضاً ــ إلى ابن المنذر وابن مردويه والضياء في المختارة.

انظر: الدر المنثور ٥/٥٥.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨ ﴾[1].

وكان كما أخبر ووعد. وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ . . . ﴾[2].

وكان كما أخبر.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ . . . ﴾.

إلى قوله:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤ ﴾[3].

فأخبر أنهم لن يفعلوا، وكان كما أخبر.

وأخبر أنه قال للمسيح:

﴿ . . . وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ . . . ﴾[4].

وكان كما أخبر.

وأنزل في مكة:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٣ ــ ٢٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(١) ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾(٢).

وقـال:

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٣).

فكان كما أخبر.

وقـال:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا(٤) بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٥).

وكانوا(٦) كما أخبر.

وقـال:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ(٧)، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ

---

(١) في ك و ط زيادة: قوله ــ تعالى ــ :
﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾.

(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
في ك و ط زيادة (فكان كما أخبر هزم الجمع، وولوا الدبر).

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٢.

(٤) أي: ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة.
انظر: صفوة التفاسير ٦/٣٣٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٦) في ك و ط (كان).

(٧) يقصد هؤلاء اليهود: أنه ــ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ــ بخيل يقتر الرزق على العباد.
انظر المصدر السابق ٦/٣٥٢.

يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا [1] وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ . . . ﴾[2] .

وكان كما أخبر.

وقـــال:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ [3] ، إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ [4] ، وَبَآءُو [5] بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ [6] ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[7] .

وقـــال:

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ . . . ﴾[8] .

---

(١) في ك و ط لم يَرِد قوله ــ تعالى ــ :
﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء، إلى يوم القيامة﴾.
وجاء فيهما (إلى قوله).

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) أي وجدوا.
انظر: صفوة التفاسير ٢٢٢/٤.

(٤) أي: إلاّ إذا اعتصموا بذمة الله ــ تعالى ــ وذمة المسلمين.
انظر: صفوة التفاسير ٢٢٢/٤.

(٥) أي رجعوا.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٦) أي الفاقة والخشوع.
انظر المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١١١ ــ ١١٢.

(٨) سورة الفتح: الآية ٢٢.

وقـال:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ . . .﴾[1].

وكـان كذلـك، فلم يقـاتلوهم بعـد نـزول الآيـة إلَّا انتصـر عليهم المسلمـون. ومـا زال الإسـلام في عـز وظهـور، حتى ظهـر على أهـل المشرق والمغرب.

وقال ــ تعالى ــ[2] خطاباً لليهود:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ . . .﴾[3].

وقـال:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٤.

(٢) ليس في أ كلمة التقديس.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٤ ــ ٩٦.
في ك زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾.
وفي ط زيادة مما بعدها وهي قوله ــ تعالى ــ:
﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾. سورة البقرة: الآية ٩٤ ــ ٩٦.

(٤) سورة الجمعة: الآية ٦.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين﴾.

فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبداً، وكان كما أخبر، فلا يتمنى اليهود الموت أبداً. وهذا دليل من وجهين: من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا من أعجب الأمور، الخارقة للعادة، وهم ــ مع حرصهم على تكذيبه ــ لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه، بإظهار تمني الموت.

وقال ــ في سورة المدثر ــ :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ .

إلى قوله:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ[1] ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] .

وقال عن أبي لهب ــ عمه ــ :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ[3] ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[4] .

وكان[5] كما أخبر به، مات الوليد كفّاراً[6] ومات أبو لهب كافراً[7].

---

(١) سقر: اسم من أسماء جهنم.
انظر: صفوة التفاسير ٤٧٧/٢٩.

(٢) سورة المدثر: الآيات ١١ ــ ٢٨.

(٣) أي: هلكت يداه، وخاب وخسر وضل عمله.
انظر: صفوة التفاسير ٦١٨/٣٠.

(٤) سورة اللهب: الآيات ١ ــ ٣.

(٥) في ك و ط (فكان).

(٦) في ك و ط (كافراً).

(٧) في أ (كافر).

وقال ــ في سورة الفتح ــ :

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾[1] .

وقــال :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

وقــال :

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ[3] سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾[4] .

وهـذا كله وقع كمـا أخبر، فحصلت لهم الغنـائم الكثيرة، ودخلوا المسجـد الحـرام آمنين، ودعيت الأعـراب إلى قتـال الـروم والفـرس، يقاتلونهم أو يسلمون، فلا بد من القتال أو الإسلام ليس هنـاك هدنـة بلا قتال[5]، كما كان يكون قبل نزول الآية[6].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٠.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٣) جمع أعرابي، وهو البدوي.
انظر: اللسان ٥٨٦/١، مادة عرب.

(٤) سورة الفتح: الآية ١٦.

(٥) في ك و ط زيادة (ولا إسلام).

(٦) في ك و ط (آية الجزية).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾(1).

فدخل الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح، فما مات (2) ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي بلاد العرب كلها(3) موضع لم يدخله الإِسلام.

وقال ـ تعالى ـ عن المنافقين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ ﴾(4).

وكذلك كان، فروى أهل التفسير والمغازي والسِّير: أن هذه الآية نزلت في المنافقين، كعبد الله بن أبيّ(5)، وعبد الله(6) ....

---

(1) سورة النصر كاملة.

(2) في ك و ط زيادة (النبي).

(3) سقطت (كلها) من ك و ط.

(4) سورة الحشر: الآيتان ١١ ـ ١٢.

(5) عبد الله بن أُبَيّ: هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة رأس المنافقين في الإِسلام، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، وكان طويلاً جداً، يركب الفرس فتخط رجلاه في الأرض، مات سنة ٩هـ.
انظر: الأعلام ٤/٦٥.

(6) في ك و ط (عبيد الله).

بن نبتـل[1]، ورفاعة بن تابوت[2] ونحوهم، كانوا يقولون لبني النضير ــ وهم اليهـود حلفاؤهم ــ :

﴿ . . . لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ . . . ﴾[3] الآية.

فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلـك. وكذلـك كان. وضـرب الله لهم مثلاً بالشيطان :

﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

كذلك المنافقون وبنو النضير.

• • •

---

(١) عبد الله بن نبتل: هو ابن الحارث، من بني لوذان بن عمرو بن عـوف، هو وأبـوه من المنافقين.
انظر: السيرة لابن هشام ١٦٨/٢ ــ ١٦٩.

(٢) ورد اسمه في السيرة (التابوت) بالتعريف.
هو رفاعة بن زيد بن تابوت، أحد بني قينقاع، وكـان عظيمـاً من عظمـاء يهود وكهفـاً للمنـافقيـن، مـات أثنـاء رجـوع الـنبي ــ صـلّى الله عليـه وسـلّم ــ من غـزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦هـ.
انظر المصدر السابق ٣٠٤/٣.

(٣) سورة الحشر: الآية ١١.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٦.

فصل

إخباره ـ عليه السلام ـ بالكثير من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة ودلالتها على نبوته

وآياته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية[1]. وإخباره[2] عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير ـ كما تقدم بعض ذلك ـ وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر.

ففي الصحيحين عن حذيفة[3]، قال: قام فينا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مقاماً ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلَّا حدث به، حفظه من حفظه ونَسِيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه[4] فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[5].

(١) في ك و ط تقدمت (الفعلية) على (الخبرية).

(٢) في جميع النسخ (فإخباره) وما أثبتناه من أكسفورد.

(٣) **حذيفة**: هو ابن حسل بن جابر العبسي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين ومن نجباء أصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو صاحب السر، قتل أبوه خطأ في أحد، وكان يسمى اليمان، وآخى رسول الله بينه وبين عمار. ولاه عمر على المدائن، وبقي عليها إلى أن مات بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٦١ ـ ٣٦٩؛ والإصابة ٣١٧/١.

(٤) في أ (فأداه) وهو خطأ نسخي.

(٥) رواه البخاري، كتاب القدر، باب (... وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ٤٩٤/١١ =

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب[1]، قال: «صلَّى بنا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الفجر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت[2] الشمس»، قال: «وأخبرنا بما كان وما[3] هو كائن، فأحفظنا أعلمنا[4]. وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم، قال: بينا[5] أنا عند النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذ جاءه[6] رجل فشكى إليه الفاقة[7]، ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: (يا عدي، هل رأيت الحيرة)[8]؟ فقلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: (فإن طالت

= (٦٦٠٤) من فتح الباري بمعناه، ورواه مسلم بلفظه، كتاب الفتن. . ، باب إخبار النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما يكون إلى قيام الساعة، ٢٢١٧/٤ (٢٨٩١). ورواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٤/٤ (٤٢٤٠).

(١) عمرو بن أخطب: هو الأنصاري الخزرجي، المدني، الأعرج، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة، وله بها مسجد يعرف به، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤٧٣/٣ ــ ٤٧٤؛ وتقريب التهذيب ٦٥/٢.

(٢) في ك و ط (غابت).

(٣) في ك و ط (وبما).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما يكون إلى قيام الساعة، ٢٢١٧/٤ (٢٨٩٢).

(٥) في ط (بينما).

(٦) في ك و ط (جاء).

(٧) جاءت في أ (القافة) وهو خطأ نسخي.

(٨) الحِيْرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها.
انظر: مراصد الاطلاع ٤٤١/١.

بك حياة لترين الظعينة[١]، ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلاَّ الله)، قال: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّار طيء[٢]، الذين سعروا البلاد[٣]؟ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»، قلت: كسرى[٤] بن هرمز! قال: (كسرى بن هرمز! ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله عنه[٥]، فلا يجد أحداً يقبله منه! ولَيَلْقَيَن اللَّهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه تَرْجُمان يترجم له، فليقولن[٦] له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلاَّ جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلاَّ جهنم). قال عدي: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول:

---

(١) الظعينة: كل جمل يركب، ويعتمد عليه، وهذا هو الأصل، وإنما سميت المرأة ظعينة لأنها تركبه، وكان إقبالها وإدبارها به، فسميت به.
انظر: غريب الحديث ٤/٤٣٧.

(٢) في ك و ط (ذعار) بالذال المعجمة.
دُعَّار: جمع داعر: وهو الشاطر الخبيث المفسد. والعامة تقوله بالذال المعجمة، فكأنهم ذهبوا إلى معنى الفزع، والمعروف الأول، والمراد قُطَّاع الطريق، وطيىء قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتِم ــ رضي الله عنه ــ المتحدث، وبلادهم ما بين العراق والحجاز وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي: كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.
انظر: فتح الباري ٦/٦١٣.

(٣) **سعروا البلاد**: أوقدوا نار الفتنة، وملؤوا الأرض شراً وفساداً، من إستعار النار، وهو توقدها.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) سقطت من أ جملة (قلت: كسرى) وأتممناها من ك و ط.

(٥) في ك و ط (منه).

(٦) في ك و ط (فيقولن).

(اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة).

قال عدي: فرأيت الظعينة، ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلَّا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: (يخرج الرجل ملء كفه)[1].

قلت: وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء[2] كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله، ظهر كما أخبر، في زمن عمر بن عبد العزيز[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٠ ــ ٦١١ (٣٥٩٥) بمثله. من فتح الباري.

(٢) في ك و ط (ملىء).

(٣) هذا وقد روى الإمام مسلم ٢/٧٠١ (١٥٧) في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة... عن أبي هريرة أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً). ورواه أحمد في المسند ٢/٣٧٠ و٤١٧. و(المروج): هي الرياض والمزارع، أو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، كما في تعليق عبد الباقي على صحيح مسلم، وكما قال الشيخ المؤلف، فقد وقعت الآية الأولى في عهد عمر بن عبد العزيز. انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٦٩ ــ ٥٧٠؛ والبداية والنهاية ٩/٢٠٣. أما الآية الثانية ــ المذكورة في حديث مسلم هذا ــ فإنها قد بدأت إرهاصاتها في الظهور، حيث أن بلادنا وهي من بلاد العرب قد قامت فيها نهضة زراعية كبيرة ــ بحمد الله ــ فأصبح المرء يشاهد المروج الخضراء في طول البلاد وعرضها. وهذا الحديث يجعلنا نتفاءل بازدياد هذه النهضة الزراعية واستمرارها. وأما الأنهار فلا نستبعد أن توجد وذلك بتقدير الله ــ سبحانه ــ ثم بما أنتجته الحضارة المعاصرة من أدوات ومعدات، بجانب جودة الإدارة وإحسان التدبير، وبما يتوقع من التحولات المناخية بسبب التغيرات الكيميائية على سطح الأرض، نتيجة الثورة الصناعية التي أخذت تظهر آثارها بقوة.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة[1]، قال: كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة، قال[2]: فأتى النبيَ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة[3]، فإنهم لقيام ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قاعد. قال: (فقالت لي نفسي: أئتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه)[4]، قال: ثم قلت: لعله نَجِيٌّ[5] معهم. فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي. قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)[6].

---

(١) **نافع بن عتبة**: هو ابن أبي وقاص الزهري، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص وأخو هاشم المِرْقال، له صحبة، وأبوه عتبة هو الذي كسر رباعية رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم أحد، ومات عتبة كافراً قبل فتح مكة الذي أسلم فيه نافع.
انظر: أسد الغابة ٥٢٨/٤؛ والإصابة ٥٤٥/٣؛ وتهذيب التهذيب ٤٠٨/١٠.

(٢) سقطت (قال) من ك و ط.

(٣) **الأكمة**: تل، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غَلُظ، وربما لم يغلظ. والجمع أكم وأكمات.
انظر: المصباح المنير ١٨/١.

(٤) أي: يقتلونه غِيلة، وهو القتل في خفاء وغفلة وخديعة.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢٦/١٨. م ٩.

(٥) أي: يناجيهم، ومعناه: يحدثهم سراً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط اختلافات عما في الصحيح وأ تركنا ذكرها، وفي أ لم ترد جملة (ثم فارس فيفتحها الله) وقد أثبتناها من الصحيح.
صحيح مسلم، كتاب الفتن...، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، ٢٢٢٥/٤ (٢٩٠٠).

وروى البخاري عن عوف بن مالك[1]، قال: «أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزوة تبوك[2] وهو في قبة أَدَم[3]. فقال: «أعدد ستاً[4] بين يدي الساعة. موتي. ثم فتح بيت المقدس. ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم[5]. ثم استفاضة[6] المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً. ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلَّا دخلته. ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[7]، كل غاية اثنا عشر ألفاً)[8].

---

(١) عوف بن مالك: هو ابن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن، أو غير هذه الكنية، ممن شهد فتح مكة، وله جماعة أحاديث، وكان من نبلاء الصحابة، مات سنة ٧٣هـ بدمشق.
انظر: أسد الغابة ١٢/٤ ـ ١٣؛ وسير أعلام النبلاء ٤٨٧/٢ ـ ٤٩٠.

(٢) وكانت في رجب سنة ٩هـ وقد صالح فيها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أهل أَيْلة وأهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية. وكتب لهم كتاباً، ثم قفل إلى المدينة.
انظر: السيرة لابن هشام ١٦٩/٤.

(٣) أي بيت مدور من جلد مدبوغ.
انظر: المصباح المنير ص ٩ و٢ و٤٨٧.

(٤) في ك و ط (أعدوا أشياء).

(٥) هو: داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.
انظر: فتح الباري ٢٧٨/٦.

(٦) أي: كثرته.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) الهدنة: الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه. وبنو الأصفر: هم الروم. والغاية: الراية، سميت بذلك لأنها غاية المتبع، إذا وقفت وقف.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) وقع كثير من التحريفات والاختلافات بين ما في النسخ وبين ما في الصحيح تركنا أكثرها، وأثبتنا ما فيه.
صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، ٢٧٧/٦ (٣١٧٦) من فتح الباري.

قلت: ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب[١]، ثم بعد ذلك وقع الطاعون[٢] العظيم بالشام (طاعون عَمَواس)[٣] في خلافة عمر ــ أيضاً ــ [٤]، ومات فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح وخلق كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما[٥] أخبر به حيث أخذهم طاعون كعِقَاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان، حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها، وكثر المال[٦] حتى كانت الفَرَس تُشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت[٧] من العرب إلَّا دخلته لما قتل عثمان، ووقعت الفتنة، بين المسلمين أو الملوك[٨]، ــــــــــــــ

(١) وكان ذلك سنة ١٥هـ.
انظر: الكامل ٢/٣٤٨.

(٢) هو مرض من أنواع الحمى الخبيثة، سريع العدوى، وصفه المميز له: ظهور دمل كبير للمصاب، وخراج وغنغرينة، وقد علم أنه يتولد من الجراثيم المضرة، المتسببة من البقايا الحيوانية المتعفنة.
انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٧٣٧.

(٣) عِمَواس: كورة (منطقة) من فلسطين، قرب بيت المقدس، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس.
انظر: معجم البلدان ٤/١٥٧.

(٤) وكان سنة ١٨هـ وعدة من مات فيه خمسة وعشرين ألفاً.
انظر: الكامل ٢/٣٩٠ ــ ٣٩٢.

(٥) في ك و ط (مما).

(٦) سقطت (وكثر المال) من ك و ط.

(٧) في ك و ط تقدمت كلمة (بيت) على الجار والمجرور (من العرب).

(٨) في ك و ط (اتسعت).

(٩) سقطت (أو الملوك) من ك و ط.
لعل الشيخ قصد بكلمة (الملوك) الإشارة إلى أن الفتنة إنما سببها النزاع والشحناء بين القيادات، وليست بين عامة المسلمين.

يوم الجمل ويوم[1] صفين.

وفي الصحيحين عن خبــاب بن الأرتّ، قــال: «شــكــونــا إلى رســول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهـو متـوسـد بُـرْدة[2] لـه في ظـل الكعبـة، وقد لقينـا من المشركين شـدة، فقلنـا: ألا تـدعـو الله لنـا، ألا تستنصر لنا. قال فجلس محمراً وجهه، ثم قال: (والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل، فيمشط بأمشاط الحديد، ما بين لحم وعصب، ما يصرفـه ذلك عن دينه، ويؤخذ فتحفر لـه الحفرة[3] فيـوضع المنشـار على رأسه، فيشق بـاثنتين، ما يصـرفه عن دينـه، وَلَيُتِمَّن الله هذا الأمـر، حتى يسير الراكب من صنعاء[4] إلى حضرموت[5]، لا يخشى إلاَّ الله ــ عـز وجل ــ

---

(١) سقطت (يوم) الثانية من ك و ط.

(٢) هو: كساء أسود مربع، فيه صِغَر، تلبسه الأعراب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٧.

(٣) في ك و ط (الحفيرة).

(٤) صنعاء: هي العظمى، باليمن، وكان اسمها قديماً (أزال) وسمتها الحبشـة: صنعاء، ومعنـاه: الحصينة، وهي مـدينة اليمن وأحسن بـلادها، تشبـه دمشق لكثرة فـواكهها ــ فيما قيل ــ.

انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٥٤. وهي الآن عاصمة الجمهورية اليمنية.

(٥) حضرموت: اسمـان مركبـان، وهي ناحيـة واسعة، في شـرقي عدن، بقـرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف.
انظر: المصدر السابق ١/٤٠٩.

قال الحافظ في الفتح ٦/٦١٩: ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهمـا أبعد بكثير، أي من المسافة بين صنعاء اليمن وحضرموت. والأول (يقصـد صنعاء اليمن) أقـرب، قال يـاقوت: «هي قـرية على بـاب دمشق عند بـاب الفـراديس. . .» قلت: ــ (والقائل هو الحافظ) ــ: «وسميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن».

أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون)[1]. وفي صحيح البخاري[2] عن أبـي هريرة عن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا[3] الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذُلْف الأنف[4]، كأن وجوهَهم المَجَانُّ المُطَرَّقة[5]، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلون قوماً نعالهم الشعر)[6].

قلت: وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمر هذه الطوائف معروف، فإن قتال الترك

---

(١) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٩ (٣٦١٢) من فتح الباري، والظاهر أنه ليس عند مسلم، خلافاً لقول الشيخ المؤلف. وهو عند أبـي داود برقم (٢٦٤٩) وعند النسائي ٨/٢٠٤.

(٢) في ك و ط (وفي الصحيحين واللفظ للبخاري).

(٣) في أ: (تقاتلون) ولم أجدها في الصحيح بهذا الإعراب.

(٤) ذلف: يروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة وهو الأشهر، قيل: معناه: الصغر، وقيل: هو الاستواء في طرف الأنف ليس بحد غليظ، وقيل: تشمير الأنف عند الشفة العليا، وقيل: هو غلظ في الأرنبة، وقيل: تطامن فيها، وقيل: ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته، وقيل: قصره مع انبطاحه.
انظر: فتح الباري ٦/٦٠٨.

(٥) أي: أن وجوههم تشبه الترسة ــ آلة الحرب ــ في بسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها، ومعنى المطرقة: أي التي ألبست الجلود.
انظر: المصدر السابق ٦/١٠٤ و٦٠٨.

(٦) نعالهم الشعر: قيل: المراد به: طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال. وقيل المراد: أن نعالهم من الشعر المضفور.
انظر: المصدر السابق ٦/٦٠٨.
رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ٦/١٠٤ (٢٩٢٨) من فتح الباري. ورواه مسلم في عدة روايات، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون الميت من البلاء، ٤/٢٢٣٣ ــ ٢٢٣٤ (٢٩١٢).

من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة، كبار وصغار من كتب المسلمين[١]، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق[٢]، الذين هذه صفتهم، التي لو[٣] كُلف من رآهم بعينه أن يصفهم، لم يحسن مثل هذه الصفة.

وفي الصحيحن عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[٤]. وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستماية[٥]، ورآها الناس، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم[٦].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء[٧]، أن رسول الله

---

(١) هذه إحصائية تقريبية لعدد الكتب التي شاهد الشيخ فيها حديث قتال الترك وغيرهم. وذلك شاهد من كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ على سعة اطلاعه.

(٢) يقصد المغول أو التتر، جنود جنكيزخان.

(٣) سقطت (لو) من أ.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث الشريف في المجلد الخامس من طبعتنا هذه.

(٥) هي بالضبط في ليلة الأربعاء بعد العشاء اليوم الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت. كما نقل ابن حجر في الفتح ١٣/٧٩ عن القرطبي في (التذكرة). وقد أشار الشيخ المؤلف إلى ذلك ص ٤٩٠ الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه (حمدان الحمدان).

(٦) ولا يستبعد عدم إنضاجها اللحم بالرغم من إحراقها الحجر، فقد يكون أن الله ـ عز وجل ـ قد سلبها خاصية الإفادة للناس. وهذه أفران (الأشعة Microwave) التي تجعل الماء يغلي في كوب من الورق دون أن يحترق الكوب.

(٧) هي بنت الصديق، زوج الزبير بن العوام، من كبار الصحابة، عاشت ١٠٠ سنة وماتت سنة ٧٣ أو ٧٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٨٩؛ وأسد الغابة ٦/٩ ـ ١٠.

=

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لعمار بن ياسر[1]: «تقتلك[2] الفئة الباغية»[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله)»[4].

وفي الصحيحين عن جابر[5] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[6].

= الظاهر أن الصحابية المقصودة هي (أم سلمة) وليست (أسماء) حيث أنها هي الراوي عند مسلم، وروت عنها أم الحسن البصري ثم الحسن.
انظر: صحيح مسلم ٤/٢٢٣٦.

(١) **عمار بن ياسر**: هو ابن عامر بن مالك العنسي، أبو اليقظان، مولى بني مخزوم، صحابي جليل مشهور، من السابقين الأولين، بدري، قتل مع علي بصفين سنة ٣٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٨؛ وأسد الغابة ٣/٦٢٦ ــ ٦٣٢.

(٢) في ط (تقتله).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المساجد، ١/٥٤١ (٤٤٧). بلفظ: (تقتله) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل. . .، ٤/٢٢٣٦ (٢٩١٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ٦/١٥٧ (٣٠٢٧) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل. . .، ٤/٢٢٣٦ ــ ٢٢٣٧ (٢٩١٨).

(٥) في ك و ط زيادة (ابن عبد الله).
جابر هنا: هو ابن سمرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ.

(٦) سبق تخريجه ١/٣١٥ رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «لتفتحن[1] عصابة من المسلمين»، أو قال «المؤمنين، كنز آل كسرى الذي في الأبيض»[2]. والأبيض قصر كان لكسرى[3].

وفي صحيح البخاري وغيره[4] عن أبي بكرة[5] عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال عن الحسن[6]: «إن ابني هذا سيد،

---

(١) **العصابة**: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. والعُصْبة والعِصابة جماعة ليس لها واحد.
انظر: اللسان ١/٦٠٥ مادة (عصب).

(٢) **والأبيض**: من عجائب الدنيا ــ آنذاك ــ لم يزل قائماً إلى أيام الخليفة العباسي (المكتفي) قريباً من سنة ٢٩٠هـ ثم نُقِض وبني به التاج بدار الخلافة.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٢.
رواه مسلم، كتاب الفتن . . ، باب لا تقوم الساعة حتى يمرء الرجل. . . ، ٤/٢٢٣٧ (٢٩١٩). وقال مسلم: قال قتيبة ــ أي ابن سعيد ــ: (من المسلمين) ولم يشك. والظاهر أنه ليس عند البخاري، خلافاً لقول الشيخ المؤلف.

(٣) في ك و ط زيادة (وفَتَح هذا الكنز سعد في خلافة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ).

(٤) سقطت (وغيره) من ك و ط.

(٥) **أبو بكرة**: هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، صحابي مشهور بكنيته، وقيل اسمه: مسروح، أسلم بالطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٠٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٥ ــ ١٠.
في ك و ط زيادة (ابن ابنته، وهو يخطب على المنبر).

(٦) الحسن: هو ابن علي بن أبي طالب الهاشمي، سِبْط رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم سنة ٤٩هـ وله ٤٧سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٦٨؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٢٤٥ ــ ٢٧٩.
في ك و ط زيادة (ابن ابنته، وهو يخطب على المنبر).

وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1].

قلت: فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول[2] بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة[3]، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانت متحاربتين بصفين[4]، عسكر علي، وعسكر معاوية[5]. وفي الصحيحين عن ابن عباس، أن رجلاً[6] أتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: يا رسول الله، إني رأيت الليلة في

---

(۱) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للحسن بن علي . . .، ٥/٣٠٦ ـ ٣٠٧ (٢٧٠٤) من فتح الباري. ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، ٤/٢١٦ (٤٦٦٢) بمثله. والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين. . .، ٥/٦٥٨ (٣٧٧٣) بمثله. والنسائي، كتاب الجمعة، مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر، ٣/١٠٧.

(۲) الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ يترك الجملة الدعائية أحياناً، لكي يشعر القارىء أو السامع أنها ليست واجبة.

(۳) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/١٦٢.

(٤) في ك: (نصف) في الموضعين، وفي ط: (صف) في الموضعين كذلك.
صفين: موضع بقرب الرِّقة، على شاطىء الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس.
انظر: معجم البلدان ٣/٤١٤.

(٥) كانت هذه الوقعة سنة ٣٧هـ غرة صفر، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفاً من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، ومدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام.
انظر: المصدر والموضع السابق.
معاوية: هو ابن ـ أبي سفيان ـ صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن، الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ٦٠هـ وقد قارب الثمانين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥٩؛ وأسد الغابة ٤/٤٣٣ ـ ٤٣٦.

(٦) قال ابن حجر في الفتح ١٢/٤٣٣: لم أقف على اسمه.

المنام ظُلة تَنْطِف[1] السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فمنهم المستكثر والمستقل، ثم إذا سبب[2] واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به، فعلوت، ثم أخذ به رجل بعدك، فعلا، ثم أخذ به رجل آخر، فعلا، ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع، ثم وصل له فعلا.

قال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي: لَتَدَعَنِّي فلأعْبُرَه، فقال: «أَعْبِر»[3] فقال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام. وأما الذي تنطف من السمن والعسل فهو القرآن: [4] * حلاوته ولينه. وأما ما يتكفف: فالمستكثر من القرآن * والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحق الذي أنت عليه، فأخذت به، فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك، فيعلو، ثم يأخذ به رجل، فيعلو، ثم يأخذ به رجل آخر، فينقطع به، ثم يوصل له، فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله: أصبت أم أخطأت؟ فقال: «أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً» قال: فوالله يا رسول الله، لتخبرني بالذي أخطأت[5]. قال «لا تقسم»[6].

---

(١) أي سحابة لها ظل، وتنطف: تقطر.
انظر: المصدر السابق ١٢/٤٣٤.

(٢) السبب: الحبل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) في ط (عبر).
من التعبير: وهو التفسير.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٩.

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وانبتار السياق واضح فلهذا أثبتناه.

(٥) سقطت تاء (أخطأت) من ط.

(٦) رواه البخاري بنحوه، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ١٢/٤٣١ (٧٠٤٦) من فتح الباري. ومسلم بنحوه ــ أيضاً ــ كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا ٤/١٧٧٧ (٢٢٦٩).

وفي الصحيحين عن أبـي هريرة ــ رضي الله عنه[1] ــ قال: سمعت رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقـول: «بينا أنـا نائم، رأيتني على قليب، عليهـا دلـو[2]، فنـزعت منهـا مـا شـاء الله. ثـم أخـذهـا ابن أبـي قحافة[3]، فنزع منها، ذنوباً أو ذنـوبين[4]، وفي نزعـه ضعـف، ــ والله يغفر له ــ ثم استحالت غربـاً[5]، فأخـذها[6] ابن الخـطاب، فلم أَرَ عبقرياً[7] من الناس ينزع نـزع عمر، حتى ضـرب الناس بعـطن»[8]، وفي رواية: «فاستحالت الدلو غرباً في يد عمر»[9]، قال الشافعي: (رؤيا

---

(١) ليست الجملة الدعائية في أ.

(٢) القليب: البئر غير المطوية. الدلو: آلة استخراج الماء من البئر.
انظر: الفتح ٤١٢/١٢.

(٣) هو أبو بكر الصديق.

(٤) **الذَّنُوب**: الدلو المملوء بالماء.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٥) **استحالت**: أي: تحولت. والغرب: هو الدلو العظيمة المتخذة من جلود البقر.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط (فأخذ).

(٧) **العبقري**: السيد، وكل فاخر من حيوان وجوهر، والأصل أنها وصف للبساط الجيد، ثم أطلقوه في كل شيء عظيم في نفسه.
انظر: المصدر السابق ٤١٣/١٢.

(٨) **العَطَن**: هو ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل. والضرب: هـو بروك الإبـل. وهذه إشارة إلى كثرة الفتوح واتساع أمر الإسلام واستقرار قواعده.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخـاري، كتاب التعبيـر، بـاب نـزع الـذنـوب والـذنـوبين من البئـر بضعف، ٤١٤/١٢ (٧٠٢١) من فتـح البـاري بمثله. ورواه مسلم بنحـوه، كتـاب فضـائـل الصحابة، باب من فضائل عمر ــ رضي الله عنه ــ ٤/١٨٦٠ (٢٣٩٢).

(٩) رواه البخاري بلفظ: (ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبـي بكر، فـاستحالت في يـده غـربـاً...)، كتـاب التعبيـر، بـاب نـزع المـاء من البئـر حتى يـروى النـاس...، ٤١٢/١٢ (٧٠١٩) من فتح الباري.

الأنبياء وحي)[١]، وقوله: (في نزعه ضعف) قِصَر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد[٢] الذي بلغه عمر في طول مدته.

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: أن امرأة[٣] سألت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك يا رسول الله[٤]؟ قال: أي كأنها تعني الموت[٥]. قال: «[٦]إن لم تجديني، فائتي أبا بكر»[٧].

وروى أبو داود الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني[٨]، وعن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل عن النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) الدلائل للبيهقي ٦/٣٤٥.

(٢) في ك و ط (المزيد).

(٣) قال الحافظ في الفتح ٧/٢٤ لم أقف على اسمها.

(٤) في ك و ط زيادة (يا رسول الله) قبل كلمة (أرأيت).

(٥) قائل هذه العبارة: (أي كأنها تعني الموت). هو جبير بن مطعم راوي الحديث، وهو الظاهر، وهو ما جزم به القاضي عياض.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط (فإن).

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لو كنت متخذاً خليلاً. قاله أبو سعيد، ٧/١٧ (٣٦٥٩). من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ٤/١٨٥٦ (٢٣٨٦).

(٨) أبو ثعلبة الخشني: صحابي، من أهل بيعة الرضوان، لا يكاد يعرف إلَّا بكنيته، وقيل أن اسمه: جرهم بن ناشم وقيل غيره، نزل الشام أو داريا أو قرية البلاط وله بها ذرية، مات وهو ساجد في الصلاة في جوف الليل سنة ٧٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٥٦٧ ـ ٥٧١.

وسلَّم ــ قال: «إن الله بدأ هذا الأمر[1] نبوة ورحمة وكائناً خلافة ورحمة، وكائناً ملكاً عضوضاً[2]، وكائناً عنوة[3] وجبرية[4] وفساداً في الأمة، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله ــ عز وجل ــ »[5].

وروى أبو داود[6] عن سمرة بن جندب[7] أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إني رأيت كأن دلواً دلي[8] من السماء، فجاء أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ[9] فأخذ بعراقيها[10] فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر

---

(١) أي الولاية العامة على المسلمين.

(٢) الملك العضوض: الشديد، الذي فيه عسف وعنف، وبضم العين ــ جمع عض: وهو الخبيث الشرس.
انظر: اللسان ٧/١٩٠ مادة عضض.

(٣) في ك و ط (عتوة).
عنوة: أي قهر أو إذلال، كالأسر.
انظر: غريب الحديث ٢/١٨٦ ــ ١٨٧.

(٤) جبرية: من الجبر والقهر والعتوّ.
انظر: اللسان ٤/١١٣، مادة جبر.

(٥) مسند الطيالسي ٣١ (٢٢٨) وإسناده فيه ضَعْف.

(٦) في ك زيادة (أظنه الطيالسي) وفي ط (الطيالسي).

(٧) هو ابن هلال الفزاري، حليف الأنصار، صحابي مشهور، له أحاديث، مات بالبصرة سنة ٥٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣٣.

(٨) دلي: أرسل وأنزل.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٩.

(٩) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.

(١٠) عراقي الدلو: هو ما ثني منها ثم خرز مثنياً.
انظر: المصباح المنير ص ٤٠٥.

فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع[١]، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي، فأخذ بعراقيها فانتُشِطت[٢]، وانتضح[٣] عليه منه شيء»[٤].

وفي السنن عن سفينة[٥]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكاً»[٦]. فكان هذا

---

(١) يقال: تضلع الرجل: إذا امتلأ شبعاً ورياً.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٣.

(٢) **انتُشِطَت**: جُذِبَت.
انظر: اللسان ٧/٤١٤، مادة نشط.

(٣) من النضح، وهو الرش.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٨٦.

(٤) سنن أبي داود. كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ (٤٦٣٠٧). وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢١. وقد أورده الحافظ في الفتح ١٢/٤١٣ ـ ٤١٤ وعزاه إلى أحمد وأبي داود واختيار الضياء، ولم يعلق على إسناده.

(٥) هو مولى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي أعتقته، قيل: اسمه مهران أو رومان أو عبس، وكنيته: أبو عبد الرحمن، سمي سفينة لأنه كان مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في سفر فكلما أعيا (تعب) بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئاً كثيراً، وهو مشهور، وله أحاديث.
انظر: أسد الغابة ٢/٢٥٩؛ وتقريب التهذيب ١/٣١٢.

(٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٤/٢١١ (٤٦٤٦ ـ ٤٦٤٧) بلفظ: (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء). ورواه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ٤/٥٠٣ (٢٢٢٦) بلفظ: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك). قال أبو عيسى: «وهذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلَّا من حديث سعيد بن جمهان». ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٢٠ والحاكم في مستدركه ٣/٧١ وقال: «وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعاً إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ»، وسكت عليه الذهبي.

العام تمام الثلاثين سنة من موته، ودخل في ذلك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي[١].

وفي الصحيحين عنه[٢] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: (زويت[٣] لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)[٤]. وفي صحيح مسلم[٥]: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها وأعطيت الكنزين، الأحمر والأبيض[٦]، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها[٧] بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[٨]، وأن ربي قال لي: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،

---

(١) في ك و ط زيادة وهي: (قلت: وتمامها ستة أشهر، التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط ــ رضوان الله عليه وعلى سائر أصحاب رسول الله، وأهل بيته الطاهرين ــ).
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١٥٨/٥ ــ ١٦١.

(٢) في ك و ط (عن النبي).

(٣) زويت: بمعنى: جمعت.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٣/١٨، م ٩.

(٤) هذا هو أول الحديث الذي بعده، وهو ليس عند البخاري، خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف، وهذا اللفظ قريب من لفظ ابن ماجه عن ثوبان: (زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها... وقيل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لك...). سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ٣٦٨/٢ (٤٠٠٠).

(٥) في ك و ط زيادة (عن ثوبان قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٦) الأحمر والأبيض، هما: الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٣/١٨.

(٧) في ك و ط (يهلكهم).

(٨) أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة ــ أيضاً ــ: العز والملك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة[١]، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها[٢] حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً)[٣].

وهذا أخبر به في أول الأمر، وأصحابه في غاية القلة، قبل فتح مكة[٤]، وكان كما أخبر، فإن ملك أمته انتشر في الشرق والغرب، ولم ينتشر في الجنوب والشمال، كانتشاره في الشرق والغرب، إذ كانت أمته أعدل الأمم، فانتشرت دعوته في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض، كالثالث، والرابع، والخامس[٥]، وقد تقدم قوله: ــــــ

---

(١) أي: لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام. قلت: وهذا ما شهدت به أيامنا هذه سنة ١٤٠٥هـ، حيث وقع القحط (الجفاف) في بعض ديار المسلمين في أفريقيا، وتضرر بذلك أخوان لنا هناك، ولكن بقية المسلمين ولله الحمد لم يعمهم ذلك، مما مكنهم ــ بفضل الله ــ من تقديم العون لإخوتهم. وهذه من وقائع ــ معجزة نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المستمرة.
انظر: المصدر السابق ١٤/١٨، م ٩.

(٢) جمع: قطر: وهو الناحية والجانب.
انظر: اللسان ١٠٦/٥، مادة قطر.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن. . .، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٢٢١٥/٤ (٢٨٨٩) بمثله. ورواه أبو داود، بنحوه، وفيه زيادة، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٧/٤ ــ ٩٨ (٤٢٥٢). والترمذي بمثله، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثاً لأمته ٤٧٢/٤ (٢١٧٦). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) وكان سنة ٨هـ في شهر رمضان في اليوم الثالث عشر أو العشرين.
انظر: السيرة لابن كثير ٥٤٢/٣.

(٥) الأقاليم خطوط وهمية، وهي التي تعرف الآن بخطوط الطول وخطوط العرض، فالإقليم الثالث: يبدأ من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين إلى الإسكندرية ثم البحر المحيط. والرابع: يبدأ من أرض الصين والتبت ويمر على جبال كشمير إلى =

«[1]هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده»[2] وذاك كسرى بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين، ثم ولي بعده ولاة متضعفون[3]، فكان آخرهم (يزدجرد)[4] وإليه الإشارة باللفظ الآخر: «إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[5].

وهذا أخبر به، وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض[6]، فصدق[7] الله خبره في خلافة عمر وعثمان، فهلك كسرى وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس، ولم يبق بعده كسرى، ولم يبق

= البحر المحيط على الزقاق ـ المضيق ـ بين الأندلس وبلاد المغرب، والخامس: يبتدىء من أرض الترك إلى بلاد الأندلس والبحر المحيط.
انظر: معجم البلدان ١/٢٥ ـ ٣١.

(١) في ط زيادة (إذا).

(٢) رواه البخاري، وفيه (ثم لا) بدل (فلا) كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ٦/١٥٧ (٣٠٢٧) من فتح الباري.

(٣) في ط (مستضعفون).

(٤) يزدجرد: هو ابن شهريار بن كسرى، وقد مُلك على الفرس وله ٢١ سنة، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وقد هزمه المسلمون في (جلولا) وقتله رجل من أهل مرو، والترك يطلبونه، فقتلوا الزجل، وأخذوا منه متاع كسرى، وذلك سنة ٣١هـ.
انظر: البداية والنهاية ٧/٣٠ و ١٢٦ و ١٥٨.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦٢٥ (٣٦١٨). من فتح الباري ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل. . .، ٤/٢٢٣٧ (٢٩١٩).

(٦) كما لو قال ذلك زعيم دولة من دول المسلمين بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، أو الاتحاد السوفيتي في هذه الأيام من سنة ١٤٠٦هـ.

(٧) في ك و ط (وصدق).

للمجوس والفرس ملك، وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها، ولم يبق بعده من هو ملك على الشام، ولا مصر، ولا الجزيرة من النصارى، وهو الذي يُدْعى قيصر[1].

قال الشافعي: «كانت قريش تنتاب[2] الشام انتياباً كثيراً، وكان كثير من معاشها[3] منه، وتأتي العراق فيقال: لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خوفها من انقطاع معاشها[4] بالتجارة من الشام والعراق، إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام، مع خلاف[5] ملك الشام والعراق لأهل الإسلام، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده) فلم يبق بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده.

وقال: (إذا هلك قيصر، فلا[6] قيصر بعده) فلم يكن بأرض الشام قيصر، فأجابهم على ما قالوا، وكان كما قال[7]، قطع الله الأكاسرة عن

---

(١) هذا هو لقبه في عُرف العرب، ويقال لمن ملك الشام مع الجزيرة ـ جزيرة العراق ـ من الروم.
انظر: السيرة لابن كثير ٥١٣/٣.

(٢) أي: تقصده، وتأتيه مرة بعد مرة.
انظر: اللسان ٧٧٥/١، مادة نوب.

(٣) في ك و ط (معايشها).

(٤) في ك و ط (معايشها).

(٥) في جميع النسخ: (وخلاف) والذي في الدلائل: (مع خلاف) وهو أظهر وأوضح للمعنى.

(٦) في أ (ولا) ولا يستقيم المعنى بالواو.

(٧) الذي في الدلائل: «فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده، وأجابهم على ما قالوا له، وكان كما قال لهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام. . .» إلخ.

العراق وفارس. وقيصر عن الشام.

وقال ــ في كسرى ــ : (مزق الله ملكه)[1] فلم يبق للأكاسرة ملك، وقال في قيصر: (ثبت ملكه)[2] فثبت ملكهم ببلاد الروم وتنحى

---

(١) الذي عند البخاري مرسلاً، يقول الزهري: «فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ (أن يمزقوا كل ممزق). صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى وقيصر ١٢٦/٨ (٤٤٢٤) من فتح الباري. قال الحافظ ابن حجر: «وهو موصول ــ أي عند غير البخاري ــ بالإسناد المذكور ــ أي عند البخاري ــ وفي حديث عبد الله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: (اللهم مزق ملكه).

انظر: المصدر السابق ٢٢٧/٨. وذكر ابن كثير في السيرة ٥٠٨/٣ أن محمد بن إسحاق روى عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي سلمة أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فلما بلغ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: مَزَّقَ ملكَه).

(٢) الظاهر أن هذه الرواية لم ترد موصولة في أي من مصادر السنة المشهورة، ولذا قال البيهقي في الدلائل ٣٩٣/٤ ــ ٣٩٤ (... وما روي من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : (ثَبَت ملكه). وقد روى بإسناده عن عمر بن إسحاق ــ مرسلاً ــ قال: كتب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى وقيصر، فأما قيصر فوضعه، وأما كسرى فمزقه، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: (أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية)، وقد ذكر الحافظ في الفتح المبين ٤٤/١ بإسناده عن أحد رجال الملك المنصور قلاوون وهو سيف الدين فليج (أو قلج ــ اسم تركي) المنصوري أنه أرسل إلى الفرنج، فالتقى بملكهم، فأخرج له كتاباً، قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، وما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا. قال الحافظ: ويؤيد هذا ما وقع في حديث سعيد بن أبي راشد... أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عرض على التنوخي ــ رسول هرقل ــ الإسلام فامتنع، فقال له: «يا أخاتنوخ إني =

عن الشام. وكل هذا يصدِّق بعضه بعضاً»[١].

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير[٢] قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يُبِسُّون[٣] فيتحملون[٤] بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون: ثم تفتح الشام، فيأتي قوم يُبِسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٥]. وفي رواية «فيخرج من المدينة»[٦].

فأخبر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن

= كتبت إلى ملككم بصحيفة، فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير).
انظر: مسند الإمام أحمد ٣/٤٤١ ــ ٤٤٢.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٣٩٤.

(٢) في جميع النسخ: (ابن زهير): وهو سفيان بن أبي زهير ــ واسمه الفَرْد ــ وقيل: نمير ــ بن مرارة بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، الأزدي الشّنوي، من أزد شنؤة، صحابي معدود في أهل المدينة، قال ابن عبد البر: (ورواية ابن الزبير والسائب بن يزيد عنه تدل على جلالته وقدم مرتبته).
انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٦٧ بهامش الإصابة، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ــ ٤٦٣هـ.

(٣) أي: يسوقون دوابهم أو يزينون لأهلهم البلد التي يقصدونها.
انظر: الفتح ٤/٩٢.

(٤) في ك و ط (متحملون).

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ٤/٩٠ (١٨٧٥) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ٢/١٠٠٩ (١٣٨٨).

(٦) هذه رواية أخرى لمسلم ٢/١٠٠٨ (١٣٨٨). في الكتاب والباب المذكورين.

أطاعهم إلى هذه الأمصار، ويطلبون الريف[١] وسعة الرزق، قال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ستفتح مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط[٢]، فاستوصوا بأهلها خيراً»[٣]، وفي رواية: «فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً[٤]، فإذا رأيتم رجلين[٥] يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها»[٦].

---

(١) في ك (الشريف) وفي ط (الشرف) وهو تحريف.
ورد التصريح به فيما رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٣٨ و ٣٤٩، بلفظ: (تفتح البلاد والأمصار، فيقول الرجال لإخوانهم: هلموا إلى الريف...). قال الحافظ في الفتح المبين ٤/٩٣، وفي إسناده ابن لهيعة ولا بأس به في المتابعات.
الريف: الخصب والسعة في المآكل. وجمعه أرياف فقط، أو هو ما قارب الماء من جزيرة العرب وغيرها، والجمع: أرياف وريوف.
انظر: اللسان ٩/١٢٨، مادة ريف.

(٢) **القيراط**: جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٦/٩٧. م ٨.

(٣) الروايتان بنحوهما في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأهل مصر، ٤/١٩٧٠ (٢٥٤٣). ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٧٣ ـ ١٧٤.

(٤) الذمة: هي: بمعنى الذمام، وهو الحرمة والحق، والرحم: هو كون هاجر أم إسماعيل منهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) في أ (رجلان) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو الذي في الصحيح.

(٦) انظر: التخريج السابق.

فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة، بابني[1] شرحبيل بن حسنة[2] وهما يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها[3].

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صُرَد[4]، قال: سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول حين أُجلِيَ[5] الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»[6] وكذلك كان. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو[7] أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «إذا فُتحت عليكمْ فارس والروم أي قوم وأنتم». قال عبد الرحمن بن

---

(١) ابنا شرحبيل: هما ربيعة وعبد الرحمن.
انظر: صحيح مسلم ٤/١٩٧٠.

(٢) حسنة: هي أم شرحبيل، وهو ابن عبد الله بن المطاع بن عبد الله بن الغطريف، الكندي، أو التميمي، يكنى أبا عبد الله، حليف بني زهرة، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه، جابر وجنادة، ولاه عمر على بعض نواحي الشام إلى أن توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ.
انظر: أسد الغابة ٢/٣٦٠ ــ ٣٦١.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٩٧٠.

(٤) هو ابن الجون الخزاعي، أبو مطرف الكوفي، صحابي مشهور، قُتل بعين الوردة سنة ٦٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٢٦.

(٥) أُجْلِي الأحزاب، رجعوا عنه، وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله ــ تعالى ــ لرسوله. وذكر الواقدي أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤هـ.
انظر: الفتح ٧/٤٠٥. وقد راجعت المغازي فلم أظفر بذلك.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٧/٤٠٥ (٤١١٠) من فتح الباري وفي الحديث زيادة (نحن نسير إليهم).

(٧) في ط (عمر).

عـوف[1]: نقول: كمـا أمرنـا الله[2]. قـال رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: «أَوَ غير ذلك؟ تتنـافسون، ثم تتحـاسدون، ثم تتـدابرون، ثم تتبـاغضون، ثم تنـطلقون في مسـاكن المهاجـرين، فتحملون[3] بعضهم على رقاب بعض»[4].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أنه لما أنزل الله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5].

سئل النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عن هؤلاء الآخرين، فقال: «لو كان الدين معلقاً بالثريا[6]، لنالـه رجال من أبنـاء فارس». وفي لفظ: (لو كان الإيمان). وفي لفظ (العلم)[7] وكان كما أخبر، فـإنه حصـل في

---

(١) هو: ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة ومات سنة ٣٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٤٩٤/١؛ وأسد الغابة ٣٧٦/٣.

(٢) أي: نحمد الله ونشكره، ونسأله المزيد من فضله.
انظر: شرح النووي لمسلم ٩٦/١٨. م ٩.

(٣) الذي في الصحيح (فتجعلون).

(٤) رواه مسلم بمثله، كتاب الزهد والرقائق، المقدمة ٢٢٧٤/٤ (٢٩٦٢) وابن ماجه بمثله، أبواب الفتن، باب فتنة المال ٣٧٨/٢ (٤٠٤٤).

(٥) سورة الجمعة: الآيتان ٢، ٣.

(٦) **الثريا**: من الكواكب، كثيرة العدد ضيقة المحل، لا يُتَكلم به إلَّا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير.
انظر: اللسان ١١٢/١٤، مادة ثرا.

(٧) رواه البخاري بلفظ (الإيمان) وباقيه بمعناه، كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب =

التابعين وتابعيهم وهلم جرا[1]، من أبناء فارس، مثل الحسن البصري، ومحمد بن سيرين[2]، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر وأضعاف هؤلاء، من نالوا ذلك.

ولما نزل قوله ــ تعالى ــ :

﴿ . . . فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ. . . ﴾[3].

= قوله:

﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾.

٦٤١/٨ (٤٨٩٧) من فتح الباري. ورواه مسلم بلفظ البخاري وبلفظ (الدين) وبقيته بمعناه وفيه زيادة: (حتى يتناوله). كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، ١٩٧٢/٤ (٢٥٤٦). وأما لفظ (العلم) فهي عند الإمام أحمد في المسند قال الهيثمي: «قلت: هو في الصحيح ــ غير قوله: (العلم). رواه أحمد وفيه شَهْر وثقه أحمد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح».

انظر: المجمع ٦٤/١٠.

وأورد رواية هي بلفظ الرواية التي ذكرها الشيخ المؤلف هنا، قال الهيثمي: «وعن قيس بن سعد ــ وذكرها ــ ثم قال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح».

(١) معنى هذه الجملة: تعالوا على هيئتكم كما يسهل الوصول عليكم. وأصل ذلك من الجر في السَّوْق، وهو: أن تترك الإبل والغنم ترعى في سيرها.

انظر: مجمع الأمثال ٣٦٦/٢ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني ــ ٥١٨هـ، طبع عبد الرحمن محمد ١٣٥٢هـ، مصر.

(٢) **محمد بن سيرين**: هو أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري، الإمام، شيخ الإسلام، مولى أنس بن مالك، كان أبوه من سبى جرجرايا ــ بين واسط وبغداد ــ أدرك ثلاثين صحابياً، وكان حافظاً متقناً، مات سنة ١١٠هـ بعد الحسن بمائة يوم.

انظر: سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤ ــ ٦٢٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

سئـل عنهم فقـال: «هم قـوم هـذا» وأشـار إلى أبي مـوسى الأشعري، وقال: «إني لأجد نَفَس الرحمن[1] من قِبَل اليمن»[2].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «أتاكم أهل اليمن[3]، هم أرق قلوباً، وألين أفئدة، الأيمان يماني، والفقه يماني[4]، والحكمة يمانية»[5].

---

(١) نفس الرحمن: اسم وضع موضع المصدر الحقيقي، من نفّس تنفيساً، ونفساً، أي: فرّج تفريجاً.
انظر: اللسان ٢٣٦/٦، مادة نفس.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك بمثله، وليس فيه: (إني لأجد نَفَس الرحمن...). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، المستدرك ٣١٣/٢. والفقرة الأخيرة من الحديث وردت في رواية عند الإمام أحمد في المسند ٥٤١/٢، بلفظ: (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن).

(٣) فسر بعض أهل العلم (اليمن) بغير ظاهرها حيث قالوا: إن المقصود بها مكة، أو مكة والمدينة، أو الأنصار ــ لأنهم يمانون في الأصل ــ وقد رد عليهم الإمام ابن الصلاح بأن: اتباع ظاهر الحديث أولى، وهو الذي ترجحه مجموع رواياته، والحال الذي قيل فيه ــ وهو غزوة تبوك ــ وأنه: لا مانع من إجراء الكلام على ظاهر وحمله على أهل اليمن حقيقة، لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه، إشعاراً بتميزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وفي أعقاب وفاته أويس القرني وأبي مسلم الخولاني ــ رحمهما الله ــ وشبههما ممن سلم قلبه وقوى إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن، في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه.
انظر: شرح النووي لمسلم ٣٢/٢ ــ ٣٣.

(٤) (والفقه يماني) سقطت من ط.

(٥) أخرجه مسلم من عدة روايات بنحوه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه...، ٧١/١ ــ ٧٣ (٥٢). ورواه البخاري بلفظ: (والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية). كتاب المناقب، باب قول الله ــ تعالى ــ : =

فلما ارتد من ارتد عن الإسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه، فقاتل الصديق بهم أهل الردة، وغلب بهم أبو بكر وعمر كسرى وقيصر.

وقال لعثمان[1]: «إن الله مقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه»[2].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: (بينا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في حائط[3] من حوائط المدينة، وهو متكيء، يركز بعود[4]

= ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى. . .﴾.
٥٢٦/٦ (٣٤٩٩). من فتح الباري.
هم أرق قلوباً وألين أفئدة: معنى ذلك أن قلوبهم ـ والفؤاد بمعنى القلب ـ أنها ذات خشية واستكانة، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة. والفقه: هو الفهم في الدين، ثم اصطلح على أنه: إدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها. والحكمة: هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله ـ تعالى ـ المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل. والحكيم: من له ذلك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(١) في ك و ط زيادة (ابن عفان).
(٢) رواه الترمذي بنحوه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، ٦٢٨/٥ (٣٧٠٥) وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وأحمد في المسند ٧٥/٦ و ١٤٩.
(٣) الحائط، هنا: البستان.
(٤) يركز بعود: يضرب بأسفله ليثبته في الأرض.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٧٠/١٥ م ٨.

في الماء والطين[1]، إذ استفتح رجل فقال له[2]: (افتح وبشره بالجنة)، فإذا هو أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال له[3]: (افتح له وبشره بالجنة) فذهبت[4] فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال له[5]: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فذهبت فإذا هو عثمان، ففتحت له[6] وبشرته بالجنة، فقلت[7] له الذي قال، فقال: اللهم صبراً، والله المستعان»[8].

وفي الصحيحين حديث حذيفة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمر: «إن بينك وبينها باباً مغلقاً، يوشك ذلك الباب أن يكسر» فسأله مسروق[9]: من الباب؟

---

(١) في ك و ط (فقال).
قوله: (يركز بعود في الماء والطين) ربما يؤخذ من هذه العبارة وأمثالها مشروعية استخدام (المسبحة) أو (السبحة) من أجل التشاغل والتسلية وإعمال الفكر، كما يستخدمها الآن كثير من المسلمين والمسلمين العرب بخاصة.

(٢) سقطت (له) من ك و ط.

(٣) سقطت (له) من ك و ط.

(٤) في أ (فذهب).

(٥) سقطت (له) من ك و ط.

(٦) سقطت (له) من ك و ط.

(٧) في ك و ط (وقلت).

(٨) هذا اللفظ مثل لفظ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، ٤:١٨٦٧ (٢٤٠٣). ورواه البخاري بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ٧:٤٣ (٣٦٩٣) من فتح الباري.

(٩) هو ابن الأجدع الوداعي الهمذاني التابعي، أبو عائشة، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين، ثقة فقيه عابد، مات سنة ٦٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٦٣ ـ ٦٩؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٤٢.

فقال: (عمر)[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ستكون الفتن[2]، القاعد فيها * خير من القائم، والقائم *[3] خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي[4]، من تشرف لها تستشرفه[5]، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»[6].

ورواه[7] أبو بكرة وقال فيه: (فإذا وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم، فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض، فليلحق

---

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ١٣/٤٨ (٧٠٩٦) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، ٤/٢٢١٨ (١٤٤).

(٢) في ك و ط (فتن).

(٣) ما بين النجمتين سقط من أ.

(٤) المراد بالقاعد في الفتنة: هو الذي يكون مع النَّظَّارة (المشاهدين) ولا يقاتل، والقائم: المباشر لها. والماشي: الداخل في أسبابها، والساعي: أعلاهم في ذلك، بحيث يكون سبباً لإثارتها. وقد فسره بعضهم تفسيراً أبعد عن ظاهر الحديث من هذا.
انظر: فتح الباري ١٣/٣٠.

(٥) أي من تطلع لها، بأن يتصدى ويتعرض لها ـ على سبيل الإثارة، وليس من أجل الإخماد ـ ولا يعرض عنها، تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك.
انظر المصدر السابق ١٣/٣١.

(٦) أي ليعتزل فيه، وليسلم من شر الفتنة. المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ١٣/٢٩ ـ ٣٠ (٧٠٨١ ـ ٧٠٨٢) بمثله، من فتح الباري. ومسلم، بلفظ قريب من هذا، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ٤/٢٢١١ ـ ٢٢١٢ (٢٨٨٦).

(٧) في ك و ط (رواه).

بأرضه»[1].

قال: فقال رجل، يا رسول الله، أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء[2]، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»[3].

فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى[4] الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء[5] سهم فيقتلني؟ قال: «يبوء[6] بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»[7].

وفي صحيح أبي حاتم[8]، قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ويل للعرب، من شر قد اقترب، أو فتنة عمياء صماء بكماء، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ويل للساعي[9] فيها من الله يوم القيامة»[10].

---

(1) رواه مسلم، كتاب الفتن...، باب نزول الفتن...، ٤/٢٢١٢ ـ ٢٢١٣ (٢٨٨٧).

(2) في أ (النجاة) وما أثبتناه من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(3) في ك و ط (اللهم هل بلغت) مرة واحدة.

(4) في جميع النسخ (أحد) وما أثبتناه من الصحيح.

(5) في ك و ط (نحى).

(6) أي: يحتمله.
انظر: ترتيب القاموس ١/٣٣٨.

(7) رواه مسلم بمثله، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن...، ٤/٢٢١٢ ـ ٢٢١٣ (٢٨٨٧).

(8) هو ابن حبان البستي ـ رحمه الله ـ.

(9) في ك و ط (ويل الساعة).

(10) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ٤٦١ (١٨٦٧) بلفظ (من فتنة).
قلت: وبعد النظر في إسناد هذا الحديث تبين أنه إسناد جيّد.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «إني لأرى الفتن، تقع خلال بيوتكم[1]، كمواقع[2] القطر[3]».

وفي الصحيحين من غير وجه[4] أنه لما قال له ذو الخويصرة[5]: يا محمد، أعدل فإنك لم تعدل. فقال: «ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل».

فقال بعض أصحابه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنه يخرج من ضئضيء[6] هذا أقوام، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم،

---

(١) أي نواحيها. شبه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط المطر في الكثرة والعموم.
انظر: فتح الباري ٤/٩٥.

(٢) في ط (مواقع).

(٣) القطر: المطر، الواحدة: قطرة.
انظر: المصباح المنير ٥٠٨.
رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة، ٤/٩٤ (١٨٧٨).
من فتح الباري.

(٤) أي أكثر من طريق.

(٥) **الخويصرة**: تصغير الخاصرة، وهي الشاكلة، وما بين الحرقفة والقصيرى. وذو الخويصرة، قيل: هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي، ذكره الطبري. كانت له صحبة، أمره عمر على قتال الهرمزان وعلى ما غلب عليه، وفتح سوق الأهواز ونزل بها، وشهد صفين، ثم صار من الخوارج. ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وقتل في حروبهم معه سنة ٣٧هـ. قال ابن حجر: «ذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنه قتل معهم يوم النهروان. قال: فسألت عن ذلك فلم أجدْ أحداً يعرفه».
انظر: أسد الغابة ٢/٢٠؛ و ١/٤٧٤ ـ ٤٧٥؛ والإصابة ١/٣٢٠؛ وترتيب القاموس ٢/٦٣.

(٦) **الضئضيء**: النسل والعقب.
انظر: الفتح ٨/٦٩.

يقرؤن القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[1]، آيتهم أن فيهم رجلاً مخدّج اليد[2]، على عضده مثل البضعة من اللحم، تدردر[3] عليها شعرات»[4].

وفي رواية في الصحيحين: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، يقتلهم أدنى[5] الطائفتين إلى الحق»[6].

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة، في أواخر خلافة علي، لما افترق المسلمون، وكانت الفئة بين عسكر علي وعسكر معاوية، وقتلهم علي بن[7] أبي طالب وأصحابه، وهم أدنى الطائفتين إلى الحق، والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر، وهي الطائفة

---

(١) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك.
انظر: اللسان ١٤/٣٣٦، مادة رمي.

(٢) أي ناقص اليد.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٠.

(٣) في ك و ط (تدور).
البضعة: القطعة. تدردر: تضطرب.
انظر: الفتح ٦/٦١٩.

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦١٧ ـ ٦١٨ (٣٦١٠) من الفتح. ومسلم بنحوه ـ أيضاً ـ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٤ (١٠٦٤).

(٥) في ط (أدين).

(٦) هي عند مسلم بنحوها، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٥ ـ ٧٤٦ (١٠٦٤) وعند أبي داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٤/٢١٧ (٤٦٦٧). والظاهر أن البخاري لم يخرجها في الصحيح، خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(٧) في أ و ط (ابن) مع أنها في أثناء السطر.

الباغية[1]. وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم، فطلبوا[2] هذا المخدج فلم يجدوه، حتى قام علي ـ بنفسه ـ ففتش عليه، فوجده مقتولاً، فسجد شكراً لله[3].

وفي الصحيح عنه أنه قال: «ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة»[4]. وهؤلاء ظهروا بعده بمدة[5]، فكانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر، ويؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: (إنكم سَتَلْقون بعدي أثرة[6]، فاصبروا

---

(١) **الطائفة الباغية**: هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل.
انظر: اللسان ١٤/٧٨، مادة بغا.
وذلك سنة ٣٧هـ. انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/١٠ ـ ٤٢ و ٦٤ ـ ٦٦ و ٧٢ ـ ٩٣ و ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) في ك و ط (وطلبوا).

(٣) انظر: صحيح مسلم ٢/٧٤٨ ـ ٧٤٩؛ والكامل ٣/١٧٥؛ والبداية والنهاية ٧/٢٨٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار. . .، ١/٤٤٨ (٦٤٨) بنحوه، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت، ١/١١٧ (٤٣٢). والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في تعجيل الصلاة. . .، ١/٣٣٢ (١٧٦). وابن ماجه، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في إذا أخروا الصلاة عن وقتها، ١/٢٢٨ (١٢٤٦).

(٥) ومنهم: زياد بن أبيه، كما ذكر أبو العالية البرّاء (نسبة إلى بري النبل)، رواه النسائي، كتاب الإمامة، باب الصلاة مع أئمة الجور، ٢/٧٥.

(٦) أي: أن الأمر والحكم سيكون في غير المخاطبين، فيختص الحكام أولئك دونهم بالأموال.
انظر: الفتح ٧/١١٨.

حتى تلقوني على الحوض»[1]. فلقوا بعده من استأثر عليهم، ولم يعطهم حقهم. وفي الصحيحين عنه أنه قال: «ستكون بعدي أمراء، يطلبون منكم حقهم، ويمنعونكم حقكم». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، واسألوا الله حقكم»[2].

وفي الصحيحين عنه أنه سارَّ فاطمة، فقال لها ــ وهو في مرضه الذي توفي فيه ــ : «إني أقبض، في مرضي هذا» ثم أخبرها: أنها أول أهله لحوقاً به. وفي رواية: «وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين»[3].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أسرعكن بي لحاقاً: أطولكن يداً» قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب[4]، لأنها كانت تعمل بيدها

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض). ١١٧/٧ (٣٧٩٢) بمثله من الفتح. ومسلم بلفظه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، ١٤٧٤/٣ (١٨٤٥).
الحوض: هو حوض النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم القيامة.
انظر: الفتح ١١٨/٧.

(٢) رواه البخاري بمعناه، كتاب الفتن، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : (سترون بعدي أموراً تنكرونها) ٥/١٣ (٧٠٥٢) من الفتح. ومسلم بمثل لفظ البخاري، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول ١٤٧٢/٣ (١٨٤٣). وهذا الحديث يفهم مجموعاً مع النصوص الأخرى التي توجب النهي عن المنكر والنقح، وتحرم المداهنة والكتمان. وتجعل القتيل بسبب أمره للحاكم بالمعروف ونهيه له عن المنكر سيداً للشهداء.

(٣) كلا الروايتين أخرجهما البخاري بمثلهما، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦٢٧/٦ ــ ٦٢٨ (٣٦٢٣ ــ ٣٦٢٤) من فتح الباري. وهما في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عليها الصلاة والسلام، ٤//١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ (٢٤٥٠) بنحوهما.

(٤) هي أم المؤمنين، زينب بنت جحش، زوج النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الأسدية، من أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب. عمة رسول الله =

وتصدق[1].

وفي صحيح البخاري وغيره عن أم حرام[2] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية[3] مغفور لهم»[4]. وفي صحيح البخاري، عن أم حرام ـ أيضاً ـ ،

= ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانت قديمة الإسلام. ومن المهاجرات، كان اسمها برّة فسماها زينب، توفيت سنة ٢٠هـ.
انظر: أسد الغابة ٦/١٢٥ ـ ١٢٧.

(١) رواه مسلم بلفظه إلَّا قوله: (... بي لحاقاً) فهو عند مسلم (لحاقاً بي)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ، ٤/١٩٠٧ (٢٤٥٢) والبخاري بنحوه إلَّا أن فيه (سودة) بدل (زينب) وقد رجح الحافظ ابن حجر أن ذلك وهم من أبي عوانة أحد رواة الحديث، قال ابن الجوزي: «والعجب من البخاري كيف لم ينبه عليه». ورواية البخاري له في كتاب الزكاة، باب ـ بعد ـ باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، ٣/٢٨٥ ـ ٢٨٦ (١٤٢٠) من فتح الباري.

(٢) في جميع النسخ، (ابن عمر) وهو غير صحيح، ولم يرده الشيخ المؤلف، والدليل على ذلك قوله في الحديث الذي بعده: (عن أم حرام ـ أيضاً).
أم حرام: هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حَرام، الأنصارية، خالة أنس بن مالك، صحابية مشهورة، ماتت في خلافة عثمان ودفنت بجزيرة قبرص.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦٢٠.

(٣) ويقال: قسطنطينة ـ بإسقاط ياء النسبة ـ كان اسمها بيزنطة فنزلها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سوراً، وسماها باسمه، وصارت دار ملك الروم، اسمها الآن ـ اسطنبول.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٩٢.

(٤) أخرجه البخاري عن أم حرام بلفظ: (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم...) كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ٦/١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح. ورواه أحمد في المسند ٤/٣٣٥ بلفظ: (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)، قال الراوي: فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني فحدثته، فغزا القسطنطينية.

قالت: «سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم» قالت: ثم قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «لا»[1].

وغزاها المسلمون في خلافة معاوية، وكان يزيد[2] أميرهم، وكان في العسكر[3] أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في بيته، لما قدم المدينة مهاجراً، ومات ودفن تحت سورها، وذكروا أنهم كانوا إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ٦/١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح. ومن الحديث تؤخذ مشروعية المشاركة الشخصية للمرأة في الجهاد والحياة العامة.

(٢) يزيد: هو ابن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، مقدوح في عدالته، ولد في خلافة عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٠هـ وامتنع من بيعته الحسين وابن عمر وابن الزبير، يروى أن رجلاً قال عند عمر بن عبد العزيز: أمير المؤمنين يزيد. فضربه عشرين سوطاً، مات سنة ٦٣هـ وله ٣٨ سنة.
انظر: لسان الميزان ٦/٢٩٤.

(٣) في ك و ط (المعسكر).

(٤) روي هذا عن مجاهد. كما روي عنه خلاف ذلك، وهو إيصاؤه بمحو أثر القبر، وتنفيذ يزيد لهذه الوصية.
انظر: أسد الغابة ٢/٢٥ ــ ٢٦.
وانظر: الكامل ٣/٢٢٧ ــ ٢٢٨؛ والبداية والنهاية ٧/١٥٩. ولقد كان منتظراً من الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ أن يحذف هذه العبارة الأخيرة (وكانوا إذا أجدبوا...) وإذا لم يحذفها من كلامه، فكان المطلوب منه ــ رحمه الله ــ أن يعلق عليها بما يتفق والعقيدة الصحيحة في منع التوسلات غير المشروعة، حيث أن هذا من التوسل ببدن الإنسان الصالح، وهو خارج عن الأنواع الثلاثة المشروعة، ولعلها سبقة قلم، وقد علق عليها الشيخ المدني في طبعته تعليقاً جيداً في الجواب الصحيح (ط المدني) ٤/١٤٥.

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية، في[1] خلافة عبد الملك، غزاها ابنه مَسْلَمة[2]، وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجداً[3].

وفي الصحيحين عن أنس قال: كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت[4]، فدخل عليها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه[5]، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: مم تضحك؟ فقال[6]: «عرض علي ناس من أمتي، يركبون ثبج[7] هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة»، فقالت أم حرام: أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: مم تضحك؟ فقال:

---

(١) في ك و ط (وفي).

(٢) مسلمة: هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير، قائد، من أبطال عصره، يلقب بالجرادة الصفراء، كان أولى بالخلافة من سائر أخوته، خدعه اليون صاحب الروم، مات بالشام سنة ١٢٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤؛ وتاريخ الأمم والملوك ٦/٥٣١.

(٣) الأصوب أن ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ.
انظر: المصدر السابق ٦/٥٣٠ ــ ٥٣١؛ والكامل ٤/١٤٦ ــ ١٤٧؛ والبداية والنهاية ٩/١٧٤.

(٤) عبادة بن الصامت: هو ابن قيس، الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة ــ بفلسطين ــ سنة ٣٤هـ، وله ٧٢ سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، قيل: كان طوله عشرة أشبار.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٩٥.

(٥) أي: تبحث رأسه عن القمل.
انظر: اللسان ١٥/١٦٢، مادة فلا.

(٦) في ط (قال) بدون فاء.

(٧) أي: وسطه ومعظمه.
انظر: اللسان ٢/٢٢٠، مادة ثبج.

«عرض علي ناس من أمتي» كما قال في الأولى، فقالت[1]: يا رسول الله، أدع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين». قال أنس: «فركِبَت البحر، زمان معاوية بن أبي سفيان، فصُرعت عن دابتها، لما خرجت من البحر، فماتت[2]». وهذا كان في خلافة عثمان، ومعاوية نائبه[3].

وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان، وفتحوا جزيرة قبرص، وجاؤا بسبيها إلى دمشق. وكان أبو الدرداء[4] حياً بدمشق، فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا الدرداء، هذا يوم قد أعز الله فيه الإسلام؟ فقال: «إنما أبكي أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة، فأضاعت أمر الله فيه[5]، فأصارها الله إلى ما ترون، ما أهون العباد على الله إذا ضيعوا أمره؟»[6].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يسلط

---

(١) في أ (فقال).

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، ٦/ ١٠ (٢٧٨٨ ـ ٢٧٨٩) من الفتح. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر ١٥١٨/٣ (١٩١٢) بنحوه.

(٣) انظر: الفتح ٧٥/١١.

(٤) أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهده أحد، كان عابداً، مات في آخر عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٩١/٢.

(٥) سقطت (فيه) من ك و ط.

(٦) الأثر أخرجه الطبري في تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٢/٤.
وانظر: الكامل ٤٨/٣؛ والبداية والنهاية ١٥٣/٧.
ولما ضيع المسلمون أمر الله ضاعت منهم قبرص، وذبح فيها المسلمون على أيدي النصارى، ولما حكم حزب السلامة الإسلامي في تركيا في السبعينيات من القرن ١٩ الميلادي اتخذ القرار باسترجاع الجزيرة، وتم استعادة نصفها الشمالي.

على أمتي عدواً من غيرهم فيجتاحهم[1]، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها»[2].

وثبت عنه في الصحيحين، أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي، ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[3].

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم، فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وكان كما أخبر به، فإن هذه الأمة ـ ولله الحمد والمنّة[4] ـ لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء، بل إن غلبت طائفة في قطر من الأرض، كانت[5]

---

(١) أي: يستأصلهم ويأتي عليهم ويهلكهم.
انظر: اللسان ٢/٤٣١. مادة جوح.

(٢) رواه مسلم بلفظ: (... سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٦ (٢٨٩٠)، والترمذي بلفظ أقرب إلى المذكور، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثاً لأمته، ٤/٤٧١ ـ ٤٧٢ (٢١٧٥)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي الباب عن سعد وابن عمر». قلت: وهذا رواه عن خباب. وابن ماجه بلفظ: «العدو، والغرق». أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ٢/٣٦٨ (٣٩٩٩). وأحمد في المسند ٥/٢٤٧ عن معاذ.

(٣) سبق تخريجه ١/٩٢. الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه.

(٤) المنّة: الإحسان والإنعام.
انظر: اللسان ١٣/٤١٧، مادة منن.

(٥) في ك و ط (كان).

في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة، ولم يسلط على مجموعها عدواً من غيرهم، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «صنفان من أهل النار لم أرهما[2]: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت[3] المائلة، لا يدخلن[4] الجنة، ولا يجدن[5] ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[6].

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة، وعلى رؤوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي، يسمون العمامة[7] سنام الجمل.

وفي حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومُبِيْر»[8].

---

(١) فتن: محن وابتلاء.
انظر: المصباح المنير ص ٤٦٢.

(٢) في ك و ط زيادة كلمة (بعد).

(٣) هي الإبل الخراسانية، وهو معرب عن الفارسية، وبعضهم زعم أنه عربي، والبختي واحد البخت، جمعه: بخاتي وبخات، وهي الآسيوية، ذات السنامين، ويسميها العرب: العوامل.
انظر: دائرة معارف وجدي ١/ ٣٠ و ٢/ ٥٠.

(٤) في أ (لا يدخل).

(٥) في أ (ولا يجد).

(٦) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، ٣/ ١٦٨٠ (٢١٢٨).

(٧) في ط (العمائم).

(٨) المبير: المهلك، الذي يسرف في إهلاك الناس.

وظهر الكذاب من ثقيف، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي[1]، الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين[2]، وقتل عبيد الله بن زياد[3] وغيره من قتلة الحسين، ثم أظهر أنه يوحى إليه، وأنه ينزل عليه، حتى قيل لابن عمر[4] ــــــــــــــــــــ

= انظر: اللسان ٨٦/٤، مادة بور.
رواه مسلم بلفظ: (... أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حدثنا: أن في ثقيف كذاباً ومبيراً). كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ١٩٧٢/٤ (٢٥٤٥). وهو عند الترمذي برقم (٢٢٢٠)و(٣٩٤٤) برواية ابن عمر، وفي المسند لأحمد ٢٦/٢.

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، الكذاب، كان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلة الدين. ذكره ابن عبد البر في الصحابة لأن له رؤية فيما يغلب على الظن، قتله مصعب بن الزبير هو و ٦٠٠٠ ممن استأمن إليه صبراً سنة ٦٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣ ــ ٥٤٤؛ وميزان الاعتدال ٨٠/٤؛ ولسان الميزان ٦/٦.

(٢) **الحسين**: هو الإمام الشريف، سِبط رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وريحانته من الدنيا ومحبوبه، أبو عبد الله، الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد في شعبان سنة ٤هـ واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وله ٥٦ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٣؛ وتقريب التهذيب ١٧٧/١.

(٣) هو ابن أبيه، أبو حفص، أمير العراق، كان جميل الصورة، قبيح السريرة، قيل: أمه مرجانة، من بنت ملوك الفرس، جرت له خطوب، وأبغضه المسلمون لِما فعل بالحسين، قُتل على يد المختار الكذاب، في أول سنة ٦٧هـ بالخازر.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥٤٥/٣ ــ ٥٤٩.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وله ١٤ سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ٧٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٤٣٥/١؛ وأسد الغابة ٢٣٦/٣ ــ ٢٤١.

وابن[1] عباس عنه، قيل لأحدهما: إنه يوحى إليه، وللآخر: إنه ينزل عليه. فقال أحدهما:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[2].

وقال الآخر:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

وأما المُبِيْر، فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان مبيراً سفاكاً للدماء بغير حق، انتصاراً لمُلك عبد الملك بن مروان، الذي استنابه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: لقد قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي فيجمعه إلى صدره، فإنه لن ينسى شيئاً سمعه». فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً سمعته منه[4].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر

---

(١) في أ (بن) بدون ألف.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.
انظر: البداية والنهاية ٢٩١/٨.

(٤) هذا لفظ مسلم، وهو مجموع من روايتين، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي...، ١٩٣٩/٤ ـ ١٩٤٠ (٢٤٩٢). ورواه البخاري بمعناه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ٢١٥/١ (١١٩) من الفتح.

خليفـة، كلهم من قريش»[١]. وفي لفظ «إلى اثني عشـر أميراً»[٢]، وفي رواية لأبـي داود الطيـالسي: «كلهم يجتمع عليهم الأمـة»[٣]، وفي رواية فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون الهَرْج»[٤].

قـال أبـو بكـر البيهقي: (وفي الـروايـة الأولى بيـان العــدد، وفي الأخـرى[٥] بيان المـراد بالعـدد، وقد بين وقـوع الهـرج، وهـو القتـل[٦] بعدهم)[٧].

وقد وجد هـذا العدد بـالصفة المـذكورة إلى وقت الـوليد بن يـزيد

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة من قريش، ١٤٥٣/٣ (١٨٢١) واللفظ لـه، وأبـو داود، كتـاب المهـدي، ١٠٦/٤ (٤٢٨٠). وأحمـد في المسنـد ٩٣/٥ و٩٨. والبخاري، كتـاب الأحكام، بـاب الاستخـلاف، ٢١١/١٣ (٧٢٢٢) بلفظ: (يكون اثنا عشر أميراً) ـ فقـال كلمة لم أسمعهـا ـ فقال أبـي: أنـه قال: (كلهم من قريش).

(٢) هـذا اللفظ لأحمد في المسنـد ٩٧/٥ ـ ٩٨ و١٠١، قـال الألبـاني: «وهـذا إسنـاد ـ أي إسناد هذه الرواية ـ صحيح على شرطهما».
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٠٦/١ (٣٧٦) لمحمد نـاصر الـدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٣) يـظهر لي أن كلمـة (الطيـالسي) مقحمة، لأن الـرواية المـذكورة هي عنـد أبـي داود السجستاني، كتاب المهدي، ١٠٦/٤ (٤٢٧٩). ولم أجدها عند الطيالسي، وإنمـا الذي عنده مثل الرواية الأولى، وهذه الأخيرة إسنادها فيه لِيْن حيث أن في إسنـادها: إسماعيل بن أبـي خالد وهو كما قال ابن حجر: (مقبول) أي لين الحديث، وقد تفرد بهذه الجملة: (كلهم تجتمع عليه الأمة).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٠٦/١ (٣٧٦).

(٤) أبو داود، كتاب المهدي، ١٠٦/٤ (٤٢٨١). وإسنادها جيد. قال الحافظ في الفتح ٢١١/١٣: (وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر).

(٥) في ك و ط (الثانية).

(٦) غريب الحديث ٧٧/٤.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي ٥٢٠/٦.

ابن عبد الملك[1]، ثم وقع الهرج والفتنة العظمى، وأنما يزيدون على العدد المذكور إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ معهم من كان بعد الهرج.

وفي الصحيحين عن جابر قال: قال لي[2] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هل لك من أنماط[3]؟»، قلت: يا رسول الله، وأنى يكون لي أنماط؟ فأنا أقول اليوم لامرأتي: نحي[4] عنك أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إنها ستكون لكم أنماط؟»[5].

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «بينا أنا نائم، أُريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب، ففظعتهما[6] فكرهتهما، فأذن لي، فنفختهما[7]، فطارا، فأولتهما كذابين

---

(١) هو ابن مروان بن الحكم، الخليفة، أبو العباس الدمشقي الأموي، ولد سنة ٩٠هـ خلافته سنة وثلاثة أشهر، اتهم بالخمر والشذوذ الجنسي، قتل سنة ١٢٦هـ وله ٣٦ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٠ ــ ٣٧٣.

(٢) سقطت (لي) من ك و ط.

(٣) الأنماط، جمع نمط، وهو بساط له خمل رقيق.
انظر: الفتح ٦/ ٦٣٠.

(٤) من: نحيت الشيء، أي: عزلته.
انظر: المصباح المنير ص ٥٩٦.

(٥) رواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/ ٦٣٩ (٣٦٣١) من الفتح. ومسلم بمعناه، كتاب اللباس والزينة، باب جواز اتخاذ الأنماط، ٣/ ١٦٥٠ (٢٠٨٣).

(٦) في ك و ط (فقطعتهما) وفي أ (فقطعها). وما أثبتناه من الصحيح.
أي اشتد عليَّ أمرهما.
انظر: الفتح ٨/ ٩٣.

(٧) في ك (فأذن لي في نفخهما فنفختهما) وفي ط (فأذن لي في نفختهما).

يخرجان بعدي»[1].

قال عبيد الله: «أحدهما العنسي الذي قتله فيروز[2] باليمن، والآخر مسيلمة»[3].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، قال ـ وهو مستقبل المشرق ـ: «ها، إن الفتنة ها هنا، [4] إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»[5].

وفي بعض طرق البخاري: قام خطيباً، فأشار بيده نحو مسكن عائشة، فقال: وذكر الحديث[6].

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين، ومنها خرج[7] مسيلمة

---

(١) رواه البخاري موصولاً ومعلقاً بنحوه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وباب قصة الأسود العنسي، ٨/٨٩ و٩٢ (٤٣٧٤ ـ ٤٣٧٥ و ٤٣٧٩).

(٢) في جميع النسخ: (عبد الله) والأصوب ما أثبتناه من الصحيح.
في ك و ط زيادة (الديلمي).
فيروز: هو الديلمي، أبو عبد الله، وقيل، أبو عبد الرحمن، هو ابن أخت النجاشي، ويقال له: الحميري، وهو من فارس، من فرس صنعاء، روى عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عدة أحاديث، وتوفي في خلافة عثمان.
انظر: أسد الغابة ٤/٧١ ـ ٧٢.

(٣) انظر: الفتح ٨/٩٢.

(٤) في ك و ط زيادة (ها) ثانية.

(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٦/٣٣٦ (٣٢٧٩) من الفتح. ومسلم من عدة روايات، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق...، ٤/٢٢٢٨ ـ ٢٢٢٩ (٢٩٠٥).
قرن الشيطان: الأمة التي غلبها الشيطان وأضلها وجعلها من أهل الشرور.
انظر: الفتح ١٣/٤٦.

(٦) هذه الطريق عند البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ...، ٦/٢١٠ ـ ٢١١ (٣١٠٤) من الفتح.

(٧) في ك و ط (يخرج).

الكذاب، الذي ادعى النبوة، وهو أول حادث حدث بعده، واتبعه خلائق، وقاتله خليفته الصديق.

وروى أبو حاتم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابِين، منهم صاحب اليمامة[1]. ومنهم صاحب صنعاء العنسي[2]. ومنهم صاحب حِمْيَر[3]. ومنهم الدجال، وهو أعظمهم فتنة» وصاحب اليمامة: هو مسيلمة. قال[4]: وقال أصحابي: قال: «هم قريب من ثلاثين كذاباً»[5].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون، دجالون كذابون، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يفيض المال، وتظهر الفتن، ويكثر

---

(١) **اليمامة**: معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى جوا والعروض، سميت باليمامة بنت سهم بن طسم، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام. (٣٥٠ كلم). ويذكر عبد الله بن خميس بأن حدودها الطبيعية من الجنوب الرّمل (الربع الخالي) من تحت نجران، وشمالاً بالثويرات شمال الزلفي، وما واجه الثويرات شرقاً حتى السياريات والدهناء وما واجهها غرباً حتى المستوي. وشرقاً: الدهناء، وغرباً: هضبة نجد، أو ما يسمى بالدرع العربي.
انظر: معجم البلدان ٤٤٢/٥ والمجاز بين اليمامة والحجاز ١٢.

(٢) هو الأسود العنسي.

(٣) **حمير**: من أصول القبائل التي باليمن واسمه: العرنجج بن سبأ وهو عامر بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩.

(٤) القائل هو جابر ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب الفتن، باب ما جاء في الكذابين والدجال، ٤٦٧ (١٨٩٣).
قلت: وبعد النظر في إسناد هذا الحديث تبين أنه إسناد جيد.

الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل»[1].

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال: ركب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حماراً، وأردفني خلفه، ثم قال: «يا أبا ذر، أين أنت[2] إن أصاب الناس جوع شديد، حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟» فقال: الله ورسوله أعلم، قال: «تعفف». قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد، حتى يكون البيت بالعبد[3]، كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «اصبر». «يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، حتى تغرق حجارة الزيت[4]، من الدماء كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك»، فقال: أرأيت إن لم أُتْرَك؟ قال: «فأت من أنت منه، فكن فيهم» قال: فآخذ[5] سلاحي؟ قال: «إذا

---

(١) هذا الحديث عند مسلم في عدة أحاديث فقوله: (لا تقوم الساعة... يزعم أنه رسول الله) في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...، ٤/٢٢٣٩ ـ ٢٢٤٠ (١٥٧). وقوله: (... حتى يفيض المال) هو بمثله من كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ٢/٧٠١ (١٥٧) وقوله: (وتظهر الفتن) من كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه...، ٤/٢٠٥٧ (١٥٧). وقوله: (ويكثر الهرج...) هو بمثله من كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ٤/٢٢١٥ (١٥٧).

(٢) في ك و ط (أرأيت).

(٣) في ط (بالوصيف).
البيت هنا: القبر. والمراد أن الناس يُشْغَلون عن دفن موتاهم، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبراً لميت ويدفنه إلاَّ يعطى عبداً أو قيمته.
انظر: مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن، وتهذيب ابن قيم الجوزية ٦/١٤٦، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م.

(٤) **أحجار الزيت**: موضع بالمدينة. بذل المجهود في حل أبي داود ١٧/١٦٦. لخليل أحمد السهارنفوري ـ ١٣٤٦هـ، دار اللواء بالرياض.

(٥) في ك و ط (فإن أخذ).

تشاركهم فيه، ولكن إن خشيت أن يَرُوعَك شُعَاع السيف فأطلق[1] طرف رِدائك على وجهك، يبوء بإثمك وإثمه»[2].

وفيه عن ابن مسعود، قال: أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو في قبة من أدم، فيها أربعون رجلاً، فقال: «إنكم مفتوحون[3] ومنصورون[4]، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب عليَّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار»[5].

وأما الفتوح التي فتحت عليهم، والنصرة التي نصروا، فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدّم ذكره، ووقع ما أخبر به.

وروى أبو حاتم في صحيحه عن ابن عباس، قال: «مرض أبو طالب فأتته قريش، وأتاه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فشكوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا[6]. قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي؟ قال: «يا عم،

---

(١) في ك وط (فألق).

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب الفتن، باب كيف يفعل في الفتن ٤٦٠ (١٨٦٢). ورواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، ٤/ ١٠١ (٤٢٦١) بنحوه. وابن ماجه، أبواب الفتن، باب التثبت في الفتنة ٢/ ٣٧٠ (٤٠٠٦) بنحوه. والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، ٤/ ٤٢٤، بنحوه، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين...»، ووافقه الذهبي.

(٣) في ط (فاتحون) ومعنى (مفتوحون): مفتوح لكم.

(٤) في الموارد، زيادة: (ومصيبون). بعد قوله: (ومنصورون).

(٥) موارد الظمآن...، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٥٦ (١٨٤٤).

(٦) أي: يذمها ويعيبها.
انظر: اللسان ٨/ ٤٠٥، مادة وقع.

إنما أردتهم على كلمة واحدة، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم[١] بها العجم الجزية»[٢] فقال: وما هي؟ «قال لا إلٓه إلاَّ الله». فقاموا، فقالوا: «أجعل الآلهة إلٓهاً واحداً. . . .»؟ قال: ونزلت:

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾.

إلى قوله:

﴿ . . . إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾[٣].

وفي صحيح ابن حبان عن اسماعيل بن[٤] أبي خالد[٥]، عن قيس بن أبي حازم[٦] قال: لما أقبلت عائشة قربت[٧] ببعض مياه

---

(١) في ك و ط (لهم).

(٢) الجزية: المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، وهي فعِلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله.
انظر: اللسان ١٤/١٤٧، مادة جزي.
سورة ص: الآيات ١ ــ ٥.

(٣) موارد الظمآن. . .، كتاب التفسير، سورة ص: ٤٣٥ (١٧٥٧).
قلت: وقد تبين لي بعد النظر في إسناد هذا الحديث أنه إسناد جيد.

(٤) في أ (إسماعيل بن أبي قيس قال: لما أقبلت. . .) وقد أثبتنا السّقط من الأصول ومن ك و ط.
في أ: (ابن). والأولى حذف ألفها.

(٥) إسماعيل بن أبي خالد: هو الأحمسي، مولاهم، البجلي، ثقة ثبت، مات سنة ١٤٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٦٨؛ وتهذيب التهذيب ١/٢٩١.

(٦) قيس بن أبي حازم: هو البجلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، مخضرم، ويقال: له رؤية، مات بعد سنة ٩٠هـ أو قبلها، وقد جاوز المائة، وتغير.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٢٧؛ وتهذيب التهذيب ٨/٣٨٧.

(٧) في ك و ط (مرت).

بني عـامر[١]، طـرقتهم ليلاً، فسمعت نبـاح الكلاب، فقـالت: (أي ماء هذا)؟ قالوا: ماء الحوأب[٢]، قالت: (مـا أظنني رافعة)[٣] قـالوا: مهـلاً ـ يرحمك الله ـ تقـدمين، فيراك المسلمـون، فيصلح الله بك. قـالت: (مـا أظنني رافعة[٤]، أني سمعت رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «كيف بإحداكنَّ ينبح عليها كلاب الحوأب»[٥]؟.

وفيه أيضاً عن [٦] ابن أبـي طالب قال: قـال لي عبد الله بن سـلام ـ وقـد وضعت رجلي في الغـرز[٧] وأنـا أريـد العـراق ـ: «لا تـأت[٨]

---

(١) هم بنـو عـامـر بن ربيعـة بن كـلاب بن ربيعـة بن صعصعـة بن معـاويـة بن بكـر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٣ و٢٨٢.

(٢) في أ و ك (الحوب) حسب الرسم القديم.
الحوأب: موضع في طريق البصرة، محاذي البقرة، ماء أيضـاً من مياههم، وهـو من المياه الأعداد (الجارية) وقديم جاهلي، وحوله جبال سود، وقد سمي بالحـوأب بنت كلب بن وبرة. وهي أم تميم وبكر والغوث.
انظر: معجم البلدان ٣١٤/٢.

(٣) في ك و ط (إلاَّ راجعة).
أي: لست بمتقدمة.
انظر: اللسان ١٣٠/٨، مادة رفع.

(٤) في ك و ط (إلاَّ راجعة).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه، كتاب معرفة الصحابة، ١٢٠/٣. وأورده الهيثمي وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف».
انظر: المجمع ٢٨٩/٨.
وهو في موارد الظمآن ٤٥٣ (١٨٣١). والسلسلة الصحيحة للألباني ٧١٤/١.

(٦) في ك و ط زيادة (علي).

(٧) الغرز: فراش من جلد، يوضع فوق الدابة للركوب عليها.
انظر: ترتيب القاموس ٣٨٢/٣.

(٨) في الموارد، زيادة (أهل).

العراق، فإنك إن تأتهم أصابك ذنب السيف[1]».

قال علي: «وأيم[2] الله، لقد قالها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ» قال أبو الأسود[3]: «فقلت ــ في نفسي ــ: ما رأيت كاليوم رجلاً محارباً يحدِّث الناس بمثل هذا»[4].

وهذا وأمثاله مما أخبر به ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[5] من المستقبلات، فوقع بعده كما أخبر، ورأى الناس ذلك. وأما ما أخبر به، مما لم يقع إلى الآن، فكثير. وقد أخبر بأشياء من المغيبات، ووقعت في زمانه، ووجدت[6] كما أخبر، كما في الصحيحين، عن سهل بن سعد[7]، عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ــ يوم خيبر[8] ــ:

---

(١) ذنب كل شيء: آخره، وجمعه: ذناب، وهو العقب والمؤخر.
انظر: اللسان ١/٣٩٠، مادة ذنب.

(٢) **أيم**: اسم وضع للقسم، والتقدير: أيمن الله قسمي.
انظر: ترتيب القاموس ١/٢٠٣.

(٣) **أبو الأسود**: هو الدؤلي، ويقال: الديلي، العلامة الفاضل، قاضي البصرة، واسمه: ظالم بن عمرو ــ على الأشهر ــ ولد في أيام النبوة، قال العجلي: ثقة، كان أول من تكلم في النحو، مات في طاعون الجارف سنة ٦٩هـ وله ٨٥ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٨١ ــ ٨٦.

(٤) موارد الظمآن، كتاب المناقب، باب في فضل علي ــ رضي الله عنه ــ: ٥٤٥ (٢٢١٠).
قلت: وهذا الحديث إسناده جيد.

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٦) في ط (ووجد).

(٧) **سهل بن سعد**: هو ابن مالك بن خالد الأنصاري، الخزرجي الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة مشهورة، مات سنة ٨٨هـ وقيل: بعدها. وقد جاوز المائة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣٦.

(٨) وكان يوم خيبر في أول سنة سبع للهجرة.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٣٤٤.

«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»[1] فكان كذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حنيناً فقال ــ لرجل ممن يدعي الإسلام ــ: «هذا من أهل النار» فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت له آنفاً: إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً، [2]وقد مات، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إلى النار» فكاد بعض المسلمين أن يرتاب[3]. فبينا[4] هم على ذلك، إذ قيل: فإنه لم يمت، ولكن به جرحاً شديداً. فلما كان من الليل، لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذلك فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[5]. ورواه سهل بن

---

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ١٤٤/٦ (٣٠٠٩) من الفتح. ومسلم بلفظ: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله). كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ١٤٤١/٣ (١٨٠٧).

(٢) في ك و ط زيادة (فأصابته جراحة).

(٣) يفسر ذلك رواية الطبراني عن أكثم بن الجون الخزاعي قال: قلنا يا رسول الله، فلان يجزيء في القتال! قال: (هو في النار). قلنا: يا رسول الله! إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ قال ذلك أخباث النفاق...).
انظر: الفتح ٤٧٢/٧ ــ ٤٧٣.

(٤) في ك و ط (فبينما).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ١٧٩/٦ (٣٠٦٢) من الفتح. ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ١٠٦/١ (١١٢).

سعد[1].

وفي الصحيحين عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: بعثني رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبا مرثد الغنوي[2]، والزبير بن العوام[3]، والمقداد[4]، وكلنا فارس، فقال: «إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[5]

---

(١) رواية سهل بن سعد للحديث بلفظ آخر، هي عند البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٤٧١/٧ (٤٢٠٢) من الفتح. وعند مسلم تالية لرواية أبي هريرة في الموضع السابق.

(٢) **أبو مرثد الغنوي**: هو كنّاز بن حصين بن يربوع بن طريف بن قيس عيلان، حليف حمزة بن عبد المطلب، وكان تربه ــ أي مثيله في السن ــ شهد هو وابنه مرثد بدراً، مات سنة ١٢هـ وله ٦٦ سنة، وكان طويلاً كثير الشعر.
انظر: أسد الغابة ٢٨٢/٥؛ وتقريب التهذيب ١٣٦/٢ ــ ١٣٧.

(٣) **الزبير بن العوام**: هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله، القرشي، الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ٣٦هـ بعد أن انصرف من وقعة الجمل.
انظر: تقريب التهذيب ٢٥٩/١.

(٤) **المقداد**: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن قضاعة البهراوي، المعروف بالمقداد بن الأسود، أبو معبد، وقيل: أبو الأسود، وهو قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة ثم خرج مع المشركين هو وابن غزوان فالتقوا بسرية المسلمين فانحازا إلى المسلمين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، مات في خلافة عثمان بالجرف وحمل إلى المدينة، وله ٧٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٤٧٥/٤ ــ ٤٧٨.
جمع أسماء الأربعة علي وأبي مرثد والزبير والمقداد، مستفاد من مجموع روايات البخاري، ولم يجتمعوا في رواية واحدة.
انظر: الفتح ٥٢٠/٧.

(٥) **خاخ**: موضع بين الحرمين، وروضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة.
انظر: مراصد الاطلاع ٤٤٤/١.

فـإن بهـا امـرأة[1]، معهـا كتـاب من حـاطب إلى المشـركيـن» فأدركناها تسير على بعير لها خبب[2]، فقلنـا لها: أين الكتـاب؟ فقالت: ما معي كتاب، قال فأنخنا بها[3]، فـالتمسنا الكتـاب في رحلها، فلم نـرَ كتاباً، قال: قلنا: ما كذب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لتخرجن الكتـاب أو لنجردنـك[4]. قال: فلمـا رأت أني أهويت إلى حجـزتهـا[5] وهي محتجزة بكساء، أخرجت الكتاب من عقاصها[6]، فأخذنا الكتاب، فأتينا بـه رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فإذا فيـه: (من حاطب بن أبـي بلتعـة إلى ناس من المشـركين بمكة، يخبـرهم ببعض أمـر رسـول الله[7] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)[8]. فقال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يا حاطب، [9]ما هذا؟» قـال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امـرأ

---

(١) في ط زيادة (ظعينة). واسم المرأة سارة أو أم سارة أو كنود، وقيل، إنها كـانت مولاة العباس.
انظر: الفتح ٧/٥٢٠.

(٢) **الخبب**: نوع من المشي السريع، واسع الخطى، وهو أقل من العَنَق.
انظر: المصباح المنير ص ١٦٢.

(٣) أي: قمنا بأمر البعير بالبروك فبرك.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٤.

(٤) **التجريد**: التعرية من الثياب.
انظر: مختار الصحاح ص ٩٩.

(٥) أي مد يده إلى رباط سراويلها ومعقد إزارها.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٤ و٧٠٣.

(٦) أي: ضفيرة شعرها.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٦.

(٧) في ك و ط (النبـي).

(٨) من هنا تكرار في أ بمقدار سطر.

(٩) في ط زيادة (حملك على).

ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون أهليهم[1] بمكة، فأحببت ـ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ـ أن أتخذ يداً[2] يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3].

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريد يغزوهم[4] فأعلمه الله بذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «نعى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للناس النجاشي، في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلَّى وكبّر أربع تكبيرات». وفي رواية عن جابر قال: «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلَّى على أصحمة النجاشي»[5].

وفي لفظ من رواية أبي هريرة قال: «قد مات اليوم عبد الله

---

(١) في ك و ط (أهلهم).
(٢) اصطناع النعمة والإحسان، وجمعها: يدي. كعصى. وأيد ـ أيضاً ـ. انظر: مختار الصحاح ص ٧٤٢.
(٣) رواه البخاري في أكثر من موضع مثل: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح . . .، ٥١٩/٧ (٤٢٧٤) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر . . .، ١٩٤١/٤ (٢٤٩٤).
(٤) في ك و ط (غزوهم).
(٥) سبق تخريجه ١ /١٦٦ الجواب الصحيح: رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

صالح[1] أصحمة» فأمنا وصلّى عليه[2]. وفي رواية عمران بن حصين قال: «إن أخاكم[3] قد مات، فصلّوا عليه» يعني النجاشي[4].

وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب[5]، ورواها عروة بن الزبير، ومحمد بن اسحاق بمعناه قال: «ثم إن المشركين اشتدوا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كأشد ما كانوا حتى بلغ بالمسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وأجمعت قريش في[6] مكرها، [7]أن يقتلوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم، جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شعبهم[8]، ويمنعوه ممن أراد قتله. فاجتمعوا على ذلك، مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله

---

(١) في أ (عبد الله صالحاً) وفي ك (عبد الله صالح) وفي ط (عبد الله الصالح) وقد أثبتنا ما في متن صحيح مسلم.

(٢) رواها البخاري بلفظ: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة). كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ١٩١/٧ (٣٨٧٧) من الفتح. ومسلم، واللفظ له، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، ٦٥٧/٢ (٩٥٢).

(٣) في ك و ط (أخاً لكم). وهذا لفظ مسلم.

(٤) رواها مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، ٦٥٧/٢ (٩٥٣) بمثلها.

(٥) في ك و ط زيادة (قصة الصحيفة).

(٦) سقطت (في) من ط.

(٧) في ط زيادة: (على).

(٨) الشعب: هو الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض، والمراد به هنا: شعب بني هاشم بن عبد مناف، وقد كان منزل بني هاشم. غير مساكنهم، وهو الذي يعرف بشعب ابن يوسف.
انظر: سبل الهدى والرشاد ٥٠٩/٢.

إيماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، واجتمعوا على ذلك، [1] اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا[2] أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للقتل، وكتبوا[3] في مكرهم صحيفة وعهوداً[4] ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلم يتركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً، إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ».

زاد ابن إسحاق في روايته قال: «حتى كان يسمع صوت[5] صبيانهم يتضاغون[6] من وراء الشِّعب من الجوع، وعَدَوْا[7] على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة، وزلزلوا

(١) في ك و ط زيادة (واو).

(٢) في ط (أجمعوا).

(٣) الكاتب هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، قال ابن هشام: ويقال: (النضر بن الحارث) والمشهور أنه منصور بن عكرمة، وهو الذي شلّت يده، فما كان ينتفع بها، وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة.
انظر: السيرة لابن هشام ٣٧٦/١. والسيرة لابن كثير ٤٨/٢.

(٤) في أ و ك (عهود) بغير النصب كما في ط.

(٥) في ك و ط (تسمع أصوات).

(٦) **يتضاغون**: يبكون ويصيحون.
انظر: اللسان ٤٨٥/١٤، مادة ضغا.

(٧) في ك و ط (وغدوا) بالغين المعجمة.
مفرده: عدا، أي ظلم وتجاوز الحد، وهو عاد، والجمع: عادون.
انظر: المصباح ص ٣٩٧.

زلـزالاً شديـداً». قال[1] مـوسى بن عقبة ــ في تمـام حديثـه ــ : «وكان أبـو طالب إذا أخـذ الناس مضـاجعهم، أمر رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد مكراً به واغتياله، فإذا نوّم[2] الناس أمر أحد بنيه، أو إخوته، أو بني عمـه، فاضـطجع على فـراش رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأمر رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين، تلاوم رجال من بني عبد منـاف، ومن بني قصي، ورجـال سواهم من قـريش، قـد ولـدتهم نسـاء بني هـاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع[3] أمرهم من[4] ليلتهم، على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله ــ عـز وجـل ــ على صحيفتهم التي فيهـا المكـر برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الأرضة[5]، فلحست[6] كل ما كـان فيهـا من عهد وميثـاق. ويقال كـانت معلقـة في سقف البيت، فلم تتـرك

---

(١) في ك و ط زيادة (قال) أخرى.

(٢) صيغة مبالغة من: نام.

(٣) في أ (واجتمعوا) وما أثبتناه من ك و ط أصح.

(٤) سقطت (من) من ط.

(٥) الأرضة: دودة بيضاء شبه النمل تظهر في أيام الربيع، وهي ضربان:
١ ــ صغار مثل كبار الذر، وهي آفة الخشب خاصة.
٢ ــ ومثـل كبار النمـل ذوات أجنحة، وهي آفـة كل شيء من خشب أو نبـات غير الرطب.
انظر: اللسان ١١٣/٧، مادة أرض.

(٦) من لحس الدود الصوف لحساً، إذا أكله.
انظر: المصباح المنير ص ٥٥٠.

اسماً لله ـ عز وجل ـ فيها إلا لحسته، وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم. وأَطْلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأبي طالب. فقال أبو طالب: «لا والثواقب[1]، ما كذبني»[2] فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل[3] من قريش، فلما رأوهم عامدين[4] بجماعتهم، أنكروا ذلك، وظنوا أنهم أخرجوا[5] من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فتكلم أبو طالب فقال: «قد حدثت أمور بينكم. لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بينكم وبيننا صلح». وإنما قال ذلك[6]، خشية أن ينظروا في صحيفتهم[7] قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها، لا يشكون أن الرسول مدفوع[8] إليهم فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا، وترجعوا إلى أمر، يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد، جعلتموه خطراً[9]، لهلكة

---

(١) الثواقب: النجوم، جمع ثاقب، وهو النجم المضيء.
(٢) ما كذبني: ما حدثني بحديث كذب.
انظر: سبل الهدى والرشاد ٥١١/٢.
(٣) أي مجتمعون فيه.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٢.
(٤) عامدين: قاصدين.
انظر المصدر السابق ص ٤٢٨.
(٥) في ك و ط (خرجوا).
(٦) سقطت (ذلك) من أ.
(٧) في ك و ط (الصحيفة).
(٨) في أ و ك (مدفوعاً) والصواب الرفع كما في ط وهو ما أثبتناه.
(٩) الخطر: الإشراف على الهلاك.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٠.

قومكم وعشيرتكم وفسادهم[1]. فقال أبو طالب: «إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نَصَف[2]، فإن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: أن الله ـ عز وجل ـ بريء من هذه الصحيفة، التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا، وتظاهركم[3] علينا بالظلم[4]، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال، فأفيقوا[5]، فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو[6] استحييتموه». قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة، فوجدوا الصادق المصدوق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب. قالوا: والله إن

---

(١) في ك (وفسادتكم) وفي ط (وفساد دينكم).

(٢) **فيه نصف**: فيه عدالة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٣.

(٣) **تظاهركم**: تعاونكم.
انظر: مختار الصحاح ٤٠٦.

(٤) الذي ورد في رواية ابن إسحاق أن المطعم بن عدي لما قام إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلَّا (باسمك اللهم) وقال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لأبي طالب: (يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلَّا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان...). وقد جمع الإمام محمد بن يوسف الصالحي بين هاتين الروايتين بأنهم: كتبوا نسخاً فأكلت الأرضة من بعض النسخ اسم الله ـ تعالى ـ، إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ كره فعلهم ذلك فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم، وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله ـ تعالى ـ إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ لم يرضَ هذا الفعل ـ والله أعلم بحقيقة ذلك.
انظر: السيرة لابن هشام ١٦/٢؛ وسبل الهدى والرشاد ٥٠٨/٢.

(٥) **أفيقوا**: استيقظوا وراجعوا عقولكم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨٤.

(٦) في أ (واستحييتموه) بالعطف، والصواب التخيير كما في ك و ط.

كان هذا إلَّا سحر[1] من صاحبكم، فارتكسوا[2] وعادوا لشر ما كانوا[3] عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسلمين، وعلى رهطه، والقيام بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالسحر والكذب غيرنا، فكيف[4] ترون؟ فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت[5] والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر، لم تفسد صحيفتكم، وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسم، وما كان فيها من بغي تركه. أفنحن السحرة أم أنتم؟.

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف، وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء[6] بني هاشم. منهم أبو البختري[7]، والمطعم بن عدي[8]،

---

(١) في ط (سحراً).

(٢) **من الركس**: وهو رد الشيء مقلوباً، وبابه نصر.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٤.

(٣) في ط (وعادوا شراً مما كانوا).

(٤) في ك و ط سقطت الفاء الأولى من (فكيف).

(٥) **الجبت**: الصنم والكاهن والساحر، والسحر، والذي لا خير فيه.
انظر: ترتيب القاموس ٤٣٥/١.
في ك و ط (الخبث).

(٦) في ط زيادة (من).

(٧) **أبو البختري**: هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، قتل يوم بدر سنة ٢هـ كافراً، قتله المجذر بن ذياد ـ بالذال المعجمة ـ البلوي ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٢٨٣/١ و٣٦٦/٢؛ وأسد الغابة ٢٨٨/٤ ـ ٢٨٩.

(٨) **المطعم بن عدي**: هو ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي، هو الذي أجار رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عندما رجع من الطائف، في المحاولة ـ غير الناجحة ـ =

وزهير بن أبي أمية ابن المغيرة[1]، وزمعة بن الأسود[2]، وهشام بن عمرو[3]، وكانت الصحيفة عنده، وهو من بني عامر بن لؤي[4] في رجال من أشرافهم ووجهوهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قد قُضي بليل.

وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر في شأن صحيفتهم، ويمتدح النفر الذين تبرؤا[5] منها ونقضوا ما كان فيها من عهد، ويمتدح النجاشي[6]. قال موسى بن عقبة: فلما أفسد الله صحيفة مكرهم، خرج

= لدعوة ثقيف، مات المطعم قبل الهجرة، وبكاه حسان بن ثابت.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٨٥ و ٢/١٤ ــ ٢٠.

(١) **زهير بن أبي أمية بن المغيرة**: هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأمه: عاتكة بنت عبد المطلب، وقد أجارته أم هانىء بنت أبي طالب هو والحارث بن هشام يوم الفتح، وقد بايع رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ يوم حنين، وأعطاه من الغنائم.
السيرة لابن هشام ٢/١٤ و ٤/٥٣ ــ ٥٤ و ١٣٧ ــ ١٣٨؛ وأسد الغابة ٢/١٠٩.

(٢) **زمعة بن الأسود**: هو ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أصيب يوم بدر مع أخويه عقيل والحارث، وقد قتله ثابت بن الجذع أخو بني حرام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي وثابت. السيرة لابن هشام ٢/١٥ و ١٢٥ و ٣٠٢ و ٣٦٦.

(٣) **هشام بن عمرو**: هو ابن ربيعة بن الحارث بن حنيف أو حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، ذكره ابن إسحاق في المؤلفة ممن أعطاه الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ دون المائة من غنائم حنين، كان كثر التردد على بني هاشم في الشعب وذكر ابن إسحاق قصته في نقض الصحيفة ومخاطرته في ذلك بنفسه ــ رحمه الله ــ.
انظر: أسد الغابة ٤/٦٢٨؛ والإصابة ٣/٦٠٥ ــ ٦٠٦.

(٤) **عامر بن لؤي**: هو ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢.

(٥) في أ: (تبرأ) وظاهر أن الواو سقطت نسخاً.

(٦) وهي اللامية، وأولها:
خَلِيْلَيَّ ما أذني لأول عاذل   بصغواء في حق ولا عند باطل =

النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[1] فعاشوا وخالطوا الناس»[2].

وفي صحيـح البخـاري عن عبـد الله بن مسعـود[3] قـال: «انطلق سعـد بن معاذ معتمـراً، فنـزل على أميـة بن خلف، أبي صفـوان، وكـان أميـة بن خلف إذا انطلق إلى الشـام فمر بـالمدينـة، نـزل على سعـد بن معاذ. فقال[4] لأميـة: «انظر لي سـاعة خلوة، لعلي أن أطـوف بالبيت»، قال: انتظر، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فـطفت. قال: فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبـوجهل، فقال: يا أبـا صفوان من هـذا[5] معك؟ قـال: هذا سعـد. فقال أبـو جهـل: ألا أراك تـطوف

= خـليلي إن الـرأي لـيس بشـركـة ... ولا نهنـه عنـد الأمـور البـلابـل
ولمـا رأيت القـوم لا ود عنـدهـم ... وقـد قطعـوا كل العـرى والوسـائـل

وقد ذكر منها ابن كثير ٨٣ بيتاً، قال ابن هشام: «هذا ما صح لي من هـذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها»، قـال ابن كثير: «هـذه قصيدة عـظيمة بليغـة جداً... وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى منهـا جميعاً». وقد انتقده د. مصطفى عبد الواحـد على هذا الـرأي، ثم عَذَره بـأنه ليس من أهـل النقد أو الخبـرة بالشعـر، ثم قال: «والـقصيـدة تخلو من طابـع ذلـك العصـر في الألفـاظ والمعاني والأساليب».

انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٩٩.

وانظر: السيرة لابن كثير ١/٤٨٦ ــ ٤٩١؛ وسبل الهدى والرشاد ٢/٥٠٦.

(١) في ط زيادة (ومن معه).

(٢) انظر: الدلائل للبيهقي ٢/٣١١ ــ ٣١٥؛ والسيرة لابن هشام ٢/١٤ ــ ١٧؛ وتاريخ الأمم والملوك ٢/٣٤١ ــ ٣٤٣.

(٣) هو ابن غافـل بن حبيب الهذلي، أبـو عبد الـرحمن، من السابقين الأولين ومن كبـار العلمـاء من الصحابـة، مناقبـه جمة، وأمّـره عمر على الكـوفـة، ومـات سنـة ٣٢هـ بالمدينة.

انظر: تقريب التهذيب ١/٤٥٠؛ وأسد الغابة ٣/٢٨٠ ــ ٢٨٦.

(٤) في ك و ط زيادة (سعد).

(٥) في ط زيادة (الذي).

بالبيت آمناً وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً. فقال له سعد ـ وقد رفع صوته عليه ـ : لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة.

قال: فقال له أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، سيد أهل الوادي. فقال[١] سعد: دعنا منك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: إنه قاتلك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، وقال: والله ما يكذب محمد، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري إلى ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي، فقلت له: بمكة؟ فقال: لا أدري. فقالت[٢]: والله ما يكذب محمد، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنصر[٣] أبو جهل [٤]* الناس فقال: أدركوا عيركم، قال: فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل * فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت ـ وأنت سيد أهل الوادي ـ تخلَّفوا معك، فلم يزل أبو جهل حتى قال: إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة[٥]. قال[٦]: يا أم صفوان

---

(١) في ك زيادة (له).
(٢) في أ (وقال) والأصوب هو ما في ك وط وهو المثبت.
(٣) في ك وط (ستنفر).
(٤) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك وط.
(٥) يعني: فاستعد عليه للهرب إذا خفت شيئاً.
انظر: الفتح ٢٨٤/٧.
(٦) في ك وط زيادة (أمية).

جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان قد[1] نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز[2] معهم إلاَّ قريباً. قال: فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلاً إلاَّ عقل بعيره، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر[3].

وعن كعب بن مالك قال: كان أبي بن خلف [4]أخو بني جمع[5]، قد حلف وهو بمكة، ليقتلن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فلما بلغت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حلفته، قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ عز وجل ـ». فأقبل أبي مقنعاً[6] في الحديد، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريد

---

(١) في ك و ط (أوقد).

(٢) **أجوز**: أسير.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري بمثله، في روايتين، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٦/٦٢٩ (٢٦٣٢) من الفتح، وكتاب المغازي. باب ذكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من يقتل ببدر، ٧/٢٨٢ (٣٩٥٠) من الفتح، كما أخرج قصة قتله ببدر، في كتاب الوكالة. باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب...، ٤/١٤٨٠ (٢٣٠١) من الفتح.

(٤) أبي بن خلف: هو ابن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده ـ كما في هذا الحديث ـ في غزوة أحد سنة ٣هـ.
انظر: السيرة لابن هاشم ٣/١٣٥.

(٥) **بنو جمح**: بطن من قريش، وجمح: هو ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٩١.

(٦) **مقنعاً**: مغطياً رأسه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٥٣.

قتله، فاستقبله مصعب بن عمير[1] من[2] بني عبد الدار[3] يقي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير. وأبصر النبي[4] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ترقوة[5] أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع[6] والبيضة[7]، فطعنه فيها بحربته[8]، فوقع أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك! إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أنا أقتل أبياً»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز[9] لماتوا أجمعون،

---

(١) **مصعب بن عمير**: هو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، العبدري، أبو عبد الله، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، قتل بأحد شهيداً قتله ابن قمئة الليثي، وله ٤٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٤/٤٠٥ ــ ٤٠٦؛ والإصابة ٣/٣٢١.

(٢) في ك و ط (أخو).

(٣) **عبد الدار**: هو ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢/١٤.

(٤) في ك و ط (رسول الله).

(٥) **الترقوة**: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ــ ولا تُضم التاء ــ.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٧.

(٦) أي: الدرع الواسعة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٨٤.

(٧) أي: الخوذة من الحديد.
انظر: اللسان ٧٠/١٢٧ مادة بيض.

(٨) **الحربة**: آلة يقاتل بها.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦١٠.

(٩) **ذو المجاز**: موضع سوق بعرفة بمكة، على ناحية ماء يقال له: كبكب على مسافة ثلاثة أميال من عرفة، كانت تقوم به سوق في الجاهلية لمدة ثمانية أيام.
انظر: معجم البلدان ٥/٥٥.

فمـات إلى النـار»[1]. ورواه مـوسى بن عقبـة، عن ابـن [2] شهـاب الزهري، عن سعيد بن المسيب[3]، [4]وذكره الواقدي[5] بإسناده، وهـذا لفـظه[6]. وهو مما ذكره عـروة بن الزبير في مغازيـه، وابن إسحـاق[7] وغيره[8].

وذكر موسى بن عقبة في مغازية أن عمير بن وهب الجمحي[9] لما رجع فَلُّ[10] المشركين إلى مكة وقـد قتل الله من قتـل منهم، أقبل عميـر

---

(١) انظر: الدلائل للبيهقي ٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩. من رواية عروة بن الزبير؛ والدلائل لأبي نعيم ٢/٦٢٠ ـ ٦٢١ من رواية عروة كذلك.

(٢) سقطت ألف (ابن) في أ.

(٣) وأخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٤٦. من رواية سعيد بن المسيب.

(٤) هو ابن حَزْن (على وزن سهل وبضد معناه) ابن أبي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات سنة ٩٤هـ وله ٧٩ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٠٦؛ والكاشف ١/٣٧٢.

(٥) **الواقدي**: هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم، الواقدي، المدني، أبو عبد الله، القاضي، صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم ـ على ضعفه ـ كان جواداً مشهوراً بالسخاء، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد، ومات وهو على القضاء سنة ٢٠٧هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٦٢ ـ ٦٦٦؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٦١.

(٦) المغازي للواقدي ١/٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٧) السيرة لابن هشام ٣/٨٩.

(٨) في ك و ط (وغيرهما) بالمثنى.
انظر: السيرة لابن كثير ٥/٦٣ ـ ٦٤.

(٩) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، أبو أمية، كان له قدر وشرف في قريش. وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف، أسلم ودعا إلى الإسلام في مكة، وشهد غزوة تبوك.
انظر: أسد الغابة ٣/٧٩٧؛ والبداية والنهاية ٥/٨.

(١٠) هم المنهزمون.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١٢.

حتى جلس إلى صفوان[1] بن أمية في الحِجْر[2]. فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر. قال: أجل والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئاً، لرحلت إلى محمد فقتلته، إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها، أقول قدمت على ابني [3]أفدي هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله، وقال له: عليّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة. فحمله صفوان وجَهَّزَه، وأمر بسيف عمير فصقل وسُمّ، فأقبل عمير حتى قدم المدينة، فنزل بباب المسجد، وعَقَل راحلته، وأخذ السيف فعمد لرسول[4] الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فنظر عمر بن الخطاب إليه[5] وهو في نفر من الأنصار يتحدثون. فقال عمر: «عندكم الكلب، هذا عدو الله، الذي حرش بيننا

(١) صفوان: هو ابن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشي، الجمحي، المكي، صحابي، من المؤلفة، مات أيام قتل عثمان، وقيل سنة ٤١هـ أو ٤٢هـ في أوائل خلافة معاوية ـ رضي الله عنهم ـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٦٧.

(٢) أي: حِجْر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٢١.

(٣) في ك و ط (أنني).
هو وهب بن عمير بن وهب الجمحي، شهد بدراً مع المشركين، ثم أسلم، وأرسله النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم الفتح إلى صفوان بن أمية الجمحي يؤمنه ويدعوه إلى الإسلام. قال الحافظ ابن حجر: «والمعروف أن هذه القصة لأبيه. عمير بن وهب... وذكره البخاري في الصحابة ولم يورد له شيئاً ومات وهب بالشام مجاهداً».
انظر: أسد الغابة ٤/٦٨٦؛ والإصابة ٣/٦٤٣.

(٤) في ط (إلى رسول الله).

(٥) تقدمت (إليه) قبل (عمر) في ك و ط.

يـوم بدر، وحـزرنا[1] للقـوم»، ثم قام عمـر حتى دخـل على رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إلى أن قـال: قـال[2] رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «مـا أقـدمـك»؟ قـال: أسيـري عنـدكم ففـادونـا[3] في أُسرائنا، فإنكم العشيرة والأهل. قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال عمير: قبحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا شيئاً؟ إنمـا نسيته في عنقي حين نـزلت. فقال لـه رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «أصـدقني مـا أقدمـك؟» قـال: مـا قـدمت إلاَّ في أسيـري. قـال: «فمـاذا شـرطت لصفوان بن أمية في الحِجْـر؟». ففزع عميـر وقال: مـاذا شرطت؟ قـال: «تحملت له بقتلي، على أن يعول بيتك ويقضي دينك، والله حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وأن لا إلَـه إلاَّ الله، كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيـك من السماء، وهـذا الحديث كـان بيني وبين صفوان في الحجر، لم يطلع عليه أحد غيري وغيـره، فأخبـرك الله به». وذكر بقية الحديث[4].

---

(١) من الحزر، وهو التقدير والخرص.
انظر: مختار الصحاح ص ١٣٣.

(٢) في ك زيادة: (وذكر الحديث إلى أن قال: قاله له). وفي ط: (وذكر الحديث إلى أن قال له).

(٣) في ك و ط (ففادنا).

(٤) السيـرة لابن هشام ٢/٣١٦ ــ ٣١٨، مـرسلاً، قـال ابن حجر في الإصـابة ٣/٣٧: وجاء من وجه آخر موصولاً، أخرجه ابن منده من طريق أبـي الأزهر، عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن أبـي عمران الجوني، عن أنس أو غيره، وقال ابن منـده: «غريب لا نعرفه عن ابن عمران إلاَّ من هـذا الوجـه». قال الهيثمي: «رواه الـطبراني ــ أي: عن محمـد بن جعفر بن الـزبير ــ مـرسلاً وإسنـاده جيد»، ثم أورد لـه روايـة أخرى، وقال بعدها: «رواه الطبراني ورجاله رجـال الصحيح». وقـد رواها الـطبراني عن أبـي عمران الجوني، قال: «لا أعلمه إلاَّ عن أنس . . .».
انظر: المجمع ٨/٢٨٦ ــ ٢٨٧. وقد حرف فيـه اسم (الجوني) إلى (الحـولي) وهو =

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «بعث رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أقواماً من بني سُلَيم[1] إلى بني عامر[2] في سبعين[3]. فلما قدموا قال لهم خالي[4]: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وإلَّا كنتم مني قريباً. [5]، فأمنوه. فبينما هو يحدثهم عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذ أومأوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه[6]، قال[7] : «فزت ورب الكعبة»، ثم مالوا

= عبد الملك بن حبيب الأزدي ــ ١٢٨هـ؛ تقريب التهذيب ١/١٥٨.

(١) بنو سليم: نسبة إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة مشهورة، والمنتسب إليها لا يحصون.
انظر: اللباب ٢/١٢٩.

(٢) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٣ و ٢٨٢ و ٢٨٥.

(٣) ذكر الحافظ أن هنا وهما: حيث إن المبعوث إليهم بنو عامر، وأما بنو سليم فغدروا بالقراء وهم السبعون، والوهم في هذا السياق من حفص بن عمر شيخ البخاري. قال: «ولعل الأصل: (بعث أقواماً معهم أخو أم سليم إلى بني عامر). فصارت من بني سليم، وقد تكلف لتأويله بعض الشراح . . .».
انظر: الفتح ٦/١٩.

(٤) هو حرام بن ــ ملحان ــ مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، شهد بدراً واحداً، وقتل يوم بئر معونة ــ كما في هذا الحديث ــ سنة ٤هـ.
انظر: أسد الغاب ١/٤٧٣؛ والسيرة لابن كثير ٣/١٣٩ ــ ١٤٤.

(٥) في ك و ط زيادة (فتقدم).

(٦) يفسر ذلك روايتا الطبري عن جبار بن سلمى، قال: (. . . إني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمخ بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره. . .)، وقول أنس: (. . . فخرج رجل من كِسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر. . .). انظر: تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٤٨ و ٥٥٠.

(٧) في ك و ط (فقال).

على بقية أصحابه فقتلوهم، إلَّا رجل[1] أعـرج صعد الجبـل وآخر معـه، فـأخبـر جبـريـل النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ أنهم قـد لقـوا ربهم، فرضي الله[2] عنهم، وأرضاهم، فكنا نقرأ: (أن بلغوا عنا قـومنا إنـا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نسخ[3]، فدعا عليهم أربعين صبـاحاً، على رِعْــل[4] وذكــوان[5]، وبني لِحْيــان[6] وعُصَيَّــة[7] الــذين عصــوا الله ورسوله[8]. وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة[9]ــــــــــــــــ

---

(١) في ك و ط (رجلًا). ومـا في أ مـوافق للفظ البخـاري. الحـديث رقم (٢٨٠١) من الفتح.

(٢) لم يرد اسم الجلالة المعظم في أ.

(٣) في ك و ط زيادة (بعد).

(٤) **رِعْـل**: هم بطن من بني سليم، ينتسبـون إلى رعـل بن عـوف بن امـرىء القيس من بهتة بن سليم، والنسبة إليهم: رعلي.
انظر: الفتح ١٩/٦؛ واللباب ٣١/٢.

(٥) **ذكوان**: بطن كبيـر من سليم بن منصور بن عكـرمة بن خصفـة بن قيس عيلان، وهـو ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم.
انظر: اللباب ٥٣١/١.

(٦) هـم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ و ١٩٦.

(٧) **عصيـة**: هم بـطن من امـرىء القيس بن بهتـة، وهم بنـو عصية بن خفـاف امـرىء القيس بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١.

(٨) رواه البخـاري بمثله، كتاب الجهـاد، بـاب من ينكب في سبيـل الله، ١٨/٦ ــ ١٩ (٢٨٠١) من الفتـح. ومسلم، بمعنـاه، كتاب الإمـارة، بـاب ثبـوت الجنـة للشهيـد ١٥١١/٣ (٦٧٧).
في ط (لأنـظـر إليه بين السماء والأرض).

(٩) **عـامر بن فهيـرة**: هو أبـو عمرو، مـولى أبـي بكر الصـديق، وكان مـولّد من مـولدي الأزد، أسود اللـون، مملـوكاً لأخي عـائشة لأبيهـا، كان من السـابقين إلى الإسلام، شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة سنة ٤هـ وله ٤٠ سنة.
انظر: أسد الغابة ٣٢/٣ ــ ٣٣.

قال عنه عامر بن الطفيل[1]، لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض»[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي[3] قال: خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة تبوك، فأتينا وادي القرى[4] على حديقة[5] لامرأة، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) لم يذكر نسبه، ذكره الطبري والترمذي في الصحابة، وأورده المستغفري في ترجمة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي. وهو خطأ صريح، فإن هذا مات كافراً، وقصته معروفة، والظاهر أن المذكور (أسلمي) إن صح الحديث الذي رواه الطبري والبغوي في ترجمة عامر بن مالك. قال عبد الله بن بريدة الأسلمي: حدثني عمي عامر بن الطفيل...

انظر: الإصابة ٢٥١/٢.

(٢) في ط (لأنظر إليه بين السماء والأرض).

الذي عند البخاري هكذا: (وعن أبي أسامة، قال: قال هشام بن عروة فأخبرني أبي، قال: «لما قتل الذين ببئر معونة، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: ــ أي ابن مالك بن جعفر الكلابي (الغادر) ــ من هذا؟ فأشار إلى قتيل. فقال له عمرو بن أمية ــ وهو الوحيد الذي لم يقتل ــ: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع). وهذه الرواية في البخاري تابعة للحديث رقم (٤٠٩٣) من باب غزوة الرجيع، كتاب المغازي ٣٨٩/٧ من الفتح.

(٣) **أبو حميد الساعدي**: هو المنذر بن سعد بن المنذر ــ أو ابن مالك ــ قيل: اسمه، عبد الرحمن، وقيل: عمرو، صحابي مشهور شهد أحداً وما بعدها، وعاش إلى خلافة يزيد سنة ٦٠هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٤١٤/٢؛ وأسد الغابة ٧٨/٥.

(٤) هو: واد بين المدينة والشام، من أعمال (مناطق) المدينة، كثير القرى.

انظر: مراصد الاطلاع ١٤١٧/٣.

(٥) قال البخاري: «قال أبو عبد الله ــ يعني نفسه ــ: كل بستان عليه حائط فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة».

انظر: الفتح ٣٤٤/٣.

وسلّم ــ : «أخرصوها»[١] فخرصناها، وخرصها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشرة أوسق[٢]. قال: «أحصيها[٣] حتى نرجع إليك ــ إن شاء الله تعالى[٤]ــ» فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ستهب عليكم ــ الليلة ــ ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد[٥]، فمن كان له بعير، فليشد عقاله» فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء »[٦].

وروى[٧] الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليَسَر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو، أحد

---

(١) من الخرص، وهو حزر ما على النخل من الرطب تمراً.
انظر: الفتح ٣/٣٤٤.

(٢) الوسق: ستون صاعاً، بصاع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو خمسة أرطال وثلث.
انظر: اللسان ٣٧٨/١٠، مادة وسق.

(٣) في ك و ط (أحصها).
أي: احفظي عدد كيلها، وأصل الإحصاء: العدد بالحصى، لأنهم كانوا لا يحسنون الكتابة، فكانوا يضبطون العدد بالحصى.
انظر: الفتح ٣/٣٤٥.

(٤) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٥) في ك و ط زيادة (منكم).

(٦) جبل طيء، هما أجأ وسلمى، بينهما وبين المدينة ثلاث مراحل (٥٠٠ كلم تقريباً)، وطيء: هو جلهمة بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.
انظر: معجم البلدان ١/٩٤ و٩٧.
رواه البخاري، بمثله، كتاب الزكاة باب خرص التمر، ٣/٣٤٣ (١٤٨١) من الفتح.
ومسلم بمثله، كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٤/١٧٨٥ (١٣٩٢).

(٧) في أ (ورواه) وهو تحريف ظاهر.

بني سلمة(١). فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (كيف أسرته يا أبا اليَسَر)(٢)؟ فقال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وقال للعباس: «يا عباس، أفد نفسك، وابن(٣) أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث(٤) وحليفك عتبة بن جحدم(٥) أخو بني الحارث(٦) بن فهر»(٧). قال: فإني قد كنت مسلماً

(١) **أبو اليَسَر**: هو كعب بن عمرو بن عباد، السلمي، الأنصاري، صحابي بدري جليل، مات بالمدينة سنة ٥٥هـ وقد زاد على المائة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٣٥.

(٢) سبب هذا السؤال ما روي أن ابن عباس قال: «قلت لأبي: كيف أسرك أبو اليسر، ولو شئت لجعلته في كفك؟ قال: يا بني لا تقل ذاك، لقد لقيني وهو أعظم في عيني من الخَنْدَمَة»، قال الهيثمي: «رواه الطبراني والبزار، وفيه علي بن زيد وهو سيِّىء الحفظ، وبقية رجاله وثقوا». والخندمة: جبل بمكة. وقد كان العباس طويلاً جسيماً، وكان أبو اليسر قصيراً. فقد روي عن جابر: أسر العباس فلم يوجد له قميص يقدر عليه»، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن خالد وهو ضعيف، وقد وثق».
انظر: المجمع ٦/٨٥؛ وأسد الغابة ٤/١٨٤.

(٣) في ك و ط (وابني) بالتثنية.

(٤) **نوفل بن الحارث**: هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، يكنى أبا الحارث، وهو ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان أحسن أخوته، ومن سائر من أسلم من بني هاشم، آخى الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بينه وبين العباس، وكان ممن ثبت يوم حنين، وتوفي بالمدينة سنة ١٥هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٥٩٤؛ والإصابة ٣/٥٧٧؛ والبداية والنهاية ٧/٦٢.

(٥) هو عتبة بن عمرو بن جحدم.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٧.

(٦) سقط من ط قوله: (وحليفك عتبة بن جحدم أخو بني الحارث) وبقيت (ابن فهر).

(٧) هم بنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قبل ذلك وإنما استكرهوني. قال: «الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك» وقد كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أخذ منه عشرين أوقية[1] ذهباً. فقال: يا رسول الله، أحسبها لي من فداي. قال: «لا، ذلك شيء أعطانا الله منك». قال: فإنه ليس لي مال. قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت عند أم الفضل[2]، وليس معك أحد غيركما؟ فقلت: إن أصبت في سفري هذا، فللفضل[3] كذا، ولقُثَم[4] كذا، ولعبد الله كذا؟» قال: فو الذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها وأني أعلم أنك لرسول الله[5].

= انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ و ١٧٦.

(١) الأوقية سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءاً.
انظر: اللسان ١٥/٤٠٤، مادة وقي.

(٢) هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، زوج العباس، وأخت ميمونة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال ابن حبان: «ماتت بعد العباس في خلافة عثمان».
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦١٣.

(٣) **الفضل**: هو ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأكبر ولد العباس، استشهد في خلافة عمر.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١١٠.

(٤) **قثم**: هو ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي، صغير، مات سنة ٥٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٣٥٣، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه راو لم يُسَم، وبقية رجاله ثقات. ولبعضه شاهد عند أحمد بلفظ: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله ليس هذا أسرني، أسرني رجل من القوم أنزع، من هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (قد آزرك الله بملك كريم). قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٦/٨٥ ـ ٨٦.

وفي صحيح البخاري: لما أرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجيش في غزوة مؤتة، وأَمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحه»[1].

فروى[2] البخاري عن أنس بن مالك، قال: نعى[3] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر، فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فأصيب، وإن عيني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[4].

• • •

---

(١) جاء هذا النص في ك و ط مع زيادة في آخره هكذا (عن نافع عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فإن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة). قال ابن عمر: «كنت معهم ففتشته يعني ابن رواحة فوجدنا فيما أقبل من جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنة ورمية».
رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٧/٥١٠ (٤٢٦١) من الفتح. ورواه أحمد في المسند ٥/٣٠٠.

(٢) في ك و ط (وروى).

(٣) أي: أخبرهم بموته.
انظر: الفتح ٧/٥١٢ ـ ٥١٣.

(٤) رواه البخاري، وليس فيه التصريح بالاسم (خالد بن الوليد) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ـ رضي الله عنه ـ ٧/١٠٠ (٣٧٥٧) وفي المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ٧/٥١٢ (٤٢٦٢) من الفتح.

فـصـل

آيات النبي المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير

وآياته[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المتعلقة[2] بالقدرة والفعل والتأثير أنواع، الأول منها: ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر[3] * وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة[4] لما بعث، كمعراجه إلى السماء * فقد ذكر الله[5] انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

أحدهما[6]: كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفَلَك[7]، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء، من انشقاق السموات، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) في ك و ط (المعلقة).

(٣) ما بين النجمتين تقدم في أ فجاء بين كلمة (والتأثير) وكلمة (أنواع).

(٤) في أ (الثابتة).

(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

(٦) في ط (إحداهما).

(٧) أي الإجرام السماوية.

جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ [1] ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾[2].

فـذكر اقتـراب الساعـة وانشقاق القمـر، وجعل الآيـة في انشقـاق القمـر[3] دون الشمس وسـائـر الكـواكب، لأنـه أقـرب إلى الأرض من الشمس والنجـوم[4]، وكان الانشقـاق فيه دون سـائر أجزاء الفَلَك، إذ هو الجسم المستنيـر الذي يـظهر فيـه[5] الانشقاق، لكـل من يـراه، ظهـوراً لا يتمـارى فيه، وأنـه ــ نفسـه ــ إذا قبـل الانشـاق فقبـول[6] محله أولى بـذلك، وقـد عاينـه النـاس وشـاهـدوه. وكـان النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ يقـرأ بهذه السـورة في المجـامـع الكبـار، مثـل صـلاة الجمعـة والعيدين، ليسمع الناس ما فيهـا من آيات النبـوة ودلائلها، والاعتبـار بما فيهـا، وكل النـاس يقر بـذلك ولا ينكـره، فعلم أن انشقـاق القمـر كـان معلوماً عند الناس عامة.

وفي صحيح مسلم: أن عمر بن الخطاب سأل أبـا واقد الليثي[7]:

---

(١) أي: واعظ لهم عن التمادي في الكفر والضلال.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٨٤.
(٢) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٧.
(٣) سقطت (القمر) من ك.
(٤) فمتوسط بعد القمر عن الأرض مائتين وثمانية وثـلاثين ألف ميل، بينمـا تبعد الشمس عن الأرض واحداً وتسعين مليون ونصف مليون ميل.
انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٥٠٠.
(٥) في ط (يظهر الانشقاق فيه).
(٦) في ط (فقبوله).
(٧) هو الحارث بن عوف، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني، اختلف في شهوده بدراً، يعد في أهل المدينة، جاور بمكة سنة ومات بها، ودفن في =

«ما كان يقرأ به[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الأضحى والفطر»؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ (قاف[2] والقرآن المجيد) واقتربت الساعة وانشق القمر»[3].

ومعلوم بالضرورة في مُطَّرِد العادة، أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك، فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين. ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له، واتباعهم إياه. فلو لم يكن انشق، لما كان يخبر به ويقرؤه على جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «إن أهل مكة سألوا نبي الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين»[4].

= مقبرة المهاجرين بفَخّ سنة ٦٨هـ وله ٧٥ أو ٨٥ سنة.
انظر: أسد الغابة ٣٢٥/٥؛ والإصابة ٢١٥/٤ ـ ٢١٦.

(١) سقطت (به) من ك.

(٢) في ط فيها بـ (ق).

(٣) رواه مسلم بمثله، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين. ٦٠٧/٢ (٨٩١).

(٤) في ك و ط (فرقتين).
رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، ٢١٥٩/٤ (٢٨٠٢). وهو بهذا اللفظ ليس عند البخاري.
قال الحافظ ابن حجر: «قال العماد ابن كثير: في الرواية التي فيها (مرتين) نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين. قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات، ثم راجعت نظم شيخنا ـ يقصد: الحافظ أبا الفضل، ـ فوجدته ـ يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:
فصار فرقتين فرقة علت وفرقة للطَّوْد منه نزلت
وذاك مرتين بالإجماع والنص والتواتر والسماع
فجمع بين قوله: (فرقتين) وبين قوله: (مرتين) فيمكن أن يتعلق الإجماع بأصل =

وعنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين»[1].

ورواه الترمذي، وزاد فيه[2]: فنزلت:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ . . .﴾.

إلى قوله ــ تعالى ــ:

﴿. . . سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[3].

يقول: ذاهب[4].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شِقَّتين[5]، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «اشهدوا»[6].

= الانشقاق، لا بالتعدد. . . وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر بحجج لا تستحق أن يلتفت إليها».
انظر: الفتح ٧/١٨٣ و ١٨٥.

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر، ٧/١٨٢ (٣٨٦٨) من الفتح. ورواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، ٤/٢١٥٩ (٢٨٠٢).

(٢) في ك و ط (زاد الترمذي).

(٣) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر، ٥/٣٩٧ (٣٢٨٦) بلفظ (مرتين). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) الشِّقة: نصف الشيء.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٣.

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة اقتربت الساعة، باب: «وانشق القمر» «وإن يروا آية يعرضوا»، ٨/٦١٧ (٤٨٦٤) من الفتح. ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٤/٢١٥٨ (٢٨٠٠).

وعن ابن مسعود ـ أيضاً ـ قال: «رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة، قبل مخرج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شِقَّة على جبل أبي قُبَيس[1]، وشقة على السّويداء[2]، فقال كفار قريش ـ أهل مكة ـ هذا سحر، سحركم به ابن أبي كبشة[3]، انظروا السُّفار[4] فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم، فقد صدق، وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم، فهو سحر. قال: فسئل السفار، وقدموا من كل وجه، فقالوا: (رأينا). رواه البخاري ومسلم[5].

---

(١) أبو قُبَيس: هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها، وجهه إلى قعيقعان، ومكة بينهما، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) لأنه استودع فيه الحجر الأسود أيام الطوفان ـ فيما يقال ـ.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٠.

(٢) قال ابن منظور: «السُّويداء: موضع بالحجاز». وقال ابن حجر: «ناحية خارج مكة عندها جبل».
انظر: اللسان ٣/٢٣١، مادة سود. والفتح ٧/١٨٤.

(٣) المقصود هو الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وذكر بعض جماعة من أجداد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من قِبل أبيه ومن قِبل أمه كل واحد منهم يكنى أبا كبشة، وقيل: هو أبوه من الرضاعة، واسمه: الحارث بن عبد العزى، وقيل: هو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة، واسمه: وجز بن عامر بن غالب.
انظر: الفتح ١/٤٠.

(٤) السُّفَّار: جمع مسافر.
انظر: المصباح المنير ص ٢٧٨.

(٥) بل رواه البيهقي في الدلائل مُفَرَّقاً في روايتين كلاهما عن عبد الله بن مسعود، الأولى من طريق أبي معمر، والثانية من طريق مسروق، بمثلها.
انظر: الدلائل ٢/٢٦٥ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
ورواه أبو نعيم في الدلائل ١/٣٦٩ ـ ٣٧٠ من روايتين كلاهما من طريق مسروق =

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال: «انشق القمر على زمان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ».

وروى مسلم عن ابن عمر في قوله ـ تعالى ـ:
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[2].

قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ انشق القمر فلقتين[3]، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «اللهم اشهد»[4].

وعن جبير بن مطعم قال: «انشق القمر ونحن بمكة، حتى صار فرقتين على هذا الجبل، [5]وعلى هذا الجبل، فقال الناس: سحرنا محمد[6]! قال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم». رواه

= عن ابن مسعود، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٣٨ (٢٩٥) من طريق أبي الضحى، قال ابن حجر في مقدمة الفتح: ٥١: «ورويناها بعلو في (المعرفة) لابن منده». وليس لهاذين اللفظين أثر عند البخاري ولا مسلم خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة اقتربت الساعة، باب: «وانشق القمر...» ٨/٦١٧ (٤٨٦٦) من الفتح.

(٢) سورة القمر: الآية ١.

(٣) الفِلْقة: إذا شق القضيب باثنين، فكل شِق فِلْق، وفلقة الجَفْنة: نصفها، والكسرة ـ أيضاً ـ.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٢٠.

(٤) رواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٤/٢١٥٩ (٢٨٠١).

(٥) في ك و ط زيادة (فقال).

(٦) في ط زيادة الجملة الدعائية. وليست في محل مناسب.
سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر، ٥/٣٩٨ (٣٢٨٩).

الترمذي[1].

وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن، أخبر بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وفي موضع آخر بصعوده إلى السموات، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2].

فأخبر ـ هنا ـ بمسراه ليلاً بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك، ليريه من آياته.

ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر[3] الناس ما فيها من الآيات، فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس، كما قال في السورة الأخرى:

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ[4] عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ[5] ﴿١٤﴾

---

(١) قال الحافظ ابن كثير عن انشقاق القمر في عهد النبوة: «. . . ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. . . وهذا أمر متفق عليه بين العلماء. . . وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٤٧/٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١.

(٣) سقطت (سائر) من ك و ط.

(٤) أفتمارونه: أفتجادلونه.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧٣/٢٧.

(٥) قال المفسرون: هي التي في السماء السابعة قرب العرش، والسدرة شجر النبق، تنبع من أصلها الأنهار، وهي عن يمين العرش، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة، ولا يعلم أحد ما وراءها إلاَّ الله ـ عز وجل ـ .
انظر: المصدر والموضع السابق.

عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[١].

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ :

﴿. . . وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ . . .﴾[٢].

قال: «هي رؤيا عين، أريها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليلة أسريَ به»[٣].

فكان[٤] في إخباره بالمسرى (لنريه من آياتنا)[٥] بيان أنه رأى من آياته ما لم يره الناس، وقد بين ذلك في السورة الأخرى، فإنه[٦] رأى جبريل عند سدرة[٧] المنتهى:

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾[٨].

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٢ ـ ١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء) باب: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلَّا فتنة للناس» ٣٩٨/٨٠ (٤٧١٦) من الفتح. ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ١٨، ومن سورة بني إسرائيل ٣٠٢/٥ (٣١٣٤). والظاهر أنه ليس عند مسلم، خلافاً لما قال الشيخ المؤلف.

(٤) في ك (وكان) وفي ط (كان).

(٥) في ك و ط (ليريه من آياته).

(٦) في ك و ط (وأنه).

(٧) في ك و ط بالتعريف (السدرة).

(٨) سورة النجم: الآيتان ١٦، ١٧.

فسرها ابن مسعود بأنه: فَراش من ذهب. وذلك في حديث تفرد به مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سورة المنتهى ١٥٧/١ (١٧٣). ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٢٩/٧. وروى الطبراني حديثاً عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر =

وأنه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى. وذكر في تلك السورة المسرى، لأنه أمكنه أن يقيم[1] عليه برهاناً. فإنه لما أخبرهم به، فكذبه من كذبه، وتعجبوا من ذلك، سألوه عن نعته وصفته[2]، فنعته لهم، لم يخرِم[3] من النعت شيئاً، وأخبر خبر عيرهم[4] التي كانت في الطريق[5]، فظهر لهم صدقه، وكان صدقه[6] في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ماأراه[7] من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء.

وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي، أو بتسخير[8] الجن، كما في قصة بلقيس حيث:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ (٩) أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ (١٠) وَإِنِّى عَلَيْهِ

= الرازي ــ أحد الرواة ــ قال: «... فغشيها نور الخَلَّاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر...».
انظر: جامع البيان ص ٢٧ ــ ٥٦.

(١) في أ (يقم) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (صفاته).

(٣) أي: لم ينقص ولم يقطع.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٤.

(٤) العِيْر: هي الإبل التي تحمل الطعام، ثم غلب على كل قافلة.
انظر: المصباح المنير ٢/٤٤٠.

(٥) سيأتي إثبات ذلك قريباً.

(٦) في ك (صدقهم).

(٧) في ك و ط (ما رآه).

(٨) في ك و ط (تسخيراً).

(٩) أي: مارد من مردة الجن.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٤٠٩.

(٣) أي: مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم، وكان غَرَضُه =

لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[1]

فإن قَطْع الجسم للمسافة البعيدة أنما كان لِمَا أوتيه سليمان من الملك، كما كانت الريح:

﴿ . . . تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ[2] ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وهذا تسخير ملكي.

وقَطْعُ ـ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [4]كان لما أراه الله من الآيات، التي ميّزه بها على سائر النبيين، وكان ذلك فتنة: أي محنة وابتلاء[5] للناس، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه. وأحاديث المعراج، وصعوده إلى ما فوق السموات، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة والنار، والملائكة والأنبياء في السمٰوات، والبيت المعمور[6]، وسدرة المنتهى وغير ذلك، معروف

= أن يأتيه به في أقل من نصف نهار.
انظر: المصدر والموضع السابق.
قال المفسرون: هو (آصف بن برخيا) وكان من الصديقين، يعلم اسم الله الأعظم.
وهو الذي أتى بالعرش بلمح البصر.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(١) سورة النمل: الآيتان ٣٩، ٤٠.
(٢) المعنى: تسير بأمره لينة طيبة، حيث قصد وأراد.
انظر: المصدر السابق ٢٣/٦٠.
(٣) سورة ص: الآيات ٣٦ ـ ٣٨.
(٤) أي: قطعه المسافة في الإسراء.
(٥) اللسان ١٣/٣١٧، مادة فتن.
(٦) **البيت المعمور**: في السماء السابعة، يطوف به أهل السماء السابعة كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وقد وجد الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إبراهيم الخليل مسنداً =

متواتر في الأحاديث، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله. يظهر به تحقيق قوله ــ تعالى ــ :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ . . . ﴾[1].

فالدرجات التي رُفِعَها محمد ليلة المعراج، وسيُرْفَعها في الآخرة، في المقام[2] المحمود، الذي يغبطه بـه الأولون والآخـرون، الذي ليس لغيره مثله[3].

ففي الصحيحين من حـديث أنس بن مـالـك، عن مـالـك بن صـعصـعـة[4]، وأبـي ذر، ومن روايـة ابـن عـبـاس، وأبـي[5] حـبّـة الأنصاري[6] وغيرهم.

= ظهره إلى البيت المعمور، وفي كل سماء بيت يصلي إليه أهلها، والـذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٧/٤٠٣ ــ ٤٠٤.

(١) روح القدس: هو جبريل ــ عليه السلام ــ .
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٩.
سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) في ك و ط (كالمقام).

(٣) في ك و ط (مثلها).

(٤) مالك بن صعصعة: هو: ابن وهب بن عدي بن مالـك بن عدي بن عـامر بن غنم بن عـدي بن النجار، الأنصـاري الخزرجي، ثم المـازني. روى عن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حديثين، وكأنه مات قديماً.
انظر: أسد الغابة ٤/٢٥١؛ والإصابة ٣/٣٤٦؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٢٥.

(٥) في أ (وأبا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٦) أبو حبة الأنصاري: هو الأوسي البدري، قيل: اسمه عامر، وقيل: مـالك، وكـذلك وقع الاختلاف في كنيته هل أبو حبة بـالباء أم بـالنون أم بـالياء، وصـوب أبو عمـر بن =

فروى أنس: أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «أتيت بالبُرَاق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره» قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»[1]، قال: «فربطته بالحلقة التي تَرْبِط بها الأنبياء» قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال: جبريل ــ عليه السلام ــ «اخترت الفطرة» ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قيل: وقد[2] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه[3]. قال: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير[4]. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ــ عليه السلام ــ فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قيل: و[5] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابنَيْ الخالة، عيسى ويحيى بن زكريا ــ عليهما السلام ــ، فرحبا بي، ودعوا لي بخير[6].

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل: فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه

= عبد البر أنه بالباء ــ الموحدة التحتية ــ وقد خلط بينه وبين آخر استشهد يوم أحد، ورُجح أنه غيره، وأن هذا تأخر إلى أيام معاوية.
انظر: أسد الغابة ٥/٦٥؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٦٦ ــ ٦٧.

(١) في أ (القدس).
(٢) في ط زيادة همزة الاستفهام هكذا (أوقد).
(٣) سقطت (قد بعث إليه) من أ.
(٤) سقطت (بخير) من ك و ط.
(٥) في ك (قد بعث) وفي ط (أو قد بعث).
(٦) في ك و ط (الخير).

وسلَّم ـ . قيل[1]: وقد[2] بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ـ عليه السلام ـ وإذا هو قد أعطي شطر[3] الحُسن[4]، قال: فرحب بي، ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قيل: وقد[5] بعث إليه، قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرحب[6] ودعا لي بخير: قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[7].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد

---

(١) في أ (قال) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ط (أوقد).

(٣) في ط زيادة (من).

(٤) قال ابن حجر: «حمله ابن المنير على أن المراد: أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ . والذي دعاه إلى ذلك ما رواه الترمذي عن قتادة قال: «ما بعث الله نبياً إلاَّ حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت. . .» الشمائل المحمدية: ٢٥٤ (٣٠٣) وهو أثر مرسل».
قلت: والذي أرجحه أن جمال الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وحسنه كان معتدلاً لم يخرج عن حدوده المألوفة في زمنه، بخلاف جمال يوسف ـ عليه السلام ـ فقد شبهه نسوة امرأة العزيز بالمَلَك، وقَطّعن أيديهم. كما في سورة يوسف: الآية ٣١، ولم يرد فيما أعلم عن أحد ممن لقى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من العرب أو العجم من وصف حسنه وجماله بذلك.
انظر الفتح: ٧: ٢١٠.

(٥) في ط (أوقد).

(٦) في ط زيادة: (بي).

(٧) سورة مريم: الآية ٥٧.

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، قيل: [١]وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[٢] فرحب[٣] ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل ــ عليه السلام ــ ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ــ عليه السلام ــ ، فرحب[٤] ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل ــ عليه السلام ــ ، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، قيل: وقد [٥] بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مسند[٦] ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقِلال[٧] قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي[٨]، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله[٩] إليَّ

---

(١) في ك (فقيل). وفي ط (فقيل أوقد).
(٢) في ك و ط (عليه السلام).
(٣) في ك و ط زيادة (بي).
(٤) في ط زيادة (بي).
(٥) في ط (أوقد).
(٦) في ط (مسند) بغير النصب.
(٧) القلال: الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها. وهي التي وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله: «إذا بلغ الماء قلتين».
انظر: الفتح ٢١٣/٧.
(٨) في ط (غشيها).
(٩) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى ــ عليه السلام ــ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فأن أمتك لا تطيق[1] ذلك، فإني قد بلوت[2] بني إسرائيل وخبرتهم[3]. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: رب خفف عن أمتي، فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى ــ عليه السلام ــ، فقلت: حُط عني خمس[4]. قال: فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين [5] ربي ــ تبارك وتعالى ــ وبين موسى ــ عليه السلام ــ، حتى قال لي: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هَمّ بحسنة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً[6]، ومن هم بسيئة فلم يعملها، لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ــ عليه السلام ــ فأخبرته. قال: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

وفي رواية، قال: «فأُتيت فانطلق بي إلى زمزم فشرح عن

---

(١) في ك و ط (يطيقون).

(٢) بلوت: جربت واختبرت.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٥.

(٣) خبرتهم: علمتهم وعرفتهم:
انظر: مختار الصحاح ص ١٦٨.

(٤) في ك و ط (خمساً).

(٥) في ك و ط زيادة (يدي).

(٦) في ك و ط (عشر) بدون نصب.

صدري، ثم غسل بماء زمزم، ثم أُنزلت طست من ذهب، مملؤة حكماً[١] وإيماناً، فحشى بها صدري».

وفي رواية: «فشق من النحر إلى مراقّ[٢] البطن».

وقال ـ عن البيت المعمور ـ : «فقلت: ما هذا؟ قال: بناء بناه الله لملائكته، يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك، يقدسون الله، ويسبحونه، لا يعودون إليه» وفي حديث أبي ذر: «فنزل جبريل ففرج[٣] صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتليء حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل لخازن سماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: [٤]جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد[٥] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما علونا السماء، فإذا رجل عن يمينه أَسْوِدة، وعن يساره أسودة، قال: فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن[٦] شماله بكى. قال: مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح. قال: قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا[٧] آدم، وهذه الأَسْوِدَة عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بَنِيْه[٨]، فأهل اليمين: أهل الجنة،

---

(١) في ك و ط (حكمة).

(٢) في ط (مرافق).

(٣) في ط (فشرح).

(٤) في ك و ط زيادة (هذا).

(٥) في ط (رسول الله).

(٦) في ك و ط (قبل).

(٧) سقطت (هذا) من ك و ط.

(٨) أي نفوسهم وأرواحهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٥٨؛ واللسان ٥٧٣/١٢، مادة نسم.

والأسودة التي عن شماله أهل النار»[1].

قال الزهري: «وأخبرني ابن حزم[2] أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ثم عَرَجَ[3] بي، حتى ظهرت بمستوى أسمع منه[4] صريف الأقلام[5]».

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: «لما أسري برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها قال:

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[6].

---

(1) لفظ هذا الحديث هو بمثل لفظ مسلم، مجموع من روايتين، كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى السماوات وفرض الصلوات، ١/١٤٥ ــ ١٤٩ (١٦٢ ــ ١٦٣). ورواه البخاري بلفظ آخر، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/٣٠٢ ــ ٣٠٣ (٣٢٠٧) وفي مناقب الأنصار، باب المعراج، ٧/٢٠١ ــ ٢٠٢ (٣٨٨٧) من الفتح.

(2) ابن حزم: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري المدني، القاضي، اسمه وكنيته واحد، وقيل: أنه يكنى أبا محمد، ثقة عابد مات سنة ١٢٠هـ وقيل غير ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ٥/٣١٣ ــ ٣١٤.

(3) الضمير المستتر هنا يعود إلى جبريل ــ عليه السلام ــ وضبط الكلمة من الصحيح.

(4) في ك و ط (فيه).

(5) ظهرت: علوت، المستوى، قيل: المصعد، وقيل: المكان المستوي. وصريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٢٢١.
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء...، ١/١٤٩ (١٦٣).

(6) سورة النجم: الآية ١٦.

قال: فَرَاش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم[1] يشرك بالله شيئاً من أمته المقْحِمات»[2]. وعنه[3] في قوله ــ عز وجل ــ :

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[4].

قال[5]: إن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رأى جبريل في صورته[6] له ستمائة جناح»[7].

وفي الصحيحين، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ــ صلَّى الله

---

(١) في ك و ط (لا).

(٢) **المقحمات**: هي الذنوب العظام الكبائر، التي تهلك أصحابها، وتوردهم النار وتقحمهم إياها. والتقحيم: الوقوع في المهالك. ومعنى هذه الجملة: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله ــ تعالى ــ غفر له المقحمات. والمراد بالغفران هنا ــ فيما يرجح ــ : عدم الخلود في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً.
انظر: شرح النووي لمسلم ٣/٣.
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهي، ١٥٧/١ (٢٧٩). إلَّا أن فيه تقديم «من أمته» على كلمة «شيئاً».

(٣) أي: عن ابن مسعود ــ أيضاً ــ .

(٤) سورة النجم: الآية ٩.

(٥) في أ (قال النبي) وفي ط (أن النبي) وقد صوبناهما من ك.

(٦) في ط زيادة الواو هنا.

(٧) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ١٥٨/١ (١٧٤) ورواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين. . . ، ٢١٣/٦ (٣٢٣٢ و ٣٢٣٥) مجموع من روايتين من الفتح.

عليه وسلَّم ــ قال: «لما كذبتني قريش، قمت في الحِجْر، فجلّى[1] الله لي بيت المقدس، فطفقت[2] أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[3]».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لقد رأيتني في الحِجْر. وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها[4]، فكربت كربة، ما كربت مثلها[5] قط»، قال: «فرفعه الله لي[6] أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[7].

[8]وصعود الأدمي ببدنه إلى السماء قد ثبت في أمر المسيح،

(١) أي: كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته.
انظر: الفتح ٧/٢٠٠.
(٢) طفق بمعنى جعل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٩٤.
(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ٧/١٩٦ (٣٨٨٦) من الفتح. ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١/١٥٦ (١٧٠).
(٤) أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها. تعليق عبد الباقي على مسلم ١/١٥٧.
(٥) في المتن عند مسلم (مثله) قال الشارح: والضمير في (مثله) يعود على معنى الكربة، وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشيء، ... والكربة: الغم الذي يأخذ بالنفس.
انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٢٣٨.
(٦) في ك و ط (إلى).
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ١/١٥٦ ــ ١٥٧ (١٧٢) وبقية الحديث: «... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء...، فذكر موسى وعيسى وإبراهيم، وأنه صلَّى بهم ثم سلَّم عليه (مالك) ــ عليه السلام ــ صاحب النار، وأن مالكاً ابتدأه بالسلام».
(٨) في ك و ط زيادة (قلت).

عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ ، فإنه صعد إلى السماء، وسوف ينـزل إلى الأرض. وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين، فإنهم يقولون: إن المسيح صعد إلى السماء ببدنه وروحه، كما يقوله المسلمون ويقولون: إنه سوف ينزل إلى الأرض ــ أيضاً ــ ، كما يقوله المسلمون، وكما أخبر به النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الأحاديث الصحيحة. لكن كثيراً[1] من النصارى يقولون: إنه صعد بعد أن صلب، وأنه قام من القبر. وكثير[2] من اليهود يقولون: إنه صلب، ولم يصعد، ولم[3] يقم من قبره. وأما المسلمون، وكثير[4] من النصارى فيقولون: إنه لم يصلب، ولكن صعد إلى السماء بلا صلب.

والمسلمون ومن وافقهم من النصارى، يقولون: إنه ينزل إلى الأرض قبل القيامة، وأن نزوله من أشراط الساعة، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة. وكثير[5] من النصارى يقولون: إن نزوله هو يوم القيامة، وإنه هو الله الذي يحاسِب الخلق. وكذلك إدريس صعد إلى السماء ببدنه، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلى السماء ببدنه.

ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعُمدته[6] شيئان: **أحدهما**: أن الجسم الثقيل[7] لا يصعد، وهذا في غاية الضعف،

(١) (كثيراً) جاء في أ بغير النصب وكذلك في ك. والأولى ما أثبتناه من ط.
(٢) في ط (كثيراً).
(٣) سقطت (يصعد ولم) من ك و ط.
(٤) في ك زيادة (ومن وافقهم).
(٥) في ط (كثيراً).
(٦) **عمدته**: معتمده ومقصوده الأعظم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٢٩.
(٧) في ط (الصقيل).

فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن إلى الشام في لحظة[1] ولما[2] قال سليمان:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[3].

ومثل حمل الريح لسليمان ــ عليه السلام ــ وعسكره، لما كان يحمل البساط في الهواء، وهو جالس عليه بأصحابه، ومثل حمل قرى قوم لوط[4]، ثم إلقائها في الهواء، ومثل المسرى إلى بيت المقدس، الذي ظهر صدق الرسول بخبره.

وبهذا يظهر جوابهم عن أنكارهم انشقاق القمر، فإن عمدتهم فيه:

---

(١) في أ رسمت(الحظة) بزيادة ألف في أولها، وهو خطأ نسخي.
اللحظة: أصلها: النظرة بمؤخر العين من جانب الصدغ أو من جانب الأنف، ثم استعملت في الزمن اليسير جداً.
انظر: اللسان ٧/٤٥٩، مادة لحظ.

(٢) في ك و ط سقطت الواو العاطفة.

(٣) سورة النمل: الآيات ٣٨ ــ ٤١.
لم تكمل الآية الأخيرة في ك، فقد انتهت عند قوله: (أتهتدي).

(٤) **وأعظمها**: سدوم ثم صبعة وعمرة ودوما وصعوة، وكان أهلها أربعمائة ألف، وهم أصحاب الكفر والفاحشة.
انظر: الكامل ٢/٥٧ و ٦٩.

أن الفلك لا يقبل الانشقاق، وقد عرف فسد ذلك عقلاً وسمعاً، وتواتر[1] عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات، وإيضاح الرد على هؤلاء، أن ما يثبتونه من أن الحركة لا بد لها من (جهة) و (محدد) يحدد الجهات، إنما يدل على الافتقار إلى جنس المحدِّد، لا يدل على الاحتياج إلى محدِّد معين[2].

فإذا قدر أنه خُلِق وراء المحدد محدداً آخر وخرق الأول، حصل به المقصود. وهكذا عامة أدلتهم أنما تدل على شيء مطلق، لكن يعينونه بلا حجة، فيغلطون في التعيين، كدليلهم على دوام الفاعلية، أو الحركة، أو زمانها[3]، فإن ذلك لا يدل على الحركة الفلكية، وأن الزمان هو مقدار الحركة، بل إذا كان الله قد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل، لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض هي مقدار حركة الشمس،التي هي مما خلق في تلك الأيام.

بل وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنه كان عرشه على الماء، قبل أن يخلق السموات والأرض، وأخبر أنه خلق السموات من دخان، وهو بخار الماء. فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخر، لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة،لم يكن هذا مناقضاً لما دلَّ عليه العقل.

---

(١) في ط (تواترت).

(٢) بعد هذا في أ كلمتان لم أستطع قراءتهما، وبعدهما سقط بمقدار نصف صفحة، وقد اتفقت عليه ك وط إضافة إلى النسختين المساعدتين (أكسفورد) و (المكتبة السعودية بالرياض) فلذلك أثبتناه في الأصل. وسأشير إلى نهايته.

(٣) في أكسفورد (زمنها).

ورجال كثير[1] في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان إلى مكان في الهواء، وهذا مما تواتر عندنا، وعند من يعرف ذلك.

وأيضاً فمعلوم أن النار والهواء الخفيف تحرك[2] حركة قسرية فيهبط، والتراب والماء الثقيلان، يحركان حركة قسرية فيصعد، وهذا مما جرت به العادة.

والشبهة الثانية: ظن بعض المتفلسفة، كأرسطو[3] وشيعته، أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق، وحجتهم على ذلك في غاية الضعف، فإنهم قالوا: لو كانت تقبل الانشقاق، لكان المحدد للأفلاك، المحرك لها، يتحرك حركة مستقيمة، والحركة المستقيمة تحتاج إلى خلاء خارج العالم، ولا خلاء هناك.

وهذه الحجة فاسدة من وجوه:

منها: أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى، لا فيما دونه، كفلك القمر وغيره، وهذا مما أجابهم به الرازي[4] وغيره.

ومنها: أن وجود أجسام[5] خارج الفلك، كوجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء[6]. * وقوله بنفي الخلاء خارجه كقوله بنفي الخلاء عن

---

(١) في ك و ط (كثيرون).
(٢) في ك و ط (تحركه).
(٣) في أ (أرسطوا) بزيادة ألف في آخره.
(٤) الرازي المقصود به أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي، صاحب التفسير الكبير.
(٥) في ك و ط (الأجسام).
(٦) سقطت جملة (يحتاج إلى خلاء) من ك و ط.

حيزه *[1] فإن كان الخلاء عدماً محضاً، فهو منتف في الجانبين. وإن قيل: إنه أمر وجودي، لزم أن يحتاج إليه في الموضعين، وحينئذٍ فيبطل القول بنفيه.

وكذلك ما يذكرونه في[2] قدم العالم. فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما أخبرت به الرسل، ولكن قد تناقض ما يظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل، كما قد بسط في غير هذا الموضع[3].

والنوع الثاني[4]: آيات الجو، كاستسقائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ واستصحائه[5]، وطاعة السحاب له، ونزول المطر[6] بدعائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[7] ـ .

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك: أن رجلاً دخل المسجد في

---

(١) العبارة التي بين النجمتين يقابلها في ك و ط «فقول القائل: إن ذلك يحتاج إلى خلا كقوله: إن وجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء، وقوله بنفي الخلاء عن حيزه».

(٢) في ط (من).

(٣) إلى هنا نهاية السقط من أ.

(٤) في أ (الثالث) والصواب أنه (الثاني) كما في ك و ط وكما يدل على ذلك السياق (النوع الثاني من آيات النبوة، المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير: آيات الجو).

(٥) **الاستسقاء**: طلب السقيا والمطر. والاستصحاء طلب الصحو، وهو انكشاف الغيم (السحب)، قال السجستاني: «والعامة تظن أن الصحو لا يكون إلَّا ذهاب الغيم، وليس كذلك وإنما الصحو تفرق الغيم مع ذهاب البرد».
انظر: المصباح المنير ١/٢٨١ و ٣٣٤.

(٦) في ك و ط (وطاعة السحاب في حصوله وذهابه).

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ.
بعد هذا في ك و ط (ونزول المطربدعائه).

يوم جمعة، من باب كان نحو دار القضاء[1] ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يخطب، فاستقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا[2]. قال: فرفع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا». قال أنس: «فلا[3]والله، ما نرى في السماء من سحاب ولا من قزعة[4]، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سَلْع[5] من دار، فوالذي نفسي بيده، ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال[6] الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته»[7]. وفي رواية أخرى: «فطلعت من ورائه سحابة، مثل التُّرْس[8]، فلما توسطت السماء، انتشرت، ثم

---

(١) هي دار مروان بن الحكم بالمدينة، كانت لعمر بن الخطاب، فبيعت في دَينه بعد موته، وقيل: هي دار الإمارة بالمدينة.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٥٠٧.

(٢) في ط (يغثنا).

(٣) في ك و ط (ولا).

(٤) أي: سحاب متفرق أو قطع من السحاب رقاق وأكثر ما يجيء في الخريف.
انظر: الفتح ٢/٥٠٣.

(٥) سَلْع: جبل بسوق المدينة.
انظر: معجم البلدان ٣/٢٣٦.

(٦) في أ (امثلال) وظاهر أنه خطأ نسخي.

(٧) رواه مسلم بلفظه مثله إلى قوله: «ولا من قزعة...» والباقي بمعناه، كتاب صلاة الاستقساء، باب الدعاء في الاستقساء ٢/١١٢ ـ ٦١٣ (٨٩٧).
ورواه البخاري بنحوه، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢/٤١٣ (٩٣٣) من الفتح.

(٨) أي: أنها مستديرة، والترس: هو ما يَتوقى به المقاتل.
انظر: الفتح ٢/٥٠٣، وانظر: اللسان ٦/٣٢، مادة ترس.

أمطرت، قال: فلا والله، ما رأينا[1] الشمس سبتاً. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله[2] يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب[3]، وبطون لأودية، ومنابت الشجر». قال: فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت، حتى رأيت المدينة في مثل الجَوْبة[4]، وسال الوادي قناة[5] شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا أخبر بجود»[6].

ومن هذا الباب، نَصْر الله[7] بالريح التي قال الله فيها:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[8].

---

(١) في ك و ط (رأيت).

(٢) في ك و ط زيادة (أن).

(٣) هو الجبل المنبسط ليس بالعالي، أو الرابية الصغيرة. انظر: الفتح ٢/٥٠٥.

(٤) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد بها هنا: الفرجة في السحاب. انظر: الفتح ٢/٥٠٦.

(٥) قناة: علم على أرض ذات مزارع ناحية أحد، وواديها أحد أودية المدينة المشهورة. انظر: الفتح ٢/٥٠٦.

(٦) رواها البخاري بنحوها، كتاب الاستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، ٢/٥١٩ (١٠٣٣) من الفتح، ورواها مسلم بمثلها، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/٦١٤ (٨٩٧).

(٧) في ك و ط زيادة (له).

(٨) سورة الأحزاب: الآية ٩.

قال مجاهد: «يعني ريح الصَّبا[١]، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم[٢] (وجنوداً لم تروها): يعني الملائكة»[٣].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «نصرتُ بالصَّبا، وأهلكَتْ عاد بالدَّبُور»[٤].

وفي المغازي والسير [٥] قصة الأحزاب، وكيف أرسلت عليهم الريح و[٦]الملائكة وانهزموا بغير قتال معروف.

تصرفه ـ عليه السلام ـ في الحيوان من آيات نبوته

والنوع الثالث[٧]: تصرفه في الحيوان: الإنس والجن والبهائم.

---

(١) ومهبها المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. ومقابلتها الدبور.
انظر: اللسان ٤٥١/١٤، مادة صبا.

(٢) جمع فسطاط، وهو بيت من شعر.
انظر: مختار الصحاح ٥٠٣.
في ك و ط زيادة (حتى أظعنتهم).

(٣) رواه ابن جرير الطبري.
انظر: جامع البيان ١٢٨/٢١.

(٤) **الدبور**: تكون اسماً وصفة، وهي تهب من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل من التذكرة.
انظر: اللسان ٢٧٢/٤، مادة دبر.
رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «نصرت بالصبا» ٥٢٠/٢ (١٠٣٥) من الفتح. ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور ٦١٧/٢ (٩٠٠).

(٥) في ك و ط زيادة (والتفسير).

(٦) سقطت الواو من ط.

(٧) في أ (الرابع) والصواب أنه (الثالث) كما هو في ك و ط وكما يدل عليه تتبع السياق، وقد حصل في عد الأنواع خلل في جميع النسخ كما يأتي ـ إن شاء الله ـ.

فـروي عن عبـد الله بن جعفـر[1] قـال: «أردفني رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذات يوم، فأسر إليَّ حـديثاً لا أحـدث به أحـداً من الناس»، قال: «وكـان أحب ما استتـر به هـدف أو حائش نـخـل[2]، فدخل حائط رجل من الأنصـار فإذا جمـل، فلما رأى النبـي[3] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، حَنَّ وذرفت عينـاه، فـأتـاه النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، فمسح رأسه وذفِرَاه[4] فسكن، [5]قال: «لمن هـذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يـا رسول الله. فقال له رسول الله[6] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ: «ألا تتقي الله في هذه البهيمـة التي ملكـك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبـه»[7] روى[8] مسلم بعضه[9]،

---

(١) **عبد الله بن جعفر**: هو ابن أبـي طالب الهاشمي، أحد الأجـواد، ولد بـأرض الحبشة وله صحبة، مات سنة ٨٠هـ وله ٨٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٤٥٦ ـ ٤٦٢.

(٢) **الهدف**: ما ارتفع من الأرض. حائش نخل: حائط النخل، وهو البستان. ويقال له: حـش ـ أيضـاً ـ. انظر: شرح النووي لمسلم ٣/٣٥.
إلى هنا انتهت رواية الإمام مسلم، كتاب الحيض، باب ما يستتر به لقضاء الحاجـة، ١/٢٦٨ ـ ٢٦٩ (٣٤٢).

(٣) في ك و ط (رسول الله).

(٤) الذفرى: هو الموضع الذي يعـرق من البعير خلف الأذان، وهمـا ذفريـان من الناس ومن جميع الدواب، وهي مأخوذة من ذفر العرق.
انظر: اللسان ٤/٣٠٧، مادة ذفر.

(٥) في ك و ط زيادة (ثم).

(٦) في ك و ط (النبـي).

(٧) في ك و ط (تذيبه).
تدئبه، يريد: تكده وتتعبه.
انظر: مختصر شرح أبـي داود ٣/٣٨٧.

(٨) في أ (رواه) والأولى (روى) وهو كما في ك و ط.

(٩) تم تخريج رواية مسلم أثناء الحديث.

وبعضه على شرطه، ورواه أبو داود[١] وغيره[٢].

وروى[٣] أحمد، و[٤]الدارمي وغيرهما، عن جابر، قال: أقبلنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من سفر، حتى إذا دفعنا[٥] إلى حائط من حيطان بني النجار[٦]، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلَّا شد عليه[٧]، فذكروا ذلك للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فجاء حتى أتى الحائط، فدعا البعير، فجاء واضعاً مشفره[٨] إلى الأرض، حتى برك[٩] بين يديه. قال: فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هاتوا خطامه، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه». قال: ثم التفت إلى الناس، فقال:

---

(١) هو في مسند أبي داود بمثله، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٢٣/٣ (٢٥٤٩).

(٢) ورواه أحمد في المسند ٢٠٤/١ وبأطول منه ٢٠٥/١. ورواه الحاكم في المستدرك ٩٩/٢ ــ ١٠٠، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) في ك و ط زيادة (الإمام).

(٤) سقطت الواو من أ.

(٥) دفعنا: جئنا.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٦.

(٦) بنو النجار: هم بنو تيم اللات ــ وإنما قيل له: النجار لأنه اختتن بقدوم، وقيل لأنه ضرب رجلاً بقدوم ــ ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. فهم قبيلة من الخزرج، وفيها بطون وأفخاذ وفصائل.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٢٩٧/٣ ــ ٢٩٨.

(٧) شد عليه: حمل عليه يريد البطش به.
انظر: اللسان ٢٣٥/٣، مادة شدد.

(٨) المشفر للبعير: كالشفة للإنسان.
انظر: اللسان ٤١٩/٤، مادة شفر.

(٩) برك: أي استناخ، ضد القيام.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٩.

«إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلَّا يعلم أني رسول الله، إلَّا عاصي الجن والإنس»[1].

وروى الطبراني[2] عن جابر، قال: خرجنا في غزوة ذات الرقاع[3]، حتى إذا كنا بحرة واقم[4]، عرضت امرأة بدوية بابن لها، [5] إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالت: يا رسول الله، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان. قال: «فأدنيه مني» فأدنته[6]. فقال: «افتحي فمه» [7]، فبصق فيه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣١٠ بمثله، ورواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر ١١/١٠ بنحوه. قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف».
انظر: المجمع ٧/٩.

(٢) **الطبراني**: هو أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، كان حافظ عصره، أقام في الرحلة (في طلب العلم) ثلاثاً وثلاثين سنة، وله ألف شيخ، مولده سنة ٢٦٠هـ بطبرية وإليها ينسب، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها سنة ٣٦٠هـ كان يقول عن المعجم الأوسط: «أنه روحي». لأنه تعب عليه.
انظر: وفيات الأعيان ٤٠٧/٢؛ ولسان الميزان ٧٣/٣؛ وشذرات الذهب ٣٠/٣.

(٣) كانت في سنة ٤هـ. وهي بعد غزوة بني النضير، وسميت بذلك لأنهم رفعوا راياتهم، أو أنها شجرة بالموضع الذي نزلوا فيه، وقد لقي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم قتال.
انظر: السيرة لابن هشام ٢١٣/٣ ــ ٢١٤.

(٤) هي الحرة الشرقية من حرتي المدينة، وفي هذه الحرة كانت الوقعة المشهورة، في عهد يزيد بن معاوية.
انظر: مراصد الاطلاع ٣٩٦/١.

(٥) في ك و ط زيادة (فجاءت).

(٦) في ك و ط زيادة (منه).

(٧) في ك و ط زيادة (ففتحته).

[1]وقال: «اخسأ عدو الله، وأنا رسول الله»، [2]ثلاث مرات، ثم قال: «شأنك بابنك، ليس عليه بأس، فلن يعود إليه شيء مما كان يصيبه». وذكر قصة الشجرتين، إلى أن قال[3]: فنزلنا في واد من أودية بني محارب[4]، فعرض له رجل من بني محارب يقال له (غورث بن الحارث)[5] والنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ متقلد سيفه، فقال: يا محمد أعطني سيفك هذا، فسله، فناوله إياه[6]، ونظر إليه ساعة، ثم أقبل على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: يا محمد من يمنعك

---

(١) في ك و ط (ثم).

(٢) في ك و ط زيادة (قالها).

(٣) في ك و ط زيادة (ثم خرجنا فنزلنا منزلاً، صحراء ديمومة، ليس فيها شجرة، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لجابر: «يا جابر انطلق فانظر لي مكاناً»، يعني للوضوء، فخرجت أنطلق فلم أجد إلَّا شجرتين مفرقتين، لو أنهما اجتمعتا سترتاه. فرجعت إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقلت: يا رسول الله، والله ما رأيت شيئاً يسترك إلَّا شجرتين مفرقتين، ولو أنهما اجتمعتا، سترتاك. فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «انطلق إليهما فقل لهما: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: اجتمعا». قال: فخرجت فقلت لهما، فاجتمعتا حتى كأنهما في أصل واحد. ثم رجعت فأخبرت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فخرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حتى قضى حاجته، ثم رجع فقال: ائتهما فقل لهما: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لكما: «ارجعا كما كنتما كل واحدة إلى مكانها». فرجعت فقلت لهما: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لكما: «ارجعا كما كنتما»، فرجعتا، ثم خرجنا...».

(٤) **بنو محارب**: هم بنو محارب بن خصَفة بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ١٧١/٣؛ والفتح المبين ٤١٨/٧.

(٥) جاء في المسند الكبير لمسدد ما يصرح بعدم إسلام غورث، ومنهم من ظنه رجل آخر اسمه دعثور بن الحارث، أسلم، وأسلم على يديه ناس كثير من قومه، والظاهر أنهما رجلان في قصتين مختلفتين.
انظر: أسد الغابة ٧/٢ ــ ٨؛ والإصابة ١٨٨/٣ ــ ١٨٩.

(٦) سقطت (إياه) من أ.

مني؟ فارتعدت يده حتى[1] سقط السيف من يده، فتناوله[2] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثم قال: «يا غورث، من يمنعك مني»؟ قال: لا أحد. قال: ثم أقبلنا راجعين، فجاء رجل من أصحاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بِعُش طير يحمله، وفيه فراخ، وأبواه يتبعانه، ويقعان على يد الرجل، فأقبل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على من كان معه، فقال: «أتعجبون بفعل هذا الطير[3] وبفراخهما؟». زاد في رواية: «فربكم أرحم بكم من هذا الطير[4] بفراخه». ثم أقبلنا راجعين، حتى إذا كنا بحرة واقم، عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها بوطب[5] من لبن وشاة[6]، فأهدته له. فقال: «ما فعل ابنك؟ هل أصابه شيء مما كان يصيبه؟» قالت: لا، والذي بعثك بالحق، ما أصابه شيء مما كان يصيبه، وقَبِل هديتها. ثم أقبلنا راجعين[7] حتى إذا كنا بمهبط من الحرة، أقبل جمل يَرْقُل[8]، فقال: «أتدرون ما قال هذا الجمل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جمل جاءني يستعدي على سيده،

---

(١) في أ (على) وفي ك و ط (حتى) وقد صوبناه منهما.
(٢) في ط (فناوله).
(٣) في ك و ط (هذين الطيرين بفراخهما).
(٤) في ك و ط (الطائر).
(٥) الوطب: سقاء اللبن أو اللبن خاصة، وهو جلد الجذع فما فوقه.
انظر: اللسان ١/٧٩٧، مادة وطب.
(٦) في أ: (برطب ولبن وشاة) وفي ط: (برطب ولبن شاة).
(٧) سقطت (راجعين) من ك و ط.
(٨) في جميع النسخ: (يرفل) بالفاء، والأصوب أنه بالقاف كما في المجمع ٨/٩؛ من أرقلت الناقة إرقالاً، وهو ضرب سريع من السير.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٥.

يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين[1]، حتى إذا أجربه وأعجفه، وكبر سنه، أراد نحره، اذهب معه يا جابر إلى صاحبه، فائت به». فقلت: ما أعرف صاحبه يا رسول الله. قال: «إنه سيدلك عليه». قال فخرج بين يدي معنِقاً[2]، حتى وقف بي في مجلس بني خَطْمة[3]، فقلت: أين رب هذا الجمل[4]؟ قالوا: فلان. فجئته فقلت: أجب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فخرج معي حتى جاء إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فقال له رسول الله[5] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن جملك هذا يستعدي عليك، يزعم أنك حرثت عليه زماناً حتى أجربته[6] وأعجفته[7] وكبر سنه، ثم أردت نحره». قال[8]: والذي

---

(١) في أ (سنتين) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط، وهو ما في المجمع ٩/ ٨.

(٢) من العَنَق، وهو ضرب من السير فسيح سريع.
انظر: المصباح المنير ص ٤٣٢.

(٣) خَطْمة: اسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مُزَيْقياء ـ ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢ و ٣٤٣.

(٤) رب كل شيء: مالكه، والرب: اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ولا يقال في غيره إلاَّ بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للمَلِك.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٨.

(٥) في ك و ط (النبي).

(٦) الجرب: مرض بسبب خِلْط غليظ يحدث تحت الجلد، من مخالطة البلغم الملح للدم يكون معه بثور.
انظر: المصباح المنير ص ٩٥.

(٧) من عَجِف الفرس عَجَفا: أي ضعف وهزل.
انظر: المصباح المنير ص ٣٩٤؛ ومختار الصحاح ص٤١٤.

(٨) في ك و ط (فقال).

بعثك بالحق، إن ذلك كذلك[١]. فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعنيه»، قال: نعم، يا رسول الله. فابتاعه منه، ثم سيبه[٢] في الشجر حتى نصب سناماً، فكان إذا اعتل[٣] على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم[٤] شيء أعطاه أياه، فمكث بذلك زماناً[٥].

وهذا الحديث له شواهد[٦]، أخرج[٧] أهل الصحيح منه قصة الشجرتين[٨]، وقصة الذي شهر السيف على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[٩] وقصة الطير:

---

(١) في ك و ط (لكذلك).

(٢) سيب: تُرك لا يركب ولا يحمل عليه.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٥٤.

(٣) من العلة: وهي المرض.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٥١.

(٤) جمع ناضح: وهو البعير يستقى عليه.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٤.

(٥) الحديث أورده الهيثمي برواياته بنحوه، وقال: قال محمد بن طلحة: كانت غزوة ذات الرقاع تسمى «غزوة الأعاجيب» قلت: (والقائل الهيثمي): «في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الأوسط، والبزار باختصار كثير، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله ثقات».
انظر: المجمع ٩/٧ ـ ٩.

(٦) شواهد الحديث: هي الأحاديث الأخرى التي بمعناه.
انظر: تدريب الراوي ١/٢٤٢.

(٧) في أ (أخرجاه) والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) رواها مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر ٤/٢٣٠٦ ـ ٢٣٠٧ (٣٠١٢).

(٩) أخرجها البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٦/٩٦ (٢٩١٠) من الفتح وفي كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع...، ٧/٤٢٦ (٤١٣٥ ـ ٤١٣٦) من الفتح، جاء في هذا الموضع تسمية =

رواها[1] أبو داود الطيالسي[2]، وقصة الصبي، ذكرها غير واحد[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي[4] قال: «ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : بينما نحن نسير معه، إذ مررنا ببعير يُسْنى عليه[5]، فلما رآه البعير جرجر[6]، ووضع جِرانه[7] بالأرض، فوقف عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أين صاحب هذا البعير؟» فجاء، فقال: «بعنيه». فقال: بل

= الرجل، ولكن في أثر معلق. ورواها مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف ١/٥٧٦ (٨٤٣).

(١) في ك (رواه).

(٢) مسند أبي داود الطيالسي ٣٣٦/٤٤.

(٣) رواها أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس.
انظر: الخصائص الكبرى ٢/٧٠.
رواها الدارمي في سننه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/١٠. وأحمد في مسنده ١/٢٥٤ و٢٦٨. قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني وفيه فرقد السبخي، وثقه ابن معين والعجلي، وضعفه غيرهما».
انظر: المجمع ٩/٢.

(٤) هو يعلي بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، أسلم وشهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، وكان من أفاضل أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يكنى أبا المرازم، سكن الكوفة، وكان من أصحاب علي.
انظر: أسد الغابة ٧٤٩/٤.

(٥) أي: يستقى عليه الماء من البئر.
انظر: مختار الصحاح ص ٣١٨.

(٦) أي: كثرت أصواته.
انظر: ترتيب القاموس ٤٦٩/١.

(٧) جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.
انظر: ترتيب القاموس ٤٨٢/١.

نهبه[1] لك[2]. وهو لأهل بيت، ما لهم معيشة غيره. فقال: «أما إذ ذكرت هذا من أمره، فإنه يشتكي إليَّ كثرة العمل وقلة العلف، فأحسنوا إليه». وفي رواية: «أنهم أرادوا نحره». ثم سرنا فنزلنا منزلا[3]، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إنطلق إلى هاتين الشجرتين، فقل لهما: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لكما: أن تجتمعا». فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتُزِعت كل واحدة منهما من أصلها، فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها، فالتفَّتا جميعاً. فقضى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حاجته من ورائهما، ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بأمره. وأتته امرأة بصبي لها به لمم[4]، فقالت: يا رسول الله: إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين، يأخذه في كل يوم مرتين. فتفل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في فيه، وقال: «أخرج عدوَ الله، أنا رسولُ الله» فبريء. فلما رجعنا، جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط، قالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه رَيْباً بعدك[5]. فأخذ أحد الكبشين والأقط، ورد الكبش الآخر[6].

---

(١) في ط (أهبه).

(٢) في ك و ط زيادة (يا رسول الله فقال: «لا بل بعنيه»، فقال: «بل نهبه لك»).

(٣) في ك (من منزلنا منزلاً) وفي ط (من منزلنا، فقال النبي).

(٤) أي: طرف من جنون.
انظر: المصباح المنير ص ٥٥٩.

(٥) أي: لم يبلغنا منه ذلك اللمم، ولم نتوهمه بعدك.
انظر: المصباح المنير ص ٢٤٧.

(٦) في أ زيادة: (وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ). وقد أسقط الناسخ هذه العبارة من موضعها، ثم أعادها في الهامش ــ أيضاً ــ وظاهر أنها مقحمة هنا إقحاماً لا مبرر له.
المسند للإمام أحمد ٤/ ١٧٣ و ١٧٤ وأورده الهيثمي بمثله. وبروايتيه، وقال: «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه. وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». ثم =

وروى هذه القصة، أبو يعلى الموصلي عن أسامة بن زيد ــ رضي الله عنه ــ، ورواه الحاكم في صحيحه قال[1]: «سافرت مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرأيت منه عجباً. . .» وذكر الحديث. وفيه أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ــ للمرأة لما أخرج الشيطان من ابنها ــ: «إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع» ورواه الدرامي ــ أيضاً ــ[2].

وروى الدرامي عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالت: يا رسول الله إن ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيخبث علينا، فمسح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صدره ودعا، فثغ ثغة[3] خرج من جوفه مثل الجُرو[4] الأسود فشفي[5].

وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله[6]

= أورد رواية الطبراني والتي قال فيها الجمل: «حتى إذا كبرت أرادوا أن ينحروني». ثم أورد حديث المرأة والصبي وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٩/٥ ــ ٦.

(١) في ك و ط زيادة (فيه).
المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٢/٦١٧ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة»، ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه. . .، ١/١٠.

(٣) في ك و ط (فثع ثعة).
أي قاء قيئة.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٠٦.

(٤) الجرو: الصغير من كل شيء، ولعل المقصود هنا ولد الكلب.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨٤.

(٥) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه ١/١١ وإسناده ليس بالقوي.

(٦) في ك و ط (النبي).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في سفر، فدخل رجل غَيْضة[1] فأخرج منها بيضة[2] حُمَّرَة[3]، فجاءت الحمرة تَرِف[4] على رأس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه. فقال: «أيكم فجع[5] هذه»، فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها[6]. فقال: «رده رحمة لها»[7].

وروى الحاكم في صحيحه عن سَفِيْنة مولى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «ركبنا البحر في سفينة، فانكسرت السفينة، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني في أَجَمَة[8] فيها أسد، فلم يَرُعْني[9] إلَّا به.

---

(١) في جميع النسخ بالظاء، والصواب ما أثبتناه من كتب اللغة والمسند.
الغيضة: الشجر الملتف.
انظر: اللسان ٢٠٢/٧، مادة غيض.

(٢) في ك و ط (بيض).

(٣) الحمّرة: طائر من العصافير.
انظر: اللسان ٢١٤/٤ مادة حمر.

(٤) من الرفرفة: وهي تحريك الطائر جناحيه وهو في الهواء، فلا يبرح مكانه.
انظر: اللسان ١٢٥/٩، مادة رفف.

(٥) من الفجيعة: وهي الرزية الموجعة بما يَكْرُم.
انظر: اللسان ٢٤٥/٨، مادة فجع.

(٦) في أ (بيضها) بالجمع، والأصح الأفراد كما في ك و ط، وهو ما في المسند.

(٧) مسند أبي داود الطيالسي ٤٤ (٣٣٦) بمثله. ورواه أحمد في المسند بنحوه، بروايتين ٤٠٤/١. وإسناد أبي داود فيه (المسعودي) وقد اختلط قبل موته، فإن كان (أبو داود) سمع منه في غير بغداد فهو قبل الاختلاط، وبقية رجال الإسناد ثقات.
انظر: تقريب التهذيب ٤٨٧/١.

(٨) الأجمة: الشجر الكثير الملتف.
انظر: ترتيب القاموس ١١٨/١.

(٩) من الروع: وهو الفزع.
انظر: المصدر السابق ٤١٣/٢.

فقلت: يا أبا الحارث[1]، أنا مولى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فطأطأ رأسه، وغمز بمنكبه شِقِّي، فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق، فلما وضعني على الطريق همهم[2] فظننت أنه يودعني»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده،[4] عن عائشة قالت: «كان لآل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحش[5]. إذا خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اشتد ولعب وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد دخل: ربض، فلم يترمرم[6] كراهية أن يؤذيه»[7]، ورواه أبو نعيم[8].

---

(١) أبو الحارث، والحارث، من أسماء الأسد.
انظر: المصدر السابق ٦١٢/١.

(٢) من الهمهمة: وهي ترديد الصوت في الصدر.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٩٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه. كتاب معرفة الصحابة، ذكر سفينة مولى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ٦٠٦/٣ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) في ك و ط زيادة (وأبو يعلى الموصلي).
المسند للإمام أحمد ١١٢/٦ و ١٥٠ و ٢٠٩.

(٥) الوحش: حيوان البر.
انظر: مختار الصحاح ص ٧١٢.

(٦) أي: سكن ولم يتحرك، وأكثر ما يستعمل في النفي.
انظر: اللسان ٢٥٦/١٢، مادة رمم.

(٧) في ك و ط زيادة (ولفظه للإمام أحمد).
الحديث أورده الهيثمي في المجمع ٤/٩ وفيه زيادة (ما دام رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في البيت...)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٨) في الدلائل ٤٩١/٢ (٢٧٧) مختصراً.

وروى عنها[1] أحمد ـ أيضاً ـ أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان في نفر من المهاجرين والأنصار. فجاء بعير فسجد له، فقال أصحابه: يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر: فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: [2] «لو[3] كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد: لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل[4] من جبل أصفر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض، كان ينبغي لها أن تفعله» رواه[5] أحمد[6] عن عفان[7]، وابن ماجه[8]، [9]عن[10] ابن أبي شيبة[11]، عن

---

(١) في أ (عنهما).

(٢) في ك و ط زيادة (اعبدوا الله ربكم وأكرموا أخاكم) وليس في ك اسم الجلالة المعظم. كما لا يوجد في ط جملة: (يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك).

(٣) في ك و ط (ولو).

(٤) في ط (تنتقل).

(٥) في ك و ط زيادة (الإمام).

(٦) المسند للإمام أحمد ٧٦/٦ بمثله، وفيه الزيادة التي في ك و ط.
وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد وإسناده جيد».
انظر: المجمع ٩/٩.
وأخرجه أبو نعيم مختصراً في الدلائل ٤٩١/٢ (٢٧٨).

(٧) هو ابن مسلم الباهلي، أبوعثمان الصفار البصري، ثقة ثبت، مات سنة ٢١٩هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٣٠/٧.

(٨) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب حق الزوج على المرأة ٣٤١/١ (١٨٥٧) وليس فيه قصة البعير.

(٩) في ك و ط زيادة (بعضه).

(١٠) في ك و ط زيادة (أبي بكر).

(١١) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي، الإمام العلم، سيد الحفاظ، أبوبكر العبسي مولاهم الكوفي، أخو الحافظ عثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن أبي شيبة الضعيف وعبد الله من أقران الإمام أحمد بن حنبل مات سنة ٢٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١ ـ ١٢٧.

عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، ثنا أبي[1]، ثنا علي بن زيد[2]، ثنا سعيد[3]، عن عائشة.

وقصة هذا الجمل رواها جماعة[4].

وروى الإمام أحمد في مسنده[5] عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب[6] على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى

---

(١) هو سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج، الأثور التَّمّار، المدني القاضي، مولى الأسود بن سفيان، ثقة عابد، مات في خلافة المنصور.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣١٦.

(٢) هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده، وأكثر العلماء يرون تضعيفه وقال العجلي: «كان يتشيع. لا بأس به»، وقال مرة: «يكتب حديثه وليس بالقوي». وقال مثل هذا يعقوب بن شيبة والترمذي، مات سنة ١٢٩هـ أو ١٣١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣٢٢/٨ ـ ٣٢٤.
في ك و ط (يزيد).

(٣) هو سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ.

(٤) **من الصحابة**: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن عباس وعائشة، وأبي هريرة، وثعلبة بن أبي مالك، ويعلى بن مرة وغيرهم. من الرواة الإمام أحمد والبيهقي وأبو نعيم والطبراني والبزار والدارمي وابن أبي شيبة.
انظر: الخصائص الكبرى ٥٦/٢ ـ ٥٧ المسمى كفاية الطالب اللبيب، في خصائص الحبيب، لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١هـ مصور عن طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٠هـ بالهند، دار الكتب العلمية، بيروت.
في ك و ط زيادة (من الصحابة).

(٥) المسند للإمام أحمد، بمثله، ٨٣/٣ ـ ٨٤.

(٦) من قولهم: عدا عليه اللص: إذا سرقه.
انظر: اللسان ٣٤/١٥، مادة عدا.

الذئب على ذَنَبه[1] فقال: «ألا تتقي الله، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟ فقال: ياعجباً، ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: «ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق». قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأخبره. فأمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فنودي: (الصلاة جامعة)[2] ثم خرج، فقال للأعرابي: «أخبرهم» فأخبرهم. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «صدق والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجلَ عَذَبَةُ سوطه[3] وشراك نعله، ويخبره فَخِذُه ما أحدث أهله بعده»[4].

وروى[5] الترمذي آخره وصححه[6]، قال البيهقي: «إسناده

---

(١) الذئب والكلب يقعى كل منهما على أسته، مفترشاً رجليه، وناصباً يديه.
انظر: اللسان ١٥/١٩٢، مادة قعا.

(٢) جامعة: حال من الصلاة، والمعنى: عليكم الصلاة في حال كونها جامعة الناس.
انظر: المصباح المنير ص ١٠٩ ــ ١١٠.

(٣) عذبة السوط: طرفه.
انظر: المصباح المنير ٢/٣٩٨.

(٤) الحديث أورده الهيثمي بنحوه، وأورد بجانبه رواية أخرى لأبي سعيد ــ راوي هذا الحديث ــ ثم قال: «رواه أحمد والبزار بنحوه، باختصار، ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح».
انظر: المجمع ٨/٢٩١.

(٥) في أ (رواه) والأولى ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٦) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع، ٤/٤٧٦ (٢١٨١).
قال أبو عيسى: «وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلاّ من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي».

صحيح، وله شاهد من وجه آخر»[1]. ورواه أحمد عن أبي هريرة، قال: «وكان الراعي يهودياً فأسلم»، وقال فيه: «أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين، يخبركم بما مضى، وما هو[2] كائن بعدكم»[3].

وفي الصحيحين عن أنس، قال: كان بالمدينة فزع فاستعار النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرساً لأبي طلحة وكان يقطف[4] فلما رجع، قال: «[5]وجدنا فرسكم هذا بحراً»[6]، وكان بعد ذلك لا يجارىٰ[7].

وفي الصحيحين، عن سلمة بن الأكوع[8]، وسهل بن سعد، عن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٤٢.

(٢) في ك و ط (بما).

(٣) المسند للإمام أحمد ٢/٣٠٦، قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٩٢: «هو في الصحيح (يقصد رواية أبي هريرة) باختصار، رواه أحمد، ورجاله ثقات».

(٤) في رواية البخاري: «كان يقطف أو كان فيه قطاف...» على الشك والمراد أنه كان بطيء المشي.
انظر: الفتح ٥/٢٤١.

(٥) في ك و ط زيادة «إن».

(٦) (يقال للفرس بحر إذا كان واسع الجري، أو لأن جريه لا ينفد كما لا ينفد البحر). قاله الأصمعي.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) لا يجاري: أي لا يسبق في الجري.
انظر: الفتح ٦/٧٠.
رواه البخاري بنحوه، كتاب الجهاد، باب الفرس القطوف، ٦/٧٠ (٢٨٦٧) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ــ عليه السلام ــ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٣ (٢٣٠٧).

(٨) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، أبو مسلم، وأبو أياس الحجازي المدني، مات سنة ٩٤هـ بالمدينة وله قريباً من ٩٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٢٦ ــ ٣٣١؛ وتقريب التهذيب ١/٣١٨.

النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة خيبر: أنه أرسل إلى علي، وهو أرمد العين[١]، فقال: «لأعطين الراية[٢] رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبصق في عينيه فبرأ[٣]، كأن لم يكن به وجع قط، وأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «انفذ على رسلك[٤]، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ــ تعالى ــ فيه[٥]، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم»[٦].

وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه قتادة بن النعمان[٧]: أنه

(١) رمد العين: مرض من أمراض العين، وهو يكون عن مادة حارة وعن بلغم، وعن سوداء، ويكثر في البلاد الحارة.
انظر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة ص ١٠١.

(٢) الراية: بمعنى اللواء، وهو العَلَم الذي في الحرب، يعلم به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش. وقد يدفعه لمقدم العسكر، وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما.
انظر: الفتح ٤٧٧/٧.

(٣) في ط (فبريء).

(٤) أي: امضِ على راحة وهون.
انظر: الفتح ٤٧٨/٧.

(٥) في ط (فيهم).

(٦) حُمْر النَّعَم: لون من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها، وكانت مما تفاخر به العرب.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري بنحوه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٤٧٦/٧ (٤٢١٠) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي. . .، ١٨٧٢/٤ (٢٤٠٦).

(٧) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، الأمير المجاهد، أبو عمر الأنصاري الظفري =

أصيبت عينه يوم بدر[1]، فسألت على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «لا» ودعاه، وغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[2]. وفي رواية: فرفع حدقته، حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته، وقال: «اللهم أكسبه[3] جمالاً»، فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت، رواه عنه أهل المغازي[4].

= البدري، من نجباء الصحابة، وهو أخو أبو سعيد الخدري لأمه، توفي سنة ٢٣هـ بالمدينة وله ٦٥ سنة ونزل عمر في قبره.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٣١ ــ ٣٣٣؛ وتقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(١) في ك و ط جاء بدلاً من قوله (يوم بدر) قوله: (في الغزو مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم أحد).

(٢) أخرجه البيهقي بدون قوله: «فكانت أحسن عينيه وأحدّهما». في الدلائل ٣/٩٩ ــ ١٠٠. قال ابن حجر في الإصابة ٣/٢٢٥: «وأخرج البغوي وأبو يعلى عن يحيى الحمَّاني عن أبي الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت. . .» وذكر الحديث بنحوه. . . ومن طريق يعقوب بن محمد الزهري، عن إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جده وذكر الحديث مختصراً. . . قال عاصم: «فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا»

قال أبو نعيم في الدلائل ٢/٦٢٢؛ «وفي حديث منصور بن أحمد المعدل: فردها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيده، فكانت أصح عينيه وأحدهما». وأورد الحديث الهيثمي في المجمع بنحوه ٨/٢٩٧ ــ ٢٩٨ وقال: «رواه الطبراني وأبو يعلى وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف».

(٣) في ك (اكسه) وفي ط (أكسها).

(٤) هذه الرواية أوردها بمثلها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٣ برواية عبد الرحمن الغسيل حدثنا عاصم. . . إلخ. ورواها ابن سعد في الطبقات ١/١٨٧ ــ ١٨٨. وقد جاء من طرق أخرى أن ذلك في غزوة أحد، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات ٣/٤٥٣ قال ابن كثير في السيرة ٣/٦٦. «وروى الدارقطني بسند غريب. وساقه عن =

وأنشد ولده[1] بحضرة عمر بن عبد العزيز، وهو خليفة، أقره من حضر ولم ينكروه:

أنا ابن الذي سالت على الخد[2] عينه
وردت بكف المصطفى أيما رد[3]

فلولا أنه كان معروفاً عند التابعين لم يُقِرّوه، وهم إنما تلقوا هذا عن الصحابة.

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب، قال: «بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أبي رافع اليهودي[4] رجالاً من الأنصار[5]،

= قتادة قال: «أصيبت عيناي يوم أحد، فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأعادهما مكانهما، وبصق فيهما فعادتا تَبْرقان». وأخرج ذلك ابن إسحاق مرسلاً كما في السيرة لابن هشام ٨٧/٣، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٦٢١/٢ ـ ٦٢٢. قال الهيثمي في المجمع ١١٣/٦: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه». وقد ذكر ذلك الحاكم في المستدرك ٢٩٥/٣ بدون إسناد. ورواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٥١٦/٢.

(١) هو عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني. مقبول، من الطبقة الثالثة. انظر: تقريب التهذيب ٦٢/٢.

(٢) في أ (الجفن) وظاهر أنه تحريف نسخي.

(٣) في ك و ط (أحسن الرد) وزاد في ك و ط بيتاً آخر وهو:
فعادت كما كانت لأحسن حالها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد
وهو في أسد الغابة ٩٠/٤ من رواية الأصمعي وفي السيرة لابن كثير ٦٧/٣.

(٤) أبو رافع: هو سلاَّم بن أبي الحُقيق الأعور، وهو من بني النضير، ومن الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

(٥) الذين خرجوا لقتل أبي رافع: هم عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم، وروي أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حكم لسيف عبد الله بن أنيس =

وأمَّـر عليهم عبـد الله بن عَتِيْـك[1]، وكـان أبـو رافـع يؤذي رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ويُعين عليـه، وكـان في حصن لـه بأرض الحجاز[2]، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس[3]، قـال عبد الله لأصحـابه: «اجلسـوا مكانكم، فـإني منـطلق، ومتلطف[4] للبواب لَعلّي أدخلِ».

قـال: «وأقبل[5] حتى دنـا من الباب»[6]، وذكـر قصة قتله، إلى أن

= بأنه الذي قتل أبا رافع. وذلك سنة ٥هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٦٠ و٣/٢٨٦ ــ ٢٨٨.

(١) عبد الله بن عتيك، هـو الأنصاري، من بني مـالك بن معـاوية، وقـد نسبه خليفـة بن خيـاط، فقال: عبـد الله بن عتيـك بن قيس بن الأسـود بن مـري بن كعب بن غنم بن مسلمة بن الخزرج، وقد شهد أحـداً، وقيل: أنـه شهد صفين مـع علي، وقيل: بـل قتل يوم اليمامة.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٠٢ ــ ٢٠٣.

(٢) يحتمل أن حصنه كان قريباً من خيبر في طرف أرض الحجاز. انظر: الفتح ٧/٣٤٢.

(٣) في ك و ط زيادة (بسرحهم).

(٤) سقطت الواو من أ.

(٥) في ك و ط (فاقبل) بالفاء.

(٦) في ك و ط ذكر بقية القصـة وهي: «ثم تقنع بثـوبه، كـأنه يقضي حـاجة، وقـد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت. فلما دخل الناس أغلق الباب ثم أغلق الأغـاليق علي ودخل. (سقط الحرفان ــ خل ــ من كلمة «ودخل» من ك) قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسْمَر عنده، وكان في علالي له (في ط: عدلي) فلما ذهبت عنـه أهل السمـرة، صعدت إليـه، فجعلت كلما فتحت بـاباً أغلقت عليَّ من داخـل، قلت: إن القوم لـو نـذروا بـي، لم يخلصـوا إليَّ حتى أقتله، فـانتهيت إليه، فـإذا هـو في بيت مـظلم، وسط عيـالـه، لا أدري أين هـو من البيت. قلت: أبـا رافع. قـال: من هذا؟ فـأهويت نحـو الصوت، فضـربتـه ضـربـة بالسيف وأنا دهش فمـا أغنت شيئاً وصـاح. فخرجت من البيت، فمكثت غيـر بعيد، =

قال: «ثم وضعت[1] السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعلمت أنني قد قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً، حتى انتهيت إلى درجة، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، ثم انطلقت، حتى جلست عند الباب، فقلت: لا أبرح حتى أعلم، أقتلته أم لا؟ فلما صاح الديك، قام الناعي على السور، فقال: أنعي[2] أبا رافع. قال[3]: فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاة[4] النجا، قد[5] قتل الله أبا رافع. قال فانتهينا إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وحدثناه، فقال: «أبسط رجلك». فبسطها[6] فمسحها فكأنما لم أشتكها[7] قط»[8].

= ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فضربته (وفي ك (فأضربه) والأصح ما في ط وهو ما أثبت) ضربة أثخنته، ولم أقتله.

(١) في ك و ط زيادة (صيب).

(٢) في ك و ط سقطت (فقال) وفي ط (بنعي).

(٣) سقطت (قال) من ك و ط.

(٤) في ك و ط (النجاء).

(٥) سقطت (قد) من ك و ط.

(٦) الذي في صحيح البخاري (فبسطت رجلي) وفي أكسفورد (فبسطتها) ولا أرى مانعاً من ورود جميع هذه الألفاظ، حيث أنه ربما ثقل عليه بسط رجله، لكونها مكسورة، فساعده الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على ذلك، فأسند الفعل إلى الرسول في لفظ، وأسنده إلى نفسه في لفظ آخر، مع أن الراجح ما جاء عند البخاري، وهو ما ذكرته في أول هذا التعليق.

(٧) في ك و ط (يشكها).

(٨) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ـ عبد الله بن أبي الحقيق، ويقال: سلام بن أبي الحقيق...، ٧/٣٤٠ ـ ٣٤١ (٤٠٣٩) من الفتح.

وفي البخاري عن يزيد بن أبي عبيد[١]، قال: «رأيت في ساق سلمة بن الأكوع أثر ضربة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، قال: «فأتيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فنفث[٢] فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة»[٣].

وفي الترمذي وغيره عن عثمان بن حنيف[٤]: أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: ادع الله ــ تعالى ــ أن يعافِيَني. قال: «إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت الله»[٥]، قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، فيصلي[٦] ركعتين، ويدعو[٧] بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك[٨] وأتوجه[٩] * إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد * إني أتوجه بك إلى

---

(١) هو يزيد بن أبي عبيد المدني، مولى سلمة بن الأكوع، من بقايا التابعين الثقات، توفي سنة ١٤٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٦.

(٢) النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٧١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/٤٧٥ (٤٢٠٦) من الفتح ورواه أبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى ٤/١٢ (٣٨٩٤).

(٤) عثمان بن حنيف: هو ابن واهب الأنصاري، الأوسي، أبو عمرو المدني. صحابي شهير، مات في خلافة معاوية ــ رضي الله عنهما ــ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٨.

(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

(٦) في ك و ط (ويصلي).

(٧) في أ (ويدعوا).

(٨) سقطت (أسألك) من ك و ط.

(٩) ما بين النجمتين سقط من ك وترك له بياض.

ربي، في حاجتي هذه فتقضيها لي[1]، اللهم فشفعه في»[2].

وفي رواية قال: «يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شق عليَّ»، وذكر الحديث. فقال عثمان: «والله ما تفرقنا، ولا طال الحديث بنا، حتى دخل الرجل، وكأنه لم يكن به ضر قط»، قال الترمذي: «حديث صحيح»[3].

التأثير في الأشجار والخشب، من آيات نبوته ـ عليه السلام ـ

النوع الثالث[4] آثاره في الأشجار والخشب:

ففي[5] الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع النخل، فكان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع المنبر، فكان[6] عليه، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[7]، حتى جاء النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) سقطت (فتقضيها لي) من ط.

(٢) رواه الترمذي في سننه بمثله، كتاب الدعوات، باب ١١٩ حدثنا محمد بن غيلان...، ٥/٥٦٩ (٣٥٧٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب. لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي، وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف». ورواه أحمد في المسند ٤/١٣٨.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/١٦٨ من ثلاثة طرق. وليس عند الترمذي هذه الرواية ولا قول عثمان.

(٤) هذا هو النوع الرابع ـ كما هو واقع السياق ـ وقد سبقه:
١ ــ آيات العالم العلوي.
٢ ــ آيات الجو.
٣ ــ تصرفه في الحيوان.
وسيستمر العد على هذا النحو الناقص.

(٥) في ط (وفي).

(٦) في ك و ط (وكان).

(٧) العشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر، إلى أن تلد. انظر: اللسان ٤/٥٧٢، مادة عشر.

وسلَّم ــ فوضع يده عليها فسكنت»[1] وفي رواية: «فصاحت النخلة، صياح الصبي»[2]. وفي الصحيح[3] عن جابر: أن امرأة من الأنصار[4] قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؟ فإن لي غلاماً نجاراً[5]. قال: «إن شئت»[6] فعملت له المنبر. فلما كان يوم الجمعة، قعد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على المنبر الذي صنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عليها، حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي [7] يسكت، حتى استقرت[8].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٠٢ (٣٥٨٥) من الفتح. ولم يروه مسلم خلافاً لما ذكر الشيخ المؤلف ولكن رواه النسائي بمعناه، كتاب الجمعة، باب مقام الإمام في الخطبة ٣/١٠٢.

(٢) رواها البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٠١ ــ ٦٠٢ (٣٥٨٤) من الفتح.

(٣) في ك و ط (الصحيحين).

(٤) رجح الحافظ ابن حجر أن النجار كان مولى لسعد بن عبادة، فيحتمل أن يكون في الأصل لامرأته، ونسب إليه مجازاً، واسم امرأته: فكيهة بنت عبيد بن دليم، وهي ابنة عمه، أسلمت وبايعت.
انظر: الفتح ١/٤٨٦.

(٥) تعددت الأقوال في تسميته وأقربها: ميمون.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في ك و ط زيادة (قال).

(٧) في ط زيادة (أخذ).

(٨) رواه البخاري وفيه زيادة في آخره، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». كتاب البيوع، باب النجار، ٤/٣١٩ (٢٠٩٥) من الفتح قال الحافظ هنا: «يحتمل أن يكون فاعل (قال) راوي الحديث، لكن صرح وكيع في روايته، عن عبد الواحد بن أيمن، بأنه ــ أي فاعل (قال) ــ النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عنه».

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال: سرنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى نزلنا وادياً أفيح[1]، فذهب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة[2] من ماء، فنظر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي[3]، فانطلق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى إحداهما، فأخذ بغصنين من أغصانها، فقال: «انقادي علي ـ بإذن الله ـ» فانقادت معه كالبعير المخشوش[4] الذي يصانع[5] قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ ـ بإذن الله ـ» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف فيما بينهما فلأم[6] بينهما، حتى جمع بينهما، فقال: «التئما علي ـ بإذن الله تعالى ـ» فالتأمتا عليه، فخرجت أحْضِر[7] مخافة أن يحس رسول الله

---

(١) أفيح: واسعاً.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٨/١٤٣.

(٢) الإداوة: المِطْهرة.
انظر: مختار الصحاح ص ١١.

(٣) شاطىء الوادي: جانبه.
انظر: شرح النووي ١٨/١٤٣.

(٤) أي: الذي يجعل في أنفه خشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) من مصانعة الفرس: وهو أن لا يعطى جميع ما عنده من السير. أو المداراة.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٨٦٠.

(٦) في ط (فلئم).

(٧) أحضر: أي أعدو وأسعى سعياً شديداً.
انظر: شرح النووي ١٨/١٤٣.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقربي، فيتباعد[1]، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة[2]، فإذا[3] برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، وذكر الحديث[4].

وعن ابن عباس قال: جاء رجل من بني عامر[5] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: يا رسول الله، أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإنني من أطب الناس، قال «ألا أريك آية؟» قال: بلى. فنظر إلى نخلة فقال: «ادع ذلك العذق» فجاءه ينقز[6] حتى قام بين يديه ـ فقال له «أرجع» فرجع[7].

---

(١) في ك و ط (فتباعدت).

(٢) اللفتة: النظرة إلى جانب.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) في ك و ط زيادة (أنا).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر...، ٢٣٠٦/٤ (٣٠١٢).

(٥) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، قبيلة كبيرة. منهم لبيد بن ربيعة الشاعر، له صحبة، وخلق كثير.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣٠٦/٢.

(٦) في ك و ط (ينفر).
ينقز: من النقز، وهو الوثبان صعدا في مكان واحد.
انظر: اللسان ٤١٩/٥، مادة نقز.

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وله بقية، وفيه: (أطيب) بدلاً من (أطب)، وأورده الهيثمي بمعناه، وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة». وفيه تحديد العامري بأنه من عامر بن صعصعة.
انظر: المجمع ١٠/٩.
في ك و ط زيادة (فقال العامري يا آل بني عامر، ما رأيت أسحر منه). قال =

وفي رواية الترمذي: جاء أعرابي إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة: تشهد[1] أني رسول الله[2]»، قال: نعم فدعاها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فجعل ينزل من النخلة، حتى سقط إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ثم قال: «ارجع» فعاد، فأسلم الأعرابي[3].

وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه، قال له النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي. قال: «هل لك في خير؟» قال: ما هو[4]؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» فقال[5] ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السَّلَمة[6]»! فدعاها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي بشاطىء الوادي، فأقبلت تَخُد الأرض[7] حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي

= الترمذي: «حديث حسن صحيح»، ورواه الدارمي ــ أيضاً ــ قال: فجاءت النخلة تنفر بين يديه ثم قال لها: «ارجعي» فعادت إلى مكانها.

(١) في ك و ط (أتشهد).

(٢) في ط زيادة: الجملة الدعائية، ولا مناسبة لمجيئها هنا وهي إضافة من الطابع حتماً.

(٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي. . . ، ٥/٥٩٤ (٣٦٢٨). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

(٤) في ك و ط (وما).

(٥) في ك و ط (قال).

(٦) السلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها، ويسمى ورقها: القَرَظ، لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح.
انظر: اللسان ١٢/٢٩٦، مادة سلم.

(٧) تخد الأرض: من خد السيل الأرض: إذا شقها بجريه.
انظر: اللسان ٣/١٦١، مادة: خدد.

إليه[1] فقال: أن اتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت فكنت معك[2] * ورواه الدارمي ــ أيضاً ــ «قال فيه: فجاءت النخلة، تنقز بين يديه، ثم قال لها «ارجعي» فعادت إلى مكانها *[3].

وفي الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن[4] قال: سمعت أبي[5] يقول: سألت مسروقاً: من آذن[6] النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك (يعني[7] ابن مسعود)، أنه قال: آذنته بهم شجرة»[8].

وفي الترمذي عن علي قال: كنت مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) في ك و ط (إلى قومه).

(٢) سنن الدارمي بنحوه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/٩ ــ ١٠.

(٣) سنن الدارمي بمثله، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه، ١٣/١.
ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٤) معن بن عبد الرحمن: هو ابن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي، أبو القاسم، القاضي، ثقة، روى له الشيخان.
انظر: تقريب التهذيب ٢٦٧/٢.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيبة بن صاحب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عبد الله بن مسعود، الهذلي المسعودي، الكوفي، أخو أبي العميس، ولد بعد سنة ٨٠هـ كان فقيهاً كبيراً يخدم الدولة وله منزلة وهو صدوق، اختلط قبل موته، فمن سمع منه في بغداد فهو بعد اختلاطه. مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩٢/٧ ــ ٩٥؛ وتقريب التهذيب ٤٨٧/١.

(٦) آذن: بالمد: أعلم.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢.

(٧) في ك و ط زيادة(عبد الله).

(٨) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن، ١٧١/٧ (٣٨٥٩) من الفتح. ومسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح...، ٣٣٣/١ (٤٥٠).

وسلَّم ــ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلَّا وهو يقول: «السلام عليك، يا رسول الله»[1] رواه الحاكم في صحيحه[2].

وروى الإمام أحمد، عن أنس بن مالك قال: «جاء جبريل إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذات يوم، وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة. فقال له: «ما لك؟»[3] قال: فقال: «فعل هؤلاء وفعلوا». [4]فقال له جبريل: «أتحب أني أريك آية؟» فقال[5]: «نعم». فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: «أدع تلك الشجرة» فدعاها، فجاءت تمشي، حتى قامت بين يديه، فقال: «مرها فلترجع إلى مكانها». فقال لها: «ارجعي» فرجعت، حتى عادت إلى مكانها. فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «حسبي»[6] ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده[7].

• • •

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي... ٥٩٣/٥ (٣٦٢٦) وقال: «هذا حديث غريب».

(٢) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٦٢٠/٢. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وهو في مسند أبي يعلى ٣٥٨/٦ ــ ٣٥٩ (٣٦٨٥ ــ ٣٦٨٦) قال المحقق: «وإسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) رسمت في أ هكذا «ملك».

(٤) في ك و ط زيادة (قال).

(٥) في ك و ط (قال).

(٦) حسبي: بمعنى: يكفيني.
انظر: مختار الصحاح ص ١٣٥.
رواه أحمد في مسنده مختصراً، ١١٣/٣.

(٧) أورده الهيثمي في المجمع ١٠/٩ عن عمر بن الخطاب بمعناه، وقال: «رواه البزار وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى حسن».

فصل

تكثير الماء والطعام والثمار من آيات النبوة

والنوع الرابع[1]: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة، وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر:

أما الماء: ففي الصحيحين عن أنس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا بماء، فأتي بقدح رَحْراح[2]، فجعل القوم يتوضؤن قال: «فحزرت[3] ما بين السبعين إلى الثمانين»[4]. وفي رواية عنه: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خرج في بعض مخارجه ومعه أناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجدوا ما يتوضؤن به، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدحٍ فيه ماء يسير، فأخذه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم

---

(١) هذا هو النوع الخامس ـ كما يدل عليه واقع السياق ـ.

(٢) في أ: «رجاج» والصواب من الصحيح، كما هو في ك و ط.
رَحراح: هو الواسع القصير الجدار.
انظر: شرح النووي ص ١٥ ـ ٣٨.

(٣) حزرت: قدرت.
انظر: المصباح المنير ص ١٣٣.

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب الوضوء، باب الوضوء من التَور، ١/٣٠٤ (٢٠٠) من الفتح بأطول من هذا. ومسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩) وفيه: «ما بين الستين...» بدل «السبعين».

قال: «قوموا فتوضؤا» وكانوا سبعين أو نحوه[1].

وفيهما عن أنس ــ أيضاً ــ : أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه بالزوراء. (والزوراء بالمدينة، عند السوق والمسجد ثمة)[2] دعا بقدح فيه ماء، فوضع فيه كفه، فجعل ينبع بين أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه[3].

وفي الصحيحين عنه قال: «رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بوضوء، فوضع في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس، حتى توضؤاً من[4] عند آخرهم»[5].

---

(١) رواها البخاري بنحوها، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨١ (٣٥٧٤) من الفتح.

(٢) هذا من قول أحد الرواة، ولعله قتادة الراوي عن أنس.
وانظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٧٤.
ثمة: بمعنى هناك وهو اسم إشارة للبعيد.
انظر: مختار الصحاح ص ٨٧.

(٣) في ك و ط زيادة (قال: قلت كم كانوا يا أبا حمزة، قال: كانوا زهاء الثلاثمائة). وفي رواية: (بماء لا يغمر أصابعه).
رواه مسلم واللفظ له بمثله. والزيادة التي في ك و ط هي تمام الحديث، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩). والبخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨٠ (٣٥٧٢) من الفتح.

(٤) من هنا بمعنى إلى، وهي لغة.
انظر: شرح مسلم ١٥/٣٩.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨ (٣٥٧٣) من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٣ (٢٢٧٩).

وفي الصحيحين عن جابر قال: «قد رأيتني مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد حضرت صلاة العصر، وليس معنا ماء غير فضلة، فَجُعِل في إناء فأتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأدخل يده فيه، وفَرَّج أصابعه،[1] وقال: «حيَّ على الوضوء، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو[2] ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة»، قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: «ألفاً وأربعمائة»[3].

وفي صحيح البخاري عن جابر ـ أيضاً ـ قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين يديه ركوة[4]، فتوضأ، فجهش[5] الناس نحوه، قال: «ما لكم»؟ قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب، إلَّا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[6].

---

(١) في ك و ط (ثم).

(٢) لا آلو: أي لا أقصر، والمراد أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة. انظر: الفتح ١٠٢/١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، ١٠١/١٠ (٥٦٣٩) من الفتح، بمثله. ورواه مسلم مختصراً وفي أكثر من رواية، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش. . .، ١٤٨٤/٣ (١٨٥٦).

(٤) الركوة: دلو صغير.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٨.

(٥) من الجهش: وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٥.

(٦) صحيح البخاري، بنحوه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٤٤١/٧ (٤١٥٢) من الفتح.

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة[1] فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله[2] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ، ثم تمضمض ودعا[3]، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا، وكنا ألفاً وأربعمائة، أو أكثر من ذلك»[4].

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك[5] وعليها خمسون شاة لا ترويها، فقعد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على جَبَا الركية[6]، فإما دعا، وإما بصق فيها، قال: فجاشت[7] فسقينا واستقينا»[8].

---

(١) سقطت كلمة (مكة) من أ.

(٢) في ك و ط (النبي).

(٣) سقطت (ودعا) من ط.

(٤) رواه البخاري بنحوه، وهو هنا مجموع من روايتين، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٧/٤٤١ (٤١٥٠ ــ ٤١٥١) من الفتح.

(٥) (أو أكثر من ذلك) سقطت من ك و ط.

(٦) الجبا: هو ما حول البئر، والركي: هو البئر، والمشهور في اللغة: ركي بغير هاء، ووقع هنا ركية بالهاء، وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره.
انظر: شرح النووي ١٢/١٧٥.

(٧) جاشت: ارتفعت وفاضت.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ٣/١٤٣٣ (١٨٠٧) بمثله. وليس فيه: «أو أكثر من ذلك».

وعن ابن عباس قال: «ودعا[1] النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بلالاً، فطلب بلال الماء، ثم جاء، فقال: لا والله، ما وجدت الماء. فقال النبي[2] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «فهل من شن»؟[3] فأتاه بشن، فبسط كفيه فيها[4]، فانبعثت من[5] يده عين. قال: فكان ابن مسعود يشرب، وغيره يتوضأ»[6].

وعن جابر بن عبد الله قال: «غزونا أو سافرنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ونحن يومئذ بضع عشرة ومائتين، فحضرت الصلاة، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هل في القوم من طهور»؟ فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء، وليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في قدح، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم انصرف وترك القدح، فركب الناس ذلك القدح، وقالوا: تمسحوا تمسحوا، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «على رسلكم» حين[7] سمعهم يقولون ذلك، فوضع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كفه في الماء والقدح، فقال[8]: «بسم الله»

(١) سقطت الواو من ك و ط.
(٢) لم ترد (النبي) في ط.
(٣) في ط زيادة (ماء).
(٤) في ك و ط (فيه).
(٥) سقطت (من) من أ، وعند الدارمي: (تحت يديه).
(٦) سنن الدارمي، بنحوه، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١٣/١. وقد أورده الهيثمي في المجمع ٢٩٩/٨ ــ ٣٠٠ م ٤، مطولاً وفيه زيادة، وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، والبزار باختصار وأحمد إلَّا أنه قال: «فانفجر من بين أصابعه عيون». وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط». قلت: وإسناد الدارمي لا بأس به.
(٧) في أ (حتى).
(٨) في ك و ط (وقال).

ثم قال: «أسبغوا الطهور». فوالذي ابتلاني ببصري[1] لقد رأيت العيون عيون[2] الماء تخرج من بين أصابعه، فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون»[3]رواهما الدرامي في مسنده.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في سفرٍ فقل الماء: «فقال اطلبوا فضلة من ماء»، فجاؤا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «حيّ على الوضوء[4] المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[5].

وروى مسلم في صحيحه، عن معاذ بن جبل، قال: «خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوم أخّر الصلاة، ثم خرج، فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال:

---

(١) يعني أنه عمي في آخر عمره.
انظر: الفتح ٧/٤٤٤.

(٢) سقطت (عيون) من ط.

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه...، ١/١٣ ــ ١٤. والحديث إسناده جيد.

(٤) في ك و ط (الطهر).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٥٨٧ (٣٥٧٩) من الفتح.

«إنكم ستأتون غداً ــ إن شاء الله ــ عين[1] تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم، فلا يمس من مائها شيئاً، حتى آتي».
فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان. والعين مثل الشراك: تَبِضُّ[2] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هل مسيتما[3] من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال[4] ما شاء الله أن يقول، [5] ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً[6]، حتى اجتمع شيء، قال: وغسل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر[7]، أو قال[8]: غزير[9]، فسقى[10] الناس، ثم قال: «يوشك ــ يا معاذ، إن طالت بك حياة ــ أن ترى ما هاهنا[11] قد ملىء جناناً»[12].

---

(١) المقصود بالعين هنا التي يخرج منها الماء.
انظر: اللسان ١٣/٣٠٣، مادة عين.
(٢) أي: أنها ذات ماء قليل جداً كشراك النعل، تَبِضُّ: تسيل. شرح النووي لمسلم ١٥/٤١. م ٨.
(٣) في ك و ط (مسستما).
(٤) في ك و ط زيادة (لهما).
(٥) في ك و ط زيادة (قال).
(٦) سقطت (قليلاً) الثانية من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح.
(٧) منهمر: كثير الصب والدفع.
انظر: شرح النووي ١٥/٤١.
(٨) هذا الشك هو من أبي علي الحنفي الذي روى عنه الدارمي، وهو شيخ مسلم.
(٩) هكذا في ك و ط وفي أ (غزيراً) بالنصب والصواب ما في ك و ط ولهذا حذفنا علامة النصب.
(١٠) في ك و ط (فاستقى).
(١١) في ط (ماء هاهنا).
(١٢) صحيح مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي... ٤/١٧٨٤ ــ ١٧٨٥ (٧٠٦). =

وفي صحيح مسلم [1] حديث جابر، الذي رواه عبادة بن الوليد[2]، وقد تقدّم أوله في قصة الشجرتين وانقيادهما ثم افتراقهما، ووضع الغصن على القبرين[3]، وقال في آخره: «فأتينا العسكر، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يا جابر، ناد بوضوء»، فقال: ألا وضوء، ألا وضوء. قال: قلت يا رسول الله: ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الماء في أشجاب[4] له، فقال لي: «انطلق إلى فلان[5]، فانظر هل في[6] أشجابه من شيء؟» قال: فانطلقت إليه، فنظرت فيها، فلم أجد فيها[7] إلا قطرة في عزلاء[8] شجب، لو أني أفرغه لشربه يابسه[9].

= وها هي نبؤته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تتحقق هذه الأيام على نطاق واسع ــ وإن كانت ربما قد تحققت في الماضي بشكل ما، وذلك بفضل الله ــ تعالى ــ.

جنانا: أي بساتين وعمراناً، جمع (جنة).

انظر: شرح النووي ٤١/١٥. م ٨.

(١) في ط زيادة (من).

(٢) عبادة بن الوليد: هو ابن عبادة بن الصامت الأنصاري المدني، أبو الصامت، ويقال له: عبد الله ــ أيضاً ــ ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: «كنيته أبو الوليد».

انظر: تهذيب التهذيب ١١٤/٥.

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (القبر) والأولى ما أثبتناه منها.

(٤) **أشجاب**: جمع شجب: وهو السقاء (القربة) التي قد أخلقت وبليت وصارت شناً، يقال شاجب: أي يابس.

انظر: شرح النووي لمسلم ١٤٥/١٨.

(٥) في ك و ط زيادة (الأنصاري).

(٦) سقطت (في) من أ.

(٧) سقطت (فيها) من ط.

(٨) عزلاء شجب: أي فم القربة. انظر: ترتيب القاموس ٢١٨/٣.

(٩) شربه يابسه: معناه: أنه قليل جداً، فلقلته مع شدة يبس باقي الشجب، لو أفرغه لأذهبه اليابس منه ولم ينزل منه شيء.

انظر: المصدر السابق ١٤٦/١٨.

فأتيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقلت: يا رسول الله، لم أجد فيها إلا قطرة، في عزلاء شجب، لو أني أفرغه لشربه يابسه. قال: «اذهب فأتني به»، فأتيته به[1]، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، ثم قال: «يا جابر، ناد بجفنة[2] الركب» فقلت يا جفنة الركب[3]. فأُتيتُ بها تحمل، فوضعتها بين يديه، فقال[4] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيده في الجفنة، فقال: «خذ يا جابر، فصُبَّ عليَّ، وقل: بسم الله» فصببت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت. فقال: «يا جابر، ناد من كانت له حاجة بماء» قال: فأتى الناس، فاستقوا[5] حتى رووا. قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟. فرفع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يده من الجفنة وهي ملأى»[6].

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: «كنت مع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في مسير له، فأدلجنا[7] ليلتنا، حتى إذا كان

---

(١) سقطت (به) من أ.

(٢) في ك و ط (لجفنة).

(٣) **جفنة الركب**: الإناء الذي يطبخ فيه ما يشبع الجماعة، والنداء على تقدير «صاحب» أي يا صاحب جفنة الركب أحضرها.
انظر: المصدر السابق ١٨/١٤٦.

(٤) قال هنا: بمعنى فعل.

(٥) في أ (فأسقوا) وقد أثبتنا ما في ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٦) رواه مسلم بمثله، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل...، ٤/٢٣٠٧ ــ ٢٣٠٨ (٣٠١٣). ومالك في الموطأ مختصراً، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر ١/١٤٣ ــ ١٤٤.

(٧) الإدلاج: سير أول الليل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٠٩.

وجه الصبح، عَرَّسْنا[1]، فغلبتنا أعيننا، حتى بزغت الشمس، فكان أول من استيقظ منا أبو بكر الصديق، وكنا لا نوقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من منامه، حتى يكون هو الذي يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، ثم استيقظ عمر، فجعل يكبر، حتى استيقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فلما رفع رأسه، ورأى الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا، فسار بنا، حتى ابيضت الشمس: نزل، فصلى بنا الغداة: فاعتزل رجل من القوم: لم يصل معنا، فلما انصرف قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما منعك أن تصليَ معنا؟» قال أصابتني جنابة ولا ماء! قال له: «عليك بالصعيد، فإنه يكفيك» فتيمم بالصعيد[2] فصلى، ثم عجَّلني في ركب بين يديه، يطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مَزَادَتَين[3]، فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إيهاه إيهاه[4]، لا ماء لكم. فقلت: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة، قلنا: انطلقي إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً، حتى انطلقنا بها، [5]واستقبلنا بها رسول الله

---

(١) من التعريس: وهو نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٣.

(٢) **الصعيد**: التراب. وقال ثعلب. هو وجه الأرض.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٣) **سادلة**: مرسلة مُدْنِية. والمزادة أكبر من القِربة، سميت بذلك، لأنه يزاد فيها جلد آخر من غيرها.
انظر: شرح النووي ٥/١٩٠.

(٤) **إيهاه**: بمعنى هيهات، والمراد: البعد من المطلوب، واليأس منه.
انظر: المصدر السابق ٥/١٩١.

(٥) في ك و ط (فاستقبلنا).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فسألها، فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها موتِمة[1] لها صبيان أيتام. فأمر براويتها فأنيخت، فَمَجَّ في العزلاوين[2] العلياوين، ثم بعث براويتها فشربنا، ونحن أربعون رجلاً عطاشا، حتى روينا، وملأنا كل راوية، وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسلنا صاحبنا، غير أنا لم نسق بعيراً، وهي تكاد تتضرج[3] من الماء يعني المزادتين، ثم قال: «هاتوا ما عندكم» فجمعنا لها من كسر وتمر، وصر لها صرة، وقال[4]: «اذهبي فأطعمي عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك[5] شيئاً» فلما أتت أهلها قالت: لقد رأيت أسحر البشر، أو أنه النبي كما زعم، كان من أمره ذيت وذيت[6]. فهدى الله ـ عز وجل ـ ذلك القوم بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا»[7].

---

(١) في ك و ط (مويمة) بالياء بدلاً من التاء، وكلاهما صحيح.

(٢) المج: زَرْق الماء بالفم. والعزلاء: هو المشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ويطلق ـ أيضاً ـ على فمها الأعلى.
انظر: شرح النووي ١٩١/٥.

(٣) **تتضرج**: تتشقق.
انظر: المصدر الموضع السابق.
في متن الصحيح: «تنضرج» بتاء ونون، وليس بتائين كما في جميع النسخ.

(٤) في ك و ط زيادة (لها).

(٥) في ط (ماثك).
أي: لم ننقص من مائك شيئاً.
انظر: المصدر السابق ١٩٢/٥.

(٦) في ط (زيت وزيت) بالزاي.
ذيت وذيت، بمعنى: كيت وكيت وكذا وكذا. المصدر والموضع السابق.

(٧) رواه مسلم واللفظ أقرب إلى لفظه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة...، ٤٧٤/١ ـ ٤٧٦ (٦٨٢). والبخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٥٨٠/٦ (٣٥٧١) من الفتح.

وفي الصحيحين عن أبي قتادة[1] قال: خطبنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء غداً ـ إن شاء الله ـ»، فانطلق الناس لا يلوي[2] أحد على أحد ـ وذكر حديث النوم في الوادي ـ فقال: ثم دعا بميضأة، كانت معي، فيها شيء من ماء، فتوضأ منها وضوءاً، دون وضوء، وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: «احفظ علينا ميضأتك، فسيكون لها نبأ»[3]، ثم قال: «[4] أصبح الناس فقدوا نبيهم» فقال: أبو بكر وعمر: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعدكم لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أيديكم، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا». قال: فانتهينا إلى الناس، حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا عطشاً، فقال:

---

(١) أبو قتادة: هو الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي بن بُلْدُمة السلمي المدني. شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدراً. ومات سنة ٥٤هـ على الأصح والأشهر.
انظر: أسد الغابة ٢٥٠ ـ ٢٥١؛ وتقريب التهذيب ٢/٤٦٣.

(٢) لا يلوي: أي لا يعطف ولا يلتفت.
جامع الأصول ١١/٣٤٢.

(٣) **النبأ**: الخبر، والمراد: أنها سيكون لها شأن يتحدث به الناس. وفي هذا بحد ذاته معجزة، وإرهاص لمعجزة قادمة!
انظر: جامع الأصول ١١/٣٤٣.

(٤) قبل هذا كلام محذوف، والقائل هو رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حيث إنه لما صلى بهم الصبح بعد ارتفاع الشمس وقد سبقهم الناس وانقطع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهؤلاء الطائفة اليسيرة عن الناس، قال لأصحابه: «ما تظنون الناس يقولون فينا؟ فسكت القوم، فذكر لهم مواقف الناس هناك من تأخره ومن معه، وهو ـ أي التأخر ـ معنى قوله: «أصبح الناس فقدوا نبيهم».
انظر: شرح النووي ٥/١٨٨.

«لا هُلك عليكم» ثم قال: «أطلقوا لي غُمَري»[1] قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ما في الميضأة تكابوا عليها. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أحسنوا المَلاء[2]، كلكم سيروى» قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يصب، وأسقيهم، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ثم صب[3] فقال لي: «اشرب»، فقلت: لا أشرب حتى يشرب رسول الله، قال: «إن ساقي القوم آخرهم شرباً» فشربت وشرب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: فأتى الناس الماء جامِّين رواء»[4].

قال عبد الله بن رباح[5]: «إني لأحدث بهذا الحديث في مسجد

---

(١) **الغُمَر**: القدح الصغير.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٢) **الملاء**: الخُلُق، وجمعه: أملاء، وليس الملء من الامتلاء. المصدر والموضع السابق.

(٣) في ك و ط زيادة (رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٤) **جامِّين**: مستريحين من التعب والإعياء. رواء: جمع راوٍ: وهو المستكفي من الماء. المصدر والموضع السابق.
رواه مسلم بمثله، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة...، ١/٤٧٢ (٦٨١)، ورواه أبو داود مختصراً، كتاب الصلاة، باب فيمن نام عن صلاة أو نسيها، ١/١١٩ (٤٣٧). والحديث لم يخرجه البخاري في الصحيح خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

(٢) **عبد الله بن رباح**: هو الأنصاري، أبو خالد المدني، سكن البصرة، وثقه العجلي وغيره، اشترك في قتال الأزارقة من الخوارج مع المهلب. توفي في حدود سنة ٩٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٥/٢٠٦ ــ ٢٠٧.

الجامع[1]، إذ قال لي عمران بن حصين: انظر كيف تحدث. فأنا أحد[2] الركب تلك الليلة. فقلت: أنت أعلم. فقال: ممن أنت؟ قلت: من الأنصار. قال: أنتم أعلم بحديثكم. قال عمران: لقد شهدت تلك الليلة، وما شعرت أن[3] أحداً حفظه كما حفظتُه»[4].

وفي مسند الإمام أحمد، ورواه أبو يعلى الموصلي عن البراء بن عازب قال: «كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأتينا على ركي ذمة[5] قال: فنزل ستة، أنا سابعهم، أو سبعة أنا ثامنهم. قال: فأُدليت إليَّ دلو، ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على شُفَة الركي[6]، فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها، فرفعت إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: فكدت بإنائي أجد[7] سقياً اجعله في حلقي، فما وجدت. قال: فغمس رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يديه فيها، وقال[8] ما شاء الله أن يقول، فأعيدت إلينا الدلو وما فيها، قال:

---

(١) **مسجد الجامع**: هو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فعند الكوفيين يجوز ذلك بغير تقدير، وعند البصريين لا يجوز إلَّا بتقدير، وهو هنا: مسجد المكان الجامع انظر: شرح النووي ١٨٩/٥.

(٢) في ط (أحدث).

(٣) سقطت (أن) من ك و ط.

(٤) صحيح مسلم ٤٧٤/١.

(٥) في ط (زمة).
ركي ذمة: قال الأصمعي: «الذمة: القليلة الماء».
انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٤٢/١.

(٦) شفة: شفى كل شيء من حرفه.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٤٢.
في ط (شفتي).

(٧) في ك و ط (آخذ).

(٨) في ك و ط (فقال).

«فرأيت[١] آخرنا، أُخرج بثوب[٢] مخافة الغرق، قال: وساحت»[٣].

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه طرف منه، عن زياد[٤] بن الحارث الصداي[٥]، قال في آخره: ثم قلنا: يا نبي الله، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء، وسعنا ماؤها، واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف: قل ماؤها، فتفرقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكل من حولنا[٦] عدو، فادع الله في بئرنا أن يسعنا ماؤها، فنجتمع عليها ولا نتفرق. فدعا بسبع حصيات، فعركهن[٧] في يده، ودعا فيهن، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيت[٨] البئر فألقوا واحدة واحدة، واذكروا اسم الله ــ عز وجل ــ»، قال الصداي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها[٩].

---

(١) في ك و ط (فقد رأيت).

(٢) سقطت (بثوب). من ط.

(٣) في ك و ط (وساخت) بالخاء المعجمة.
المسند للإمام أحمد ٢٩٢/٤. وأورده الهيثمي في المجمع ٣٠٠/٨، وفي آخره: «ثم ساحت: يعني جرت نهراً» وقال: «هو في الصحيح، باختصار كثير، ورواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح». ومسند أبي يعلى الموصلي، مختصراً ٢١٥/٣ ــ ٢١٦ (١٦٥٥)، قال المحقق حسين أسد: «وإسناده صحيح». ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٤) في ط (زيادة).

(٥) زياد بن **الحارث الصداي** أو الصدائي، هو حليف بني الحارث بن كعب بن مذحج، وصداء: حي في اليمن، بايع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأذن بين يديه، ونزل مصر. أسد الغابة ١١٧/٢؛ وتقريب التهذيب ٢٦٦/١.

(٦) في ط (حوالينا).

(٧) عَرَكَ الشيء: دلكه.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٨.

(٨) في ط (أتيتم).

(٩) المسند للإمام أحمد ١٦٩/٤، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في =

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «أصبح رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذات يوم، وليس في العسكر ماء، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ليس في العسكر ماء. قال: «هل عندك شيء؟» قال: نعم. قال: «فأتني به» قال: فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أصابعه في[1] فم الإناء، وفتح أصابعه. قال: فانفجرت من بين أصابعه عيون، وأمر بلالاً فقال: «نادِ في الناس: الوضوء المبارك»[2].

• • •

= الرجل يؤذن ويقيم آخر، ١/١٤٢ (٥١٤)، وسنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في من أذن فهو يقيم ١/٣٨٣ (١٩٩) قال أبو عيسى: «وحديث زياد إنما نعرفه من حديث الإفريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث». وقد رد المعلق أحمد محمد شاكر ذلك وقال بأنه ثقة وأن من ضعفه فقد أخطأ. وذكر أسباب تضعيف علماء الحديث له وبيان عدم وجاهتها. وأضاف أحمد شاكر قائلاً: «وهذه الزيادة موجودة في تهذيب الكمال للحافظ المزي بإسناده، ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٥٥٧ أن أحمد أخرج الحديث بطوله، ولكني لم أجده فيه مطولاً، فلا أدري هل سقط من نسخة المسند التي طبع عليها، أو سها الحافظ، فظن أنه في المسند وليس فيه؟» ورواه ابن ماجه، أبواب الأذان، باب السنة في الآذان ١/١٣٠ (٧٠٢) كلهم رووه مختصراً دون هذه القصة. وقد أورده الهيثمي في المجمع ٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤ مطولاً جداً، وقال: «في السنن طرف منه. رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (يقصد الأفريقي) وهو ضعيف، وقد وثقه أحمد بن صالح، ورد على من تكلم فيه. وبقية رجاله ثقات».

(١) في ك و ط (على).

(٢) المسند للإمام أحمد ١/٢٥١، وأورده الهيثمي في المجمع بمعناه ٨/٢٩٩ ـ ٣٠٠، ثم قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، والبزار باختصار، وأحمد... وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط» (ضعفت ذاكرته).

فصل

نمص تكثير الطعام من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام

وأما تكثير الطعام، ففي الصحيحين عن جابر قال: «لما حُفر الخندق رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خَمِصاً[١]، فانكفأت[٢] إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول[٣] الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خمصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً[٤] فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن[٥] قال: فذبحتُ وطحنتْ، ففرغت إلى فراغي[٦] فقطعتها في برمتها[٧]، ثم وليت إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ومن معه. قال: فجئت فساررته، فقلت: «يا رسول الله، إنا

(١) الخمص: الضامر البطن.
انظر: جامع الأصول ١١/٣٥٥.
(٢) انكفأت: انقلبت ورجعت.
انظر: شرح النووي ١٣/٢١٥.
(٣) في جميع النسخ (رسول) وقد أثبتنا ما في الصحيحين.
(٤) جراباً: وعاء من جلد. شرح النووي ١٣/٢٢٦.
(٥) بُهيمة: تصغير بَهْمة، وهي الصغيرة من أولاد الضأن، والداجن: ما ألف البيوت.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٦) فرغت إلى فراغي: أي انصرفت إلى فِراغي: والفِراغ: حوض من أدم واسع ضخم، أي أنه قام بتقطيع الذبيحة في هذا الإناء، ثم وضعه في البرمة.
انظر: اللسان ٨/٤٤٥، مادة فرغ.
(٧) برمتها: قِدْرَها.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٠.

ذبحنا بُهيمة لنا، وطَحَنَت صاعاً من شعير عندنا، فتعال أنت ونفر معك». فصاح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع لكم[1]سوراً فحَيَّ هلا [2] بكم» وقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم، حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: «بك وبك»[3] قال: «قد فعلت الذي قلت لي». فأخرجت له عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق فيها وبارك، ثم[4]قال: «ادع[5] لي خابزة، فلتخبز معي[6]، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها» وهم ألف. فأُقسم بالله، لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا[7]، وإن برمتنا لتغِطُّ[8] كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[9].

---

(١) سقطت «لكم» من ك و ط.

(٢) سورا: كلمة فارسية: أي صنع طعاماً دعا الناس إليه.
حي هلا: أي هلموا مسرعين، وهي كلمة استدعاء فيها حث.
انظر: اللسان ٣٨٨/٤، مادة سور؛ والفتح ٣٩٩/٧.

(٣) **بك وبك**: أي ذمته ودعت عليه، وقيل: معناه: بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم، وقيل: معناه: جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك.
انظر: شرح النووي ٢١٧/١٣.

(٤) سقطت (ثم) من أ.

(٥) في ط: «ادعي».

(٦) في ك و ط (معك).

(٧) انحرفوا: مالوا عن الطعام.
انظر: الفتح ٢٩٩/٧.

(٨) **تغط**: تغلي وتفور.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٩) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٣٩٥/٧ ــ ٣٩٦ (٤١٠٢) =

وفي رواية، قال جابر: «إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية[١] شديدة، فجاؤا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: «هذه كِدْيَة عرضت»، فقال: «أنا نازل». فقام وبطنه معصوب بحجر[٢]، ولبثنا ثلاثاً لا نذوق[٣] ذواقاً. فأخذ النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المِعْول[٤]، فضرب، فعاد كثيباً أَهْيَل[٥]. فقلت: يا رسول الله، أئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: [٦] رأيت من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شيئاً ما في ذلك صبر. قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت

= من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك...، ٣/١٦١٠ (٢٠٣٩).

(١) كدية: قطعة صلبة صماء.
انظر: الفتح ٧/٣٩٦.

(٢) فائدة ربط الحجر على البطن أنها ــ أي البطن ــ تضمر من الجوع، فيخشى انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر، وشد عليها العصابة، استقام الظهر. قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الخطابي: أشكل الأمر في شد الحجر على البطن من الجوع على قوم، فتوهموا: أنه تصحيف، وزعموا أنه «الحُجَز» بضم أوله وفتح الجيم بعدها زاي، جمع الحُجْزة التي يشد بها الوسط. قال: ومن أقام بالحجاز وعرف عادتهم عرف أن الحجر واحدة الحجارة، وأن المجاعة تعتريهم كثيراً، فإذا خوى بطنه لم يمكن معه الانتصاب فيعمد حينئذٍ إلى صفائح رقاق في طول الكف أو أكبر فيربطها على بطنه وتشد بعصابة فوقها فتعتدل قامته بعض الاعتدال.

انظر: الفتح ٧/٣٩٦ و ١١/٢٨٤ ــ ٢٨٥.

(٣) في ط (يذوق).

(٤) المعول: المسحاة.
انظر: الفتح ٧/١٩٦.

(٥) كثيباً أهيل: رملاً مجتمعاً يسيل ويجري ولا يتماسك.
انظر: جامع الأصول ١١/٣٥٥؛ والفتح ٧/٣٩٧.

(٦) في ك و ط زيادة (إني).

العناق[١]، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة. ثم جئت إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والعجين قد انكسر[٢]، والبرمة بين الأثافي[٣]، قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيِّمٌ لي[٤]، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له. قال[٥]: «كثير طيب». قال: «قل لها، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي» قال: «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال: ويحكِ جاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم [٦]، إلى أن قال: فلم يزل يكسر ويغرف[٧] حتى شبعوا، وبقي بقية. قال: «كل هذا وأهد[٨] فإن الناس أصابتهم مجاعة»[٩].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: «قال أبو طلحة لأم

---

(١) العناق: الأنثى من المعز.
انظر: الفتح ٣٩٧/٧.

(٢) انكسر: أي لان ورطب وتمكن منه الخمير.
انظر: الفتح ٣٩٧/٧ ـ ٣٩٨.

(٣) الأثافي، الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة.
انظر: الفتح ٣٩٨/٧.

(٤) طُعَيِّم لي: طعام لي، على طريقة المبالغة في تقليله. قالوا: من تمام المعروف تعجيله وتحقيره.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) في ك و ط (فقال).

(٦) في ك و ط زيادة (قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: (أدخلوا، ولا تضاغطوا). فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم نزع).

(٧) في ط (يفرق).

(٨) في أ و ك: (وأهدي) والصواب حذف الياء.

(٩) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٣٩٥/٧ (٤١٠١) من الفتح.

سليم: قد سمعت صوت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، قال: فذهبت به، فوجدته جالساً في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم. فقال: «بالطعام»، فقلت: نعم[1]، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لمن معه: «قوموا». قال: فانطلق وانطلقت معهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة: حتى لقي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فأقبل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ معه حتى دخل، فقال[2] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، [3]: «هلمي يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فَفُتَّ، وعَصَرت عليه أم سليم عُكَّة[4] لها فأَدَمته، ثم قال فيه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا[5]، ثم قال: «ائذن

---

(١) جملة (فقال بالطعام، فقلت نعم) سقطت من ط.

(٢) سقطت (فقال) من ك و ط.

(٣) في ط زيادة (وقال).

(٤) **العُكَّة**: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالباً، والعسل.
انظر: الفتح ٦/ ٥٩٠.

(٥) هنا زيادة في ك و ط: (ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم). وفي ط زيادة أخرى: (فأكلوا حتى شبعوا).

لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم حتى أكل القوم كلهم، وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون»[1]. وفي طريق البخاري. «ثمانون»[2] وقال في رواية: «ثم أكل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبو طلحة وأم سليم وأنس، وفضل فضلة، فأهديناها لجيراننا»[3].

وفي صحيح مسلم عن سلمة قال: «كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة خيبر، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ــ يعني من التمر ــ فبسط نِطْعاً[4] فنثرنا عليه أزوادنا، قال: فتمطَّيْت[5] وتطاولت[6]، فنظرت فحزرته كربضة شاة، ونحن أربع عشرة مائة. قال: «فأكلنا، ثم تطاولت فنظرته فحزرته كربضة الشاة»[7].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وسلمة بن الأكوع، واللفظ لمسلم، [8]عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال:

---

(١) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٥٨٦/٦ ــ ٥٨٧ (٣٥٧٨) من الفتح. ومسلم بمثله، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره...، ١٦١٢/٣ (٢٠٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب مَنْ أكل حتى شبع، ٥٢٦/٩ ــ ٥٢٧، (٥٣٨١) من الفتح.

(٣) أخرجها مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره...، ١٦١٤/٣ (٢٠٤٠).

(٤) النِّطع: فراش متخذ من جلد.
انظر: المصباح المنير ص ٦١١.

(٥) في ط (فطيت).

(٦) في ك و ط (فتطاولت).

(٧) في ك و ط (شاة).
صحيح مسلم، بمثله، كتاب اللقطة، باب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها ١٣٥٤/٣ (١٧٢٩).

(٨) في ط (وعن).

«كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في مسير، قال: فنفذت أزواد القوم، حتى هموا بنحر بعض حمائلهم[1]، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها. قال ففعل، فجاء ذو البر ببره، وذو التمر بتمره، وذو النوى بنواه. قيل: وما كانوا يصنعون بالنوى[2]؟ قال: يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوادهم. قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إلّه إلَّا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة»[3].

وفي لفظ آخر[4] قال: «لما كان يوم غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، فقالوا يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «افعلوا». قال: فجاء عمر فقال: «يا رسول الله، إن فعلت قَلَّ الظهر»[5]. وفي رواية، «ما بقاؤهم

---

(١) وردت (حمائلهم) بالحاء والجيم وكلاهما صحيح، وهو هنا بالحاء وهو جمع حمولة: وهي الإبل التي تحمل. وبالجيم جمع جمالة جمع جمل.
انظر: شرح النووي ١/٢٢٣.

(٢) سقطت (بالنوى) من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/٥٥ ــ ٥٦ (٢٧). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، ٥/١٢٨ (٢٤٨٤) من الفتح.

(٤) سقطت جملة (وفي لفظ آخر) من ك و ط.

(٥) المراد بالظهر هنا: الدواب، سميت ظهراً لكونها يركب على ظهرها، أولكونها يستظهر بها ويستعان على السفر.
انظر: شرح النووي ١/٢٢٥.
أخرجها مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/٥٦ (٢٧).

بعد إبلهم، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله أن يجعل[1] في ذلك». فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «نعم»، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، وجعل الآخر يجيء بكف تمر، وجعل يجيء الآخر[2] بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالبركة، ثم قال «خذوا في أوعيتكم»، قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه[3]، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة. . .» الحديث[4].

وروى البخاري[5] من حديث سلمة بن الأكوع[6]، قال: «خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة، فأصابنا جَهْد[7] حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمرنا نبي الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فجمعنا مزاودنا[8]، فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال

(١) في ط زيادة (البركة)، قال النووي في شرحه ١/٢٢٥: «هكذا وقع في الأصول التي رأينا، وفيه محذوف تقديره يجعل في ذلك بركة أو خيراً أو نحو ذلك. . .».

(٢) في ك و ط (الآخر يجيء).

(٣) في ط (ملئوه).

(٤) هذه الرواية مجموعة من رواية للبخاري وهو قول عمر: «وما بقاؤهم بعد إبلهم». كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ٦/١٢٩ (٢٩٨٢) من الفتح. وبقيتها من رواية مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ــ ومنها الرواية التي قبلها، ١/٥٦ (٢٧).

(٥) هذه الرواية لمسلم وليست للبخاري كما يتضح من التخريج.

(٦) في ك و ط زيادة (بنحوه).

(٧) **جهد**: مشقة.
انظر: مختار الصحاح ص ١١٤.

(٨) **المزاود**: جمع مزود، كمنبر، وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد، وهو ما تزوده المسافر لسفره من الطعام. انظر: التعليق على صحيح مسلم ٣/١٣٥٤.

فتطاولت لأحزره كم هو؟ فحزرته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة. قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا[1] جُرُبَنَا[2]. فقال نبي الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3]: «هل[4] من وضوء؟» قال: فجاء رجل بإدواة فيها نطفة[5]، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقة[6]، أربع عشرة مائة، ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «فرِغ الوضوء»[7].

وفي صحيح مسلم عن جابر: أن أم مالك[8] كانت تهدي للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في عكة لها سمناً، فيأتيها بنوها، فيسألون الأُدُم[9]، وليس عندهم شيء، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي

---

(١) في ك (حشينا) وفي ط (حشينا جروبا).

(٢) جربنا: جمع جراب: أي الوعاء الذي يجعل فيه الزاد.
انظر: التعليق على صحيح مسلم ١٣٥٥/٣ لعبد الباقي.

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٤) في ك و ط (فهل).

(٥) **نطفة**: قليل من الماء.
انظر: شرح النووي ٣٤/١٢.

(٦) في ك و ط (بدغفقة دغفقة).
الدغفقة: صب الماء صباً شديداً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) هذا لفظ مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها، ١٣٥٤/٣ ــ ١٣٥٥ (١٧٢٩) ورواه البخاري بمعناه ومختصراً، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ١٢٨/٥ (٢٤٨٤).

(٨) **أم مالك**: هي الأنصارية، لها حديث رواه مسلم.
انظر: أسد الغابة ٣٨٩/٦؛ وتقريب التهذيب ٦٢٤/٢.

(٩) الأدم: ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان.
انظر: اللسان ٩/١٢، مادة أدم.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتجد فيها[1] سمناً، قال: فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «عصرتيها؟» فقالت: نعم. قال: «لو تركتيها ما زال قائماً»[2].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر ـ أيضاً ـ ، قال: «جاء رجل إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق[3] شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم»[4].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «تزوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ زينب فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي[5] أمُ سليم حَيْساً[6]، فجعلته في تَورٍ[7] من حجارة، فقالت: يا أنس، اذهب

---

(١) في ك و ط (فيه).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٤ (٢٢٨٠).

(٣) في ط (ونبق).
الوسق: ستون صاعاً، قال الخليل: الوسق حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢١.

(٤) قام لكم: بقي حاضراً موجوداً.
انظر: شرح النووي ١٥/٤٠.
صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي...، ٤/١٧٨٤ (٢٢٨١).

(٥) سقطت (أمي) من ك و ط.

(٦) الحَيس: تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن، ثم يدلك باليد، وربما جعل معه سويق.
انظر: المصباح المنير ص ١٥٩.

(٧) التَور: الإناء.
انظر: اللسان ٤/٩٦، مادة تور.

بهذا إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقل: بَعَثَت بهذا أمي إليك، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله. قال: فذهبت بها إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل. فقال: «ضعه» ثم قال: «اذهب فادع فلاناً وفلاناً وفلاناً، ومن لقيت» وسمى رجالاً. قال فدعوت من سمى، ومن لقيت، قال الجعد[1] وهو الراوي عن أنس: عدد كم[2] كانوا؟ قال: كانوا زهاء ثلاثمائة[3]، وقال لي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «يا أنس هات التور» قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه». قال فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة، حتى أكلوا كلهم. فقال: «يا أنس، إرفع» فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون، وذكر نزول آية الحجاب[4].

---

(١) الجعد: هو ابن دينار اليشكري، أبو عثمان الصيرفي البصري. يقال له: صاحب الحلي، وثقه ابن معين الترمذي وغيرهما.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٨٠.

(٢) في ط زيادة (كم) ثانية.

(٣) زهاء ثلاثمائة: قدر ثلاثمائة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٧٧.

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، ٢٢٦/٩ ـ ٢٢٧ (٥١٦٣) من الفتح. ومسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش...، ٢/١٠٥١ (١٤٢٨) واللفظ له.
آية الحجاب المصرح بها في حديث مسلم هي قوله ـ تعالى ـ:
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلَّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه...﴾ الآية [سورة الأحزاب: الآية ٥٣].

وروى البخاري عن أنس ـ أيضاً ـ : إن أم سليم عمدت إلى مدٍ من شعير، جشته[1] وجعلت منه خَطِيْفة[2]، وعصرت عُكة[3] عندها، ثم بعثتني إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأتيته وهو في أصحابه، فدعوته. قال: «ومن معي؟» فجئت فقلت: إنه يقول «ومن معي؟» فخرج إليه أبو طلحة، فقال يا رسول الله، أنما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل فجيء به، وقال: «أَدخل عشرة» حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثم قام، فجعلت أنظر، هل نقص منها شيء؟[4].

«وعن سمرة بن جندب قال: كنا مع رسول الله[5] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نتداول قصعة من غدوة[6] إلى الليل، يقوم عشرة، ويقعد عشرة، فقلنا: ما كان يمد[7]؟ قال: فمن أي شيء تعجب؟ ما كانت

---

(١) جشته: جعلته جشيشاً، وهو الدقيق غير الناعم.
انظر: الفتح ٩/٥٧٤.

(٢) خطيفة: على وزن عصيدة وبمعناه. قيل: أصله أن يؤخذ لبن، ويذر عليه دقيق، ويطبخ، ويلعقها الناس، فيخطفونها بالأصابع والملاعق فسميت بذلك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) العكة: بضم أوله فقط؛ هي آنية السمن، أصغر من القربة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٨٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة...، ٩/٥٧٤ (٥٤٥٠) من الفتح.

(٥) في ك و ط (النبي).

(٦) الغدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.
انظر: المصباح المنير ٢/٤٤٣.

(٧) في ك و ط (ما كانت تمد).

تمد إلا من ههنا، وأشار بيده إلى السماء» رواه النسائي[1] والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[2]، ورواه الدارمي[3] والحاكم في صحيحه[4].

وفي البخاري عن أبي هريرة: أنه كان يقول: «والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد على الأرض[5]، من الجوع، وإن كنت لأشد الحَجَر[6] على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني[7]، فلم[8] يفعل، * [9]ثم مر عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر فلم يفعل * ثم مر بي أبو القاسم

---

(١) لم يرد هذا الحديث في سنن النسائي حسب علمي.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٥/٥٩٢ (٣٦٢٤).

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بنزول الطعام من السماء، ١/٣٠.

(٤) المستدرك، كتاب التاريخ ٢/٦١٨ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٢. والبيهقي في الدلائل٦/٩٣ بإسنادين قال في أحدهما: «هذا إسناد صحيح». وأبو نعيم في الدلائل ٢/٥٥١.

(٥) لأعتمد على الأرض: أي ألصق بطني بالأرض، وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيد من شد الحجر على بطنه، أو هو كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشياً عليه.
انظر: الفتح ١١/٢٨٤.

(٦) في ط (الحجز) بالزاي.

(٧) ليستتبعني: يطلب مني أن أتبعه.
انظر: الفتح ١١/٢٨٥.

(٨) في ك و ط (فمر ولم يفعل).

(٩) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فتبسم حين رآني، وعرف مـا في وجهـي وما في نفسي، ثم قـال: [1] «أبـا هـر». قلت: لبيـك يـا رسـول الله. قـال: «الحق» ومضى، فاتبعته فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخلت، فوجد[2] لبناً في قدح فقـال: «من أين هـذا اللبن؟» قـالـوا: هـدّاه[3] لـك فـلان أو فلانة. قال: «أبا هر» قلت. لبيك يـا رسول الله، قـال: «الحق[4] أهل الصفة[5] فادعهم لي». قـال: وأهل الصفـة أضياف الإسـلام، لا يأوون إلى أهـل ولا إلى مال، إذا أتتـه صدقـة [6] بعث بهـا إليهم، ولم يتنـاول منها شيئاً، وإذا أتته هديـة أرسل إليهم، وأصـاب منها، وأشـركهم فيها، فسـاءني ذلك، فقلت: ومـا هـذا اللبن في أهـل الصفـة؟ كنت أحق أن أصيب من هـذا اللبن شـربـة أتقـوى بهـا، فـإذا جـاؤا أمـرني فكنت أنـا أعـطيهم، ومـا عسى أن يبلغني من هـذا اللبن؟ ولم يكن من طـاعـة الله وطـاعة رسـوله بُـدٌّ، فـأتيتهم فـدعـوتهم، فـأقبلوا، فـأذن لهم، وأخـذوا مجالسهم من البيت، فقال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله. قـال: «خذ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَرْوى، ثم يـرد عَلَيّ القدح * فـأعطيـه الآخر فيشـرب حتى يروى، ثم يـرد عليَّ

---

(١) في ط زيادة (يا).

(٢) في أ (فوجدت).

(٣) في ط (أهداه) وأهدى وهدّى بمعنى، والهدية: ما أتحفت به.
انظر: اللسان ١٥/٣٥٧ ـ ٣٥٨، مادة هدى.

(٤) في ك و ط زيادة (إلى).

(٥) الصفة: من البنيان شِبْه البهو الواسع الطويل السمك، وهو موضع مـظلل في مسجد المدينة. وكان عدد أهل الصفة أربعمائة.
انظر: اللسان ٩/١٩٥، مادة: صفف، ودائرة معارف وجدي ٥/٥٢٣.

(٦) هكذا في ك و ط ، وفي أ زيادة (قد) وهي زيادة نسخية.

القدح، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح *[1] حتى انتهيت إلى النبي ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ وقـد روي القــوم كلهم، فـأخذ القـدح، فوضعـه على يده، فنـظر إليَّ فتبسم، فقال[2]: «أبـا هر» قلت: لبيــك يــا رســول الله، قــال: «بَقِيْتُ أنــا وأنت» قلت: صـدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، * فقـال: «اشرب» فشربت *[3] فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق مـا أجد لـه مسلكاً: قـال: «فأرني» فـأعطيتـه القدح، فحمـد الله وسمى وشرب الفضلة[4].

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبـي بكـر الصديق[5] قـال: كنا مع رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثـلاثين ومائـة، فقال النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «هل مـع أحد منكم طعـام؟» فإذا مـع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن. ثم جاء رجـل مشعان[6] طـويل، بغنمٍ

---

(١) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٢) في ك و ط (قـال) وفي ط زيادة (يا).

(٣) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

(٤) صحيح البخاري، كتـاب الـرقـاق، بـاب كيف كـان عيش النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأصحابه. . .، ١١/٢٨١ــ٢٨٢ (٦٤٥٢) من الفتح بمثله. ورواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٣٦، ٤/٦٤٨ ــ ٦٤٩ (٢٤٧٧).

(٥) هـو ابن الصديق، شقيق عـائشة، أخـر إسلامـه إلى قبيل الفتـح، وشهـد اليمـامـة والفتوح، ومات في طريق مكة فجأة سنة ٥٣هـ وقيـل بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٧٤.

(٦) سقطت (مشعان) من ط ولكن قبلها زيادة (منفش الرأس، ثائر الرأس).
مشعان: منفش الشعر، ثائر الرأس.
انظر: اللسان ١٣/٢٤٠، مادة شعن.
قـال الحافظ ابن حجـر في الفتح ٥/٢٣٢: «فسـره المصنف (يقصـد البخـاري) في =

يسوقها فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أبيعاً أم عطية؟» أو قال: «هبة». قال: بل بيع. فاشترى منه شاة، فصُنعت، وأمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بسواد البطن[1] أن يشوى، وأَيْم الله ما في الثلاثين ومائة إلا من قد حز له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حَزة[2] من سواد بطنها، إن كان شاهداً[3] أعطاه، وأن كان غائباً خبأ[4] له، فجعل منها قصعة، فأكلوا أجمعون، وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناها[5] على البعير»[6] أو كما قال[7].



= آخر الحديث في رواية المستملي بأنه الطويل جداً، فوق الطويل. وزاد غيره: مع أفراد (أي شدة) الطول شعث الرأس».

(١) **سواد البطن**: هو الكبد، أو كل ما في البطن من كبد وغيرها.
انظر: الفتح ٥/٢٣٢.

(٢) **الحَزة**: القطعة من اللحم تقطع طولاً، والجمع: حُزز.
انظر: المصباح المنير ص ١٣٣.

(٣) الشاهد: الحاضر.
انظر: المصباح المنير ص.٣٢٤.

(٤) في ك و ط (أخبأ).

(٥) في ك و ط (فحملناه).

(٦) رواه البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين ٥/٢٣٠ (٢٦١٨) من الفتح بمثله. ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف...، ٣/١٦٢٦ (٢٠٥٦) بمثله.

(٧) **جملة**: (أو كما قال) شك من أحد الرواة عند الشيخين.

فصل

من آيات النبوة: تكثير الثمار

وأما تكثير الثمار، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله أن أباه[1] استشهد، وترك دَيْناً، وترك ست بنات، فلما حضر جداد[2] النخل، قال: أتيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد، وترك ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء. قال: «اذهب فبيدر[3] كل تمر على ناحية» ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه، كأنهم أُغْروا بي[4] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون، أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال لي[5]: «ادع لي أصحابك» فما زال يكيل لهم، حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤديَ الله عن والدي أمانته، ولا أرجع إلى أَخواتي بتمرة،

---

(١) **أبو جابر**: هو عبد الله بن عمرو بن حرام، الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو جابر، كان عَقَبِياً بدرياً نقيباً، كان نقيب بني سلمة هو والبراء بن معرور، أستشهد يوم أحد سنة ٣هـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٤٢.

(٢) **جَداد**: بكسر الجيم وفتحها، وهو قطع ثمارها.
انظر: المصباح المنير ص ٩٢.

(٣) **بيدر**: أي اجعل التمر في البيادر، كل صنف في بيدر، والبيدر، هو الموضع الذي تهيأ فيه التمور والحبوب للحفظ.
انظر: الفتح ٦/٥٩٣؛ والمصباح المنير ص ٣٨.

(٤) **أغروا بي**: هيجوا بي.
انظر: الفتح ٥/٤١٤.

(٥) سقطت (لي) من ك و ط.

فسلم الله البيادر كلها، حتى إني لأنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كأنها لم تنقص تمرة واحدة[١]. وفي رواية: أن أباه ترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره[٢] جابر، فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله[٣] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ليشفع[٤] إليه، فجاءه وكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ النخل، فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جد له فأوف له» فجد له[٥] بعد ما راح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاثين وسقاً، وفضل له سبعة عشر[٦] وسقاً، فجاء جابر ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل. فقال: «أخبر بذلك ابن الخطاب» فذهب جابر إلى عمر، فأخبره، فقال عمر: «لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ليبارَكَن فيها»[٧].

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، حديث مزود[٨] أبي

---

(١) صحيح البخاري، بمثله، كتاب الوصايا، باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة، ٥/٤١٣ (٢٧٨١) من الفتح.

(٢) **استنظره**: طلب منه التأخير في الأمر.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٩٥.

(٣) في ك و ط (النبي).

(٤) في ك و ط زيادة (له).

(٥) في أ (فجده).

(٦) في ك و ط (سبع عشرة).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب إذا قاصَّ أو جازفه في الدين تمراً بتمر أو غيره، ٥/٦٠ (٢٣٩٦) من الفتح بمثلها.

(٨) المزود: وعاء التمر يعمل من أدم (جلد).
انظر: المصباح المنير ص ٢٦٠.

هـريـرة، قـال أحمـد: ثنا[1] يـونس[2]، ثنـا حمـاد بن زيـد[3]، عن المهـاجـر[4]، عن أبـي العـالية، عن أبـي هـريـرة قـال: «أتيت النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بتمرات، وقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال فصفهن بين يـديـه، قـال: ثم دعـا، فقـال لي: «اجعلهن في مـزودك، فأدخل[5] يدك ولا تنثره»، قال: «فجعلت منه كذا وكـذا وسقـاً في سبيل الله، ونأكل ونطعم، وكان لا يفـارق حَقْوي[6]، فلمـا قتل عثمـان انقطع من حَقْـوي فسقط»، رواه الترمـذي عن عمران بن مـوسى القزاز[7]، عن

(١) ثنا: رمز يستعمله أهل الحديث لكلمة: حدثنـا. على سبيل الاختصـار وقد يحـذفون الثاء ــ أيضاً ــ.
انظر: تدريب الراوي ٢/٨٦.

(٢) يـونس: هو ابن محمـد بن مسلم البغدادي، أبـو محمد، المؤدب، ثقـة ثبت، مات سنة ٢٠٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٨٦.

(٣) حماد بن زيد: هـو ابن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسمـاعيل البصـري، ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريراً، مات سنة ١٧٩هـ وله ٨١ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٩٧.

(٤) **المهاجر**: هو ابن مَخْلد، أبو مخلد، مولى البكرات، مقبول.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٧٨.

(٥) في ك و ط (وادخل).

(٦) **الحَقو**: موضـع شد الإزار من الخـاصرة، ثم تـوسعوا حتى سمـوا الإزار الذي يشـد على العورة حقوا.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٥.

(٧) في ك و ط (القرار) وفي التقريب ٢/٨٥ (الفزاري).
عمران بن موسى القزاز: هو أبو عمرو البصـري. وثقه النسـائي في موضـع، وقال: «لا بأس به»، في موضع آخـر. وقال أبـو حاتم: «صـدوق»، ووثقه مسلمـة بن قاسم والدارقطني. مات بعد سنة ٢٤٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٨/١٤١.

حماد، بنحوه، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه»[١].

ورواه الحافظ عبد الغني[٢] وغيره[٣] من طريق أخرى، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزاة، فأصابهم عوز من الطعام، فقال: «يا أبا هريرة عندك شيء؟» قلت:[٤]شيء من التمر في مزود لي[٥]، قال: «جيء به» فجئت بالمزود، ، وقال: «هات نطعاً» فجئت بالنطع، فبسطه[٦]، فأدخل يده، فقبض على التمر، فإذا هو إحدى وعشرين[٧] تمرة، قال: ثم قال: «بسم الله» فجعل يضع كل تمرة ويسمي، حتى أتى على التمر، فقال به هكذا، فجمعه، فقال: «ادع فلاناً وأصحابه» فأكلوا وشبعوا وخرجوا، ثم قال: «ادع فلاناً وأصحابه» فأكلوا وشبعوا وخرجوا، قال: وفضل تمر. قال[٨]: فقال لي: «اقعد» فقعدت، فأكل وأكلت، قال: وفضل تمر فأخذه، فأدخله في المزود، فقال: «يا أبا هريرة، إذا أردت شيئاً فأدخل

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ٥/٦٨٥ ـ ٦٨٦ (٣٨٣٩)؛ والمسند للإمام أحمد ٣٥٢/٢؛ والفتح الرباني ٥٦/٢٢.

(٢) **الحافظ عبد الغني**: هو ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، محدث الإسلام. تقي الدين، أبومحمد، صاحب التصانيف ولد سنة ٥٤١هـ وكان عابداً ورعاً ماشياً على قانون السلف، مات سنة ٦٠٠هـ.

انظر: طبقات الحفاظ ٤٨٧ ـ ٤٨٨؛ والبداية والنهاية ٣٨/١٣ ـ ٣٩.

(٣) كالبيهقي وأبي نعيم كما سيأتي في تخريجه.

(٤) في ك و ط زيادة (لا، إلَّا).

(٥) في ك و ط (مزودي).

(٦) في ك و ط (فبسط) بدون هاء.

(٧) في ط (وعشرون).

(٨) سقطت (قال) من ك و ط.

يدك، [1]ولا تكفأ فيكفأ عليك»، قال: فما كنت أريد تمراً إلَّا أدخلت يدي، فأخذت منه خمسين وسقاً في سبيل الله ــ عز وجل ــ وكان معلقاً خلف ظهري فوقع زمان عثمان، فذهب[2]».

ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور[3]، عن أبيه[4]، عن أبي هريرة، قال: «أُصبت بثلاث بموت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكنت صويحبه وخويدمه، وبقتل عثمان، والمزود، وما المزود!! كنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأصاب الناس مخمصة[5]، فقال لي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هل من شيء يا أبا هريرة؟» فقلت: نعم، شيء من تمر في مزود. قال: «فأتني به» فأتيته به، فأدخل[6] يده، فأخرج قبضة فبسطها، ثم قال: «ادع لي عشرة»، فأكلوا حتى شبعوا، * ثم أدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم قال: «ادع لي عشرة» *[7] فما زال يصنع كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، ثم قال: «خذ ما جئت به، وأدخل يدك واقبض، ولا

---

(1) في ك و ط زيادة (فخذ).

(2) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٠٩/٦ وأبو نعيم مجموعاً من روايتين ٥٥٨/٢ ــ ٥٥٩.

(3) **يزيد بن أبي منصور**: هو الأزدي، أبو رَوْح البصري، لا بأس به، ووَهَم من ذكره في الصحابة.
انظر: تقريب التهذيب ٣٧١/٢.

(4) أبو يزيد: هو الحارث بن منصور الواسطي، أبو منصور ــ الزاهد، ويقال: أبو سفيان، صدوق يَهِم.
انظر: تقريب التهذيب ١٤٤/١.

(5) المخمصة: المجاعة.
انظر: مختار الصحاح ص ١٩٠.

(6) في ك و ط (فأخذ).

(7) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

تَكْفِه»، قال أبو هريرة: فقبضت[1] على أكثر مما جئت به. ثم قال أبو هريرة: ألا أحدثكم عما أكلت منه؟ أكلت[2] حياة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأطعمت، وحياة أبي بكر وأطعمت، وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت، فلما قتل عثمان انتهب بيتي وذهب المزود»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده: ثنا يعلى بن عبيد[4]، ثنا إسماعيل[5]، عن قيس، عن دُكَين بن سعيد المزني[6]، قال: «أتينا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أربعين وأربعمائة نسأله الطعام، فقال لعمر: «إذهب فأطعمهم»[7]، فقال: يا رسول الله[8] ما بقي إلَّا

---

(١) في ك و ط (قبضت).

(٢) هنا محذوف تقديره: زمن حياة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/١١٠ ــ ١١١ بنحوه. وأبو نعيم في الدلائل ــ أيضاً ــ بمثله، ٢/٥٥٨ ــ ٥٥٩ (٣٤٢).

(٤) **يعلى بن عبيد**: هو ابن أبي أمية، الكوفي، أبو يوسف الطنافسي، ثقة إلَّا في حديثه عن الثوري ففيه لين، مات سنة بضع ومائتين هجرية وله ٩٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٧٨.

(٥) إسماعيل: هو ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم، البجلي، ثقة ثبت. مات سنة ١٤٦هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٦٨.

(٦) في جميع النسخ: (المدني) بالدال، وصوابه (المزني) بالزاي كما في المسند وكتب الرجال. وهو ما أثبتناه.
دكين بن سعيد المزني: ويقال: الخثعمي، له حديث واحد...، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة.
انظر: الإصابة ١/٤٧٦.

(٧) في ك و ط (فأعطهم).

(٨) في أ زيادة الجملة الدعائية، وهي زيادة نسخية حتماً.

آصع[١] من تمر ما أراه يقيظني[٢]، قال[٣]: قال: «فأطعمهم»، قال: «سمع[٤] وطاعة». قال: فأخرج عمر المفتاح من حُجْزته[٥]، ففتح الباب، فإذا شبه الفَصِيْل[٦] الرابض من تمر، فقال لنا: «خذوا»، فأخذ كل رجل[٧] منا ما أحب، ثم التفتُ وكنت من آخر القوم، وكأنا لم نرزأ[٨] تمرة»[٩]. ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف[١٠] عن

---

(١) آصع: هذا جمع بالقلب (أي المقلوب) ومفرده صاع الذي جمعه أصواع، فقد نقلت الهمزة من موضع العين (عين الكلمة) إلى موضع الفاء مثل أبار وآباء وقد جعله أبو حاتم من خطأ العوام ورد عليه بذلك ابن الأنباري.
انظر: المصباح المنير ص ٣٥٢.

(٢) في ك و ط (ما أرى تقبضني).
يقيظني: قال وكيع. القيظ في كلام العرب أربعة أشهر. والقيظ: حُمَّارة الصيف الذي يسميه الناس: فصل الصيف.
انظر: أسد الغابة ٢/٩؛ ومختار الصحاح ص ٥٥٩؛ والمصباح المنير ص ٥٢١.
في جميع النسخ (يقيضني) بالضاد، والذي في المسند وكتب اللغة (يقيظني) بالظاء وهو ما أثبتناه.

(٣) سقطت إحدى كلمتي (قال) من ك و ط.

(٤) في ك و ط (اذهب فأعطهم) قال: (سمعاً).

(٥) **الحُجْزَة**: معقد الإزار.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٤.

(٦) **الفَصِيل**: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٠٥.

(٧) سقطت (رجل) من ك و ط.

(٨) رزأ الشيء: نقصه.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٣٠.

(٩) مسند الإمام أحمد ٤/١٧٤ وأورده الهيثمي في المجمع ٨/٣٠٤ ـ ٣٠٥ وقال: «روى أبو داود منه طرفاً ـ رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح». ورواه أبو نعيم في الدلائل ٢/٥٤٨ ـ ٥٤٩ (٣٣٣).

(١٠) عبد الرحيم بن مطرف: هو ابن أنيس بن قدامة الرؤاسي أبو سفيان الكوفي، نزيل =

عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد[1]، عن قيس بن أبي حازم[2]، عن دكين[3]، قال أبو عبد الله المقدسي[4]: «وإسناده على شرط الصحيح».



= (سروج) ثقة، مات سنة ٢٣٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٠٤.

(١) في ك و ط (خلد) بدون ألف حسب الرسم القديم.

(٢) في أ (أبي حازم).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اتخاذ الغرف ٤/٣٦٠ ـ ٣٦١، (٥٢٣٨) بلفظ: (أتينا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فسألناه الطعام، فقال: (يا عمر اذهب فأعطهم)، فارتقى بنا إلى عِلِيَّة فأخذ المفتاح من حجزته ففتح).

(٤) **أبو عبد الله المقدسي**: هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، الإمام الناقد البارع في فنون العلم، وخاصة الحديث وفنونه ومعرفة الرجال والعلل، لازم الشيخ المؤلف مدة وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي، مات مريضاً سنة ٧٤٤هـ عشر جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون بدمشق، ولم يكمل الأربعين.
انظر: البداية والنهاية ١٤/٢١٠؛ وشذرات الذهب ٦/١٤١.

فصل

تسخير الأحجار له ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته

وأما النوع الخامس[1]، تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له. ففي صحيح البخاري عن أنس قال: «صعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أُحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: «اسكن» وضربه برجله «فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»[2].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[3].

وفي الترمذي عن عليٍّ قال: (كنت مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله»[4] ورواه الحاكم في صحيحه[5].

---

(١) هذا هو النوع السادس، حسب واقع السياق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لو كنت متخذاً خليلاً، ٢٢/٧ (٣٦٧٥) وفي باب مناقب عمر بن الخطاب. . .، ٤٢/٧ (٣٦٨٦) وفي باب مناقب عثمان بن عفان بن عمرو. . .، ٥٣/٧ (٣٦٩٧) من الفتح.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . .، ١٧٨٣/٤ (٢٢٧٧). والترمذي بنحوه، كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي. . .، ٥٩٢/٥ ـ ٥٩٣ (٣٦٢٤). ولم يَرِد عند البخاري خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ .

=

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال[1]: «غزونا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حنيناً[2]، فلما واجهنا العدو تقدمته فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه[3] بسهمٍ فتوارى عني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وأصحاب النبي[4] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فولى أصحاب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وارجع[5] منهزماً، وعليَّ بردتان، متزراً بإحداهما[6] مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاريّ فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ منهزماً، وهو على بغلته الشهباء[7]، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لقد رأى

= (٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ٥، ٥٩٣/٦ (٣٦٢٦): وقال: «هذا حديث غريب»!!

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ، ٦٢٠/٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) في ط (فقال).

(٢) غزوة حنين: كانت بعد الفتح سنة ٨هـ وقعت بين المسلمين بقيادة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وبين ثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وكان المسلمون اثنا عشر ألفاً.

انظر: السيرة لابن هشام ٨٠/٤.

(٣) في ط (فرميته).

(٤) في ك و ط (محمد).

(٥) في ط (فرجعت).

(٦) في أ (بأحدهما).

(٧) ركوبه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ البغلة في موطن الحرب، وعند اشتداد البأس، هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه ــ أيضاً ــ يكون معتمداً يرجع إليه المسلمون... وإنما فعله عمداً وإلاَّ فقد كانت له أفراس معروفة.

انظر: شرح النووي ١١٤/١٢ ــ ١١٥. =

ابن الأكوع فزعاً» فلما غشوا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من الأرض واستقبل به[1] وجوههم، فقال: «شاهت[2] الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله»[3].

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال: «شهدت مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث[4] ابن عبد المطلب[5] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلم نفارقه، ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على بغلة له بيضاء[6] أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي[7]، فلما التقى المسلمون والكفار،

= **الشهباء**: من الشهب والشهبة: وهو لون بياض، يصدعه سواد من خلاله.
انظر: اللسان ص ٥٠٨، مادة شهب.

(١) في ط (بها).

(٢) شاهت ـ قَبُحت.
انظر: المصدر السابق ١٢٢/١٢.

(٣) صحيح مسلم، بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠٢/٣ (١٧٧٧).

(٤) في ك و ط (الحرث).

(٥) **أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب**: هو ابن هشام بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخوه في الرضاعة، ومن الذين يشبهونه، وكان شاعراً مطبوعاً، أسلم وحسن إسلامه توفي سنة ٢٠هـ وهو الذي حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام.
انظر: أسد الغابة ١٤٥/٥ ـ ١٤٧.

(٦) ورد في حديث سلمة بن الأكوع السابق وصف البغلة بالشهباء وهي واحدة لا يعرف له بغلة سواها، وهي التي يقال لها: دلدل.

(٧) تعددت الأقوال في اسم والد فروة فقيل عامر وعمرو ونباتة ونعامة، وورد أنه أرسل رسولاً إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بإسلامه، وأهدى له تلك البغلة، وكان يسكن عمان بالشام، وكان عاملاً للروم على من يليهم من العرب، فلما بلغ الروم =

ولى[1] المسلمون مدبرين، فطفق[2] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يَرْكُض بغلته قِبَلَ الكفار. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكفها[3]، وأبو سفيان آخذ بركاب * رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ *[4] إرادة أن لا تسرع[5] فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أي عباس، نادِ أصحاب الشجرة[6]» فوالله لكأن عطفتهم[7] حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. يا لبيك يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار[8] يقولون: يا معشر الأنصار. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج[9] فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله

= إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم. قال ابن إسحاق: زعم الزهري أنهم لما قدَّموه ليقتلوه قال: (بلغ سراة المسلمين بأنني سَلْمٌ لربي أعظمي وبناني). انظر: أسد الغابة ٤/٥٦ ـ ٥٧.

(١) في ط (وولى).

(٢) في ط (طفق).

(٣) في ك و ط زيادة (إرادة أن لا تسرع).

(٤) ما بين النجمتين ليس في أ وقد أكملناه من ك و ط.

(٥) تقدمت جملة (إرادة أن لا تسرع) في ك و ط على قوله (وأبو سفيان آخذ...).

(٦) في ك و ط (السمرة).

الشجرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، والمعنى: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. وقد ذكر الحازمي أن العباس كان يقف على سَلْع فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة فيُسْمِعهم. قال وبين سلع والغابة ثمانية أميال. انظر: شرح النووي ١٢/١١٥.

(٧) في ك و ط (عطفهم).

(٨) أي الاستغاثة والمناداة إليهم.

انظر: المصدر السابق ١٢/١١٦.

(٩) **الحارث بن الخزرج**: هو ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقيا بن عامر ـ ماء السماء بن حارثة ـ الغطريف ـ بن امرىء القيس بن =

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «هذا حين حمى الوطيس[1]»، ثم أخذ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حَصَيات فرمىٰ وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة»، قال فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً[2]، وأمرهم مدبراً، حتى هزمهم الله[3]، وقد قال الله ــ تعالى ــ عن يوم بدر ــ :

﴿ . . . وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ . . . ﴾[4].

= ثعلبة بن مازن بن الأزد. وكان سكنهم بالسُّنح، على ميل من مسجد الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفيهم كان يسكن أبو بكر الصديق.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ و ٣٢٨ و ٣٦١.

(١) **الوطيس**: هو شبه التنور يسجر فيه، ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .
انظر: شرح النووي ١٢/١١٦.

(٢) **كليلاً**: غير قاطع، تشبيه بحد السيف الذي هذه صفته، والمعنى: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.
انظر: المصباح المنير ص ٥٣٨؛ وشرح النووي ١٢/١١٧.

(٣) صحيح مسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/١٣٩٨ ــ ١٣٩٩ (١٧٧٥).

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٧.
أورد الهيثمي في المجمع ٦/٨٤ قول حكيم بن حزام: «لما كان يوم بدر أُمِر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأخذ كفا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزمنا، فأنزل الله ــ عز وجل ــ :
﴿ . . . **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** . . . ﴾.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وعن ابن عباس أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال لعليّ: «ناولني كفا من حصى» فناوله، فرمى به وجوه القوم فما =

وروى ابن إسحاق عن جماعة، منهم عروة، والزهري، وعاصم بن عمر[1] وغيرهم قالوا: «فكان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في العريش[2]، هو وأبو بكر، ما معهما غيرهما، وقد تدانى القوم بعضهم من بعض، فجعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يناشد[3] ربه، ما وعده من نصره ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة[4] لا تعبد»، وأبو بكر يقول: بعض[5] مناشدتك ربك، يا رسول الله، فإن الله سينجز لك ما وعدك من نصره، وخفق[6] رسول الله

= بقي أحد من القوم إلَّا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت. . .، وذكر الآية، قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وقد ورد عن ابن المسيب والزهري أنها نزلت في شأن قتله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأبي بن خلف يوم أحد كما رواه الحاكم عنهما في المستدرك ٢/٣٢٧ وصححه ووافقه الذهبي، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا القول عن هذين الإمامين (يقصد ابن المسيب والزهري) غريب جداً، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة».
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٢.

(١) في أ و ك و ط (عمرو) والصواب ما جاء في نسخة أكسفورد. وهو ما أثبتناه، والمقصود هو عاصم بن عمر بن قتادة.

(٢) **العريش**: مفرد جمعه عرش وعروش، وهي المُظالّ التي تسوى من جريد النخل، ويطرح فوقها الثُّمام.
انظر: اللسان ٦/٣١٥، مادة عرش.

(٣) **يناشد**: يطالب.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٧١.

(٤) **العصابة**: الجماعة من الناس والخيل والطير.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦.

(٥) في ط (بعد).

(٦) **خفق**: أخذته سِنَة من النعاس، فمال رأسه دون سائر جسده.
انظر: المصباح المنير ص ١٧٦.

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خفقة ثم هَبَّ[1]، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله ــ عز وجل ــ ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه[2] النقع (يقول الغبار)[3]» ثم خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فعبأ أصحابه وهيأهم، وقال: «لا يعجلن رجل[4] منكم بقتال حتى نؤذنه[5] فإذا أكثبكم القوم (ــ يقول قربوا منكم ــ)[6] فانضحوهم[7] عنكم بالنبل[8]»، ثم تزاحم الناس، فلما تدانى بعضهم من بعض، خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأخذ حفنة من حصباء[9]، ثم استقبل بها قريشاً، فنفخ بها وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه»، ثم قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «احملوا[10] عليهم يا معشر المسلمين» فحمل المسلمون،

---

(١) **هب**: استيقظ.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٩.
(٢) **ثناياه**: ركبتاه ومرفقاه.
انظر: اللسان ١٢٣/١٤، مادة ثني.
(٣) هذا تفسير من أحد الرواة. وهو في مختار الصحاح ص ٦٧٦.
(٤) سقط (رجل) من ط.
(٥) في ك و ط (يؤذنه) بالياء.
(٦) وهذا تفسير من أحد الرواة ــ أيضاً ــ وهو في اللسان ٧٠٢/١، مادة كثب.
(٧) **انضحوهم**: ارموهم.
انظر: ترتيب القاموس ٣٨٦/٤.
(٨) **النبل**: السهام، وقيل السهام العربية.
انظر: اللسان ٦٤٢/١١، مادة نبل.
(٩) الحفنة : ملء الكفين. والحصباء: صغار الحصى.
انظر: المصباح المنير ١٣٨ و١٤٢.
(١٠) احملوا: من الحملة: وهي الكرة في الحرب.
انظر: ترتيب القاموس ٧١٢/١.

وهزم الله قريشاً، وقتل من قتل من أشرافهم، وأسر من أسر منهم»[١].

وفي حـديث ابن أبـي طلحـة[٢]، عن ابن عبـاس فقـال[٣] لـه جبريل: «خـذ قبضة من تـراب» * فأخذ قبضـة من تراب *[٤] ورمى بهـا وجوههم، فما في[٥] المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمـه تراب، من تلك القبضة، فولوا مدبرين[٦].



---

(١) السيرة لابن هشام ٢/٢٧٩ ــ ٢٨٠.

(٢) في ك و ط زيادة (الوالبي).

ابن أبـي طلحـة: هو علي بن أبـي طلحـة سـالم بن مخـارق، مـولى بني العبـاس، سكن حمص، أرسـل عن ابن عبـاس ولم يـره، صـدوق قـد يخـطىء، مـات سنـة ١٤٣هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣/١٣٤؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٩.

(٣) في ط (قال).

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أكملناه من ك و ط.

(٥) في ك و ط (من).

(٦) رواه ابن جـريـر في جـامـع البيـان ٩/٢٠٥؛ والبيهقي في الـدلائـل ٣/٧٨ ــ ٧٩ وأبو نعيم في الدلائل ٢/٦٠٤، كلهم من طريق علي بن أبـي طلحة، وعلى هذا فهو حديث مرسل.

فصـل

تأييد الله لرسوله بالملائكة: من أعلام نبوته

النوع السادس[1] من آياته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2]: تأييد الله له بملائكته، قال[3] الله ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[4] الآية.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ في الخندق[6]:

---

(١) هذا هو النوع السابع حسب واقع السياق.

(٢) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.

(٣) في أ (فقال).

(٤) سورة الأنفال: الآية ٩.
مردفين: متتابعين، يتبع بعضهم بعضاً.
انظر: صفوة التفاسير ٩/٤٩٥.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٢٤ ـ ١٢٥.
مسومين: معلمين على السلاح ومدربين على القتال.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٢٨.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٩.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ في حنين:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ[2] عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ في الهجرة:

﴿ . . . ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ . . . ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ في بدر:

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ . . . ﴾[5].

وفي[6] الصحيحين ــ واللفظ لمسلم ــ عن ابن عباس، عن عمر ابن الخطاب، قال: «لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ــ صلّى الله عليه

---

(١) أي: في غزوة الخندق أو الأحزاب.

(٢) السكينة: السكون والطمأنينة.
انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٣٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٦.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٦) في أ (ففي).

وسلَّم ـ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى أسقط[1] رداءه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على[2] منكبيه، ثم التزمه من ورائه[3]، فقال: «يا نبي الله كفاك[4] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله ـ عز وجل ـ :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[5].

فأمدَّه الله بالملائكة.

قال أبو زُمَيل[6]: فحدثني ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة

---

(١) في ك و ط (سقط).

(٢) في ط (عن).

(٣) أي: اعتنقه وضمه إلى صدره من ورائه، ويؤخذ من ذلك مشروعية المعانقة والالتزام من الخلف كما هي من الأمام، وتلك هيئة لم أشاهدها طيلة حياتي، وأظن أن الناس في بلادنا لا يحبذونها.
انظر: المصباح المنير ص **٥٥٣**.

(٤) في أ (كفاك كذالك) وفي ك (كذاك) وقد أثبتنا ما في ط لأنه أصوب.

(٥) سورة الأنفال: الآية **٩**.

(٦) **أبو زُمَيل**: هو سِماك بن الوليد الحنفي اليمامي ثم الكوفي، ليس به بأس.
انظر: سير أعلام النبلاء **٥/٢٤٩ ـ ٢٥٠**؛ وتقريب التهذيب **١/٣٣٢**.

سوط فوقه، وصوت[1] الفارس يقول: «أَقْدِم حيزوم[2]» فنظر إلى المشرك[3] أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه[4]، وشق وجهه، كضربة بالسوط، فاخضر[5] ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين. . .»[6] وذكر الحديث.

وذكر البخاري في هذا الحديث: فخرج، ــ يعني النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو يقول:

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[7].

وقال ابن إسحاق: «حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم[8]، عن

---

(١) في ط (وسوط).

(٢) حَيْزوم: فرس جبريل ــ عليه السلام ــ.
انظر: شرح النووي ١٢/٨٥.

(٣) في ط (المشركين).

(٤) الخَطْم: الأثر على الأنف.
انظر: المصدر السابق ١٢/٨٦.

(٥) هذا الاخضرار آية أخرى، حيث يدل على أن الآلة القتالية غير عادية، وإلَّا لو كانت عادية لما اخضر شيء من ذلك أبداً.

(٦) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة. . .، ٣/١٣٨٣ (١٧٦٣).

(٧) سورة القمر: الآية ٤٥.
وروى البخاري طرفاً من حديث مسلم فيه الجملة المذكورة، في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي. . .، ٦/٩٩ (٢٩١٥) من الفتح، وأما قصة الملائكة ففي رواية أخرى مختصرة في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ٧/٣١١ ــ ٣١٢ (٣٩٩٢ ــ ٣٩٩٥) من الفتح.

(٨) عبد الله بن أبي بكر بن حزم: هو الإمام الحافظ أبو محمد الأنصاري، صاحب =

بعض بني ساعدة[1] قال: «سمعت أبا أسيد[2] مالك بن ربيعة[3] ــ بعدما أصيب بصره ــ يقول: «لو كنت معكم ببدر ــ الآن ــ ، ومعي بصري، لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى[4]، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحى الله إليهم:

﴿ . . . أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . . ﴾[5].

وتثبيتهم[6]: أن الملائكة تأتي الرجل، في صورة الرجل يعرفه[7]، وتقول له: «أبشروا، فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم، كروا

= المغازي، وشيخ ابن إسحاق، ثقة، مات سنة ١٣٥هـ وله سبعون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣١٤ ــ ٣١٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٠٥.

(١) **بنو ساعدة**: هم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ــ مزيقياء ــ بن عامر ــ ماء السماء ــ بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٢٩ و ٢٣١ و ٣٦٥؛ واللباب ٢/٩٢.

(٢) في ك و ط (أسد) بالتكبير.

(٣) **أبو أسيد، مالك بن ربيعة**: هو ابن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج، مشهور بكنيته، شهد بدراً وأحداً وما بعدهما، كان قصيراً أبيض الرأس واللحية كثير الشعر، مات سنة ٦٠هـ وله ٧٨سنة، وقيل غير ذلك في وفاته وعمره.
انظر: الإصابة ٣/٣٤٤.

(٤) لم يورد ابن هشام من رواية ابن إسحاق إلَّا إلى هذا الموضع فحسب السيرة لابن هشام ٢/٢٨٦.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٦) **سقطت**: (وتثبيتهم) من جميع النسخ وهي في الدلائل للبيهقي والتفسير والسيرة لابن كثير.

(٧) في ك و ط (تعرفه).

عليهم». فلما رأى إبليس الملائكة، نكص[1] على عقبيه، وقال:
﴿... إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ...﴾[2].

وهو في صورة[3] سراقة، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه، ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه على موعد من محمد وأصحابه، ثم قال: «واللات والعزّى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً»[4].

وفي الصحيحين، عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت (يوم أحد) عن يمين النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعن يساره، رجلين عليهم ثياب بيض، يقاتلان عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده» ـ ويعني جبرائيل[5] وميكائيل عليهما السلام ـ[6]:

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: «أصيب سعد يوم الخندق،

---

(١) **نكص**: من النكوص: وهو الإحجام عن الشيء يقال: نكص على عقبيه: أي رجع. انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

(٣) في أ (سورة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل عن ابن إسحاق ٥٢/٣ ـ ٥٣.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١٨/٤؛ والسيرة ٤٧/٢ كلاهما لابن كثير.

(٥) في ك و ط (جبريل).

(٦) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الفضائل باب في قتال جبريل...، ١٨٠٢/٤ (٢٣٠٦) في روايتين. ورواه البخاري مختصراً، كتاب المغازي باب: ﴿**إذ همت طائفتان**...﴾، ٣٥٨/٧ (٤٠٥٤) من الفتح.

رماه رجل من قريش (ابن[1] العَرَقة)[2] رماه في الأكحل[3]، فضرب عليه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خيمة في المسجد يعوده من قريب. فلما رجع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الخندق، وضع[4] السلاح، فاغتسل فأتاه جبريل ــ عليه السلام ــ ، وهو ينفض عن رأسه من الغبار، فقال: «وضعت السلاح! والله[5] ما وضعناه، اخرج إليهم»، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فنزلوا على حكم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الحكم فيهم إلى سعد، قال: «إني[6] أحكم فيهم أن يقتل المقاتلة. وأن تسبى الذرية والنساء، وتقسم أموالهم»[7]. وفي بعض طرق البخاري: «فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار»[8].

---

(١) سقطت ألف (ابن) في ط.

(٢) ابن العرقة: هو حِبان بن قيس، أحد بني عامر بن لؤي، والعرقة: أمه، واسمها: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم، تكنى أم فاطمة، سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة أم أمها هالة. الروض الأنف ٣/٢٨٠.

(٣) الأكحل: هو عرق في وسط الذراع.
انظر: الفتح ٧/٤١٣.

(٤) في ك و ط (ووضع).

(٥) في ك و ط (فوالله).

(٦) في ك و ط (فإني).

(٧) رواه البخاري بمثله، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الأحزاب. . .، ٧/٤١١ (٤١٢٢) من الفتح. ورواه مسلم بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد. . .، ٣/١٣٨٩ (١٧٦٩).

(٨) المعنى: أحاط به فصار عليه مثل العصابة.
انظر: الفتح ٦/٣١.
صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار، ٦/٣٠ (٢٨١٣) من الفتح.

وروى البخاري عن أنس قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق[1] بني غُنْم[2]، موكب جبريل ــ صلوات الله عليه ــ ، حين سار رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى بني قريظة»[3].

وفي المغازي من غير[4] طريق: أن الصحابة رأوا جبريل في صورة (دحية الكلبي)[5] وأنه معتمّ بعمامة أرخى طرفها بين كتفيه، وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «بعثه الله إلى بني قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويلقي الرعب في قلوبهم[6]».

وروى البخاري عن ابن عباس: أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال يوم بدر: «هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب»[7].

وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) **الزقاق**: السكة.
انظر: مختار الصحاح ص **٢٧٣**.

(٢) **بنو غنم**: بطن من الخزرج، وهم بنو غنم بن مالك بن النجار، منهم أبو أيوب الأنصاري وآخرون، ووهم من زعم أن المراد بهم هنا بنو غنم، حي من تغلب.
انظر: الفتح ٦/٣١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الأحزاب ٧/٤٠٧ (٤١١٨) من الفتح.

(٤) سقطت (غير) من ك و ط.

(٥) **دحية**: هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي جليل نزل المزّة ومات في خلافة معاوية.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٣٥؛ وأسد الغابة ٢/٦.

(٦) السيرة لابن هشام ٣/٢٤٥.

(٧) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ٧/٣١٢ (٣٩٩٥) من الفتح. ورواه الإمام أحمد في المسند ١/١٤٧.

وسلَّم ــ : «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم: يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال[1]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال [3]، لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني مَلَك الجبال، وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وأنا مَلَك الجبال، وقد بعثني إليك ربك، لتأمرني بأمرك ما شئت[4]، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[5]». فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «بل أرجو أن

---

(١) في ك و ط (كلاب).
ابن عبد ياليل بن عبد كلال: هو كنانة، وقيل: مسعود، وكان من أكابر أهل الطائف، جاء كنانة مع وفد الطائف سنة ١٠هـ. لكن ذكر المديني أن الوفد أسلموا إلَّا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك.
انظر: أسد الغابة ٤/ ٢٠٠ ــ ٢٠١؛ والفتح ٦/٣١٥.

(٢) **قرن الثعالب**: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، تلقاء (مقابل) مكة، على يوم وليلة (٥٠ كلم تقريباً) وأصل القرن الجبل المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير.
انظر: معجم البلدان ٤/٣٣٢.

(٣) الظاهر أنه لم يرد في النصوص تسميته ــ عليه السلام ــ .

(٤) في ك و ط (فيما).

(٥) في ط زيادة (لفعلت).
الأخشبان: تثنية: الأخشب، وهما جبلان يضافان تارة إلى مكة، وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما: أبو قبيس والآخر قيعقعان.
انظر: معجم البلدان ١/١٢٢.

يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً»[1].

• • •

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. . .، ٦/٣١٢ ـ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح بمثله. ومسلم بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ ـ ١٤٢١ (١٧٩٥).

فصل

حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته

النوع السابع[1]: في كفاية الله له أعداءه، وعصمته له من الناس، وهذا فيه آية لنبوته من وجوه:

منها: أن ذلك تصديق لقوله ـ تعالى ـ :

﴿فَاصْدَعْ[2] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3].

فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين.

وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب، بقوله:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ[4] فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ[5] وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6].

---

(١) هذا هو النوع الثامن، حسب واقع السياق.

(٢) اصدع: اجهر بتبليغ أمر ربك.
انظر: صفوة التفاسير ١١٦/١٤.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٤) شقاق: عداوة وخلاف. انظر: صفوة التفاسير ٩٩/١.

(٥) فسيكفيكهم الله: أي سيكفيك يا محمد شرهم وأذاهم ويعصمك منهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦ ــ ١٣٧.

فأخبره الله[1] أنه يكفيه هؤلاء الشاقين[2] له، من أهل الكتاب، وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ . . . ﴾[4].

فهذا خبر عام، بأن الله يعصمه من جميع الناس.

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر، وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه، بأنواع عجيبة، خارجة عن العادة المعروفة.

ومنها: أنه نصره، مع كثرة أعدائه، وقوتهم وغلبتهم[5]، وأنه كان وحده جاهراً[6] بمعاداتهم، وسب آبائهم، وشتم آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، والطعن في دينهم، وهذا من الأمور الخارقة للعادة. والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش، وعظماء العرب، وكان أهل مكة أهل الحرم[7]، أعز الناس وأشرفهم، يعظمهم جميع الأمم.

أما العرب فكانوا يدينون لهم، وأما غيرهم من الأمم، فكانوا

(١) ليس في أ اسم الجلالة المعظم.
(٢) في ك و ط (المشاقين).
(٣) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٥) في ك و ط (وغلبهم).
(٦) في ك و ط (وجاء هو).
(٧) سقطت (أهل الحرم) من ك و ط.

يعظمونهم به[1]، لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى، كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل، لَما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر.

وهؤلاء بنو[2] إسرائيل ابن[3] خليل الله، وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده، من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم. فكان أهل مكة معظَمين، لأنهم جيران البيت، ولأنهم أشرف بني إسماعيل. فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى[4] هاشم من قريش، واصطفى محمداً[5] من بني هاشم. وكان قد عاداه[6] أشراف هؤلاء، كما عادى المسيحَ أشراف بني إسرائيل.

وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم، ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم. وكذلك كفى الله محمداً من عاداه، وانتقم منهم، ولم ينفعهم أنسابهم[7] ولا فضل مدينتهم.

فإن الله إنما يثيب بالإيمان والتقوى، لا بالبلد والنسب، وقال[8] ــ تعالى ــ :

(١) الضمير يعود إلى الحرم.
(٢) في أ (بنى) والصواب الرفع.
(٣) في أ (بن).
(٤) في ك و ط زيادة (بني).
(٥) في أ (محمد) بغير النصب، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٦) في أ (عادوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.
(٧) في ك و ط (انتسابهم).
(٨) في ك و ط (فقال).

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ [١]، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢].

وقال:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [٣].

وقال:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا [٤] مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [٥].

وقد سمّى أهل العلم بعض من كفاه الله إياه[٦] من المستهزئين، وكانوا معروفين مشهورين ــ عند الصحابة ــ بالرياسة والعظمة في الدنيا، فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم، الذي أكرم الله نبيه به.

---

(١) لكل نبأ مستقر: أي لكل خبر من أخبار الله ــ عز وجل ــ وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.
انظر: صفوة التفاسير ٧/٣٩٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٦ ــ ٦٧.

(٣) سورة محمد ــ عليه السلام ــ: الآية ١٣.

(٤) رغدا: سعة وكثرة.
انظر: صفوة التفاسير ١٤/١٤٦.

(٥) سورة النحل: الآيتان ١١٢ ــ ١١٣.

(٦) سقطت (إياه) من ك و ط.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: «هل يُعَفِّر محمد وجهه[1] بين أظهركم؟» قيل: نعم. قال: «واللات والعزى[2]، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته»، فما فجأهم[3] منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه. فقيل له: مالك؟ قال: «إن بيني وبينه لخندقاً[4] من نار، وهولا[5] وأجنحة»، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لو دنا مني، لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»[6]، وأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ [7] ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ

---

(١) **يعفر محمد وجهه**: يسجد ويلصق وجهه بالعَفَر، وهو التراب.
انظر: شرح النووي ١٧/١٣٩.

(٢) **اللات**: اسم صنم كانت تعبده ثقيف ـ **والعزى**: شجرة سَمُرة كانت لغطفان يعبدونها، بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة فبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد فهدم البيت، وأحرق السمرة، ولم تكن قريش تعظم شيئاً من الأصنام تعظيمها.
انظر: مراصد الاطلاع ١١٩٣/٣ و ٢/٩٣٧.

(٣) في ط (فاجأهم).

(٤) في أ (لخندق) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(٥) في ط: (وهؤلاء أجنحة).

(٦) عند مسلم بعد هذا قوله: «قال: فأنزل الله ـ عز وجل ـ لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه ـ . . .» ثم ذكر الآيات، ثم قال: زاد عبيد الله (يقصد شيخه ابن معاذ) في حديثه قال: «وأمره بما أمره به». وزاد ابن عبد الأعلى (ويقصد شيخه ـ أيضاً ـ محمد بن عبد الأعلى القيسي): «فليدع ناديه يعني: قومه».
انظر: مسلم ٤/٢١٥٥.

(٧) أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأن الذي نهاه هو ـ اللعين ـ أبو جهل.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٥٨٢.

بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ [1] ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ [2] ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[3] .

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب، حديث هجرة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبي بكر من مكة إلى المدينة، قال فيه: «واتبعنا[4] سراقة بن مالك بن جعشم، ونحن في جَدَد[5] من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أُتينا، فقال[6]: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا عليه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فارتطمت فرسه إلى بطنها[7] فقال: «إني قد علمت أنكما دعوتما عليّ، فادعوا لي، والله لكما أن

---

(١) **لنسفعا بالناصية**: أي لنأخذنه بناصيته ــ مقدم شعر الرأس ــ فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها.
انظر: المصدر السابق ٣٠/٥٨٣.

(٢) **الزبانية**: خزنة جهنم، الملائكة الغلاظ الشداد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) **واقترب**: تقرب بالسجود إلى ربك.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة العلق: الآيات ٩ ــ ١٩.
رواه مسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: ﴿**إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى**﴾ ٤/٢١٥٤؛ (٢٧٩٧). ورواه البخاري مختصراً جداً، كتاب التفسير، باب ﴿**كلا لئن لم ينته لنسعفن بالناصية...**﴾ ٨/٧٢٤ (٤٩٥٨) من الفتح.

(٤) سقطت (واتبعنا) من ط.

(٥) **الجَدَدُ**: هو المستوي من الأرض. والذي عند مسلم (جلد) وهما روايتان.
انظر: شرح النووي ١٨/١٥٠.

(٦) في ط (قال).

(٧) ارتطمت فرسه إلى بطنها: أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الجلد (أي الصلبة والجدد.
انظر: المصدر والموضع السابق.

أرد عنكما الطلب، فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، فلا يلقى أحداً إلا رده»[1].

وفي لفظ: «فساخ[2] فرسه في الأرض إلى بطنه، ووثب عنه، فقال: يا محمد، قد علمت أن[3] هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك عليَّ لأُعَمِّين على من ورائي»[4].

وفي الصحيحين عن ابن شهاب، من رواية سراقة ــ نفسه ــ قال: «جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبي بكر[5]، دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج[6]، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني رأيت آنفاً أسودة[7] بالساحل،

---

(١) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٣٠٩ ــ ٢٣١٠ (٣٠٠٩)، ورواه البخاري بنحوه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٢٢ (٣٦١٥).

(٢) ساخ: بمعنى ارتطم وغاص.
انظر: شرح النووي ١٨/١٥٠.

(٣) سقطت (أن) من أ.

(٤) لأُعَمين على من ورائي: يعني لأخفين أمركم عمن ورائي ممن يطلبكم وألبس عليهم حتى لا يعلم أحد.
انظر: المصدر والموضع السابق.
صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرحْل ٤/٢٣١٠ (٣٠٠٩) بمثل هذا اللفظ.

(٥) ليس في أ (وأبي بكر) وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في الصحيح.

(٦) بنو مدلج: هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، بطن كبير من كنانة.
انظر: اللباب ٣/١٨٣.

(٧) أسودة: أشخاصاً.
انظر: الفتح ٧/٢٤١.

أراهما محمداً وأصحابه[1]. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، ثم لبثت ساعة، ثم قمت فدخلت بيتي، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها[2] عليَّ، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه[3] الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها[4] تقرب بي[5] حتى دنوت منهم وعثرت بي[6] فرسي، فخررت عنها، فقمت [7]، فأهويت بيدي إلى كنانتي[8] فاستخرجت منها الأزلام[9]:

---

(١) في أ (وصحابه).
(٢) في ط (فتجسها).
(٣) زج الرمح: هو الحديدة التي في أسفل الرمح.
انظر: الفتح ٢٤١/٧.
(٤) رفعتها: أسرعت بها السير.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٥) تقرب بي: التقريب: السير دون العدو وفوق العادة، وقيل: أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
(٦) في ك و ط (في).
(٧) في ك و ط زيادة: (عنها).
(٨) **الكنانة**: جعبة السهام من أدم (جلد).
انظر المصباح المنير ٥٤٢/٢.
(٩) **الأزلام**: هي عند العرب ثلاثة أنواع:
أحدها: الثلاثة التي يتخذها كل إنسان لنفسه في أحدها: أفعل، وفي الآخر: لا تفعل، والثالث غُفْل، فيجعلها في خريطة (كيس) فإذا أراد فعل شيء أدخل يده في الخريطة منسابة وأْتمر بما خرج له: الآمر أو الناهي، وإن خرج الغفل أعاد الضرب.
والنوع الثاني: كان سبعة أقداح، عند هبل في جوف الكعبة. =

فاستقسمت بها:[1] فخرج[2] الذي أكره[3]، فركبت وعصيت الأزلام، فقربت بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر[4] الالتفات، ساخت يدا[5] فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها[6] غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام. «فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[7]. . . .» وذكر تمام الحديث.

= **والنوع الثالث**: أقداح الميسر وهي عشرة.
انظر: البحر المحيط ٣/٤٢٤ ــ ٤٢٥.

(١) في ك و ط زيادة (أضرهم أم لا؟).
(٢) في ك و ط (فيخرج).
(٣) فخرج الذي أكره: أي لا تضرهم.
انظر: الفتح ٧/٢٤١.
(٤) سقطت (يكثر) من أ وقد أثبتناها من ك و ط.
(٥) في أ (يدي).
(٦) في ك (إذ لأثر يديها) وفي ط (إذ لا تريد بها) هكذا.
(٧) رواه البخاري معلقاً. كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي. . .، ٧/٢٣٨ ــ ٢٣٩ (٣٩٠٦)، قال الحافظ ابن حجر هنا في الفتح ٧/٢٤٠: «هو موصول بإسناد حديث عائشة (يقصد قول البخاري) حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل، قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين. . .» ٧/٢٣٠ (٣٩٠٥) من الفتح وقد أفرده البيهقي في الدلائل وقبله الحاكم في الإكليل من طريق ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن مسلم هو الزهري به». وكذلك أورده الإسماعيلي منفرداً من طريق معمر والمعافى في الجليس من طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري. =

وفي الصحيحين عن جابر قال: «غزونا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ غزاة قبل نجد[1]، فأدركنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في القائلة[2]، في واد كثير العضاة[3]، فنزل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن رجلاً أتاني، وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، والسيف صلتاً[4] في يده. فقال: من

= وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٤٨٥ ـ ٤٨٩ موصولاً بأكثر من طريق عن الزهري، وأورد ما قاله سراقة رداً على أبي جهل:

أبا حكم... لو كنت شاهداً — لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجِبْتَ ولم تشكك بأن محمداً — نبي وبرهان، فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه، لأنني — أرى أمرَه يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود النصر فيه بإلبها — لو أن جميع الناس طُراً تسالمه

والحديث ليس عند مسلم، خلافاً لإشارة الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ.

(١) في رواية أخرى: «كنا مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذات الرقاع...» ٧/٤٢٦ (٤١٣٦) من الفتح.
تعددت الأقوال في تحديد المراد بنجد ويستخلص منها جميعاً: أن ما سال من جبال السروات مشرقاً فهو نجد، وما سال مغرباً يفسح الجبال فهو حجاز، وخالف الجبل إلى البحر فهو تِهامة.
انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز؛ لمحمد الجاسر ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) **القائلة**: وسط النهار وشدة الحر.
انظر الفتح ٧/٤٢٧.

(٣) في ك (الغضاة) وفي ط (الفضاء).
العضاة: كل شجر يعظم، له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقاً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) صلتاً: مجرداً من غمده.
انظر: الفتح ٧/٤٢٧.

يمنعك مني؟ قلت: الله، فشام[1] السيف، فهـا هـو ذا جـالس»، ثم لم يعـرض له رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وكـان ملك قـومـه، فانصرف حين عفا عنه. فقال: «لا أكون في قوم هم حرب لك»[2].

وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبـي بكر الصديق قـال: «كـان فلان[3] يجلس إلى النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، فإذا تكلم النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ اختـلج بـوجهـه[4]، فـقـال النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ: «كن كـذلـك»، فلم يـزل يخـتلج حتى مات»[5].

---

(١) في ك و ط (فسام) بالسين المهملة.
شام السيف: غَمَده ورده في غمده، يقال: شام السيف: إذا سله، وإذا أغمده، فهو من الأضداد، والمراد هنا: أغمده.
انظر: شرح النووي ١٥/٤٥.

(٢) رواه مسلم واللفظ له بمثله إلى قولـه: ثم لم يعرض لـه رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وهو نهاية الحديث عنده، كتاب الفضائل، بـاب توكله على الله ــ تعـالى ــ وعصمـة الله ــ تعالى ــ لـه من النـاس ١٧٨٦/٤ (٨٤٣). ورواه البخـاري بنحـوه، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمـام عند القـائلة والاستظلال بـالشجر ٩٧/٦ (٢٩١٣) من الفتح، ورواه البيهقي في الدلائل ٣٧٥/٣ ــ ٣٧٦.

(٣) هو الحكم بن أبـي العاص، أبو مروان أمير المدينة.
انظر: أسد الغابة ٥١٤/١ ــ ٥١٥.

(٤) **اختلج بوجهه**: حرك شفتيه وذقنه استهزاء وحكاية لفعـل رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ.
انظر: المصدر والموضع السابق، مادة خلج.

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريـخ ٦٢١/٢، وقال: «هـذا حديث صحيـح الإسناد، ولم يخرجاه»، ورد عليـه الذهبـي بـأن ضرار بن صـرد ــ أحد رواة الحـديث ــ واهٍ.
وقـال الحافظ ابن حجـر في التقـريب ٣٧٤/١: «ضـرار بن صـرد التيمي، أبـو نعيم الطحان الكوفي، صدوق لـه أوهام، وخـطيء ورمي بالتشيـع من العاشـرة مات سنـة ٢٩هـ روى له البخاري في خلق أفعال العباد».
=

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: كان رجل[1] نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فعاد نصرانياً، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له[2]. فقال: رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم أجعله آية» فأماته الله، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: مثل الأول، فحفروا له وأعمقوا، فلفظته الثالثة، فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذاً»[3].

وروى الإمام أحمد من حديث[4] ابن إسحاق قال: حدَّثني يحيى بن عروة[5]، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما كانت تُظْهِر من عداوته؟» قال: «حضرتهم وقد اجتمع

= وروى هذا الحديث البيهقي في الدلائل عن شيخه الحاكم ــ أيضاً ــ ومن طريق ضرار المذكور ٦/٢٣٩.

(١) سقطت (رجل) من ط.
عند مسلم: «كان منا رجل من بني النجار...».

(٢) قال الحافظ في الفتح ٦/٦٢٥: «في رواية الإسماعيلي: وكان يقول: ما أرى يحسن محمد إلا ما كنت أكتب له».

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة...، ٦/٦٢٤ (٣٦١٧) من الفتح. ورواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٤٥ (٢٧٨١)؛ وأحمد في المسند ٣/٢٢٢.

(٤) في ك و ط زيادة (محمد).

(٥) يحيى بن عروة: هو ابن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عروة، المدني. أمه أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص، كان قليل الحديث وثقه النسائي وغيره. انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٥٨.

أشـرافهم يـومـاً في الحِجْـر[١]، فـذكـروا رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفَّـه أحلامنـا[٢]، وشتم آباءنا، وعاب ديننـا[٣] وفرق جمـاعـاتنـا، وسب آلهتنـا، لقد صبـرنا منـه على أمر عـظيم. أو كما قـالـوا. فبينمـا هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طـائفاً بـالبيت، فلما أن مـر بهم، غمزوه ببعض مـا يقول[٤]. قـال: فعرفت ذلـك في وجهه، ثم مضى، فلمـا مـر الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهـه، ثم مضى، فمر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح[٥]» فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجـل[٦] إلا كأنما على رأسه طائـر واقع، حتى إن أشـدهم فيه وصاة قبل ذلـك، ليرفؤه[٧] بأحسن مـا يجد من القـول، حتى أنه ليقـول: «انصرف[٨] يا أبا

---

(١) **الحِجْر**: هو حجر إسماعيل بجوار الكعبة.
انظر: الفتح الرباني ٢١٩/٢٠.

(٢) **سَفَّه أحلامنا**: نسب عقلاءنا إلى الجهل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سقطت (وعاب ديننا) من ط.

(٤) غمزوه ببعض ما يقول: أي أشاروا إلى قوله بأعينهم وحواجبهم استهزاء به.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) الذبح هنا مجاز من الهلاك. فإنه من أسرع أسبابه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) في أ (رجلًا).

(٧) **ليرفؤه**: رسمت في جميع النسخ (ليرفأه) وما أثبتناه أصوب.
ويرفؤه: كيمدحه وزناً ومعنى، أي يسكنه ويرفق به ويدعو له.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) في ك و ط زيادة (انصرف) ثانية.

القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً». فانصرف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، حتى إذا كان من الغد، اجتمعوا في الحجر، وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه[1]، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك، طلع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم[2] أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر[3] دونه يقول ـ وهو يبكي ـ:

﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ...﴾[4]؟

ثم انصرفوا عنه[5]».

وذكر البخاري بعد حديث عروة، عن عبد الله بن عمرو، قال: «وقال عبدة[6]

(١) سقطت (عنه) من ك و ط.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط كما يستفاد من حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري. كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «لو كنت متخذاً خليلاً» ٢٢/٧ (٣٦٧٨) من الفتح.

(٣) في ك و ط زيادة (الصديق).

(٤) سورة غافر: الآية٢٨.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢١٨/٢، وأورده الهيثمي في المجمع ١٥/٦ ـ ١٦، وقال: «في الصحيح طرف منه (كما هو مذكور هنا) رواه أحمد، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٦) عَبْدة: هو ابن سليمان الكلابي الكوفي، أبو محمد، الحافظ الحجة القدوة، ثقة ثبت، مات سنة ١٨٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥١١/٨؛ وتقريب التهذيب ٥٣٠/١.

عن هشام[1] عن أبيه، قيل لعمرو بن العاص[2]. . .»[3].

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[4].

قال: والمستهزؤن (الوليد بن المغيرة) و (الأسود بن عبد يغوث الزهري)[5] و (الأسود بن المطلب)[6] أبو زمعة، من بني أسد بن

---

(1) **هشام**: هو ابن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي الزبيري المدني، أبو المنذر القرشي، الإمام الثقة، شيخ الإسلام، ولد سنة ٦١هـ وتوفي سنة١٤٦هـ ببغداد وصلى عليه المنصور وله ٨٧سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤/٦ ــ ٤٧؛ وتقريب التهذيب ٣١٩/٢.

(2) أي أنه في رواية أخرى معزواً إلى عمرو بن العاص ــ نفسه، وهو في رواية أحمد من حديث عبد الله بن عمرو، ومعنى ذلك أن هشام بن عروة خالف أخاه يحيى بن عروة في الصحابي راوي الحديث، ويرجح رواية يحيى، ويحتمل أن يكون عروة سأل عمراً مرة وعبد الله بن عمرو سأل أباه أخرى.
انظر: الفتح ١٦٩/٧؛ وصحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧ ــ ١٦٦ (٣٨٥٦) من الفتح.

(3) **عمرو بن العاص**: هو ابن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية وهو الذي فتحها، مات بعد سنة ٤٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٧٢/٢؛ وأسد الغابة ٧٤١/٣.

(4) سورة الحجر: الآية ٩٥.

(5) **الأسود بن عبد يغوث**: هو ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.
انظر: السيرة لابن هشام ٣٠١/١.

(6) في ك و ط (عبد المطلب).

عبـد العـزى[1]، و (الحـارث[2] بن عيـطل السهمي)[3] و (العــاص بن وائل)[4] فأومأ[5] جبريـل إلى أكحل الـوليد بن المغيـرة، فقال لـه النبـي ـ صلَّى الله عليــه وسلَّم ـ : «مـا صنعت»؟ قــال: كُفيتـه. وأومــأ إلى الأسود بن[6] المطلب إلى عينيه، فقال: «ما صنعت»؟ فقال: كُفيته. وأومأ إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فقال: «ما صنعت»؟ قال: كفيتـه. وأومأ إلى الحارث السهمي إلى بطنـه، فقال: «ومـا صنعت»؟ قال: كفـيتـه. وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل، فقال: «ما صنعت»؟ قال: كـفـيتـه. فأمـا الوليـد فمر برجلٍ من خزاعـة[7] وهو يـريش نبله[8] فأصـاب أكحله

---

(١) **الأسـود بن المطلب**: هـو ابن أسـد بن عبـد العـزى بن قصي بن كـلاب بن مـرة بن كعب بن لؤي.
انظر: المصدر السابق ١/٢٨٣؛ واللباب ١/٥٢ ـ ٥٣.

(٢) رسمت في أ و ك (الحرث) هكذا، هنا وما بعده. وهو رسم إملائي قديم.

(٣) **الحارث بن عيطل**: الظاهر أنه (ابن عيطلة) فقـد روى ابن جريـر بإسنـاده في جامـع البيان ١٤/٧١ عن أبي بكر الهذلي قال: قلت للزهري: إن سعيد بن جبير وعكرمـة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد: هو الحارث بن عيطلة. وقـال عكرمـة: هـو الحارث بن قيس، فقـال: صدقـا، كانت أمه تسمى عيـطلة، وأبـوه قيس. وفي السيرة لابن هشام ٢/٣٧١ هو أبو العاص ابن قيس بن عدي بن سعـد بن سهم. قتله علي بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دجانة، يـوم بدر سنة ٢هـ.

(٤) **العـاص بن وائل**: هـو ابن هاشم أو ابن هشـام بن سعيد بن سهم. من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب.
انظر: المصدر السابق ٢/٥٢.

(٥) رسمت في كل النسخ (فأومى) هنا وما بعده والأصوب ما أثبتناه.

(٦) في ط زيادة (عبد).

(٧) في ط (خذاعة).

(٨) يريش نبله: يعمل له ريشاً ويلزقه عليه.
انظر: اللسان ٦/٣٠٨، مادة ريش.

فقطعها. وأما الأسود بن المطلب [1]، فَعَمِي. فمنهم من يقول: عَمِي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت سَمُرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ ويقولون: ما نرى شيئاً. فجعل يقول: هلكت ها هو ذا أطعن في عيني بالشوك. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر[2] في بطنه، حتى خرج خُرؤه[3] من فيه فمات. وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف على حمار، فربض به في شبرقة[4] يعني شوكة، فدخلت في أخمص قدمه[5] فمات، وقيل: دخلت في رأسه شبرقة فمات[6].

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال[7]: ثنا يونس بن

---

(١) في ط (عبد المطلب).

(٢) ويسمى (الصفر) وهو داء في البطن، يصفر منه الوجه.
انظر: اللسان ٤/٤٦٠، مادة صفر.

(٣) الخُرء ــ بضم الخاء ــ: العذرة.
انظر المصباح المنير ص ١٧١.

(٤) في أ (شرقه) في هذا الموضع والذي يليه، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
الشبرقة: هو المعروف بالحسك. وهو نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، ورقه كورق الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب.
انظر: جامع البيان ١٤/٧٠؛ وترتيب القاموس ١/٦٤١.

(٥) **الأخمص**: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.
انظر: مختار الصحاح ص ١٩٠.

(٦) أخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل ٢/٣١٦ ــ ٣١٨.

(٧) سقطت (قال) من ك و ط.

حبيب[1]، ثنا أبو داود[2]، ثنا أبو عوانة[3]، ثنا أبو بشر[4]، عن سعيد.
وروى بإسناده عن الربيع بن أنس، قال: أراد صاحب اليمن[5] أن يؤي[6] النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فأتاه الوليد: فزعم أن محمداً ساحر. وأتاه العاص بن وائل: فأخبره أن محمداً تعلم أساطير الأولين. وأتاه آخر: فزعم أنه كاهن، وآخر زعم[7] أنه شاعر. وآخر قال[8]: إنه مجنون. فأهلكهم الله، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه. وذكر تفصيل عذابهم. وروى مثله عن عكرمة.

---

(١) **يونس بن حبيب**: هو العجلي مولاهم الأصبهاني، وثقه ابن أبي حاتم، مات سنة ٢٦٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٥٩٦ ـ ٥٩٧؛ والبداية والنهاية ١١/٤٢.

(٢) **أبو داود**: هو الطيالسي.

(٣) **أبو عوانة**: هو وضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي البزاز، الحافظ، مشهور بكنيته، مولى يزيد بن عطاء، ثقة ثبت متقن الكتابة، مات سنة ١٧٦هـ.
انظر: الكاشف ٣/٢٣٥؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٣١.

(٤) في ط (أبو سير) هكذا.
أبو بشر: هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية اليشكري الواسطي، بصري الأصل، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد، توفي سنة ١٢٥هـ.
انظر: الكاشف ١/١٨٣؛ وتقريب التهذيب ١/١٢٩.

(٥) **صاحب اليمن**: هو الحارث بن عبد كلال الحميري، كتب إليه النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كتاباً وبعث به المهاجر بن أبي أمية المخزومي، يعد في أهل اليمن، وليست له صحبة.
انظر: السيرة لابن هشام ٤/٢٥٥؛ وأسد الغابة ١/٤٠٤.

(٦) في ك و ط (يأوي).

(٧) سقطت (زعم) من ط.

(٨) في ك و ط (زعم).

وقال محمد بن إسحاق: «ثنا يزيد بن رومان، عن عروة[1] وغيره[2] من العلماء، أن جبريل أتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهم يطوفون بالبيت فقام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جانبه، فمر به الأسود بن [3] المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى[4]، فمات منها. ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى جرح بأسفل كعبه، كان أصابه لما مر برجلٍ يريش نبله، فخدش رجله، وليس بشيء، فانتقض فمات. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى إخمص قدمه، فذكر مثل ما تقدَّم من رواية ابن عباس.[5]». ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين. ومن المشهور عند[6] أصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة[7] بن أبي لهب، وكان أبو لهب لما عادى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمر ابنيه[8] أن يطلقا ابنتي النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في ك و ط (عكرمة).

(٢) الذي في السيرة (أو غيره).

(٣) في ك و ط زيادة (عبد).

(٤) **من الاستسقاء**: وهو أن ينتفخ البطن وغيره من الأعضاء ويدوم عطش صاحبه.
انظر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة ص ٦٥ لإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق، طبع عبد الحميد حنفي بمصر ١٣٥٦هـ.

(٥) السيرة لابن هشام بنحوه ٢/٥١ ـ ٥٢. وإسناد هذه الرواية إسناد جيد.

(٦) في أ (عن).

(٧) **عتيبة**: ـ بالتصغير ـ ابن أبي لهب: وأبو لهب اسمه: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، ابن عم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، تزوج أم كلثوم ثم طلقها فعوضها الله بعثمان بن عفان، وقتل الأسد عتيبة وهو ذاهب إلى الشام ـ كما تذكر هذه الرواية.
انظر: الروض الأنف ٣/٦٨؛ والإصابة ٤/٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٨) وهما عتيبة المذكور وعتبة وقد أسلم عام الفتح هو وأخوه معتب وشهدا الطائف =

وسلَّم ــ : رقيـة[1] وأم كلثوم[2] قبـل الدخـول، وقال عتيبـة لرسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : كفرت بـدينك وفـارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبـك[3]، ثم تسلط عليـه بـالأذى وشـق قميصـه، فقـال رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»[4] فخرج في نفـر من قـريش، حتى نـزلـوا في مكـان من الشـام، يقـال لـه: (الزرقاء)[5] ليلاً، فأطاف بهم[6] الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقـول: يا ويل[7] أخي، هو والله آكلي، كما دعـا محمد عليّ، قتلني وهـو بمكة

= وحنين وكانا فيمن ثبت وأقام بمكة ولم يأتيا المدينة: ولهما عقب.
انظر: الروض الأنف ٦٨/٣؛ وأسد الغابة ٤٦٥/٣.

(١) رقية بنت رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أمها خـديجة، تـزوجها عثمـان بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة وولد له هنـاك ولداً سمّـاه عبد الله، وكـان عثمان يكنى بـه فبلغ الغلام ٦ سنين ثم مات بسبب نقرة ديك سنة ٤هـ وماتت رقية بالحصبة بعد بدر سنة ٤هـ.
انظر: أسد الغابة ١١٣/٦ ــ ١١٤.

(٢) أم كلثوم بنت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمها خديجة. تزوجت عثمان بعـد رقية، ولم تلد منه، وتوفيت سنة ٩هـ.
انظر: أسد الغابة ٣٨٤/٦؛ والإصابة ٤٨٩/٤ ــ ٤٩٠.

(٣) في ط (لا تجيبني ولا أجيبك).

(٤) قال ابن منظور: وفي الحديث: «أما تخاف أن يأكلك كلب الله؟...».
انظر: اللسان ٧٢٢/١، مادة كلب.

(٥) **الزرقاء**: موضع بالشام بناحية (معـان) وهو نهـر عظيم يجـري في أرض فيها شجـر ورمال كثيرة، وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة، وهو يصب في الغور.
انظر: مراصد الاطلاع ٦٦٢/٢.

(٦) **أطاف بهم**: ألمَّ بهم وقاربهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٠.

(٧) في ك و ط (ويل) بدون (ياء) الندبة.

وأنا بالشام، فعدا[1] عليه الأسد من بين القوم، وأخذ برأسه فذبحه»[2].

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: «لما طاف الأسد بهم تلك الليلة، وانصرف[3] عنهم، قاموا وجعلوا عتيبة في وسطهم، فأقبل الأسد يتخطاهم، حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه»[4].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور[5] بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلىٰ[6] جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم[7] فأخذه، فلما سجد النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) **عدا**: وثب.
انظر: ترتيب القاموس ١٧٤/٣.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩.

(٣) في جميع النسخ بدون عطف، وهو ضروري لاستقامة السبك.

(٤) **فدغه**: شدخه.
انظر: ترتيب القاموس ٤٥٨/٣.
أخرجها البيهقي ـ أيضاً ـ في الدلائل ٣٣٩/٢. وقد أخرج هذه القصة أبو نعيم في الدلائل ٥٨٥/٢ ـ ٥٨٩ من عدة روايات: اثنتان من طريق ابن إسحاق واثنتان من طريق الواقدي.

(٥) **الجزور**: الناقة التي تنحر.
انظر المصباح المنير ص ٩٨.

(٦) في جميع النسخ رسمت (سلا) والأصوب ما أثبتناه.
السلى: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، يقال ذلك من البهائم، أما من الآدميات فالمشيمة، وقيل: إنه يقال فيهن ـ أيضاً ـ: سلى.
انظر: الفتح ٣٥٠/١.

(٧) في رواية عند مسلم: «... إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ...» ١٤١٩/٣.

وسلَّم ــ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض[1]، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، والنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ساجد ما رفع[2] رأسه، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة، فجاءت وهي جويرية[3] فطرحته[4] ثم أقبلت عليهم تسبّهم، فلما قضى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك وخافوا[5] دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن[6] هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة[7]، والوليد بن عتبة[8]، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع لم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذي سمّى صرعى

---

(١) المعنى: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جداً، فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.
انظر: تعليق عبد الباقي على متن مسلم ٣/١٤١٨.

(٢) في ك (ما يرفع) وفي ط (لا يرفع).

(٣) في أ (جورية).

(٤) في ك و ط زيادة (عنه).

(٥) في أ (أخافوا).

(٦) في أ (ابن) وهي في أثناء السطر.

(٧) شيبة بن ربيعة: هو ابن عبد شمس بن عبد مناف، قتل مشركاً يوم بدر سنة ٢هـ، قتله حمزة بن عبد المطلب.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٦.

(٨) الوليد بن عتبة: هو ابن ربيعة من بني عبد شمس بن عبد مناف، قتل يوم بدر كافراً مبارزة مع علي فقتله علي.
انظر: المصدر السابق ٢/٢٧٧ و ٣٦٥ ــ ٣٦٦.

يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر»[1].

وعنه قال: «استقبل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ القبلة، ودعى على ستة نفر»، فذكره[2]. وفي رواية: «غير أن أمية بن خلف، كان رجلاً ضخماً، فقطعت أوصاله، فلم يلقَ في البئر»[3]. وقال: «غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً»[4].

ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه[5] ويسمعونه، من انتقام الله ممن يسبه ويذم دينه، بأنواع من العقوبات[6]، وفي ذلك من القصص الكثيرة، ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه، من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة، التي تبين كلاءة[7] الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتعظيمه لقدره،

---

(١) رواه مسلم واللفظ له بمثله، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٨/٣ (١٧٩٤). ورواه البخاري بنحوه، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى عن ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد صلاته ٣٤٩/١ (٢٤٠) من الفتح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي. . .، ١٤٢٠/٣ (١٧٩٤). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على كفار قريش ٢٩٣/٧ (٣٩٦٠) من الفتح.

(٣) صحيح البخاري، ولفظه: «. . . قبل أن يلقى في البئر» كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، ولا يؤخذ لهم ثمن ٢٨٢/٦ ـ ٢٨٣ (٣١٨٥) من الفتح. واللفظ المذكور عند مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي. . .، /١٤١٩ (١٧٩٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي. . .، ١٤٢٠/٣ (١٧٩٤).

(٥) في ط (يروونه).

(٦) في أ (عقوبات).

(٧) الكلاءة: الحفظ.

انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٥.

ورفعه لذكره، وما من طائفة من الناس إلا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب، ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام، إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلى أن يسب العدو الرسول[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فحينئذ يستبشر[2] المسلمون بفتح الحصن، وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك قريباً، كما قد جربه المسلمون غير مرة، تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[3].

ولمَّا مزَّق كسرى كتابه مزَّق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم.

إجابة دعواته ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته

النوع الثامن[4]: في إجابة دعوته، وإجابة الدعاء: منه ما تكون إجابته معتادة لكثيرٍ من عباد الله، كالإغناء والعافية ونحو ذلك. ومنه ما يكون المدعو به من خوارق العادات: كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة، وإطعام النخل في العام مرتين[5]، مع أن العادة في

---

(١) في أ و ك و ط (لرسول الله) وقد أثبتنا الصواب من نسخة أكسفورد.

(٢) في أ (يستبشروا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) **الأبتر**: المنقطع من كل خير.
انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٦١١.
سورة الكوثر: الآية ٣.

(٤) هو النوع التاسع والأخير، حسب واقع السياق.

(٥) روى الترمذي قول أبي العالية: «... وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين...»، وقال: «هذا حديث حسن». سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك ٥/٦٨٣ (٣٨٣٣). ورواه البيهقي في الدلائل ٦/١٩٥.

مثله مرة، ورد بصر الـذي عمي[1]، ونحو ذلـك مما يـأتي وما تقـدم من أدعيته.

ومعلوم أن من عـوّده الله إجابـة دعائـه، لا يكون إلا مـع صـلاحـه ودينـه، ومن ادعى النبوة، لا يكـون إلا من أبرّ الـنـاس إن كان صـادقاً، أو من أفجرهم إن كان كاذباً، وإذا عوده الله إجابة دعائه، لم يكن فاجـراً بـل بـراً، وإذا لم يكن مـع دعـوى[2] النبـوة إلا بـراً تعين أن يكـون نبيـاً صادقاً، فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكـذب، ويمتنع أن يكـون ضالاً، يظن أنـه نبـي، وأن الذي يـأتيه مَلَك، ويكـون ضالاً في ذلـك، والذي يـأتيه الشيـطان، فإن هـذا حال من هـو جاهـل بحال نفسـه، وحال من يـأتيه، ومثل هذا لا يكون أضل منه، ولا أجهل منـه، لأن الله ـ تعالى ـ جعـل بين المـلائكة والشيـاطين، وبين الأنبيـاء الصـادقين، وبين[3] المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه غيـره من الفروق[4]، بـل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار، ولأن ما يأتي بـه الأنبياء من الأخبـار والأوامـر مخـالف[5] من كـل وجـه لمـا يـأتي بـه الشيطان، ومن استقرأ أحوال الرسـل وأتباعهم وحـال الكهان والسحـرة، تبين له ما يحقق ذلك.

---

(١) وهو حبيب بن فديك أو فويك السلاماني، وقتادة بن النعمـان الذي أصيبت عينـه يوم بدر أو أحد. وحـديث حبيب المذكـور أورده الهيثمي في المجمع ٢٩٨/٨. وقـال: «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم».
وانظر: أسد الغابة ٤٤٧/١.

(٢) في أ (دعوة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) سقطت (بين) من أ.

(٤) سقطت (من الفروق) من ك و ط.

(٥) في ك و ط (مضادة).

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي[1] إنك نبي صادق، والله أرسلني إليك، يكون من أعظم الناس كذباً، والكذب يستلزم الفجور، فلا بد أن يأمره بما ليس براً بل إثماً[2]. ويخبره بما ليس صدقاً بل كذباً، كما هو الواقع، ممن تضله الشياطين من جهلة العُبَّاد، وممن يزين له أنه نبي أو أنه المهدي[3] أو خاتم الأولياء، وكل هؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم، ولا بد أن يكذب في بعض ما تخبره به، تحقيقاً لقوله ــ تعالى ــ :

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[4].

وحينئذٍ: فمثل هذا لا يكون ــ مع دعوى النبوة ــ من الأبرار، الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابةً خارجة عن العادات، بل لا يكون مع دعوى النبوة إلا من الأفَّاكِين الفجار، وإذا كان صادقاً في دعوى النبوة، عالماً بأنه صادق ثبت أنه نبي.

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ ــ فيما يُبَلِّغونه عن الله ــ باتفاق الناس، وحينئذ: فكل ما يبلغه عن الله فهو حق، وهو

---

(١) في أ (نبي).
(٢) سقطت من ط جملة (بما ليس براً بل إثماً، ويخبره).
(٣) وأقرب شاهد على قول الشيخ المؤلف ما وقع من بعض أبناء المسلمين المغرورين من الفتنة العظيمة في الحرم المكي الشريف في أول أيام سنة أربعمائة وألف هجرية، حيث انتهكت حرمة المسلمين والبيت العتيق، ثم انتهت تلك الفتنة، وانتهت معها حياة أكثر تلك الفئة وحياة أناس غيرهم من المسلمين ــ رحمهم الله جميعاً ــ ، نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة. . .
(٤) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١ ــ ٢٢٢.

المطلوب، ومن كان يأتيه صادق وكاذب، مثـل (ابن صياد)[1] ومثـل كثير

---

(١) ابن صياد: هو صاف بن صياد: كـان من اليهود أو دخيـلاً في جملتهم في المدينـة، وكان يَبْلُغ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خبرُه وما يدّعيه من الكهانـة ويتعاطـاه من الغيب، فامتحنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذلـك ليُزَور بـه أمره، ويَخْبُـر شأنـه، فلما كلمه علم أنـه مبطل، وأنـه من جملة السحرة أو الكهنـة، أو ممن يأتيـه رئي من الجن، أو يتعـاهده شيـطان، فيلقي على لسانـه بعض ما يتكلم بـه، وقد كـان فتنـة، امتحن الله به عباده المؤمنين، كما امتحن قوم مـوسى في زمانـه بالعجـل، وقد كـان ابن صياد دجالاً من الدجاجلة، والظاهر أن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ لم يوحَ إليـه في أمره بشيء، وإنمـا أُوحي إليه بصفـات الدجـال، وكان في ابن صيـاد قرائن محتملة، فلذلك كان ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا يقطع في أمره بشيء، والقطع بأنه هو الدجال ــ كما فعل بعض الصحابة ــ اجتهاداً منهم، يتعارض مع قصة الجَسّاسـة التي رأى فيها تميم الداري ــ رضي الله عنه ــ الدجال الحقيقي في جزيرة من جزائر البحر موثقاً بالحـديد، يستفهم عن خبـر النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ هـل خرج أم لا؟ وقد توهم بعضهم أن حـديث مسلم في قصة تميم الـداري هو حـديث غريبٌ فَرْد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمـة بنت قيس ــ التي روته في صحيـح مسلم ــ أبو هريرة وعائشة وجابر، وأخرجه أحمد وأبو داود مختصراً وابن ماجه وأبو يعلى، هذا وقد أسلم ابن صياد وولد له أولاد، وسـافر مـع أبـي سعيد الخـدري وغيره إلى مكـة ــ حاجاً ــ ثم مات بالمدينة، وصلوا عليه بها، وكشفوا عن وجهه، كمـا تقول روايـة مرجوحة في نظر ابن حجر نظراً لتعارضها مـع رواية أبـي داود بـإسناد حسن. ويـرى الحافظ ابن حجر: أن ابن صياد شيطان تبدّى في صورة الـدجال في تلك المـدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه، إلى أن تجيء المدة التي قدر الله ــ تعـالى ــ خروجه فيها. والذي يظهر لي أن رأي ابن حجر وجيه، ولكنني أرجح: أن صاف بن صياد رجل عادي كان يهودياً أو مع اليهود، وكان يتعاطى الكهانة وأنه قد وجـدت فيه ــ على سبيل الاتفاق والمصادفة ــ بعض أوصاف الدجال الشكلية والخِلْقيـة، ثم أنه أسلم وحج ــ وأنه لم يَحْسُن إسلامه، بدليل قـوله لأبـي سعيـد الخدري: «أمـا والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه» (يقصد الدجـال الحقيقي)، قال: وقيـل له: أيسرك أنك ذاك الرجـل؟ قال: فقـال: لو عـرض عليّ ما كـرهت. ثم أنه مـات ــ كمـا تقول الـرواية المـرجوحـة في نظر ابن حجـر ــ وشهد عليـه الناس بـالموت. وبذلك يتم الجمع بين النصوص، وتتضح المسألـة ــ في رأيـي ــ تمامـاً. وقد أطلت =

من العُبَّاد الذين لهم إلهام من الملك، ووسواس من الشيطان بأنه نبي، ويقول: أنا أرسلني الله، فلابد أن يتبين كذبه، ولو ببعض الوجوه، مثل: أن يخبره بكذب، فإن مثل هذا الشيطان الذي قال له: أنه نبي، لا بد أن يكذب فيما يخبره به.

ومثل إخبار الصادق له: بأن هذا كذب[1]، فإذا أتاه الشيطان بالكذب لا بد أن يخبره الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذلك، بخلاف الإخبار بأمور جزئية، إذ إخباره بأنه نبي صادق مع أنه ليس كذلك: يهلكه هلاكاً عظيماً، ويفسد على الصادق جميع ما يأتيه به. لأن ذلك يستلزم أن يُصَدِّق ذلك الكاذب في كل ما يخبره به، إذ قد اعتقد أنه نبي، وحينئذٍ فلا يكون عنده كاذباً، ولا يعرف أنه كاذب.

فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب، بل أضل من هؤلاء[2]: يظن أن كل ما يأتيه فهو صادق، ولهذا كل من كان يأتيه إخبار ملَكي صادق، وإخبار شيطاني كاذب، فلا بد أن يعرف أنه يأتيه كاذب، لأنه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب ــ كما هو الواقع ــ.

= التعليق عليها لأهميتها ــ في نظري ــ وكثرة النصوص فيها والاختلاف عليها من الصحابة إلى عصر ابن حجر.

انظر المصادر حسب تسلسلها: معالم السنن للخطابي بهامش مختصر سنن أبي داود ٦/١٨٢ ــ ١٨٣؛ والفتح ١٣/٣٢٧ ــ ٣٢٨؛ وصحيح مسلم، كتاب الفتن. . .، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤١ ــ ٢٢٤٢ (٢٩٢٧)؛ وجامع الأصول ١٠/٣٦٢ ــ ٣٧٥ (٧٨٥٩ ــ ٧٨٦٩).

(١) في ك و ط (كاذب).

(٢) في ط زيادة (من).

ولهذا يوجد الكهان الذين يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً، وكذلك العُبّاد الذين لهم خطابات ومكاشفات، بعضها[1] شيطاني، وبعضها ملَكي، يتبين لهم[2] الكذب فيما يأتيهم به الشيطان ــ كما هو الواقع ــ فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني إلا ولا بد أن يخبره بكذب، يظهر له أنه كذب، وحينئذ: فإذا صَدَّق هذا الكاذب في إخباره النبوة كان مصدقاً للكاذب، ولأن الصادق الذي يأتيه مخبراً له بالصدق، ناصحاً له، لا بد أن يبين له ذلك، فلا يصر على اعتقاد[3] أن من يأتيه صادق ــ وهو في نفس الأمر كاذب، ولا يعلم أنه كاذب ــ إلا من هو أفاك أثيم، والله ــ تعالى ــ يقول:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[4].

فتنزلها[5] على الأفاك الأثيم، وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين، فقد يكون على من ليس بأفاك أثيم، فإن من لم يكن مدعياً للنبوة * لم يكن من هذا الباب، وإن كان مدعياً للنبوة *[6] فيمتنع أن يقره الصادق الذي يأتيه على ذلك، بل لا بد أن يبين له هذا إن جُوِّز ذلك.

فإن الناس تنازعوا: هل يجوز أن يلقي الشيطان على لسان النبي

---

(١) سقطت (بعضها) من أوقد أثبتناها من ك و ط.
(٢) في ك و ط (له).
(٣) في ك و ط (اعتقاده).
(٤) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١ ــ ٢٢٢.
أفاك أثيم: كذاب فاجر، مبالغ في الكذب والعدوان.
انظر: صفوة التفاسير ٣٩٧/١٩.
(٥) في ط (فينزلها).
(٦) ما بين النجمتين سقط من ك و ط.

ما ينسخه الله ويمحاه[١] أم لا يجوز ذلك؟ وعلى كل حال يمتنع أن يُقَرَّ على خطأ.

والمقصود هنا ذكر بعض أدعية النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي شوهد إجابتها، وقد تقدَّم ذكر بعض أدعيته، مثل دعائه على الملإ من قريش، فقتلوا (يوم بدر) وألقوا في القليب. ومثل: دعائه على (عتيبة بن أبي لهب) ومثل دعائه على الذي كَذَب عليه بأن يجعله آية. ومثل دعائه لما قَلَّ الزاد وجمعوه على نطع، فكثَّره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في (غزوة تبوك)، ومثل دعائه في (غزوة الخندق) فكفى الطعام، وهو صاع من شعير لألف نفر[٢]، وكذلك دعاؤه لما نُزِحَت (بئر الحديبية) فكثر ماؤها، حتى كفى الركب، وهم ألف وخمسمائة ورِكابهم[٣].

وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فأبصر، ودعاؤه في الاستسقاء، فما رد يديه إلا والسماء قد أمطرت، ودعاؤه في الاستصحاء، وإشارته إلى السحاب فتقطع[٤] من ساعته، ودعوته على (سراقة بن جعشم) لما تبعهم في الهجرة، فغاصت فرسه في الأرض، ودعاؤه (يوم بدر) و(يوم حنين) وقال الله له يوم بدر:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٥].

---

(١) في ط (يمحوه أو).

(٢) استعمل الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ كلمة (نفر) هنا للواحد، كما نستعملها في العامية هذه الأيام، والمعروف في اللغة أنها بمعنى: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة. انظر: مختار الصحاح ص ٦٧٢.

(٣) في أ (وركبانهم)، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) في ك و ط (فقطع).

(٥) سورة الأنفال: الآية ٩.

وأمثـال ذلـك.

وفي الصحيحين عن جابر قال: لما نزل:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ . . . ﴾.

قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أعوذ بوجهك»:

﴿ . . . أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾.

قال: «أعوذ بوجهك»:

﴿ . . . أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا [1] وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ . . . ﴾[2].

قال: «هاتان أهون أو أيسر»[3].

وفي الصحيحين: عنـه ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال: «سـألت ربـي ثـلاثاً، فـأعطاني اثنتين، ومنعني واحـدة. سألتـه أن لا يهلك أمتي بسنة عامـة[4] فأعـطانيها، وسـألته أن لا يسلط عليهم عـدواً من غيرهم، فيجتاحهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها، فلن

---

(١) يلبسكم شيعاً: يخلطكم فرقاً متحزبين، على أهواء شتى فينشب القتال بينكم. انظر: صفوة التفاسير ٣٩٧/٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

(٣) رواه البخـاري، كتـاب الاعتصـام بـالكتـاب والسنـة، بـاب قـول الله ــ تعـالى ــ : «أويلبسكم شيعـاً» ٢٩٥/١٣ ــ ٢٩٦ (٧٣١٣) من الفتح. ورواه التـرمـذي بنحـوه، كتاب تفسير القـرآن، باب ومن سـورة الأنعام: الآيـات ٢٦١/٥ ــ ٢٦٢ (٣٠٦٥). ولم يخرجه مسلم، خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ .

(٤) سنة عامة: قحط يعمهم. بل إن وقع القحط كان في نـاحية يسيـرة بالنسبـة إلى باقي بلاد الإسلام ــ فللَّه الحمد والشكر على جميع نعمه. انظر: شرح النووي ١٨/١٤.

يزال الهرج[1] إلى يوم القيامة»[2].

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، قال: «جعل عمي يرتجز[3]، ويقول:

تا الله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

---

(١) في المختار ٦٩٤: الهرج: الفتنة والاختلاط. وفسره النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أشراط الساعة بالقتل. كما هو عند البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ١٣/١٣ ـ ١٤ (٧٠٦١ ـ ٧٠٦٧) من الفتح، وقال الحافظ هنا ١٣/١٨ ـ ١٩: «وأخطأ من قال: «نسبة تفسير الهرج بالقتل للسان الحبشة وَهْمٌ من بعض الرواة وإلا فهي عربية صحيحة»، فهي لا تستعمل في اللغة العربية إلا على طريق المجاز، لكون الاختلاط مع الاختلاف يفضي كثيراً إلى القتل... واستعمالها في القتل بطريق الحقيقة هو بلسان الحبشة...».

(٢) رواه مسلم بنحوه وفيه «الفرق» بدل «العدو» كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٤/٢٢١٦ (٢٨٩٠) والأقرب لمعنى ما ذكره الشيخ الرواية التي قبل هذا عند مسلم، فكأن الحديث مجموع من الروايتين، وليس فيهما: «فلن يزال الهرج...»، ورواه الترمذي، بنحوه، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثاً لأمته ٤/٤٧١ (٢١٧٥). وعنده الرواية الأخرى كما عند مسلم. ورواه النسائي بنحوه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل ٣/٢١٧. ورواه بن ماجه بنحو رواية مسلم، أبواب الفتن، باب ما يكون من الفتن ٢/٣٦٨ (٣٩٩٩). ورواه مالك في الموطأ بنحوه، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء ١/٢١٦ (٣٥) وقوله: «فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة». موقوف على ابن عمر كما هو الشأن في الحديث كله. ولم يَروِ البخاري هذا الحديث خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

(٣) في ك و ط (يرجز).

عم سلمة: هو عامر بن ـ الأكوع ـ سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى، كان شاعراً، أصاب نفسه يوم خيبر فدفن في غار في جبل هو ومحمود بن مسلمة في مكان يسمى الرجيع.

انظر: طبقات ابن سعد ٢/١٠٧ و ٤/٣٠٣ ـ ٣٠٤.

ونحن من فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام أن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «من[1] هذا؟» قالوا عامر. قال: «غفر لك ربك». قال: وما استغفر رسول الله ــ [2]صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لإنسان يخصه إلا استشهد. قال: فنادى عمر بن الخطاب ــ وهو على جمل له ــ : يا نبي الله لولا متعتنا بعامر؟. قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم (مَرْحَب)[3] يَخْطِر بسيفه[4]، ويقول[5]:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاحِ[6] بطل مجرَّب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر[7]

---

(١) من هنا اختلف الخط في ك.

(٢) في ك زيادة كلمة التقديس بعد اسم الجلالة المعظم.

(٣) مَرْحَب: هو اليهودي، صاحب حصن خيبر بارزه عامر بن الأكوع ثم علي فقتله، وجاء برأسه إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .
انظر: البداية والنهاية ٤/١٨٠ ــ ١٨٩.

(٤) في ط (يخط).
يَخْطِر بسيفه: يرفعه مرة ويضعه أخرى.
انظر: شرح النووي ١٢/١٨٤.

(٥) في ك و ط زيادة (هو).

(٦) شاكي السلاح: ذو شدة وشوكة وحدة في سلاحه.
انظر: جامع الأصول ٨/٣٢٣.

(٧) المغامر: الذي يقتحم المهالك.
انظر: المصدر والموضع السابق.

قـال: فاختلفـا ضربتين، فـوقع سيف (مـرحب) في تُرْس عـامـر، وذهب عامر يسل سيفه، فرجع سيفـه على نفسه، فقـطع أكحله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت في نفر من أصحاب النبي ــ صلَّى الله تعالى[1] عليه وسلَّم ــ يقولون[2]: بطل عمل عـامر، قتـل نفسه. قـال: فأتيت النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عـامر. قـال رسول الله ــ صلَّى الله تعـالى[3] عليه وسلَّم ــ: «من قال ذلك؟» قلت ناس من أصحابـك. قال: «كـذب من قال ذلـك، بل[4] له أجره مرتين»[5].

وفي الصحيحين عن أنس بـن مـالـك قـال: قـالت أم سـليم: يا رسول الله، خادمك أنس: أدع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[6].

وروى البخاري، قال: دخل النبـي ــ صلَّى الله ــ تعالى ــ عليـه وسلَّم ــ على أم سُليم، فـأتته بتمـر وسمن، فقال: «أعيـدوا سمنكم في سقـائـه، وتمـركم في وعـائـه»، ثم قـام إلى نـاحيـة البيت، فصلى غيـر مكتوبة، فدعى لأم سليم وأهل بيتها. فقالت أم سليم: يا رسول الله، إن

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس.
(٢) في أ (يقول).
(٣) ليس في أ كلمة التقديس.
(٤) سقطت (بل) من أ.
(٥) رواه مسلم بنحـوه، كتاب الجهـاد والسير، بـاب غزوة ذي قَـرَد وغيرهـا ٣/١٤٤٠ ــ ١٤٤١ (١٨٠٧).
(٦) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب دعوة النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لخادمـه بطول العمر وبكثرة ماله ١١/١٤٤ (٦٣٤٤) من الفتح. ورواه مسلم، كتاب فضائـل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ ٤/١٩٢٨ (٢٤٨٠).

لي خُوَيْصَة فقال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس. قال: فما ترك آخرة ولا دنيا إلَّا دعا[1] به «اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه». فإني[2] أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أُمَيْنَة[3] أنه دُفن لِصُلْبي[4] إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة»[5]. وفي رواية لمسلم: «دعا لي بثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة»[6].

وفي الترمذي وحسَّنه، عن أبي خلدة[7]: قال: «قلت لأبي العالية: سمع أنس من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟. قال: خدمه عشر سنين، ودعا[8] له النبي ـ صلَّى الله ـ تعالى[9] ـ عليه وسلَّم ـ وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان[10]

---

(١) في ط رسمت (دعى).

(٢) في ك و ط زيادة (لمن).

(٣) أُمينة: هي بنت أنس بن مالك الأنصارية، لها ذكر في صحيح البخاري.. وروى عنها أبوها في الطاعون... ولها ذكر آخر في الأدب، وهي مقبولة، من الطبقة الثالثة.

انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٠١؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٩٠.

(٤) لصلبي: أي أولاده شخصياً دون أولاد أولاده.

(٥) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم، ٤/٢٢٨ (١٩٨٢) من الفتح بنحوه.

(٦) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٢٩ (٢٤٨١) بنحوه.

(٧) أبو خلدة: هو خالد بن دينار التميمي السعدي، مشهور بكنيته، البصري، الخياط، صدوق، من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٥٢هـ.

انظر: الكاشف ١/٢٦٨؛ وتقريب التهذيب ١/٢١٣.

(٨) في ط (دعى).

(٩) ليس في أ كلمة التقديس.

(١٠) في ط (كان).

فيها ريحان يجيء منه ريح المسك»[1].

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، قال: «كنت أدعو أمي[2] إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما أكره، فأتيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «اللهم أهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف[3] فسمِعَتْ أمي خَشْف[4] قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعتُ خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها[5] وعجلت عن خمارها[6]، ففتحت الباب، فقالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله[7] وأن محمداً رسول الله. فأتيته وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك، ٥/٦٨٣ (٣٨٣٣).

(٢) **أم أبي هريرة**: اسمها: أميمة، ويقال: ميمونة.
انظر: أسد الغابة ٦/٤٠٦.

(٣) **مجاف**: مردود (ومغلق).
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٩.

(٤) **الخشف**: الحركة والحس والصوت، وقيل: الحس الخفي.
انظر: اللسان ٩/٧١، مادة خشف.

(٥) درع **المرأة**: قميصها.
انظر: مختار الصحاح ص٢٠٣.

(٦) **الخمار**: غطاء رأس المرأة.
انظر: اللسان ٤/٢٥٧، مادة خمر.

(٧) في ك و ط زيادة (أشهد).

استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وقال خيراً، فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «اللهم حبب عبدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين «فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلَّا أحبني»(١).

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة(٢)، فقال: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة. قال: «كم سُقْت إليها؟» قال: وزنَ نواة من ذهب. قال: «فبارك الله لك، أَوْلِم ولو بشاة»(٣).

وفي الصحيحين: أنه لما قَدِمَ آخىٰ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري(٤)، فَعَرَض عليه سعد(٥) أن يناصِفَه أهلَه ومالَه، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك

---

(١) صحيح مسلم، بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ـ رضي الله عنه ـ ١٩٣٨/٤ ـ ١٩٣٩ (٢٤٩١).

(٢) المراد بالصفرة: صفرة الخلوق، والخلوق: طيب يصنع من زعفران وغيره.
انظر: الفتح الرباني ٢٣٣/٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب كيف يدعى للمتزوج ٢٢١/٩ (٥١٥٥) من الفتح بنحوه. ومسلم بنحوه، كتاب النكاح، باب الصداق وكونه تعليم قرآن وخاتم حديد. . . ، ١٠٤٢/٢ (١٤٢٧).

(٤) **سعد بن الربيع**: هو ابن عمرو بن عدي، يكنى أبا الحارث ويعرف بابن الحنظلية، استُصغر يوم أحد، وهو أخو سهل بن الحنظلية وهما من بني حارثة من الأنصار، استشهد يوم الخندق.
انظر: أسد الغابة ١٩٧/٢؛ والإصابة ٢٧/٢.

(٥) في ك و ط زيادة (ابن الربيع).

ومالك، دلني على السوق[1]. فظهرت بركة دعوة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فبلغ من مال عبد الرحمن ما قاله الزهري: أنه تصدق بأربعمائة ألف دينار، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة بعير في سبيل الله. قال: وكان عامة ماله من[2] التجارة[3].
وقال محمد بن سيرين: اقتسم نساء عبد الرحمن بن عوف[4] ثُمنهن، فكان ثلاثمائة وعشرين[5] ألفاً[6].

وقال الزهري: أوصى عبد الرحمن لمن شهد بدراً، فوجدوا مائة، لكل رجل منهم أربعمائة دينار[7].

وقال عبد الله بن جعفر، ـــــــــــــــــــــــ

---

(١) في ك و ط زيادة (فما انقلب إلاَّ بسمن وأقط، ثم تابع الغد. وذكر الحديث).
رواه البخاري، بنحوه، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين المهاجرين والأنصار، ١١٢/٧ (٣٧٨٠) من الفتح. ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ، ٣٢٨/٤ (١٩٣٣). ولم يخرجه مسلم، خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.
(٢) سقطت (من) من ك و ط.
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩٩/١. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨١/١، قال المعلق عليه: «ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين الزهري وابن عوف».
(٤) فقد مات عن ثلاث نسوة، إحداهن: تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم، من كلب، وهي أول كلبية نكحها قرشي. وقد ذكر له ابن سعد ثلاث عشرة امرأة ممن ولدن له، من أزواج وأمهات أولاد.
انظر: طبقات ابن سعد ١٢٧/٣ ـ ١٢٨.
(٥) في أ (عشرون).
(٦) سير أعلام النبلاء ٩١/١؛ والبداية والنهاية ١٦٤/٧، وفيه: وكان نساؤه أربعاً، فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً.
(٧) سير أعلام النبلاء ٩٠/١؛ وأسد الغابة ٣٨٠/٣؛ والإصابة ٤١٧/٢.

حدثتني أم بكر[1] بنت المسور[2]: أن عبد الرحمن باع أرضاً بأربعين ألف دينار، فقسمها في فقراء بني زهرة[3]، وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين[4].

وقال محمد بن عمرو[5]: عن[6] أبي سلمة[7] أن عبد الرحمن أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة، فقومت مائة[8] ألف[9]. وفي الترمذي

---

(١) في أ (بكير) والصواب ما أثبتناه من ك و ط، ومن المسند والمستدرك وكتب التراجم.

(٢) أم بكر: هي بنت المسور بن مخرمة، مقبولة، من الطبقة الرابعة.
انظر: تقريب التهذيب ٦١٩/٢.

(٣) هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢ ــ ١٤، ١٢٨.

(٤) رواه أحمد في المسند ١٠٣/٦ ــ ١٠٤ و ١٣٥ والحاكم في المستدرك ٣١٠/٣ ــ ٣١١ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «ليس بمتصل».

(٥) **محمد بن عمرو**: هو ابن علقمة بن وقاص، الليثي المدني، صدوق، له أهام، من الطبقة السادسة، مات سنة ١٤٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١٩٦/٢؛ والكاشف ٨٤/٣.

(٦) في ك و ط (ابن أبي سلمة).

(٧) أبو سلمة: هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله. وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر إمام، مات سنة ١٩٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٤٣٠/٢؛ والكاشف ٣٤٢/٣.

(٨) في ك و ط (قومت بأربعمائة).

(٩) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ ٦٤٩/٥ (٣٧٥٠) بلفظ: «أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف»، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وفي الحديث الذي قبله: «... وكان قد وصل أزواج النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ بما يقال: بيعت بأربعين ألفاً». وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».
ورواه الحاكم في المستدرك ٣١١/٣ بلفظ: «... أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة =

وصححه ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنَّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»[1]، فكان[2] عمر بن الخطاب أحبهما إلى الله، فأسلم عمر. وروي أن الدعوة كانت في يوم الأربعاء فأسلم يوم الخميس[3]، وأعز الله به الإسلام. قال عبد الله بن مسعود: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» رواه البخاري[4]. وظهر من عز الإسلام في إمارته شرقاً وغرباً، وفتح الشام والعراق ومصر، وكسر عساكر كسرى وقيصر، ما تحقق به إجابة الدعوة.

وفي الصحيحين أن ابن عباس وضع للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما أتى الخلاء وَضوءاً، فقال لما خرج: «من وضع هذا؟» فقيل: ابن عباس. فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[5].

= بيعت بأربعين ألف دينار». وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ٦١٧/٥ (٣٦٨١) بمثله، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب...» وموارد الظمآن، كتاب المناقب، باب فضل عمر...: ٥٣٤ ــ ٥٣٥ (٢١٧٩).

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٢٦٨/٣ قال الهيثمي: «وعن أنس بن مالك أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دعا عشية الخميس... فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه القاسم بن عثمان البصري وهو ضعيف». انظر: المجمع ٦٢/٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب...، ٤١/٧ (٣٦٨٤) من الفتح.

(٥) رواه البخاري، دون قوله: «وعلمه التأويل» كتاب العلم، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «اللهم علمه الكتاب» ١/١٧٠ (٧٥) من الفتح، قال الحافظ هنا: «وذكر الحميدي في المجمع أن أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين =

وفي روايـة، قـال: «ضمني رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إلى صدره، وقال: «اللهم علمه الكتاب». وفي رواية: «الحكمة»[1] وظهرت إجابة دعوته حتى كان يسمىٰ: البحر»[2].

وقال فيه ابن مسعود: «لو أدرك ابن عباس أسناننا لما عشره منا أحد»[3] وكان عمر يقدمه ويدخله مع كبراء[4] الصحابة[5]، وعِلْم ابن عباس مشهور في الأمة.

وفي الصحيحين عن جابر، قال: «كنت أسير على جمل قد

= بلفظ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». قال الحميدي: «وهذه الزيادة ليست في الصحيحين»، قلت: وهو كما قال. نعم هي في رواية سعيد بن جبير... عند أحمد وابن حبان والطبراني ورواها ابن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلًا، وأخرج البغوي في معجم الصحابة: ... «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». ووقع في بعض نسخ ابن ماجه... بلفظ: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» وهذه الزيادة مستغربة... وقد وجدتها عند ابن سعد.

ورواه مسلم بلفظ: «اللهم فقهه». كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ٤/١٩٢٧ (٢٤٧٧).

(١) كلا الروايتين في صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ٧/١٠٠ (٣٧٥٦) من الفتح. قال البخاري: «والحكمة الإصابة في غير النبوة».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ٣/٥٣٥، عن مجاهد، وأبو نعيم في الحلية ١/٣١٦.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٦ والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ٣/٥٣٧؛ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) في ك و ط (أكابر).

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٩ ــ ٣٧٠؛ والبداية والنهاية ٤/٣٢١ و ٨/٢٩٩.

أعيا[1] وأردت أن أُسَيبه[2] قال: فلحقني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فضربه، ودعا له، فسار سيراً لم يسر مثله»[3]. وفي رواية: «فقال لي: «ما لبعيرك؟» فقلت: عليل. قال: فتخلف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فزجره[4] فدعا[5] له، فما زال يسير بين يدي الإبل قدامها. فقال: «كيف ترى[6] بعيرك». قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: فتبعنيه...»[7] وذكر الحديث[8].

وفي الترمذي وغيره[9]، قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»[10]، وفي لفظ: «اللهم أجب دعوته،

---

(١) أعيا: تعب.
انظر: الفتح الرباني ٣١٥/٥.

(٢) أسيبه: اتركه وسومه يسيب حيث شاء.
انظر: اللسان ٤٧٨/١، مادة سيب.

(٣) رواه مسلم واللفظ له بنحوه، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ١٢٢١/٣ (٧١٥).
ورواه البخاري بنحوه، كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز، ٣١٤/٥ (٢٧١٨) من الفتح.

(٤) في أ: (في حرة) وفي ك و ط: (في حيزه) وقد أثبتنا الصواب من متن الصحيح.

(٥) في ط رسمت (فدعى).

(٦) في ك و ط (برىء) بدلاً من (كيف ترى).

(٧) في ك و ط (فبعنيه).

(٨) رواها مسلم بمثلها، كتاب المساقات، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ١٢٢١/٣ ـ ١٢٢٢ (٧١٥).

(٩) في ط زيادة الواو.

(١٠) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ٦٤٩/٥ (٣٧٥١). ورواه الحاكم في المستدرك ٤٩٩/٣، كتاب معرفة الصحابة، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وسدد رميته»[1]، فكان سعد لا يرمي إلَّا يصيب[2]، ولا يدعو إلَّا أجيب[3].

وروى الحاكم في صحيحه عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: «مرضت فعادني رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأنا أقول: «اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان بلاء فصبِّرني»، فقال: «اللهم اشفه، اللهم عافه»، ثم قال لي[4] «قم» فقمت، فما عاد إليَّ ذلك الوجع بعد»[5].

وفي الصحيحين عن أم خالد[6]، قالت: أُتي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بثيابٍ فيها خميصة[7] سوداء صغيرة، فقال:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ٣/٥٠٠ وقال: «هذا حديث تفرد به يحيى بن هاني بن خالد الشجري، وهو شيخ ثقة من أهل المدينة». ووافقه الذهبي.

(٢) فقد قال علي بن أبي طالب: «سمعته (أي الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) يقول: (أي لسعد) يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي». رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد. . .، ٥/٦٥٠ (٣٧٥٥) وقال: «هذا حديث صحيح».

(٣) فقد دعا على الرجل الذي كان يشتم علياً فساخت به دابته فرمته على هامته فانفلق دماغه ومات. رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ٣/٥٠٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) سقطت (لي) من ك و ط.

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب التاريخ ٢/٦٢٠ ــ ٦٢١ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٦) **أم خالد**: هي بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشية الأموية. اسمها: أَمة. صحابية بنت صحابي، ولدت بأرض الحبشة، فتزوجها الزبير بن العوام، وعُمِّرت حتى لَحِقها موسى بن عقبة.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٢٥؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٩٠.

(٧) **الخميصة**: كساء أسود، له علم (طراز) فإن لم يكن له علم فليس بخميصة.
انظر: جامع الأصول ١٠/٦٧٧.

«من تـرون نكسـوه هـذه الخميصـة؟» فسكت القـوم، فقـال: «أئتـوني بـأم خالـد»، فأتي بـي رسـولَ الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، فـألبسنيها فقال: «أَبلي وأَخلِقي»[1] مرتين، فجعـل ينظر إلى علم الخميصـة ويشير بيـده إليَّ، ويقول: «يـا أم خالـد، هـذا سَنَـا». والسنـا بلسـان الحبشة: «الحسن»، فبقيت حتى دكن[2]، وعن أبـي يـزيـد عمـرو بن أخـطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «ادن مني» فمسح بيده على رأسي ولحيتي، ثم قال: «اللهم جمله، وأدم جمالـه».

---

(١) أَبليْ: أمر بالإبلاء، وأَخلِقِيْ، أمر بالإخلاق، والمقصود الدعاء، وهما بمعنى قال الخليل: «أبـل وأخلق: معناه عش وخرق ثيابك وارقعها، وأخلقت الثوب: أخرجت باليه ولفقته». ووقـع في رواية. . الفَـرَبْري: «وأخلفي» بـالفاء، وهي أوجـه من التي بالقـاف، لأن الأولى تستلزم التـأكيد إذ الإبـلاء والإخلاق بمعنى. . . ويؤيـدها مـا أخرجـه أبو داود بسند صحيح: «. . . تبلي ويخلف الله».
انظر: الفتح ١٠/٢٨٠.

(٢) في ط (دكت) بالتاء.
رواه البخـاري بنحـوه، كتـاب اللبـاس، بـاب مـا يـدعى لمن لبس ثـوبـاً جـديـداً، ١٠/٣٠٣ (٥٨٤٥) من الفتـح وقـولـه: «فبقيت حتى دكن». من الـدكن وهـو لـون يضـرب إلى السـواد، وهـذه الجملة من قـول الـراوي وهي في روايـة أخـرى عنـد البخاري في كتاب الأدب، باب من ترك صَبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مـازحها ١٠/٤٢٥ (٥٩٩٣) من الفتح والراوي هـو عبد الله بن المبـارك ــ رحمه الله ــ شيخ حبان شيخ البخـاري وهي بلفظ: «فبقيت حتى ذكر». يعني من بقـائها. . والتقـدير: ذكـر الراوي زمنـاً طويـلاً، وقال الكـرماني: «المعنى صـار شيئاً مـذكوراً عنـد الناس بخروج بقائـه عن العادة». قـال الحافظ ابن حجـر: «قلت: وكأنـه قرأه «ذكـر» بضم أوله، لكن لم يقع عندنا في الرواية إلَّا بـالفتح، ووقـع في رواية ابن السكن: «حتى ذكـر دهـراً. . .» وفي روايـة أبـي ذر ــ المحـدث ــ عن الكشميهني «حتى دكن» أي صار أدكن: أي أسود. . . وقد جزم جماعة بأن رواية الكشميهني تصحيف».
انظر: الفتح ١٠/٤٢٥ ــ ٤٢٦. وقد روى هذا الحـديث أبو داود في كتـاب الأدب، باب فيما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً ٤/٤٢ (٤٠٢٤) بمثله، ولم يروه الإمـام مسلم خلافاً لما أشار إليه الشيخ المؤلف.

قال الرواي عنه[1]: فبلغ بضعاً وثمانين سنة، وما في لحيته بياض إلا نزر يسير، ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبض وجهه حتى مات، رواه الإمام أحمد[2]، وقال البيهقي: إسناده صحيح[3]، ورواه الترمذي، وقال: مسح رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يده على وجهي فدعا[4] لي. قال عزرة[5]: إنه عاش مائة وعشرين سنة، وليس في رأسه إلا شعرات بيض. وقال حديث حسن[6].

وقال البخاري في تاريخه: ثنا[7] يعقوب بن إسحاق[8]، عن حنظلة بن حنيفة بن حذيم[9]، قال حِذْيَم[10]: يا رسول الله، إني رجل ذو

---

(١) الراوي المقصود: هو علباء بن أحمر، التابعي، الراوي عن أبي زيد.

(٢) المسند للإمام أحمد ٥/٧٧ و ٣٤١.

(٣) الدلائل للبيهقي ٦/٢١١.

(٤) في ك و ط (ودعا).

(٥) في جميع النسخ: «عروة، وهو تحريف، وعَزْرة: هو ابن ثابت بن أبي زيد بن أخطب، الأنصاري، بصري ثقة، من الطبقة السابعة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠.

(٦) سنن الترمذي، بمثله، كتاب المناقب، باب رقم ٦، ٥/٥٩٤ (٣٦٢٩) وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

(٧) سقطت (ثنا) من أ و ك وقد أثبتناها من ط.

(٨) **يعقوب بن إسحاق**: هو ابن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقري، النحوي، صدوق من صغار الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٠٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٧٥.

(٩) في ط، (حزيم) في الموضعين.
حنظلة بن حنيفة بن حذيم: هو المالكي، أبو عبيد، وقيل إنه: حنظلة بن حذيم بن حنيفة، فقيل: إنه من بني حنيفة، وقيل: هو التميمي السعدي، وفد مع أبيه وجده وهو صغير على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ١/٥٤٠ ــ ٥٤١؛ و تقريب التهذيب ١/٢٠٦.

(١٠) حِذْيَم: هو ابن عمرو السعدي، من بني سعد بن عمرو بن تميم، صحابي، له =

سن، وهـذا أصغر بنيَّ، فَسَمِّت عليـه[1]، قال: «تعـال يا غـلام» فـأخـذ بيدي، ومسح بـرأسي، وقال: «بـارك الله فيك ــ أو بـورك فيك» فـرأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم، فيمسح بيده، ويقـول: «بسم الله». فيذهب الورم. وفي رواية: والشاة والبعير[2].

ويُذكر عن أبـي سفيان، واسمه مدلوك[3]، أنـه ذهب[4] إلى النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فأسلم، فـدعـا لـه النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، ومسح رأسه بيده، ودعا له بالبركة، فكان مقدم رأسه موضع يد النبـي ــ صلَّى الله عليــه وسلَّم ــ أسـود وسـائـره أبيض. ذكــره أيضـاً البخاري في تاريخه[5].

= حديث. سكن البصرة.
انظر: أسد الغابة ١/٤٧٠؛ وتقريب التهذيب ١/١٥٦.

(١) سَمِّت عليه: من التسميت: أي ذكر الله ــ تعالى ــ على الشيء.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٠٨.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ٣٧، وليس فيه الرواية الثانية (الشاه والبعير).

(٣) **أبو سفيان، مدلوك**: أو مدرك الفزاري، مولاهم، أسلم مع مـواليه حين قـدموا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٤٨٩.

(٤) في ك و ط زيادة (به).

(٥) قـال ابن حجـر في الإصـابـة ٣/٣٩٥ (٧٨٦٠) وروى البخـاري في التـاريـخ، وابن سعد، والبغوي، والطبراني، من طريق مطر بن العـلا الفزاري، حـدثتني عمتي آمنـة أو أمية بنت أبـي الشـعثـاء، وقطبـة مولاة لنـا، قالتـا: سمعنـا أبـا سفيـان، زاد البغوي في روايته: مدلوكـاً، يقول: «ذهب بـي مـولاي إلى النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فأسلمت، فدعا لي بالبركة، ومسـح رأسي بيده. قـالت: فكان مقـدم رأس أبـي سفيان أسود، ما مسه النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسائره أبيض». وأخرجه ابن منده وأبو نعيم من وجه آخر، عن مـطر... قال الهيثمي في المجمـع ٩/٤٠٩، «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم».

وروى أحمد في مسنده، بإسناده عن أبي العلا[1] قال: كنت عند قتادة بن ملحان[2]، في مرضه الذي مات فيه، فمر رجل في مؤخر الدار، فرأيته في وجه قتادة. قال: كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مسح وجهه. قال: وكنت قبلُ ما رأيته إلا ورأيته كان على وجهه الدهان[3].

وفي مسند الإمام أحمد عن عروة بن أبي الجعد[4] قال: «عرض للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جلب[5]، فأعطاني ديناراً، وقال: «أي عروة، ائت الجلب، فاشترِ شاة! فأتيت الجلب، فساومت صاحبه، فاشتريت منه شاتين بدينار، فجئت[6] أسوقهما، فلقيني رجل، فساومني، فأبيعه[7] شاة بدينار، فجئت بالدينار وجئت بالشاة، فقلت:

---

(١) في ط رسمت هكذا (العلى).
أبو العلا: هو حيان بن عمير القيسي الجريري، البصري، ثقة، مات قبل المائة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٨.

(٢) **قتادة بن ملحان:** هو القيسي من بني قيس بن ثعلبة. له صحبة، يعد في البصريين، له حديث.
انظر: الإصابة ٣/٢٢٥؛ والاستيعاب بهامشه ٣/٢٥١؛ وأسد الغابة ٤/٨٩.

(٣) المسند للإمام أحمد ٥/٢٧ و ٨١ وأورده الهيثمي في المجمع ٩/٣١٩، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٤) سقطت (الجعد) من ك و ط.
عروة بن أبي الجعد: هو البارقي، ويقال: ابن الجعد، ويقال: اسم أبيه عياض، صحابي، سكن الكوفة، وهو أول قاضٍ بها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٨؛ وأسد الغابة ٣/٥٢٣ ــ ٥٢٤.

(٥) الجلب: ما يجلب للبيع من كل شيء، ويقال له أيضاً: الجلوبة.
انظر: الفتح الرباني ٢٢/٣٢٦.

(٦) في ك و ط زيادة (بهما).

(٧) في ك و ط (فاتبعته).

يا رسول الله، هذا ديناركم وهذه شاتكم» قال: «وصنعت كيف؟» فحدثته الحديث، فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه». فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة[1]، فأربح أربعين ألفاً، قبل أن أصل إلى أهلي. ورواه الإمام أحمد. وفي لفظ[2]: فكان لو اشترى التراب لربح فيه[3]. رواه البخاري عن أهل داره[4] عنه[5].

---

(١) **الكناسة**: محلة بالكوفة، حصلت عندها واقعة بين يوسف الثقفي وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم: خد العذراء، وسميت بالكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها.

انظر: معجم البلدان ٤/٤٨١ و ٤٩٠.

(٢) في ك و ط زيادة (آخر، قال الراوي عنه).

(٣) المسند للإمام أحمد ٤/٣٧٦ من ثلاثة طرق، ورواه أبو داود، كتاب البيوع، باب في المضارب يخالف ٣/٢٥٦ (٣٣٨٤ ــ ٣٣٨٦)؛ والترمذي في كتاب البيوع، باب (٣٤)، ٣/٥٥٠ (١٢٥٨)؛ وابن ماجه، أبواب الأحكام، باب الأمين يتجر فيه فيربح ٢/٥٥ (٢٤٢٥) وقد تكلم المنذري على إسناد هذا الحديث وقال عن أحد طرقه: «. . . وهو من هذه الطريق حسن. . .».

انظر: مختصر سنن أبي داود ٥/٥٠ ــ ٥١.

وقال أحمد البنا: قال المنذري والنووي: «إسناده صحيح لمجيئه من وجهين».

انظر: الفتح الرباني ٢٢/٣٢٦.

(٤) في ك و ط (الدار).

الذي عند البخاري لفظ (الحي) وهم قبيلة عروة، منسوبون إلى بارق: جبال باليمن، نزله بنو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ــ مزيقيا ــ، فنسبوا إليه. وأضاف الحافظ قائلاً: «وهذا يقتضي أن يكون سمعه من جماعة أقلهم ثلاثة».

انظر: الفتح ٦/٦٣٢ ــ ٦٣٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ٢٨، ٦/٦٣٢ (٣٦٤٢) من الفتح. قال ابن القيم: «وقد استدرك عليه (يقصد البخاري) روايته عن أهل الحي، وهم غير معروفين، وما كان كذلك فليس من شرط كتابه».

انظر: مختصر سنن أبي داود ٥/٤٩.

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشماله، فقال له: «كل بيمينك». قال لا أستطيع. قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه[1].

وروى مالك في موطئه عن زيد بن أسلم[2] عن جابر بن[3] عبد الله السلمي، قال: «خرجنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في غزوة بني أنمار»[4]. قال جابر: «فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقلت: هلم يا رسول الله إلى الظل، قال: فنزل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، قال جابر: فقمت إلى غِرارة[5] لنا، فالتمست فيها، فوجدت فيها جرو قِثّا[6]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ٣/١٥٩٩ (٢٠٢١).

(٢) زيد بن أسلم: هو أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، الإمام الحجة القدوة، والده مولى عمر بن الخطاب، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مات سنة ١٣٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦؛ وتقريب التهذيب ١/٢٧٢.

(٣) في ك و ط (عن).

(٤) هي غزوة ذات الرقاع وكانت سنة ٥هـ.
انظر: شرح المواهب اللدنية ٢/٨٦ ــ ٨٧.
بنو أنمار: هم بنو أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان.
انظر: اللباب ١/٩١.

(٥) **الغِرارة**: شبه العِدل (الكيس الذي يحمل على الدابة).
انظر: المصباح المنير ص ٤٤٥.

(٦) في ط (جرد قنا).
الجرو: صغير كل شيء، حتى الحنظل والبطيخ ونحوه.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٨٣.

فكسرته، ثم قربته إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «من أين لكم هذا؟» قلنا: خرجنا به من المدينة، قال: وعندنا صاحب لنا نجهزه، يذهب يرعى ظهرنا، قال: فجهزته، ثم أدبر، يذهب إلى الظهر، وعليه ثوبان له قد خَلِقا[1]، فنظر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أما له ثوبان غير هذين؟» فقلت: بلى يا رسول الله، ثوبان في العَيْبة[2]، كسوته إياهما. قال: «ادعه فليلبسهما» ثم ولّى يذهب[3] فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ماله ضرب الله عنقه، أليس هذا خير له؟» فسمعه الرجل، فقال: يا رسول الله، في سبيل الله. فقال: «في سبيل الله» فقتل الرجل في سبيل الله»[4]. ورواه أبو زرعة عن سعيد بن سليمان[5]، عن الليث، عن هشام بن سعيد[6]،

---

(١) **خلقا**: بليا، من باب سهل.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٧.

(٢) **العيبة**: زبيل من أدم (جلد).
انظر: ترتيب القاموس ٣/٣٥١.

(٣) في ك جاء في العبارة هكذا (فدعوته فلبسهما، ثم ولى يذهب) وفي ط (ثم ولى يذهب، فدعوته فلبسهما).

(٤) رواه مالك في الموطأ، كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الثياب والتجمل بها، ٢/٩١٠، ورواه الحاكم بمعناه في المستدرك، كتاب اللباس ٣/١٨٣ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم... إلَّا أن الحديث عند مالك عن زيد بن أسلم عن جابر (يقصد أنه منقطع)». وسكت عليه الذهبي. وقال عبد القادر الأرناؤط: «وقد وصله الحاكم.. وإسناد حسن».
انظر: جامع الأصول ١٠/٦٦١.

(٥) سعيد بن سليمان: هو الضبي، أبو عثمان الواسطي، نزيل بغداد، البزار... ثقة حافظ... مات سنة ٢٥٥هـ وله ١٠٠ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٩٨.

(٦) **هشام بن سعيد**: هو الطالقاني، أبو أحمد البزاز، نزيل بغداد، صدوق، لم يعمر.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣١٨.

عن زيد بن أسلم، عن عطاء[1]، عن جابر.

• • •

(١) عطاء: هو ابن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة ٩٤هـ وقيل بعد ذلك.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٣؛ وسير أعلام النبلاء ٤/٤٤٨ ــ ٤٤٩.

فصل

ست طرق كبرى للقطع بنبوة محمد ـ عليه السلام ـ

في الطرق التي تبين[1] بها أن هذه الأخبار تفيد العلم.

وهذه الأخبار: منها ما هو في القرآن. ومنها ما هو متواتر: يعلمه العامة والخاصة، كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، ونحو ذلك، فإن كلاًّ[2] من ذلك تواترت به الأخبار، واستفاضت، ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف، فما من طبقة من طبقات الأمة إلَّا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن، وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن، وأكثر ممن سمع ونقل[3] أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو، وممن سمع ونقل نُصُب الزكاة وفرائضها. بل مواقيت الصلاة وأعدادها إنما شاع نقلها للعمل الدائم بها.

وأما هذه الآيات: فنقلها أكثر ممن[4] نقل مواقيت الصلاة، من جهة الأخبار المعينة، وذلك أن آيات الرسول كان كثيراً منها يكون بمشهد من الخلق عظيم، فيشاهدون تلك الآيات، كما شاهد[5] أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه، وظهور الماء

---

(١) في ك و ط (يبين).
(٢) في أ (كل) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٣) سقطت: (سمع ونقل) من أ وقد أثبتناها من ك و ط.
(٤) في ط (ممل).
(٥) في أ (شاهدوا).

الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها، ولم يتركوا فيها قطرة، فكثر حتى روى العسكر، وكما شاهد العسكر في (غزوة ذات الرقاع) الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت، وملأ منها جميع العسكر، وكما شاهد الجيش في رجوعهم من (غزوة خيبر) المزادتين مع المرأة، وقد ملؤوا كل وعاء معهم، وشربوا وهي ملأى كما هي.

وكما شاهد[1] أهل خيبر ـ وهم ألف وخمسمائة ـ الطعام، الذي كان كربضة الشاة، فأشبع الجيش كلهم، وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفاً[2] في تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها[3]، حتى كفاهم، وشاهدوا الطعام الذي جمعوه على نطع، فأخذوا منه حتى كفاهم. وكما شاهد أهل الخندق ـ وهم أكثر من ألف ـ كثرة الطعام في بيت جابر، بعد أن كان صاعاً من شعير وعناقاً، فأكلوا كلهم بعد الجوع، حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

وكما شاهد الثمانون نفساً كثرة الطعام لما[4] أكلوا في بيت أبي طلحة. وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء، لما توضؤوا من قدح، والماء ينبع من بين أصابعه، حتى كفاهم للوضوء[5]، وكذلك وليمة زينب، كانوا[6] ثلاثمائة، فأكلوا من طعام في تَوْر[7] من حجارة، وهو

---

(١) في أ (شاهدوا).

(٢) في أ (ألف) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) سقطت (ماؤها) من أ.

(٤) في ط (كما).

(٥) في ك و ط (الوضوء).

(٦) في ط (كانت).

(٧) التور: إناء يشرب فيه.
انظر: مختار الصحاح ص ٨٠.

باق، فظن أنس أنه أزيد مما كان، وكانوا يتداولون قصعة من غدوة إلى الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة، كما في حديث سمرة بن جندب، وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل[1] وكفاهم، وفضل، وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور، ينقله بعض من شاهده إلى من غاب عنه، فكان[2] استفاضة آياته وشهرتُها وتواتُرها في الأمة، أعظمَ من تواتر سجود السهو في الصلاة، فإن هذا إنما كان مرات قليلة، ولم يحضره إلَّا المصلون خلفه لتلك الصلاة، وكذلك نقلهم لنُصُب الزكاة، وفرائِضها، فإن هذا إنما سمعه منه طائفة قليلة، ونقلوه.

وكذلك حكمه[3] بالشُّفعة[4] فيما لا يُقْسَم، وقضاؤه بأن دية الخطأ على العاقلة[5]، وقضاؤه بأن الولد للفراش[6]، وللعاهر الحَجَر، ونهيه عن نكاح الشِّغار[7]، وتحريمه لطلاق الحائض، وطلاق الموطوءة قبل أن يتبين حملها، وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار، وتوريث

---

(١) سقطت (القليل) من أ.

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) في ط (حكمة).

(٤) الشفعة: هي انتزاع ملك المشتري بغير رضاء منه، وإجبار له على المعاوضة. وقد أثبتها الشرع ــ على خلاف الأصل ــ لمصلحة راجحة.
انظر: المغني لابن قدامة ٥/٣٠٨.

(٥) العاقلة: عصبة الرجل. وهم الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٧٩ و ٢٣٦.

(٦) معنى الفراش هنا: الزوج الرسمي أو السيد.

(٧) الشغار: نكاح كان في الجاهلية، وهو أن تُـزَوِّج الرجل امرأة ما كانت، على أن يزوجك أخرى بغير مهر، وخص بعضهم به القرائب، فقال: لا يكون الشغار إلَّا أن تنكحه وليتك على أن ينكحك وليته.
انظر: اللسان ٤/٤١٧ مادة شغر.

الجدة السدس، ونهيه أن تنكح المرأة على عمتها وخالتها، وقوله: «فيما سقت السماء العشر، وما سقى بالدوالي[1] والنواضح نصف العشر»[2] وأمثال ذلك. إنما[3] سمعها طائفة من الأمة، هم أقل بكثير ممن شاهدوا[4] آياته، ثم إن الأمة متفقة على نقل ذلك، وهذه الأحكام متواترة عنه، معلومة بالاضطرار من دينه.

فإذا كان مثل هذه الأمور تواتر في الأمة، واتفقت على نقله، فكيف بما كان أشهر وأظهر عند من عاينه، وكان عِلْم الذين رأوه به، أظهر من علمهم بهذه الأحكام، وقد نقلوا ذلك إلى من غاب عنهم، فإنه ــ قطعاً ــ يجب أن يكون تواتر هذه الآيات في الأمة أعظم وأظهر، ولهذا لا يكاد يوجد مسلم إلَّا وقد عرف كثيراً من هذه الآيات، وسمعها ونقلها إلى غيره، بخلاف كثير[5] من الأحكام المتواترة عنه، المتفق على نقلها عند العلماء، فإن كثيراً من الناس لا يعرفها، ولا سمعها.

وإذا قال القائل: هذه مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي على نقلها، ولو كان كذلك لتواترت. قلنا: وكذلك هو[6] ــ ولله الحمد ــ توفرت الهمم والدواعي

---

(١) الدوالي: هي الدلو ونحوها.
انظر: المصباح المنير ص ١٩٩.

(٢) رواه البخاري بلفظ آخر، كتاب الزكاة، باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، ٣/٣٤٧ (١٤٨٣) من الفتح. ورواه مسلم، بلفظ مختلف ــ أيضاً ــ كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر، ٢/٦٧٥ (٩٨١).

(٣) في ك و ط (وإنما).

(٤) في ك و ط (شاهد).

(٥) في أ (كثيراً) والأصوب ما اعتمدناه من ك و ط.

(٦) في ط (هي).

على نقلها، أكثر مما توفرت الهمم والدواعي على نقل أكثر آيات الأنبياء قبله، وأكثر مما[1] توفرت الهمم والدواعي على نقل الأخبار العجيبة من سِيَر الملوك والخلفاء، فإن من تدبر نقل هذه الآيات، وَجَد شهرتها في كل زمان، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرة ما نقل من أخبار[2] الأنبياء وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فإن مثل هذا لا[3] يجب في كونه متواتراً أن يتواتر عند كل أحد من الناس.

فإن أكثر ما تواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها، قد لا يسمعه كثير من الأمم من غيرهم، فضلاً عن تواتره عندهم، حتى أن كثيراً من الأمم الذين لا يعرفون الأنبياء، قد لا يكونوا قد سمعوا[4] بأسماء الأنبياء، ولا بأخبارهم، فضلاً عن تواترها عندهم.

وأكثر أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من أخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم، حتى أن أكثر المسلمين لم يسمعوا بأسماء خلفاء بني أمية[5] وبني العباس[6] وأسماء وزرائهم ونوابهم وقوادهم،

---

(١) في أ (ما) والصواب ما في ك و ط وهو المثبت هنا.

(٢) في ك و ط (ينقل من آيات).

(٣) سقطت: (لا) من ط.

(٤) في ك و ط (يكونون سمعوا).

(٥) **بنو أمية**: نسبة إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الذين ولوا الخلافة، منهم عثمان بن عفان وغيره.
انظر: اللباب ١/٨٥.

(٦) نسبة إلى العباس بن عبد المطلب ــ رضي الله عنه ــ فالسفاح وأبو جعفر كلاهما اسمه: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
انظر: الكامل ٤/٣٤٧؛ والبداية والنهاية ١٠/٥٨.

وبالحروب التي جرت بينهم، ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم مثل يوم أجنادين[1]، ويوم مَرْج الصُّفر[2]، ويوم فِحْل[3]، ومثل يوم الحرة[4]، ويوم مرج راهط[5]، وفتنة

---

(١) **يوم أجنادين**: كان سنة ١٥هـ بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص والروم بقيادة أرطبون، ولم يكن فيها نصر ولا هزيمة بعد قتال شديد وكثير من القتلى. وأجنادين موضع بالشام من فلسطين من كورة (منطقة) بيت جبرين.
انظر: البداية والنهاية ٧/ ٥٤ ــ ٥٥؛ ومراصد الاطلاع ١/ ٣٣.

(٢) **مرج الصفر**: المرج: مرعى الدواب، ويوم مرج الصفر كان في سنة ٦١٤هـ بين المسلمين والإفرنج، حيث غلب الإفرنج ولم يقدر على النجاة منهم إلَّا القليل من أهل بيسان وما حولها، وقد نهب الإفرنج البلاد من بيسان إلى بانياس، وقد أسروا كثيراً وقتلوا وأحرقوا وأهلكوا. و (مرج الصفر) ناحية بدمشق.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٢٠؛ والكامل ٩/ ٣١٤ ــ ٣١٥؛ ومراصد الاطلاع ٣/ ١٢٥٤.

(٣) فحل: موضع بالغور (غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق) وقد وقعت به معركة بين المسلمين، وعليهم: شرحبيل بن حسنة وبين الروم، وعليهم: سقلاب بن مخراق، فنصر الله ــ سبحانه ــ المسلمين، وقتلوا من الروم قريباً من ثمانين ألفاً، وكانت سنة ١٣هـ.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/ ١٠١٨ و٢/ ١٠٠٤؛ والبداية والنهاية ٧/ ٢٥.
في ك و ط زيادة (ويوم اليرموك).

(٤) يوم الحرة: كان سنة ٦٣هـ بين أهل المدينة وعليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر وبين أهل الشام وعليهم مسلم (مسرف) بن عقبة، وقد هَزَم أهل المدينة واستباحها ثلاثة أيام ينهبها الجند، وقتل من أهل المدينة عشرة آلاف وسبعمائة وقيل أنه: حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٨٠ ــ ٤٩٦؛ والبداية والنهاية ٨/ ٢١٧ ــ ٢٢١.

(٥) **مرج راهط**: بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج في الشعر، وراهط اسم رجل من قضاعة، وقد كان به المعركة بين أنصار ابن الزبير بقيادة: الضحاك بن قيس، وبين مروان بن الحكم انتصر فيها مروان وقتل الضحاك. وذلك سنة ٦٤هـ.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٥٣٥ ــ ٥٤٠؛ ومعجم البلدان ٣/ ٢١ و٥/ ١٠١.

ابن[1] المهلب[2]، وفتنة ابن الأشعث[3]، والقراء مع الحجاج[4]، وحرب مصعب بن الزبير[5] مع المختار بن أبي عبيد[6]، وفتنة

---

(١) جاءت في أ و ك: (بن) والصواب إثبات الألف كما في ط.

(٢) وقد كانت بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك حيث إن يزيد قد حبس بأمر عمر بن عبد العزيز وبقي فيه حتى هرب منه في مرض عمر، فجمع أنصاره وهجم على البصرة فاستولى عليها ثم تقابل مع جيش يزيد بن عبد الملك بقيادة مسلمة بن عبد الملك فهزم ابن المهلب وقتل وانصرف أخوه المفضل ومن معه إلى واسط ثم إلى كرمان. وكان ذلك سنة ١٠٢هـ فطلبهم مسلمة وأسرهم وقتل المفضل وبعث برأسه إلى يزيد بدمشق.
انظر: الكامل ٤/١٥٧ ــ ١٧٥.

(٣) في أ وك سقطت الألف من (ابن).
ابن الأشعث: هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ولاه الحجاج أمرة الجيش الذي وجهه إلى رتبيل ملك الترك فانتصر عليه وصالحه ثم بايعه جنده بالولاية العامة وخَلْع الحجاج ثم عبد الملك بن مروان ثم استولى على البصرة وقاتله الحجاج طويلاً فهزمه الحجاج ففر إلى رتبيل فأكرمه ثم غدر به وقتله وأرسل رأسه إلى الحجاج فطيف به في العراق ثم بالشام ثم بمصر سنة ٨٥هـ.
انظر: البداية والنهاية ٩/٣١ ــ ٥٤.

(٤) وقد كانت سنة ٨٢هـ وهي تابعة لفتنة ابن الأشعث، وبقيادته، في مكان يقال له، الزاوية وأوشك القراء على هزيمته ثم انتصر الحجاج وقتل جمعاً كبيراً في القراء وانصرف ابن الأشعث إلى الكوفة.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/٣٤٢ ــ ٣٤٣.

(٥) مصعب بن الزبير، هو ابن العوام القرشي الأسدي، أمير العراقين أبو عيسى وأبو عبد الله. كان فارساً شجاعاً، جميلاً وسيماً، سفاكاً للدماء، وقتل سنة ٧٢هـ وله ٤٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٤٠ ــ ١٤٣.

(٦) وكانت سنة ٧٦هـ بعدما استولى المختار على الكوفة سار إليه مصعب فتقابلا فهزم المختار وكان ذلك بحروراء ثم تحصن بالقصر ثم خرج فقاتل حتى قتل. ثم قتل مصعب جميع أنصاره صبراً تبعاً لرضى العامة.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/٩٣ ــ ١١٦.

المنصور[1] مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن[2] بالمدينة، ومع أخيه إبراهيم[3] بالبصرة، ومثل جسر أبي عبيد[4]، ويوم اليرموك[5] ويوم

---

(١) **المنصور**: هو عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي ـ أمه سلامة البربرية ولد سنة ٩٥هـ وضرب في الآفاق ورأى البلاد وطلب العلم، كان يسمى قبل الخلافة (عبد الله الطويل) وبعدها: أبا الدوانيق، مات سنة ١٥٨هـ ودفن قريباً من مكة، وله ٦٤ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٨٣/٧ ـ ٨٩؛ وفوات الوفيات ٢١٦/٢ ـ ٢١٧.

(٢) في ك و ط (حسين).
محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن: هو ابن علي بن أبي طالب خرج بالمدينة وقاتله العباسيون فهزمهم أول الأمر ثم تفرق عنه أصحابه فقتل بالمدينة سنة ١٤٥هـ وأرسل رأسه إلى المنصور.
انظر: الكامل ٢/٥ ـ ١١.

(٣) في جميع النسخ (محمد بن إبراهيم) والصواب (إبراهيم) كما في كتب التاريخ.
إبراهيم: هو ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. اختفى من المنصور خمس سنين ثم ظهر بالبصرة سنة ١٤٥هـ ثم قتل بعد هزيمة جنده على يد حميد بن قحطبة سنة ١٤٥هـ بالكوفة وله ٤٨ سنة.
انظر: الكامل ١٥/٥ ـ ١٩.

(٤) في ط (أبي عبيدة) بتاء مربوطة.
أبو عبيد: هو ابن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف. . الثقفي، والد المختار وصفية امرأة ابن عمر، أسلم في عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ واستعمله عمر سنة ١٣هـ فسيره في جيش كثيف فيهم جماعة من أهل بدر، وإليه ينسب الجسر. . .، وإنما نسب إليه لأنه كان أمير الجيش في الوقعة التي كانت عند الجسر فقتل أبو عبيد ذلك اليوم شهيداً، وكانت الوقعة بين الحيرة والقادسية، وتعرف الوقعة ـ أيضاً ـ بيوم قسّ الناطف، ويوم المروحة، وكان أمير الفرس مراد نشاه بن بهمن، واستشهد معه من الناس ألف وثمانمائة. . .، وكان المسلمون قد قطعوا جسراً هناك، فلما انهزموا رأوا الجسر مقطوعاً. . . وحمى المثنى بن حارثة الشيباني الناس حتى نصب الجسر فعبر من سلم عليه.
انظر: أسد الغابة ٢٠٥/٥.

(٥) سقطت (ويوم اليرموك) من ك و ط.

=

القادسية[١]، ولا يعرفون أن المسلمين فتحوا قبرص، ولا غزوا[٢] القسطنطينية مرتين: مرة في زمن معاوية ومرة في زمن بني مروان[٣].

وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين. لا[٤] بل أكثر العامة لم يسمعوا بأبي مسلم[٥] صاحب الدعوة[٦]، وبعبد الله بن علي بن

= **يوم اليرموك**: وكان سنة ١٣هـ وكان عدد المسلمين ستة وأربعين ألفاً وكانوا بقيادة عدة أمراء ثم أمروا عليهم خالد بن الوليد وكان الروم بقيادة باهان وانتصر المسلمون فيها نصراً عظيماً، وأصيب من الروم مائة وعشرين ألفاً ومن المسلمين ثلاثة آلاف.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ٣/٣٩٤ ــ ٤٠٦.

(١) في ك و ط زيادة (بل وحربهم مع أهل الردة، مع أتباع طليحة الأسدي، ووفد براحة، ومثل حديقة الموت، مع أتباع مسيلمة الكذاب).
يوم القادسية: وكان سنة ١٤هـ بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم وقد قتل رستم بعد ثلاثة أيام من القتال وهزم الجيش الفارسي شر هزيمة.
انظر: الكامل ٢/٣٠٩ ــ ٣٣٧.

(٢) في ك و ط (حاصروا).

(٣) **بنو مروان**: نسبة إلى مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٨٧.

(٤) محيت (لا) من أ.

(٥) **أبو مسلم**: هو عبد الرحمن بن مسلم الخرساني، صاحب الدعوة العباسية، وهو شر من الحجاج، وفي آخر أمره قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٣/١٤٥ ــ ١٥٤؛ ولسان الميزان ٣/٤٣٦ ــ ٤٣٧؛ وشذرات الذهب ١/٢٠٥.

(٦) أي: الدعوة إلى ولاية رجل من بني هاشم هو إبراهيم الإمام ثم عبد الله السفاح أخيه إلى أن وصلت إليهم الخلافة.
انظر: وفيات الأعيان ٣/١٤٧.

عبد الله بن عباس[1]، وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان[2] آخر خلفاء بني أمية، ولم يسمعوا ـ أيضاً ـ بدخول عبد الرحمن بن هشام[3] إلى الأندلس وما جرى له فيها، ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد[4]، الأمين[5] ـــــــــــــــــــــــــــــ

---

(١) عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: هو ابن عبد المطلب، عم المنصور والسفاح، أحد دهاة الأرض، وكان من الشجعان الأبطال، سجنه المنصور في بيت أساسه ملح فسقط عليه ومات سنة ١٤٧هـ.
انظر: فوات الوفيات ٢/١٩٢.

(٢) في ك و ط زيادة (ابن محمد).
مروان: هو ابن محمد، آخر خلفاء بني أمية، الملقب الحمار والجعدي، نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ولد سنة ٧٢هـ، واشتهر بالفروسية والإقدام والدهاء، ومات سنة ١٣٢هـ وله ٦٢ سنة.
انظر: فوات الوفيات: ٤/١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) **عبد الرحمن**: هو ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، الداخل إلى الأندلس. كان يخطب (يعلن الخضوع) للمنصور أعواماً ثم ترك الخطبة ولم يتعرض لبني العباس ولم يتعرضوا له، وكان من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل في قضاياه. مات سنة ١٧٢هـ.
انظر: فوات الوفيات ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٤) **الرشيد**: هو هارون بن محمد بن المنصور ـ أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي، وأمه خيزران أم ولد، مات سنة ١٩٣هـ وله ٤٥ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٢٨٦ ـ ٢٩٥.

(٥) **الأمين**: هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة ولكنه كان سيِّىء الرأي كثير التبذير أرعن، خُلع ثم أسر وقتل صبرا سنة ١٩٩هـ وله ٢٧ سنة.
انظر: فوات الوفيات ٤/٤٦ ـ ٤٨.

والمأمون[1]. مع أن هذه الأمور هي متواترة عند أهل العلم بالسير وأخبار الناس والتواريخ.

وظهور هذه الآيات، التي هي دلائل النبوة وأعلامها، مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها في كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة، فهي أحق أن تجعل متواترة من هذه، ونقلة هذه الآيات من الخاصة[2]: أهل العلم، وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير، وكتب الأصول والفقه، التي توجد[3] فيها هذه الأخبار أصح نقلاً باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة، فإن تلك كثير من أخبارها منقطع الإسناد[4]، وفيها[5] من الأكاذيب ما لا يحصيه إلاَّ الله، وإن كان أصل القصة قد يكون متواتراً، وهذه الآيات المشهورة في الأمة كثير من أجناسها متواتر عند أهل العلم[6]، وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة[7].

---

(١) **المأمون**: هو عبد الله بن هارون، أمير المؤمنين أبو العباس، ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ قرأ العلم في صغره وسمع الحديث وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة فَجَره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً ورأياً ودهاء وشجاعة وسؤدداً وسماحة.
انظر: فوات الوفيات ٢/١٣٥ ــ ١٣٩.

(٢) في ط (خاصة).

(٣) في ك (يوجد).

(٤) **منقطع الإسناد**: هو ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه.
انظر: تدريب الراوي ١/٢٠٧.

(٥) سقطت الواو من ط.

(٦) في ك و ط (العامة).

(٧) في ك (عند الخاصة: أهل العلم) وفي ط (خاصة أهل العلم).

بـل وكثير من[1] الفقهـاء والمتكلمين أو أكثـرهم لا يعـرفـون عـدد مغازي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ التي قاتل فيها أعداءه، وهي وقائع مشهورة، كل منها متواتر تواتـراً ظاهـراً عند أهـل العلم، مثل يـوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق، وغزوة بني المصطلق[2]، وغزوة خيبـر، وفتح مكة، ويوم حنين، وحصار الطائف[3].

فكثيـر من أهل العلم فضـلاً عن العامـة، وإن كانـوا سمعوا بهـذه الأسماء أو بعضها، فلا يعرفون أيها كان[4] قبل الآخـر؟ ولا يعرفـون بأي بقعة كانت تلك الغـزاة؟ بل ولا يعـرفون من كـان العدو فيهـا؟ ولا كيف كانت؟ بل أكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين، بل يقـول قائلهم: يـوم بدر وحنين، ويظنون أن ذلك يوم واحد، وأنها غزاة واحدة، ولا يعرفـون أنهما غزاتـان، بينهما نحـو ست سنين، كانت بـدر في السنة الثـانية من

---

(١) في ك (بل كثير من الفقهاء) وفي ط (بل الفقهاء والمتكلمون).

(٢) **غزوة بني المصطلق**: وهي بين المسلمين بقيـادة رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وبين بني المصطلق بقيادة الحـارث بن ضرار أبـو جويـرية بنت الحـارث ــ رضي الله عنها ــ وذلك عند ماء لهم يقال له: المريسيع من ناحية قـديد على السـاحل، وهـزم الله بني المصطلق، وكان ذلك سنة ٦هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٣٠٢.
بنـو المصطلق: هـذه النسبة إلى المصـطلق واسمـه جـذيمـة بن سعـد بن عمـرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، بطن من خزاعة.
انظر: اللباب ٣/٢١٩ ــ ٢٢٠.

(٣) حصـار الطائف كـان في شوال سنـة ٨هـ وكـانت بعـد غـزوة حنين، واستمـر بضعـاً وعشـرين ليلة ثم انصـرف المسلمـون عنهم، ولم يؤذن فيهم (أي بـالقتـال) فقـدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا.
انظر: السيرة لابن كثير ٣/٦٥٢ ــ ٦٦٣.

(٤) في ك (أنها) بالنون بدلاً من الياء، وفيها وفي ط (كانت) بالتاء.

الهجرة، وكانت حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة، وأن بدراً[1]: مكان بين مكة والمدينة، شامي مكة، ويماني المدينة[2]، وحنين: واد قريب من الطائف شرقي مكة[3]، وإنما قرن بينهما في الإسم، لأن الله أنزل فيهما[4] الملائكة، وأيد بها[5] نبيه والمؤمنين، حتى غلبوا عدوهم، مع قوة العدو في بدر، ومع هزيمة أكثر المسلمين أولاً بحنين، وأمتن[6] الله بذلك في كتابه في قوله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7].

وفي قوله:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا . . . ﴾[8].

١ ـ التواتر العام
٢ ـ والتواتر الخاص طريقان تـطعيان للعلم بالنبوة

حتى بعض أكابر أئمة الفتيا المشهورين، قال له صاحبه ـ لما أنكر عليه طَلَبَ علم السِّير ـ : «تسكت، وإلاّ سألتك قدام الناس أيهما كانت قبل، بدر أو أحد، فإني أعلم أنك لا تعلمه[9]». مع أنه من المتواتر الذي لا يستريب فيه من له أدنى[10] معرفة بالأخبار، أن أحداً

(١) في أ (بدر) والصواب النصب.
(٢) معجم البلدان ٣٥٧/١.
(٣) المصدر السابق ٣١٣/٢.
(٤) في ط (فيها).
(٥) في أ (بهما).
(٦) امتن: أنعم. انظر: ترتيب القاموس ٢٨٨/٤.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.
(٨) سورة التوبة: الآيتان ٢٥، ٢٦.
(٩) في ك و ط (لا تعلم ذلك).
(١٠) سقطت (أدنى) من أ.

كـانت بعد بـدر، وفي بدر انتصـر المسلمـون على الكفـار، ويـوم أحـد استظهر الكفار. بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر: لا يعلمون ما هـو متواتر عند أهل الكتـاب، بل وعنـد غيرهم من علمـاء المسلمين، مثل: خراب بيت المقدس مـرتين، ومجيء بخت نصر إلى بيت المقـدس[1]، والله ــ سبحانه ــ قد[2] ذكر في القرآن المرتين، فقال:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى[3] ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ[4] وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا[5] ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ[6] عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا[7] ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[8].

---

(١) في ك و ط زيادة (أولاً).

(٢) سقطت (قد) من ك و ط.

(٣) أي: أعلمهم الله وأخبرهم.
انظر: جامع البيان ١٥/٢٠.

(٤) أي: طـافوا وسط البيـوت يروحـون ويغـدون للتفتيش عنكم، واستئصـالكم بـالقتـل والسلب والنهب، لا يخافون من أحد.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٥٢.

(٥) أي كان ذلك التسليط والانتقام جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) الكَرَّة: الدولة والغلبة.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) **أكثر نفيراً**: أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم.
انظر: المصدر السابق ١٥/١٥٣.

(٨) أي: ليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميراً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة الإسراء: الآيات ٤ ــ ٧.

وكـانت الأولى بعد سليمـان، وكانت الثـانية بعـد زكـريـا ويحيـى والمسيـح، لما قتلوا يحيـى بن زكـريا، الـذي يسميه أهـل الكتاب يـوحنا المعمداني[١].

وكثير من المذكورين بالعلم يـظن أن (بخت نصر) هـو الذي قـدم الشام لمّا قُتل يحيـى بن زكريا[٢]، وهذا عند أهل العلم من أهل الكتاب وعنـد من لـه خبـرة من علمـاء المسلمين: بـاطـل. والمتـواتـر: أن (بخت نصـر) هو الـذي قدم في المـرة الأولى[٣]. وكذلـك كـون شعيب ــ النبي ــ كـان حمو[٤] مـوسى ــ عليه السـلام ــ كما تقـوله طـائفة من الجهال[٥]، والمتواتر عند أهل الكتاب، وعند[٦] المسلمين من الصحابة والتابعين، وغيرهم، خلاف ذلك[٧]، وعند النصارى من أخبارهم وأخبار علمـائهم وملوكهم، المتواتـرة * ما لا يعـرفه المسلمـون واليهود، وعنـد

---

(١) في ط (المعمدان).
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١١٠٦ ــ ١١٠٨.

(٢) انظر: جامع البيان ٢١/١٥ ــ ٢٢.

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٥٣٨/١؛ ومروج الذهب ٢٢٨/١؛ والكامل ١٤٧/١ ــ ١٥١؛ والبداية والنهاية ٣٤/٢ ــ ٣٩.

(٤) الحمو: كل من كان من قبل أحد الزوجين كالأخ والأب.
انظر: مختار الصحاح ص ١٥٣.

(٥) ورد هـذا في رواية لابن أبـي حـاتم عن مالـك بن أنس: أنه بلغـه أن شعيباً ــ عليـه السلام ــ هو الذي قص على موسى القصص.
انظر: الدر المنثور ١٢٦/٥.
بين الشيـخ المؤلـف ــ رحمـه الله ــ في أول هـذا الكتـاب (٢٨٧/١ ــ ٢٨٨ ط المـدني) أن هذا القـول غلط عند علمـاء المسلمين، مثـل: ابن عبـاس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم.. ولم يثبت ذلك عن أحد من الصحابة والتابعين.

(٦) في ك و ط زيادة (علماء).

(٧) جـاء عن الحسن أنه قـال: «يقول نـاس أنـه شعيب وليس بشعيب ولكن سيـد المـاء يومئذ. وقيل: كان أثـرون ابن أخي شعيب ــ عليه السـلام ــ وقيل: اسمـه يثربـي، =

المسلمين من أخبار علمائهم وملوكهم المتواترة *[1] ما لا يعرفه أكثر الأمم.

بل عند كل طائفة من المسلمين من أخبار شيوخهم وأمرائهم وبلادهم المتواترة ما لم تُسمع من[2] غيرهم، وليس هذا بمنزلة من ادعى خبراً لم يكن يُعرف في الذين شاهدوا تلك القضية، كما لو ادعى مدع أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حج بعد الهجرة أكثر من حجة، وأنه كان يصوم شهر رمضان بمكة، وأنه كان بمكة أذان، أو أنه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات[3]. أو أنه كان يؤذن للعيدين، أو[4] كان يخطب للعيدين قبل الصلاة، أو أنه كان يصلي بالمدينة أكثر من عيد. أو أنه كان يصلي في السفر أربعاً، أو أنه صلى بمنى صلاة عيد النحر. أو أنه نص على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه[5] ـ أو غيره بالخلافة نصاً ظاهراً مشهوراً. أو أنه عزل أبا بكر عن الإمارة في الحجة وولى علياً، أو أنه صلى[6] في مرض موته غير أبي بكر، ونحو ذلك من الأخبار التي يعرف أنها كذب باطل[7]، لتواتر

= وقيل: يثرب. وقيل: كانت صاحبة موسى: صفيراً بنت يشرون، وقيل: صفوراً بنت رعاويل، وقيل: هو يثرون كاهن مدين. والكاهن: الحبر.
انظر: الدر المنثور ١٢٦/٥.

(١) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (يسمع به).

(٣) دبادب: جمع دبداب وهو الطبل. والبوقات: جمع بوق: وهو الذي ينفخ فيه ويزمر، وهو قديماً شبه منقار الطائر ملتوي الخرق.
انظر: اللسان ٣٧٢/١، مادة دبب و ٣١/١٠، مادة بوق، والمصباح المنير ص ٦٦.

(٤) في ط زيادة (أنه).

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٦) في ك و ط زيادة (بهم).

(٧) في ك و ط (وباطل) بالعطف.

نقيضها، ولأنها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره، ومع أنه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم.

وكذلك ما ينقله كثير من أهل الجهل، مثل ما يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره، ولا يوجد منقولاً عند أهل العلم بأحواله، بل يكذبون ناقله، مثل قول كثير من العامة أن الغمام كان يظله دائماً، فهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين، المعروفة عند علمائهم، ولا نقله عالم من علمائهم، بل هو كذب عندهم، وإن كان كثير[1] من الناس ينقله[2]، وإنما نقل أن الغمامة أظلته لما كان صغيراً، فقدم مع عمه إلى الشام تاجراً، ورآه بحيرا الراهب[3] ــ ومع هذا ــ فهذا لا يجزم بصحته، وكذلك ما ينقله بعضهم من أنه كان إذا وطيء أثر قدمه في الحجر، وفي الرمل لم يكن يؤثر، فهذا لم ينقله أهل العلم بأحواله، ولا واحد منهم بل هو كذب عليه.

وكذلك ما ينقله طائفة من الناس، من كثرة القتل بحروبه، أو المغازي[4] الكثيرة الذي[5] يذكر مثلها صاحب الكتاب الذي سماه

---

(١) في أ (كثيراً).

(٢) في ط (بنقله).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ١/١٩١ ــ ١٩٣؛ والدلائل لابن نعيم ١/ ١١٧ ــ ٢١١؛ وللبيهقي ٢/٢٤ ــ ٢٥؛ وطبقات ابن سعد ١/ ١٣٠ من طريق الواقدي وهو متروك كما في التهذيب ٩/٣٦٣ ــ ٣٦٨ عند أكثر العلماء وروي عن مصعب الزبيري توثيقه وكذلك عن ابن نمير وأبي عبيد.

(٤) في ط (والمغازي) بالعطف.

(٥) في ك و ط (التي).

بـ (نقلات الأنوار) ويقال له البكري[1]، فهذه[2] لمّا كان أكثرها لا يوجد في كتب المسلمين المعروفة، ولا نقلها علماؤهم، بل قد تواتر ما يخالفها، كانت كذباً ظاهراً عند أهل العلم بأحواله، وإن كان كثير[3] من الناس الجهال بأحواله قد يصدق بها.

ومثل ما ينقله طائفة[4]، أنه كان في غزوة[5] خيبر، نصب علي بن أبي طالب يده ليمر الجيش عليها، وأن البغلة مرت عليها، فقال[6]: (قطع الله نسلك) فانقطع نسلها. فهذا ليس في شيء من كتب أهل العلم بأحواله، ولا نقل ذلك واحد منهم، وإنما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب، أو جاهل، ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين، ويعلمون أنه تواتر نقيضه، وأنه لم يكن في غزوة خيبر بغلة واحدة، ولم يكن بالمدينة ولا بمكة[7] بغلة إلاَّ بغلته التي أهداها له (المقوقس) النصراني، ملك مصر والإسكندرية، وإنما أهداها له بعد فتح خيبر، لمّا كتب النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ إلى

---

(١) **البكري هذا**: لعله أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، من أهل شلطيس، وسكن قرطبة، وقد أجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيره، وتوفي سنة ٤٨٧هـ وقد جمع كتاباً في أعلام نبوة نبينا ــ عليه الصلاة والسلام ــ أخذه الناس عنه فلعله ما أشار إليه الشيخ المؤلف، والأمر يحتاج إلى مزيد بحث.
انظر: كتاب الصلة ١/٢٧٧ ــ ٢٧٨، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ــ ٥٧٨هـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

(٢) في ط (فهذا).

(٣) في أ (كثيراً) بالنصب.

(٤) في ك و ط زيادة (من الناس).

(٥) في ك و ط (غزاة).

(٦) في ك و ط زيادة (لها).

(٧) في ك و ط تقدم ذكر مكة على المدينة.

ملوك الطوائف، يدعوهم إلى الإسلام، وهو إنما أرسل إلى ملوك الطوائف، بعد الحديبية وخيبر، لمّا رجع من خيبر، ويعلمون أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل، لم يكن لها نسل قط.

وكذلك ما ينقله بعض الكذابين، من أن طائفة من أهل البيت سُبُوا، فأركبوا[1] جمالاً فنبت لها سنامان، وأنها (البخاتي)، فهذا مما اتفق أهل المعرفة بالأخبار[2] على أنه كذب، [3]لم يسبِ المسلمون ـ قط ـ في وقت من الأوقات ـ أحداً من أهل بيت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لا في خلافة بني أمية، ولا في خلافة بني العباس، والجمال البخاتي ما زالت هكذا، لم يتجدد لها السنام في الإسلام كما قال النبي[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لما ذكر ما يحدث[5] النساء بعده، قال: «على رؤوسهن كأسنمة البخت»[6].

وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم، من أن الشمس ردت، لمّا فاتت علياً صلاة العصر، لكون النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نام في حجره[7]، وجعل بعضهم هذا من المعجزات، وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين، التي يعتمدون على ما فيها من المنقولات،

---

(١) في ك و ط (واركبوا) بالواو.
(٢) في ك و ط زيادة (عنه).
(٣) في ك و ط زيادة الواو.
(٤) لم ترد كلمة (النبي) في ك ولا ط.
(٥) في ك و ط (تحدث) بالتاء في أوله.
(٦) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات...، ٣/١٦٨٠ (٢١٢٨)، وكتاب الجنة...، باب النار...، ٤/٢١٩٢ (٢١٢٨). وأحمد في المسند ٢/٢٢٣ و ٣٥٥.
(٧) تأخرت الجملة الدعائية في ط بعد جملة (نام في حجره).

لا الصحاح ولا المسانيد[1]، [2]ولا المغازي والسير[3] ولا غير ذلك، بل بيَّن أهل العلم بالحديث أن هذا كذب، وليس له إسناد واحد صحيح متصل، بل غايته: أن يُروى عمن لا يُعرف صدقه، ولم يروه إلاَّ هو، مع توفر الهمم والدواعي على نقله، فعلموا أنه كذب، وهذا باب واسع يبين أن علماء المسلمين يميزون[4] المنقولات بين الصدق والكذب، فيردون الكذب وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه، وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم، ويقبلون الصدق[5] وإن كان فيه شبهة[6] أشكال، وقد يحتج به المنازعون لهم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي، يقول: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم[7]». ومن ذلك مغازي حمزة[8] الشائعة بين كثير من جهال الترك وغيرهم[9]، لا يوجد في شيء من كتب العلم، بل قد تواتر عند أهل العلم أن حمزة لم يشهد غزوة إلا

(١) في ط (المسانيد).
(٢) في ك و ط زيادة (ولا التفسير).
(٣) في ط (ولا السير).
(٤) في ط زيادة (في).
(٥) سقطت (الصدق) من ك.
(٦) في ك و ط (وأشكال).
(٧) راجعت ما تيسر من مضان وجود هذا النص فلم أعثر عليه.
(٨) حمزة: المقصود هو حمزة بن عبد المطلب بن هشام، عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأخوه في الرضاعة، أبو يعلى، وهو أسن من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بسنتين، وهو سيد الشهداء، أسلم في السنة الثانية من المبعث واستشهد في أحد يوم السبت ١٥/١٠/٣هـ وله ٥٧ سنة.
انظر: أسد الغابة ٥٢٨/١ ــ ٥٣١.
(٩) في ط (من جهال الناس).

غـزوة بـدر، ثم غـزوة أحـد، وقتـل يـوم أحـد شهيـداً، قتله وحشي بن حرب[1] وهذا متـواتر عنـد أهل العلم، ومـا كان من هـذه الآيات[2] في الصحاح، بل وكثير مما لم يخـرجه البخـاري ومسلم، فهذه عـامتها ممـا يقطع أهل العلم بـالحديث بصحتهـا، ويتيقنون[3] ذلـك، وهذا عنـدهم مستفيض متـواتر، وإن كـان بعض ذلك قـد[4] لا يتواتـر ويستفيض عنـد غيـرهم، فإن الأخبـار قد تتـواتر وتستفيض عنـد قـوم دون قـوم، بحسب عنايتهم وبها وطلبهم لها، وعلمهم بمن أخبر بهـا وصفاتهم ومقـاديرهم، ومـا دل من الـدلائـل على صـدقهم، وأهـل العلم بحـديث النبي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ [5]وأفعالـه وسيـرتـه، وأسبـاب نـزول القـرآن ومعانيه وغير ذلك، لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين ما لا يـوجد مثله لغيـرهم، كمـا أن أصحـاب مـالـك والشـافعي وأحمـد بن حنبـل وأبي حنيفة وداود وغيرهم عنـد كل طـائفة من أقـوال متبوعهم ونصـوصه وأخباره ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعلم[6] ذلك.

والأطبـاء عنـدهم من كـلام أبقـراط، وجـالينـوس، ومحمـد بن

---

(١) وَحْشي بن حـرب: هـو الحبشي، من سـودان مكـة، مـولى بني نـوفـل، قـدم على الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع وفـد الطائف مسلمـاً، وأمره ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ كماروي ـ أن يغيِّب وجهه عنه، وشارك في قتل مسيلمة، ويكنى: أبـا أسامـة أو أبا حرب، وشهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان ـ رضي الله عنهما ـ .

انظر: أسد الغابة ٤/٦٦٢ ـ ٦٦٤؛ والإصابة ٣/٦٣١.

(٢) في ك و ط زيادة (والمعجزات).

(٣) في ك و ط (ويثبتون).

(٤) سقطت (قد) من أ.

(٥) في ك و ط زيادة (وأقواله).

(٦) في ك و ط (يعرف).

زكريا[١]، وأمثالهم ما يقطعون به، وغيرهم لا يعلم ذلك. وأهل الهيئة[٢] عندهم من كلام بطليموس، والرصد الممتحن المأموني[٣]، وثابت بن قرة، وأبي الحسين الصوفي[٤]، ما يعلمونه هم[٥]، وغيرهم لا يعلم ذلك، بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثير من مذاهب أهل الطب والحساب وتجارب الأطباء وأرصاد أهل الحساب. وغيرهم لا يعلم ذلك.

وعند أهل الكتاب: كاليهود، من أخبار هلال وسمابي[٦] وغيرهما

---

(١) **محمد بن زكريا**: هو الرازي، أبو بكر، طبيب حكيم كيماوي، ولد بالري، ونشأ بها، ثم اشتغل بعلم الإكسير، وكان في بدء أمره صائغاً، وكان يغني ويضرب بالعود، ثم اشتغل بالعلوم العقلية والأدبية، وتولى رئاسة البمارستان (المستشفى) العضدي في بغداد، وعمي في آخر عمره وتوفي ببغداد سنة ٣١١هـ.
انظر: البداية والنهاية ١١/١٤٩؛ وشذرات الذهب ٢/٢٦٣.

(٢) أي: أهل العلوم الفلكية والفضائية.

(٣) **الرصد... المأموني**: هو اسم للعمل الذي أمر به الخليفة المأمون بعد ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس فقد أمر باتخاذ الآلات للرصد بها في الشماسية ببغداد، وجبل قاسيون بدمشق، سنة ٢٦٤هـ وهي تسع آلات، وقد جمع المأمون علماء الفلك وطلب إليهم العمل على تشييد هذه المراصد، ولما توفي توقفوا عن العمل، وسجلوا ما توصلوا إليه وسموه (الرصد المأموني) وكان كبير العلماء يحيى بن أبي منصور ومعه ثلاثة آخرون.
انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٤٨٤ ــ ٤٨٥.

(٤) **الصوفي**: هو عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، عالم بالفلك، من أهل الري، له كتاب الكواكب الثابتة، وهو مطبوع، مات سنة ٣٧٦هـ.
انظر: الأعلام ٣/٣١٩؛ ومعجم المؤلفين ٥/١٦٢؛ والفهرست ص ٣٩٥.

(٥) سقطت (هم) من ط.

(٦) في ك و ط (وسماي) بدون باء.
حاولت الحصول على ترجمة لهذين الرجلين فلم أجد شيئاً، سوى ما أورده ابن الماوردي ــ ٤٥٠هـ في كتابه الأحكام السلطانية ٥٢ دار الكتب العلمية، بيروت =

من شيوخهم ما لا يعلمه غيرهم. وعند النصارى من أخبار الحواريين، ومن أخبار قسطنطين، والمجمع الأول بنيقية والمجمع[1] الثاني والثالث والرابع والخامس[2]، وغير ذلك من مجامعهم، وأخبارهم، ما يقطع به[3] علماؤهم وإن كان غيرهم لا يعلمون ذلك.

وأهل العلم بأيام الإسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان، ومغازيهم كوقعة أجنادين، ومرج الصُّفَّر، وغيرهما في خلافة أبي بكر، وكوقعة اليرموك، وخبر أبي عبيدة،[4] ــــــــــــ

= ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م، حيث ذكر شعراً قاله سماك اليهودي بشأن بني النضير عندما غزاهم المسلمون، وقد رد عليه حسان ــ رضي الله عنه ــ .

(١) في ط (المجتمع).

(٢) **المجمع الأول**: عقد بعد موت بولس السيمساطي، وكان معاصراً لملك الروم (فلودس قيصر بن أوس) وكان سنة ٣٢٥م.
والمجمع الثاني: كان بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول في القسطنطينية سنة ٣٨١م.
والمجمع الثالث: انعقد سنة ٤٣١م، ويعرف بمجمع أفسس الأول.
والمجمع الرابع: يعرف بمجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م بأمر من الامبراطور (ثار دوسيوس)، وحضره مائة وخمسون أسقفاً، وفيه فسدت الأمانة وظهرت طائفة اليعقوبية.
والمجمع الخامس: انعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١م وحضره أساقفة روما وبطريرك الاسكندرية ديسقورس.
انظر: مقدمة د. السقا لكتاب الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام ٢٤ ــ ٢٧ للقرطبي، طبع دار التراث العربي، القاهرة. ومحاضرات في النصرانية ١٢٢ ــ ١٤١.

(٣) في أ سقطت (به) والأصوب إثباتها.

(٤) في ك و ط (وجسر أبي عبيد) ولا ضير في إثبات أحد الأمرين، فإن كان الأول فالمقصود أبو عبيدة عامر بن الجراح ــ رضي الله عنه ــ في قتله أباه ــ في الله ــ يوم بدر، أو في قوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ له: (لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة =

وهزيمة الفرس[1]، وفتح مصر، وغير ذلك، مما كان في زمن عمر بن الخطاب، ما يقطعون به وإن كان غيرهم لا يعرفون ذلك.

وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك، وحوادث الوجود. بل أهل العلم بالرجال، يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلقمة، والأسود، وغير هؤلاء ما[2] لا يعلمه غيرهم.

وأهل العلم بالنحو، يعلمون من حال سيبويه، والأخفش، والمُبَرِّد[3]، والزَّجاج[4]، والفَرَّاء[5]، ـــــــــــــــــ

= أبو عبيدة بن الجراح). أو في نزعه حلقتي المغفر (الخوذة) من وجنة رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١/٨ ــ ٩؛ وإن كان الأخير، فقد مر بنا ص ٦/٣٣١.

(١) في معركة القادسية.

(٢) في ك و ط (مما).

(٣) **المبرد**: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد، أبو العباس، أديب نحوي لغوي أخباري نسابة، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ.

انظر: لسان الميزان ٥/٤٣٠ ــ ٤٣٢؛ ومعجم المؤلفين ١٢/١١٤.

(٤) **الزّجاج**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج ــ نسبة إلى خرط الزجاج لأنها كانت مهنته في أول حياته ــ ثم تركه واشتغل بالأدب، وهو من أهل الأدب والعلم والدين، توفي سنة ٣١٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١/٤٩ ــ ٥٠؛ وشذرات الذهب ٢/٢٥٩.

(٥) في ط (الفراءة).

الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي، أبو زكريا، أديب نحوي لغوي، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ وانتقل إلى بغداد =

والكِسائي[1]، ما لا يعلمه غيرهم.

والقراء يعلمون من قراءة أبي عمرو[2]، وابن كثير[3]، وحمزة[4]، والكسائي، وابن[5] عامر[6]، ويعقوب بن إسحاق، والأعمش[7]،

= وأدب ابني المأمون، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ١٧٦/٦ ـ ١٨٢؛ ومعجم المؤلفين ١٩٨/١٣.

(١) **الكسائي**: هو علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي، أحد أئمة القراءات والتجويد في بغداد، مات بالري سنة ١٨٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٢٩٥/٣ ـ ٢٩٧؛ وتهذيب التهذيب ٣١٣/٧ ـ ٣١٤.

(٢) **أبو عمرو**: هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي، ويعرف بالداني وبابن الصيرفي ـ قديماً ـ مقرىء حافظ مجود محدث مفسر ناظم، رحل من الأندلس وحج ثم رجع وتوفي بدانية سنة ٤٤٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧٧/١٨ ـ ٨٣؛ ومعجم المؤلفين ٢٥٥/٦.

(٣) ابن كثير: هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد القاري، مولى عمرو بن علقمة الكناني، أحد الأئمة، مات سنة ١٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٨/٥ ـ ٣٢٢؛ وتقريب التهذيب ٤٤٢/١.

(٤) سبقت ترجمته ٤٢٤/٢. الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

(٥) في أ سقطت ألف (ابن).

(٦) ابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي المقري، أبو عمران، أحد الأعلام، قرأ على المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان. مات سنة ١١٨هـ وله ٩٧ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٣؛ وتقريب التهذيب ٤٢٥/١.

(٧) هو سليمان بن مِهران، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم الكوفي، رأى أنس بن مالك ولكنه يدلس، وقد كان مولده سنة ٦١هـ وتوفي سنة ١٤٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٦؛ وتقريب التهذيب ٣٣١/١.

وخلف بن هشام[1]، وأبي جعفر[2]، ما لا يعلمه غيرهم.

فإذا كان آحاد أهل العلم، من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو[3] القراءات، بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم، ما لا يعلمه غيرهم، ويقطعون بذلك، فكيف بمن هو عند أتباعه أعلا قدراً من كل عالم، وأرفع منزلة من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله، وأعظم تحرياً للصدق فيها، ولرد[4] الكذب منها، حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة، في أخبار[5] جميع من روى شيئاً من أخباره، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل، ودققوا في ذلك، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم، ولا لأحد من هذه الأمة إلّا لأهل الحديث، فهذا يعطي أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعهم[6] * وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه، من كل أحد، بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه *[7].

---

(١) **خلف بن هشام**: هو ابن ثعلب البزار المقري البغدادي، قرأ القرآن عن سليم وأخذ حرف نافع وحرف عاصم عن إسحاق ويحيى، وهو إمام في القراءات، مات سنة ٢٢٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٧٦ ـ ٥٨٠؛ وتهذيب التهذيب ٣/١٥٦ ـ ١٥٧؛ وتاريخ بغداد ٨/٣٢٢ ـ ٣٢٨؛ لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ ٤٦٣هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) **أبو جعفر**: هو يزيد بن القعقاع القاري المدني المخزومي مولى عبد الله بن عياش، كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارىء لذلك وتوفي سنة ١٢٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٦/٢٧٤ ـ ٢٧٦؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٥٨.

(٣) سقطت (أو) من أ والصواب إثباتها.

(٤) في ك و ط (وأرد للكذب).

(٥) في أ (أخباره) والأولى حذف الهاء كما في ك و ط.

(٦) في ك و ط (متبوعه).

(٧) ما بين النجمتين سقط من أ، وقد أثبتناه من ك و ط، ونسخة أكسفورد. ولم يبق من العبارة في أ إلّا كلمة (وكذبه).

فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون إلَّا صدقاً، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق، أولى أن[1] لا يكون ما جزموا بصدقه إلَّا صدقاً.

وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها، وجزموا بذلك، وإنما تنازعوا في أحاديث قليلة منها، وعامة ما ذكرناه من آيات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي في الصحاح، هي من موارد إجماعهم، المستفيضة عندهم، التي يجزمون بصدقها، ليست من موارد نزاعهم، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء، ويعلم خيرة أهله من كان خبيراً بهم، فهذه طريقان في تصديق هذه الآيات[2]: التواتر العام، والتواتر الخاص.

٣ ـ من طرق العلم القطعي بالنبوة: التواتر المعنوي

الطريق الثالث: التواتر المعنوي، وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف، فإن الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة، بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد، كما سمعوا أخباراً متفرقة، تتضمن شجاعة عنترة[3]، وخالد بن الوليد، وأمثالهما، وتتضمن[4] سخاء حاتم[5]،

---

(١) في ط (إذ).

(٢) في ك و ط (الآثار).

(٣) **عنترة**: هو ابن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن نطيعة بن عبس العبسي، شاعر من فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد، أمه حبشية اسمها (زبيبة) سرى إليه السواد منها واجتمع بامرىء القيس الشاعر وشهد داحس والغبراء وعاش طويلاً ومات مقتولاً.
انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٢٠؛ ومعجم المؤلفين ٨/ ١٤.

(٤) في هذا الموضع والذي يليه جاءت في ك و ط (يتضمن).

(٥) حاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أحزم بن هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، أبو سفانة الطائي، والد عدي بن حاتم الصحابي، كان جواداً ممدحاً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في =

ومعن بن زائدة[1]، وأمثالهما، وتتضمن حلم الأحنف بن قيس[2]، ومعاوية بن أبي سفيان، وأمثالهما، وتتضمن شعر امرىء القيس[3]، والنابغة، ولبيد، وأمثالهم من المتقدمين، وشعر الفرزدق[4]، وجرير[5]،

= الإسلام، وكان لحاتم مآثر عجيبة في كرمه ولكن لم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر، مات سنة ٤٦ق. هـ.
انظر: البداية والنهاية ٢/٢١٢؛ والأعلام ٢/١٥١.

(١) **معن بن زائدة**: هو ابن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب، الشيباني، أبو الوليد، كان جواداً شجاعاً جزل العطاء كثير المعروف ممدحاً مقصوداً، قتله الخوارج بخراسان في ضيعة له غيلة سنة ١٥١هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٥/٢٤٤ ــ ٢٥٤؛ وشذرات الذهب ١/٢٣١ ــ ٢٣٣.

(٢) **الأحنف بن قيس**: هو ابن معاوية بن حصين التميمي السعدي البصري، سيد بني تميم، كان داهية فصيحاً شجاعاً يضرب به المثل في الحلم والشجاعة ولد سنة ٣هـ ولم يَرَ النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وتوفي بالكوفة سنة ٦٧هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٧/٩٣؛ ووفيات الأعيان ٢/٤٩٩.

(٣) **امرؤ القيس**: هو ابن حُجْر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد أو بمخلاف (منطقة) السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه قبل: اسمه حُنْدج، وقيل غير ذلك، أبعده أبوه إلى (دَمّون) بحضرموت، مات نحو سنة ٨٠ق. هـ.
انظر: البداية والنهاية ٢/٢١٨؛ والأعلام ٢/١١.

(٤) **الفرزدق**: هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، أبو فراس، وجده صعصعة صحابي، شاعر، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة والأخبار مات بالبصرة سنة ١١٠هـ وله ١٠٠ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ٦/٨٦ ــ ١٠٠؛ ومعجم المؤلفين ١٣/١٥٢ ــ ١٥٣.

(٥) **جرير**: هو ابن عطية الخَطفي التميمي، أبو حزرة، شاعر ولد باليمامة، وعاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، توفي باليمامة سنة ١١٠هـ وله أكثر من ٨٠ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ١/٣٢١ ــ ٣٢٧؛ ومعجم المؤلفين ٣/١٣٠.

وعمر بن أبي ربيعة[1]، وأمثالهم، من المولدين، وشعر أبي نواس[2] والمتنبي[3] وأبي تمام[4] وأمثالهم من المحدثين، بل وسمعوا أقوالاً وفتاوى متفرقة، تتضمن فقه مالك، والثوري، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء، وأخباراً[5] متفرقة، تتضمن العدل وحسن السيرة، من عمر بن

---

(١) **عمر بن أبي ربيعة**: هو عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، أبو حفص، شاعر، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ فسمي باسمه، مات في الغزو غرقاً في البحر سنة ٩٣هـ وله ٧٠ سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٤٣٦/٣ ـ ٤٣٩؛ ومعجم المؤلفين ٢٩٤/٧.

(٢) **أبو نواس**: هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي بالولاء، أبو علي، أديب، شعره في الذروة، ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح وقد أكثر من النظم في المجون ولا سيما في الغلمان ويصرح كثيراً بالفاحشة، وذكر عنه التوبة في آخر عمره، مات سنة ١٩٩هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٤٣٦/٧ ـ ٤٤٩ (٤٠١٧)؛ وشذرات الذهب ٢٤٥/١ ـ ٢٤٧؛ ولسان الميزان ١١٥/٧ ـ ١١٦.

(٣) **المتنبي**: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، أبو الطيب، فاق أهل عصره في الشعر، وقُتل بالقرب من النعمانية من سواد بغداد في رمضان سنة ٣٥٤هـ وله ٥١ سنة.

انظر: تاريخ بغداد ١٠٢/٤ ـ ١٠٥ (١٧٥٨)؛ وفيات الأعيان ١٢٠/١ ـ ١٢٥؛ ولسان الميزان ١٥٩/١ ـ ١٦١.

(٤) **أبو تمام**: هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، الشاعر، أديب، ولد بحوران بقرية جاسم، وكان يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم، واتصل بالمعتصم ومدحه، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٢٤٨/٨ ـ ٢٥٣ (٤٣٥٢)؛ ووفيات الأعيان ١١/٢ ـ ٢٦؛ ومعجم المؤلفين ١٨٣/٣.

(٥) في ط (أخبار).

الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما من ولاة الأمور[1]، وسمعوا أخباراً متفرقة، تتضمن الزهد، عن مثل الحسن البصري، والفضيل بن عياض[2]، ومالك بن دينار[3]، وإبراهيم بن أدهم[4]، وغيرهم من الزهاد، وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن معرفة أبقراط، وجالينوس، ونحوهما بالطب، فيحصل بمجموع الأخبار علم ضروري، بأن الشخص موصوف بذلك النعت، وإن كانِ كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم، وإن كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر.

ومن هذا الباب العلم القطعي بالإيمان والموت ونحو ذلك، مما يحصل به استقامة موجب العلم[5] القطعي كعلم الناس بأن خديجة، وعائشة، ونحوهما من أمهات المؤمنين، وأن فاطمة، وزينب[6]، من

---

(١) في ك و ط (الأمر).

(٢) في ك و ط زيادة (وعامر بن عبد الله).
الفضيل: هو ابن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند ومات سنة ١٨٧هـ أو قبلها.
انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٤٢١ ــ ٤٤٢؛ وتقريب التهذيب ٢/١١٣.

(٣) مالك: هو ابن يحيى بن دينار السامي الناجي مولاهم، أبو يحيى البصري الزاهد، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً. مات سنة ١٣٠هـ وقيل قبلها.
انظر: وفيات الأعيان ٤/١٣٩ ــ ١٤٠؛ وتهذيب التهذيب ١٠/١٤ ــ ١٥.

(٤) إبراهيم بن أدهم: هو ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي الخراساني البلخي نزيل الشام مات سنة ١٦٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٧ ــ ٣٩٦؛ وتقريب التهذيب ١/٣١.

(٥) في ك و ط (استفاضة توجب).

(٦) زينب بنت رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ هي أكبر أخواتها من المهاجرات =

بنـات النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وأن عـائشة بنت أبـي بكـر[1]، وأن أبا بكر، وعمر، وعثمان، تولوا الخلافة بعده، وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرته.

وإذا عـرف هذا فهـذه الأحاديث وأضعـاف أضعافهـا هي أضعـاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء، ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة أخبار[2] هؤلاء، وهي كاملة تتضمن أن محمداً[3] بن عبد الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ[4]، كان يجـري على يديـه من الآيات الخـارقـة للعـادة، والعجـائب العظيمـة، ما لا يعـرف[5] نظيـره عن أحد من النـاس، وعلم المسلمين بهـذا أعظم من علم أهـل الكتـاب بمـا ينقلونـه من[6] آيـات موسى وعيسى وغيرهما، فإن نقلة آيات محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ غير القرآن، أضعاف أضعاف نقلة التوراة والإنجيل، فضـلاً عن غيرهـما من أخبـار الأنبيـاء، فـإن التـوراة لم تكن جميعهـا محفـوظـة لعمـوم بني إسـرائيل، كمـا يحفظ القرآن عـامـة المسلمين، وعنـد خـراب بيت المقدس قل من يحفظها جداً، حتى تنازع الناس في تواتر نقلها.

وكــذلـك الإنجيــل: نقلتـه أقــل بكثيـر من نقلة آيــات محمــد

= السيدات، تزوجها في حياة أمها ابن خالتها أبو العـاص، فولـدت له أمامة وعلي، وماتت سنة ٨هـ.

انظر: طبقات ابن سعد ٨/٣٠ ــ ٣٦؛ وسير أعلام النبلاء ٢/٢٤٦ ــ ٢٥٠.

(١) في ك و ط زيادة (الصديق).

(٢) سقطت (أخبار) من ط.

(٣) في أ و ط (محمد).

(٤) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٥) في ط (يعرفه).

(٦) في ط (عن).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وإذا[1] قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين، وكان لهم آيات[2]، كما يذكرونه من آيات الحواريين، فأصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتابعوهم صالحون، ولهم من الآيات أعظم مما للحواريين وغيرهم من الأمم، وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء، ومن كان يشرب السموم القاتلة، ومن يحيي الله الموتى بدعوته، ومن يكَثِّر الطعام والشراب، وكتب كرامات الأولياء فيها من ذلك أعظم مما عند أهل الكتاب، وهم ينقلون أخبار الأنبياء والصالحين من كتب عندهم: مثل كتاب أخبار الحواريين[3]، وكتاب سفر الملوك[4]، ونحو ذلك، وما يذكرون من حجة في صحة نقلها إلَّا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى.

٤ ـ حضور الخلق الكثير للآية وتصديقها، طريق قطعي للعلم بالنبوة

الطريق الرابع: أن يقال: هذه الآيات التي ذكرنا بعضها، كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير، كتكثير الطعام يوم الخندق، فإنه كان أهل الخندق: رجالهم ونساؤهم ألوفاً.

وكذلك نبع الماء من بين أصابعه، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية، وكانوا يومئذ ألفاً وخمسمائة، وكلهم صالحون، من أهل

---

(١) في ك و ط (فإذا).

(٢) في ك و ط زيادة (أيضاً).

(٣) لعل المقصود ما يسمى (أعمال الرسل) في العهد الجديد، وما بعدها من الرسائل، وهو ما عدا الأناجيل الأربعة، ومجموعها ثلاثة وعشرون سفراً.
أنظر: العهد الجديد ١٥٤ ــ ٣٥٧. هذا وقد ذكر الشيخ فيما سبق اسماً لها وهو (أفراكسيس).

(٤) **سفر الملوك**: هو السفران الحادي والثاني عشر، من أسفار العهد القديم وفي الأول ٢٢ إصحاحاً، وفي الثاني ٢٥ إصحاحاً، العهد القديم: ٤١٣ ــ ٤٩٢.

الجنـة، لا يعرف فيهم من تعمـد كَـذبـة واحـدة على النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وكذلك تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر، كانوا ألفاً وخمسمائة، وفي تبوك كانوا ألوفاً مؤلفة، وكان بعض من حضر هـذه المشاهـد نقل[١] هذه الآيات قدام آخرين ممن حضـرها، وينقلهـا لأقوام، فيـذهب أولئك فيخبرون بها أولئك، ويصدق بعضهم بعضاً، ويحكي هذا مثـل ما حكى هـذا، من غير تـواطىء وتشاعـر، وأدنى أحوالـه أن يقره ولا ينكِـر عليـه روايتها، ونحن نعلم بموجب العادة الفطريـة التي جبل الله عليهـا عباده، وبمـوجب مـا كـان عليـه سلف الأمـة من اعتقـاد[٢] الصـدق وتحـريـه، واعتقــادهم أن ذلـك واجب، ومن شـــدة تـوقيهم الكـــذب على نبيهم، وتعظيمهم ذلك، إذ قـد تواتـر عندهم عنـه[٣] أنه قـال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ[٤] مقعده من النار)[٥].

فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه يكذب[٦] عليه، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له، وكذب عليه، فقد علموا أنـه كذب

(١) في ك و ط (ينقل).

(٢) في ط (عن اعتياد) وفي ك و ط (اعتياد).

(٣) تقدمت (عنه) في ك و ط قبل (عندهم).
انظر: بحث تواتره في الفتح ١/٢٠٣.

(٤) فليتبوأ: أي ليتخذ لنفسه منزلاً، والأمر: بمعنى الخبر أو التهديد أو التهكم أو دعاء على فاعل ذلك.
انظر: الفتح الرباني ١/٢٠١.

(٥) رواه البخـاري، كتـاب العلم، بـاب إثم من كـذب على النبي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، ١/٢٠٠ (١٠٧) من الفتح. ورواه مسلم، المقدمة، ١/١٠ (٣).

(٦) في ط (كذب).

عليه، فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك، وعلى تناقله بينهم، من غير إنكار أحد منهم لذلك، عُلم ـ قطعاً ـ أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة، وإن كان جمهورهم ليس منتصباً لتلقين القرآن، بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا المتلقن، ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة، وهذا يعلِّم هذا الصلاة: أن الظهر في الحضر أربع ركعات، والمغرب ثلاثاً، والفجر ركعتان، وهذا يقر هذا، فلما كان بعضهم يقر بعضاً على نقل ذلك، علم اتفاقهم على نقل ذلك،وهذا غاية التواتر.

وكذلك[1] ما نقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه، يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم، رده على الآخر ولم يوافقه[2]، وإن كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين، كتنازعهم: هل كان يجهر بالبسملة أم[3] لا يجهر بها؟ وهل كان يداوم على القنوت في الفجر؟ أم[4] كان يقنت أحياناً للنوازل؟ أم قنت مرة، ثم تركه؟، فهذا من أهون الأمور وأيسرها، إذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت، وعلى صحة صلاة من لم يقنت، ومن جهر ومن خافت، ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول، تنازعوا في الحكم، فعلم بذلك أن ما كان مشهوراً في الأمة عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ولم ينكره أحد من علمائها، كانت الأمة متفقة على نقله، كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة

---

(١) في ك و ط (فكذلك) بالفاء في أوله.

(٢) في ك و ط زيادة (عليه).

(٣) في ك (أو).

(٤) في ط (أو) في هذا الموضع والذي يليه.

المشهورة، وإن نقل ذلك أعظم من نقل سائر أخبار الأنبياء والعلماء والملوك والزهاد.

وكذلك حجه، فإنهم كلهم متفقون على ما تواتر عنه، من أنه لم يحج بعد الهجرة إلَّا حجة واحدة، وهي التي تسمى حجة الوداع، وإنما عاش بعدها نحواً من ثلاثة أشهر، وأنه لما حج أمر أصحابه كلهم إلَّا من ساق الهدي منهم إذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة، أن يحل من عمرته. وأنه لم يعتمر ـ هو ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه ـ بعد الحج إلَّا عائشة ـ وحدها ـ ، وأنه هو نفسه لم يحل من حجته، ولا أحد ممن ساق الهدي معه[1]، وإنما اشتبه على بعضهم بعض ألفاظه، أو بعض الأمور التي تخفى على أكثر الناس، وكان الصحابة ينقلون تمتع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ومرادهم بالتمتع: أنه قرن بين العمرة والحج، فظن بعض الناس أنهم أرادوا أنه أخر الإحرام بالحج إلى أن قضى العمرة، وقال[2] بعض الصحابة: إنه أفرد بالحج. فظن بعض الناس: أنه حج واعتمر بعد الحج، وهذا لم ينقله[3] أحد من العلماء، بل اتفقوا على أنه لم يعتمر بعد الحج، وروى بعض الصحابة أنه قرن، فظن بعض الناس أنه طاف طوافين، وسعى سعيين، وهذا لم ينقله أحد عنه، وكان من أسباب غلط كثير من الناس: أنهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ في معان غير ما استعملته فيها الصحابة، فغلط بعض الناس على بعض الصحابة، وأما ما فعله في الحج مشهوراً فهو

---

(١) في ك و ط (حجه).

(٢) في ك و ط (وروى). وفي أ ـ نفسها ـ كتب (وروى) ثم شطبها أو أبدلها بـ (وقال).

(٣) في ك و ط (يقله).

متواتر، لم يختلف فيه النقل، ولا علماء النقل. ومن تدبر هـذه الطريق: أفادته علماً يقينياً قطعياً بصحة هذه الآيـات عن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وكذلك الـطرق المتقدمـة، فإنـا قد ذكـرنا أن مـا كان النـاس أحوج إلى معرفته يسر الله دلائله للناس، أعظم من تيسيـر غيره، وحـاجة الخلق إلى تصـديق الرسـول أشـد من حـاجتهم إلى جميـع الأشيـاء، إذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة، ونجاتهم من العـذاب، وبه يحصـل صلاح العباد في المعاد والمعاش[1].

٥ ـ تواتر أنواع من آيات النبوة، عند كـل صنف من العـلماء

الـطريق الخامس: أن مـا من صنف من أصناف العلمـاء إلَّا وقـد تـواتر عنـدهم من الآيات ما فيه كفـاية، فكتب التفسيـر مشحونـة بذكـر الآيات، متواتر ذلك فيها، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات، متواتـر ذلـك فيها. وكتب السيـر والمغازي والتـواريخ مشحـونة بـذكر الآيـات، متواتر ذلك فيها. وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات، متـواتر ذلـك فيها، وإن لم يكن هـذا مقصوداً منهـا، وإنمـا المقصـود الأحكـام، لكنهم في ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها من الآيات ما هو متواتر عندهم، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيـات، متواتـر ذلك فيهـا، ونقل كـل طائفـة من هذه الـطوائف يفيد العلم اليقيني، فكيف بمـا ينقله كـل طـائفة من هـذه الطوائف، وهـذه الـطريق وغيـرهـا مثـل طـريق الإقـرار والتصـديق، وطـريق التـواتـر المعنـوي، وطـريق تصـديق أهـل العلم بـالحديث[2] بهـا وغير ذلـك، يستدل بهـا تارة على تـواتر الجنس العـام لـلآيات الخـارقة للعـادة، وهذا أقـل ما يكـون، ويستدل بهـا على تواتـر جنسٍ جنسٍ منهـا[3]، كتواتـر تكثيـر الـطعـام، وتـواتـر تكثيـر الـطهـور

---

(١) في ك و ط تقدم ذكر (المعاش) على (المعاد).
(٢) في ك و ط (أهل الحديث والعلم بها).
(٣) سقطت (منها) من ك و ط.

والشراب، وعلى تواتر نوعٍ نوعٍ منها، كتواتر نبع الماء من بين أصابعه، وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل، وتواتر شخصٍ شخصٍ منها، كتواتر حنين الجذع إليه، وأمثال ذلك، وكلما أمعن الإنسان في ذلك النظر، واعتبر ذلك بأمثاله، واعتبر وأعطاه حقه من النظر والاستدلال، ازداد بذلك علماً ويقيناً، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة، فليس في الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلاَّ والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك، وما من حال أحد من الأنبياء، والملوك، والعلماء، والمشايخ المتقدمين، وأقواله وأفعاله وسيرته إلاَّ والعلم بأحوال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ ، أظهر من العلم به، [2]وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن، كالعلم بالبلاد البعيدة، كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان، والهند والصين والأندلس، وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند، وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر، وعلم أهل الهند بالعراق والشام[3]، وأمثال ذلك من علم أهل[4] البلاد بعضهم بحال بعض، إلاَّ وعلم الإنسان بحال المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وما هم عليه من الدين، وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه، أظهر من علمه بهذا كله.

وهذا مما يبين أنه ليس في الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة، إلاَّ وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية.
(٢) في ك و ط زيادة (وأبين، ونقله أكمل وأتم).
(٣) سقطت (الشام) من أ.
(٤) سقطت (أهل) من أ.

الأمر، تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1].

وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان، إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه، وذلك إنما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد من آياته التي هي الأدلة، وشرائعه التي هي المدلول: المقصود بالأدلة، فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبياناً على كل دين، كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين، والحمد لله رب العالمين.

كما أنه ما من دليل[2] يستدل به على مدلول، إلاّ والأدلة على آيات الرب أكبر[3] وأكثر[4].

٦ ـ تصنيف العلماء في آيات النبوة

الطريق السادس: أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار، وجردوا لذلك كتباً، مثل: كتاب دلائل النبوة[5]، للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي، وقبله دلائل النبوة[6]:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) في ك و ط زيادة (عقلي).

(٣) في ك و ط (أكثر).

(٤) في ك و ط زيادة (والحمد لله رب العالمين).

(٥) وقد طبع منه جزآن بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ثم طبع في بيروت كاملاً في سبعة مجلدات باسم دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي وذكر أنه قابله على عشر نسخ خطية. وذلك سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، نشر دار الكتب العلمية.

(٦) وقد طبع في الهند طبعتان متقاربتان من جزئين في مجلد أولاهما سنة ١٣٢٠هـ بحيدر آباد وقامت دار عالم الكتب في بيروت بتصويره. والثانية سنة ١٣٦٩هـ ثم طبع بدمشق بتحقيق وتخريج عبد البر عباس و د. محمد قلعة جي، في جزئين، في مجلدين نشر المكتبة العربية بحلب، سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م وقد أثبت المحققان في المقدمة أن المنشور وما سبقه إنما هو المنتخب من دلائل النبوة لأبي نعيم وليس =

للشيخ[1] أبي نعيم الأصبهاني، وقبله دلائل النبوة[2]: لأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي القاسم الطبراني[3]، وقبلهما دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي، والشيخ[4] المصنف أبي بكر، عبد الله بن أبي الدنيا[5]، وللمصنف الحافظ[6] الإمام أبي إسحاق إبراهيم

= دلائل النبوة الأصلي، ورجحا أن يكون أبو نعيم هو نفسه صانع هذا المنتخب.
انظر: مقدمة الدلائل لأبي نعيم ١/٢٢ ــ ٢٦.

(١) في ك و ط زيادة (الحافظ).

(٢) دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني، ودلائل النبوة للطبراني، ودلائل النبوة لأبي زرعة، ودلائل النبوة لابن أبي الدنيا، ودلائل النبوة للحربي، ودلائل النبوة للفريابي، ودلائل النبوة للمقدسي: كل هذه الكتب السبعة لم تخرج من عالم المخطوطات حتى الآن، وهذه الكتب وغيرها لعلها لا تزال باقية، إن لم تفقد أو يفقد بعضها. هذا وأن مهمة البحث عنها، وإخراجها بطريقة علمية أنها لمهمة جليلة ينبغي أن يتصدى لها طلبة العلم، المنتسبون إلى أقسام الحديث والعقيدة في الجامعات الإسلامية، فالعناية بأدلة إثبات النبوة، تأتي في المرتبة الثانية ــ في نظري ــ بعد أدلة إثبات وجود واجب الوجود ــ سبحانه ــ بالنسبة لحاجات الناس الاعتقادية والوجدانية في هذه الأيام.

(٣) لم يذكر د. فؤاد سزكين كتاباً للطبراني بهذا الاسم، وإنما ذكر أن له أثراً بعنوان (حديث الضبي الذي تكلم بين يدي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) وهو في الظاهرية، مجموع ٧٦.
انظر: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الأول ص ٣٩٦.

(٤) في ك و ط (وللشيخ).

(٥) **ابن أبي الدنيا**: هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم البغدادي المؤدب الحافظ صاحب التصانيف المشهورة ومؤدب أولاد الخلفاء، مات سنة ٢٨١هـ وله ٧٣ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٩٧ ــ ٤٠٤؛ وتهذيب التهذيب ٦/١٢ ــ ١٣.
ذكر الذهبي اسم مؤلفه هذا وأنه بعنوان: أعلام النبوة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٤٠١.

(٦) سقط وصف (المصنف الحافظ) من ك و ط بالنسبة للحربي.

الحربي، و[1]أبي بكر[2] جعفر الفريابي[3]. وما صنفه الشيخ العالم أبو[4] الفرج ابن الجوزي، في كتابه المسمى بالوفا في فضائل المصطفى[5]. وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي من[6] دلائل النبوة، وهؤلاء وغيرهم يذكرون ما يذكرون من[7] الأسانيد المعروفة، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة.

وهؤلاء منهم من يميز ما[8] يذكره من الأحاديث بين ما في صحيحي[9] البخاري ومسلم، وما في غيرهما وإن كان صحيحاً

---

(١) في ك زيادة وصف (المصنف الحافظ) بالنسبة للفريابي.

(٢) سقطت (بكر) من جميع النسخ وما أثبتناه من كتب التراجم.

(٣) الفريابي: هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض التركي، الإمام الحافظ الثبت شيخ الوقت، أبو بكر القاضي، ولد سنة ٢٠٧هـ، وارتحل ولقي الأعلام وتميز في العلم وولي قضاء الدينور وصنف التصانيف النافعة ومات سنة ٣٠١هـ وله ٩٤ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٩٦ ـ ١١١، وشذرات الذهب ٢/٢٣٥.

كتابه (دلائل النبوة) يتناول معجزات الطعام، وله نسخة موجودة بالظاهرية، سيرة ٢٧ وأوراقها ١ ـ ١٦ وعليه سماع سنة ٥٧٤هـ.

انظر: تاريخ التراث العربي د. فؤاد سزكين، المجلد الأول، الجزء الأول ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٤) في أ و ك (أبي) والصواب من ط.

(٥) رسمت في أ هكذا (المصطفا).

وقد طبع بالقاهرة لأول مرة سنة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م على نسختي التيمورية والأزهر باسم: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد وذلك في جزئين يقعان في مجلدين، نشر دار الكتب الحديثة.

(٦) في ك و ط (في).

(٧) في ك و ط (بالأسانيد).

(٨) في ك و ط (فيما).

(٩) في أ (صحيح).

ـ أيضاً ـ ، كالبيهقي وابن[1] الجوزي والمقدسي. ومنهم من يذكر ذلك جميعه، بأسانيده، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه[2] أن يذكر ما رواه البخاري ومسلم، كأبي زرعة شيخ مسلم[3]، وأبي الشيخ، وأبي نعيم وغيرهم. وآخرون يذكرونه[4] معزواً مسنداً إلى من رواه، وإن لم يذكروا إسناده، كما يفعله القاضي عياض السبتي[5]، في كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفى[6]. ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك، وطرق أخرى من[7] صحته، كما يفعله كثير من النظار، كالقاضي عبد الجبار[8]،

---

(١) في أ (وبن).

(٢) في ك و ط زيادة (إلى).

(٣) هو الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم.

(٤) في ك و ط زيادة (يذكرون ما).

(٥) **القاضي عياض**: هو ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي المالكي، أبو الفضل، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، شاعر خطيب، أصله من الأندلس ومولده في مدينة سبتة ووفاته بمراكش سنة ٥٤٤هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤٨٣/٣ ـ ٤٨٥؛ وطبقات الحفاظ ص ٤٧٠؛ ومعجم المؤلفين ١٦/٨.

(٦) وقد طبع وبهامشه مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا لأحمد الشمني ٨٧٢هـ وصورتها دار الكتب العلمية، بيروت من جزئين في مجلد واحد، ثم طبع بتحقيق علي محمد البجاوي في مجلدين من جزئين ونشرته دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م. هذا وللشفا شرح لأحمد الخفاجي المصري ١٠٦٩هـ باسم نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وقد طبع سنة ١٣٢٧هـ، بالمطبعة الأزهرية المصرية، وبهامشه شرح الشفا لعلي بن سلطان القاري، وقد خرج في أربع مجلدات كبار، وصورته دار الكتاب العربي، بيروت.

(٧) في ك و ط زيادة (يبين).

(٨) عبد الجبار: هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن الهمداني =

والجاحظ[1]، والماوردي القاضي[2]، وسُلَيْم الرازي الفقيه[3]، وغيرهم[4]، وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته، وبراهين رسالته، أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه. مثل: حجة الوداع، وعمرة الحديبية، وصد المشركين له، ومصالحته

= الاسترابادي المعتزلي صاحب التصانيف، عمر دهراً في غير السنة وكان من غلاة المعتزلة وهو فقيه أصولي متكلم مفسر مقلد للشافعي في الفروع كان مولده عام ٣٥٩هـ ووفاته سنة ٤١٥هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٢/٥٣٣؛ وشذرات الذهب ٣/٢٠٢؛ ومعجم المؤلفين ٥/٧٨.

وكتابه بهذا الشأن هو تثبيت دلائل النبوة، وقد حققه د. عبد الكريم عثمان، واعتمد في ذلك على نسخة خطية وحيدة، ونشرته دار العربية، بيروت ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

(١) **الجاحظ**: هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور، صاحب التصانيف في كل فن، توفي سنة ٢٥٥هـ بالبصرة وله أكثر من ٩٠ سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٧٠ ـ ٤٧٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/٥٢٦ ـ ٥٣٠.

ذكر الذهبي كتابه باسم: الحجة والنبوة. وذلك في ترجمته المشار إليها سابقاً.

(٢) **الماوردي**: هو علي بن محمد بن حبيب البصري، أبو الحسن، فقيه أصولي مفسر أديب سياسي، درس بالبصرة وبغداد وولي القضاء ببلدان كثيرة، وله منزلة عند ملوك بني بويه، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٨٢ ـ ٢٨٤؛ ولسان الميزان ٤/٢٦٠؛ ومعجم المؤلفين ٧/١٨٩.

وكتاب الماوردي هو المسمى: أعلام النبوة، وقد طبع في جزء لطيف ونشرته دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٣هـ بيروت، ثم صورته سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

(٣) **سُلَيم**: هو ابن أيوب بن سليم، أبو الفتح، الإمام شيخ الإسلام الفقيه الشافعي الأديب، كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة ومات غرقاً بعد الحج في بحر القَلْزَم (الأحمر) عند ساحل جدة في نهاية صفر سنة ٤٤٧هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٩٧ ـ ٣٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٤٥ ـ ٦٤٧.

(٤) في ك و ط (وأضعاف هؤلاء).

إياهم، وحِله[1] هو وأصحابه بالحديبية، ورجوعهم ذلك العام، وفتح خيبر[2]، وعمرة القضية[3]، وعمرة الجعرانة[4].

ومثل: حصاره لأهل الطائف[5]، وفتح مكة قبل ذلك، ومثل غزوة[6] النصارى عام تبوك وإرساله جيشاً لغزوهم[7] بمؤتة[8]، من مشارف[9] الشام، قريباً من الحصن المسمى بالكرك[10]، ومثل:

---

(١) أي من الإحرام بالعمرة.

(٢) في ك و ط زيادة (عقب ذلك).

(٣) وكانت سنة سبع هجرية في ذي القعدة، وسميت بذلك من المقاضاة التي كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قاضى المشركين عن أن يرجع عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلاَّ في جُلْبان (جراب) السلاح، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام. وهذه العمرة تسمى أيضاً عمرة القضاء وعمرة القصاص وعمرة الصلح. وهي المذكورة في سورة الفتح.
انظر: السيرة لابن كثير ٤٢٨/٣ ــ ٤٣٩؛ والسيرة لابن هشام ١٢/٤.

(٤) **الجعرانة**: منزل بين مكة والطائف وهي إلى مكة أقرب.
انظر: مراصد الاطلاع ٣٣٦/١.
وذلك سنة ٨هـ في ذي القعدة ـ أيضاً ـ وكانت بعدما قسم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ غنائم حنين وهي عمرته الثالثة، والرابعة مع حجته، فجميعهن أربعاً. وقد أنكر ابن عمر ومولاه نافع هذه العمرة ولكن أطبق النقلة ممن عداهما على رواية هذه العمرة من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي.
انظر: المصدر السابق ٦٩٢/٣ ــ ٦٩٨.

(٥) في ك و ط زيادة (قبل ذلك).

(٦) في ط (غزوة) بتاء مربوطة.

(٧) في أ أبدلت الهاء عيناً في كلمة (لغزوهم) وهي سبقة قلم.

(٨) **مؤتة**: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر: معجم البلدان ٢٢٠/٥.

(٩) في ك و ط (مشارق).

(١٠) **الكَرَك**: قطعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين بحر أيلة وبحر القَلْزم (الأحمر) وبيت المقدس، وهي على جبل عال.
انظر: مراصد الاطلاع ١١٥٩/٣.

غزوة[1] لليهود بخيبر، وغزوه[2] لليهود قبل ذلك، لمن كان عند المدينة، مثل بني قينقاع، والنضير، وقريظة. ومثل. إرساله أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع، ونبذه العهود، ومناداته أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. ومثل هجرته مع أبي بكر، و[3]عامر بن فهيرة، ورجل ثالث كان دليلاً لهم[4].

ومثل ما تواتر عنه أنه كان يصلي بالمسلمين في العيدين[5] بالمصلى، خارج المدينة، لم يكن يصلي العيد في مسجده إلَّا مرة، نُقل أنه صلى في المسجد لأجل المطر، ولم يكن على عهده يصلي[6] أحد بالمدينة صلاة العيد إلَّا خلفه، لم يكن يصلىٰ صلاتي عيد على عهده وعهد أبي بكر وعمر وعثمان[7]، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب، لما كثر الناس، وضعف أقوام عن الخروج إلى الصحراء، استخلف من يصلي

= وكانت وقعة مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ وكان أمير الجيش زيد، ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة وقد قتلوا جميعاً ثم تولى الإمرة خالد بن الوليد فانحاز بالجيش وانسحب حتى قدم المدينة. وكان عدد الروم ومن معهم من العرب من لخم وجذام والعين وبهراء وبليّ مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف.
انظر: السيرة لابن هشام ١٥/٤ ــ ٣٠.

(١) في ك (غزوا) وفي ط (غزو).

(٢) في ك (غزوهم) وفي ط (غزو).

(٣) في ك و ط زيادة (غلامه).

(٤) في ك و ط (يومي).
الرجل الثالث: هو عبد الله بن أرقط، رجل من بني الدِّيْل بن بكر، وأمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً. انظر: السيرة لابن هشام ١٢٩/٢.

(٥) في ك و ط زيادة (الفطر والنحر).

(٦) من هنا ابتدأ خط الناسخ في أ التغير حتى اختلف تماماً وصار أقل جودة من سابقه.

(٧) في أ زيادة (وعلي) والصواب إسقاطها.

بهم في المسجد، وكما تواتر عنه أنه كان يصلي الجمعة بأذان وإقامة، لا يؤذن لها إلَّا إذا قعد على المنبر، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر، فلما كان في أثناء خلافة عثمان، كثر الناس، فأمر بالنداء الثالث، على دار قريبة من المسجد، من جهة المشرق، يقال لها: الزوراء، وكما تواتر أن مسجده كان[1] باللَّبِن[2]، وسقفه كان من جذوع[3] النخل، وكانت حُجَر أزواجه قِبلي[4] المسجد وشرقيه، فلما كثر الناس زاد فيه عمر، ثم زاد فيه عثمان، وبناه بالقَصة[5] والحجارة. ثم في إمارة الوليد[6] أمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحُجَر، ويزيدها في المسجد فدخلت حجرة عائشة التي دفن فيها هو وأبو بكر وعمر في المسجد، من حينئذٍ[7]، وإنما كانت في حياته خارجة عن المسجد[8] إلى سنة إحدى وتسعين[9]، وقال ـ في مرض موته ـ :

---

(١) في ك و ط (بناه).

(٢) **اللبن**: جمع لبنة، وهو (الطوب) من طين أو غيره، يبنى به.
انظر: مختار الصحاح ص **٥٩١**.

(٣) في ك و ط (وسقفه بجذوع).

(٤) **قبلي**: من القبلة، وهي جهة الكعبة المشرفة، وهي الجهة الجنوبية، حسب الجهات الأصلية.

(٥) **القصة**: هو الجص.
انظر: ترتيب القاموس **٣/٦٣٣**.

(٦) **الوليد**: هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو العباس، الخليفة، الدمشقي، الذي أنشأ جامع بني أمية. بويع بعهد من أبيه وكان مترفاً دميماً سائل الأنف طويلاً أسمر ورزق في دولته سعادة مات سنة **٩٦هـ** وله **٥١** سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء **٤/٣٤٧ ـ ٣٤٨**.

(٧) رسمت في أ (حين إذٍ).

(٨) في ك و ط (مسجده).

(٩) انظر: البداية والنهاية **٥/٢٧٣**.

(لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، يحذر ما فعلوا. قالت عائشة: (ولولا ذلك لأُبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً)[1]، [2].

وكما تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، و[3]تواتر عنه أنه كان يضحي في عيد الأضحى، بل تواتر عند أهل العلم بأحواله تروكَه المشهورة[4]، كما تواترت أفعاله المشهورة، فتواتر عنه[5] أنه لم يكن يؤذن للعيدين ولا الكسوف ولا الاستسقاء[6]، وأنه صلى[7] الكسوف بركوعين[8] في كل ركعة صلاة طويلة، وتواتر عنه[9] كان يطوف بالبيت سبعاً، ويصلي ركعتين بعد الطواف ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين، وتواتر أنه كان يواصل، ونهى[10]

---

(١) سبقت ترجمته ١/٣٤٧. الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر.

(٢) لقد أوجز الشيخ المؤلف رأيه بإيراد هذا الدليل الصحيح، الظاهر الدلالة، على حَضْر فِعْلة الوليد بن عبد الملك، من إدخاله الحجرة الشريفة في المسجد النبوي، وليته أعطى هذه المسألة ما تستحق. وعذره في ذلك واضح بالنسبة لهذا الموضع، حيث أنه سيكون استطراداً. ولا أعلم موضعاً في آثار الشيخ استوفى البحث بالتفصيل في هذه القضية الهامة.

(٣) في ك و ط زيادة (كما).

(٤) قال المدني: يعني السنن التَّركية (بفتح التاء).
انظر: الجواب الصحيح (ط المدني ٤/٢٤٥).

(٥) سقطت (عنه) من ك و ط.

(٦) في ط (ولا للكسوف ولا للاستسقاء).

(٧) في ك و ط (في).

(٨) في ك و ط (ركعتين).

(٩) في ك و ط زيادة (وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعاً).

(١٠) في ك و ط (ينهى).

أصحابه عن الوصال[١]، ويقول: (إني لست كهيأتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[٢]، وأنه لم يفرض صوماً إلَّا صوم شهر رمضان، ولم يفرض الحج على المستطيع إلَّا مرة[٣]، وأنه فرض الصلوات الخمس، على كل بالغ عاقل، إلَّا الحائض والنفساء، وأنه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة، وكان الحيّض يؤمرن[٤] بقضاء الصوم، ولا يؤمرن[٤] بقضاء الصلاة.

وأنه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة، وأمر بالوضوء عند الصلاة، لمن بال أو تغوط، أو خرج منه ريح أو مذي، وأنه رخص في الاستجمار بثلاثة أحجار، ونهى عن الاستنجاء[٥] باليمين، ونهى عن الاستجمار بالعظم والبَعْر، وقال: (إنها زاد إخوانكم من الجن)[٦]. وأنه لم يكن يجمع المسلمين [٧] على سماع كَف[٨]، ولا دُف، ولا رقص.

---

(١) الوِصال: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد.
انظر: الفتح ٢٠٢/٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الصوم، باب الوصال...، ٢٠٢/٤ (١٩٦٤) من الفتح. ورواه مسلم بنحوه، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، ٧٧٦/٢ (١١٠٥).

(٣) في ك و ط زيادة (في العمر).

(٤) في ك و ط (يؤمرون).

(٥) في ك و ط (الاستجمار).

(٦) رواه البخاري بلفظ: (هما من طعام الجن). كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن ١٧١/٧ (٣٨٦٠) من الفتح. ومسلم بلفظ: (فلا تستنجوا بهما فإنهما من طعام إخوانكم). كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، ٣٣٢/١ (٤٥٠) ورواه أبو داود بمعناه، كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به ١٠/١ (٣٩) والترمذي واللفظ له، أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به ٢٩/١ (١٨).

(٧) في ك و ط زيادة (لا).

(٨) الكف أو الكفاف: آلة للعزف تسمى الحوقة أو الوترة أو العود.
انظر: اللسان ٣٠٥/٩، مادة كفف. وترتيب القاموس ٦٧/٤.

ولا صَعِقَ[1] لا هو ولا أصحابه عند سماع القرآن، بل كانوا تَوْجل قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتدمع عيونهم، وأنه لم يكن على عهده وعهد خلفائه[2] تعاد امرأة مطلقة إلى زوجها بنكاح يقصد به التحليل[3]، بل لعن المحلِّل والمحلل له، لأن ذلك ربما فُعل سراً.

وأنه أمر بعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وإفشاء السلام، وإجابة الدعوة. وأنه كان يصلي على الميت، و[4]يكبر[5] أربع تكبيرات، وقد كان أحياناً يكبر خمساً وسبعاً[6]، وأمر بتغسيل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه. وأنه حرم كل مسكر، وحرم بيع الدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين، والصاع بالصاعين، من الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب. وأنه أمر بصدقة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير. وأنه أباح الدواء. وقال: (تداووا عباد الله، فإنه لم يَنْزِل داء، إلاَّ أُنزِل[7] له دواء إلاَّ السام[8]). والسام:

---

(١) **الصعق**: أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً.
انظر: اللسان ١٩٨/١٠، مادة صعق.
في ط: ألحقت هذه الكلمة (صعق) بما قبلها، ووضع بعدها فاصلة، وفي أ: شكلت بفتح ثم كسر ثم فتح، وهي مستأنفة.

(٢) في ك و ط زيادة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي).

(٣) في ك و ط زيادة (ظاهراً).

(٤) زادت (كان) في ك و ط.

(٥) في ك و ط زيادة (عليه).

(٦) في ك (يكبر سبعاً وخمساً) وفي ط (يكبر سبعاً أو خمساً).
انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، ٦٥٩/٢ (٩٥٧).

(٧) في ك و ط (نزل).

(٨) رواه أبو داود بمعناه وقال (الهرم) بدل (السام) وهو عن أسامة بن شريك ــ رضي الله عنه ــ، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ٣/٤ (٣٨٥٥) ورواه الترمذي بمثل =

الموت[1]، وأنه كان يتداوى بالحجامة وغيرها.

وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث، سوى ما في القرآن من صفة الجنة والنار، وذكر العرش، والملائكة، والجن، وإرساله إلى الثقلين، وما ذكره من أسماء الله، وصفاته، وما أخبر به من فتنة الإنسان في قبره، ومن عذاب القبر ونعيمه، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته، وخروجهم من النار بشفاعته وشفاعة غيره، ومن ذكر حوضه وما أخبر به من رؤية الله يوم القيامة، ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك.

وما تواتر عنه من أنه كان يرسل رسلاً إلى الملوك، يدعوهم إلى الإيمان بالله، وبما جاء به، كما أرسل إلى ملوك اليمن، وإلى ملوك الشام، ومصر، والعراق، وإلى ملوك المشركين، واليهود، والنصارى، والمجوس، بعد ما حارب اليهود مرة بعد مرة. وما تواتر عنه[2] أنه كان يركب الخيل، والإبل، والبغال، والحمير، وأنه رجم الزاني المحصن، مرة بعد مرة، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، وأنه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين.

وأنه جمع بين الصلاتين: الظهر والعصر بعرفة، وفي مزدلفة: جمع بين المغرب والعشاء، وأنه كان يصلي بمنى ركعتين ركعتين، وأمر

= رواية أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه ٣٨٣/٤ (٢٠٣٨) وقال: «وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح». وأصله عند البخاري برقم (٥٦٧٨)؛ ومسلم برقم (٢٢٠٤).

(١) اللسان ٣١٣/١٢، مادة سوم.

(٢) في ك و ط زيادة (من أنه كان إذا سافر من المدينة استخلف خليفة، وأنه كان يستكتب كتاباً يكتبون له، و. . .).

المسلمين[1] في حجة الوداع أن يحلوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرة، إلَّا من ساق الهدي، فإنه أمره أن يبقى على إحرامه، وأنه هو لم يحل من إحرامه، ولا اعتمر بعد الحج، لا هو ولا أحد ممن حج معه، إلَّا عائشة، لكونها كانت حائضاً، وأن[2] شهر رمضان فرض في السنة الثانية من الهجرة، فصام تسع رمضانات.

وأنه كان له أربع بنات وثلاثة بنين، وكان يكنى بأكبر أولاده: القاسم، فيدعى أبا القاسم، وأنه تزوج بنتي أبي بكر وعمر، و[3] زوج عثمان ابنتيه[4]، وزوج علياً بنتاً، وأنه آمن به من أعمامه حمزة والعبّاس، ولم يؤمن به أبو لهب ولا أبو طالب، مع أن أبا طالب كان يحوطه ويذُب عنه. وأنه استخلف أبا بكر ليصلي بالناس، لما مرض وثقل عن الصلاة، لم يصل أحد بإذنه مع حضوره غير أبي بكر في مرضه[5]، ولما ذهب ليصلح بين بني عمرو بن عوف[6]، وأنه كان من خواص أصحابه العشرة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[7]، وطلحة[8]، والزبير، وسعد بن

---

(١) في ك و ط زيادة (أنه أمر المسلمين كلهم).

(٢) لعله قد سقطت كلمة (صوم) هنا.

(٣) في ك و ط زيادة (أنه).

(٤) في أ (بنتا).

(٥) في ك و ط (مرض موته).

(٦) **بنو عمرو بن عوف**: بطن من الأنصار، وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقياء ـ بن عامر ـ ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف ـ بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.
انظر: اللباب ٢/٣٥٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢.

(٧) لم يرد (علي) في ط.

(٨) **طلحة**: هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد، المدني، أحد العشرة، مشهور، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ وله ٦٣ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٧٩.

أبي وقاص، وسعيد بن زيد[1]، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وغير هؤلاء، كعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة[2]، وأبي طلحة، وأبي أيوب، وأُسيد بن حضير[3]، وأضعاف هؤلاء.
وأنه بايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة[4]، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ . . .﴾[5].

وأنه لما قدم المدينة بنىٰ مسجده[6] وكان في شماليه صُفّة ينزلها العُزَبَاء[7]، وأن المهاجرين والأنصار كلهم أسلموا طوعاً بلا رغبة، ولا

---

(١) **سعيد بن زيد**: هو ابن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات سنة ٥٠هـ أو بعدها.
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٩٦.

(٢) **سعد بن عبادة**: هو ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، أبو ثابت أو أبو قيس المدني، شهد العقبة وغيرها، واختلف في شهوده بدراً، وكان يحسن الكتابة والعَوْم والرمي مات بحوران بالشام سنة ١٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٧٥ ــ ٤٧٦.

(٣) **أسيد بن حضير**: هو ابن سِماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي أبو يحيى، شهد العقبة الثانية، وكان أحد النقباء، وكان شريفاً في قومه، توفي في خلافة عمر سنة ٢١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٣/٦٠٣؛ وأسد الغابة ١/٩٢.

(٤) في ك و ط زيادة (أو وخمسمائة).

(٥) سورة الفتح: الآية ١٨.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:
﴿. . . فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم. . .﴾.

(٦) في ك و ط (مسجداً).

(٧) في ك و ط (يأوي إليها الغرباء).

رهبة، وأن المهاجرين آذاهم الكفار إيذاء عظيماً، حتى هاجر منهم طائفة إلى الحبشة[1] عند النجاشي، وأن النجاشي آمن به، وأنه لما مات أخبر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بموته يوم مات، وأنه صلَّى عليه بأصحابه في المصلى، كما يصلي على الميت الحاضر.

وأنه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة، ويخطب في العيد بعد الصلاة، وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا يؤذن للعيدين، ولا غير[2] الصلوات الخمس، وأن بلالاً كان يؤذن له بالمدينة، هو وابن أم مكتوم الأعمى[3]، وكان سعد القَرْظ[4] يؤذن لأهل قُباء[5]، وأبو محذورة[6] يؤذن لأهل مكة. وكما تواتر عنه وعن خلفائه، أنهم

---

(١) في أ زيادة (إلى) ومؤكد أنها زيادة من الناسخ.

(٢) في ط (لغير) بلام.

(٣) **ابن أم مكتوم**: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن عامر بن لؤي القرشي العامري واسم أمه: عاتكة وهو ابن خال خديجة، استخلفه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على المدينة ١٣ مرة وشهد القادسية وقتل بها شهيداً سنة ١٤هـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٧٦٠.

(٤) في جميع النسخ (القرض) بالضاد وقد صوبناه من كتب الرجال.
سعد القرظ: هو سعد بن عمارة بن سعد مولى الأنصار، ويقال، مولى عمار، وقيل له: سعد القرظ. لتجارته في القرظ، كان يؤذن بقباء فلما ترك بلال الأذان نقله أبو بكر إلى المسجد النبوي وتوارث عنه بنوه الأذان، وقال العسكري: «بقي إلى زمن الحجاج».
انظر: تهذيب التهذيب ١/٢٨٩.

(٥) **قباء**: أصله اسم بئر عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي على ميلين من المدينة.
انظر: معجم البلدان ٤/٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٦) **أبو محذورة**: هو أوس بن معير، وقيل غير ذلك، صحابي مشهور، أسلم بمكة، ولم يهاجر، ولم يزل مقيماً بها حتى مات سنة ٥٩هـ وقيل ٧٩هـ وكان من أحسن =

لم يكونوا بمنى يصلون صلاة عيد، بل يرمون جمرة العقبة، وينحرون، كما أمر أهل الأمصار أن يصلوا، ثم ينحروا[١]، إلى أمثال هذه الأمور مما هو متواتر[٢] عند كل من كان عالماً بأحواله.

ومنها: ما هو متواتر[٣] عند جميع الأمة. ومنها ما هو متواتر عند جمهورها، وليس منها شيء إلَّا وتواترت[٤] آياته. وبراهينه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[٥] ــ التي لم تذكر في القرآن أعظم من تواتر هذه الأمور، والكتب المصنفة في آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الأحاديث * أضعاف أضعاف ما يوجد من الأحاديث *[٦] في مثل هذه الأمور، بل في[٧] كل صنف من أصناف آياته من الأحاديث أضعاف ما يوجد في مثل ذلك، كتواتر إخباره بالغيوب المستقبلة، وتواتر تكثيره للطعام والشراب[٨] مرات متعددة، [٩] وتكثيره الطهور[١٠]، إما بنبع الماء بين أصابعه، وإما بفيضان الينبوع الذي يضع فيه بعض آثاره، وإما

= الناس صوتاً.

انظر: أسد الغابة ٥/٢٧٨ ــ ٢٧٩؛ وتقريب التهذيب ٢/٤٦٩.

في ك و ط (وأقام أبا محذورة).

(١) في أ (يصلون ثم ينحرون) وقد صوبناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (مما هي متواترة).

(٣) في ط (المتواتر).

(٤) في أ و ك (تواتر) وقد أثبتنا ما في ط.

(٥) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية.

(٦) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط وأكسفورد.

(٧) سقطت (في) من ط.

(٨) سقطت (والشراب) من ك و ط.

(٩) في ك و ط زيادة (وتواتر).

(١٠) في ك و ط (للطهور والشراب مرات متعددة) وقد سقطت الراء من (طهور) في ط.

بفيضان الماء من الوعاء الذي برَّك[1] فيه، والماء باق بحاله لم ينقص.

فالأحاديث المتواترة في مثل هذه الأنواع أكثر من الأحاديث المتواترة في مثل تلك الأمور، التي هي متواترة. ولهذا كان شهرة هذه الأمور[2] في الأمة وفي أهل العلم بأحواله أعظم من شهرة كثير من تلك الأمور.

والمقصود هنا أن تواتر[3] آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتر[4] أمور كثيرة هي متواترة عند الأمة، أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن، فإن تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع[5]، حتى بينوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات، وهذا[6] غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به.

وهذه الأجناس الثلاثة غير ما في شريعته التي بعث بها، وغير صفات أمته، وغير ما يدل[7] من المعرفة بسيرته وأخلاقه، وصفاته، وأحواله، وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به. وعقوبته وانتقامه ممن كفر به، كما فعل بالأنبياء المتقدمين، فإن تعداد أعيان دلائل النبوة

(١) في ك (يبرك) وفي ط (يبارك).
(٢) سقطت (الأمور) من ك و ط.
(٣) في ك و ط زيادة (أنواع).
(٤) سقطت (تواتر) من ط.
(٥) انظر في ذلك مجموع فتاوي شيخ الإسلام ١٤/٦٤ و ١٦/٢٢٦ و ٢٦٧ و ٥٣٦ ـ ٥٣٧.
(٦) في جميع النسخ (هذان) ولكن النون مشطوبة في أ.
(٧) في ط (يذل).

مما لا يمكن بشراً[1] الإحاطة به، إذ كان الإيمان به واجباً على كل أحد.

فيبين[2] الله لكل قوم، بل لكل شخص، من الآيات والبراهين ما لا[3] يبين لقوم آخرين.

كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول، ولكل قوم، بل ولكل إنسان، من الدلائل المعيَّنة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق، ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون، قال ـ تعالى ـ :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ .. ﴾[4].

والضمير في ذلك عائد إلى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء، كما يدل على ذلك القرآن بقوله:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾[5].

وقد قيل: إن الضمير عائد إلى الله، والصواب: الأول، كما قال:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ .... ﴾.

(١) في أ (بشر) والأصوب ما اخترناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (فبين).

(٣) في أ (ما يبين) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

(٤) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

وهذا هو القرآن[1]. ثم قال بعد ذلك:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ . . ﴾.

ثم قال:

﴿. . . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

فأخبر أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية[3] المشهودة[4] المعقولة، ما يبين[5] أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق، فيتطابق العقل والسمع، ويتفق[6] العيان والقرآن، وتصدق المعاينة للخبر.

وإذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذي جاء به صادقاً، وأن الله ـ تعالى[7] ـ أنزله، وأنه يجب التصديق بما أخبر به[8]، والطاعة لما أوجبه وأمر به[9]، وذلك يتضمن إثبات الصانع وتوحيده، وأسمائه، وصفاته، وإثبات النبوات، وإثبات المعاد، وهذه هي أصول العلم والإيمان التي علقت بها السعادة والنجاة.

• • •

(١) انظر: جامع البيان ٢٥/٥؛ والبحر المحيط ٥٠٥/٧.

(٢) سورة فصلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) العيانية: المرئية بالأعين.

(٤) في ط (والمعقولة).

(٥) في ك و ط (يتبين).

(٦) في أ (فيتفق).

(٧) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس.

(٨) في جميع النسخ إلَّا أكسفورد (لما أخبر) وسقطت (أخبر به) من ك و ط.

(٩) في ك (لما أوجبه وأمر) بدون هاء وفي ط (لما أوجب وأمر) بدون (به).

فـصـل

أدلة قرآنية، على مجيء الرسل بالآيات

وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحياته، فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي، كما ظنَّه بعض أهل الكلام، بل لا بد من آيات في حياته، تدل على صدقه، تقوم بها الحجة، وتظهر بها المَحَجة[1]، كما قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح: «ما من نبي من الانبياء إلاَّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[2].

وقد قال ــ تعالى ــ في سورة إبراهيم ــ :

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

---

(١) المحجة: جادة الطريق.

انظر: مختار الصحاح ص ١٢٣.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما أنزل ٩/٣ (٤٩٨١) من الفتح. ومسلم، بنحوه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ١٣٤/١ (١٥٢).

إلى قوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1].

إلى قوله:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾[2].

الآيات[3].

فأخبر ـ سبحانه ـ[4] أن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، لا يعلمهم إلاَّ الله، أتتهم رسلهم بالبينات؛ فعلم أنهم جاءوا بالبينات.

وقال:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[5]

---

(١) لم يرد قوله ـ تعالى ـ:
﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.
في ك ولا ط.

(٢) سورة إبراهيم: الآيات ١ ـ ١٠.

(٣) في ك و ط (الآية).

(٤) التسبيح لم يرد في ك ولا ط.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ [1] وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا [2] تَتْبِيرًا ﴾ [3].

فأخبر أنه ـ سبحانه ـ ضرب الأمثال لجميع هؤلاء، الذين أرسل [4] إليهم، وأهلكهم، فلم يعاقبهم إلَّا بعد أن أقام عليهم الحجة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [5].

فأخبر أنه لم يرسل إلَّا رجالاً يوحى إليهم، لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء، وأنه أرسلهم بالبينات والزبر [6].

والزُّبُر: جمع زَبُور، وهي الكتب [7]، فإن منهم من أُنزل عليه

---

(١) الرس: هي البئر غير المطوية. أصحاب الرس: قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول الرس انهارت فخسفت بهم وبديارهم.
انظر: صفوة التفاسير ١٩/٣٦٢.

(٢) تبرنا: أهلكنا ودمرنا.
انظر: المصدر السابق ١٩/٣٦٣.

(٣) سورة الفرقان: الآيات ٣٧ ــ ٣٩.

(٤) في ط (أرسلهم).

(٥) سورة النحل: الآيتان ٤٣ ــ ٤٤.

(٦) لم ترد كلمة (الزبر) الأولى في ك ولا ط.

(٧) انظر: اللسان ٤/٣١٥، مادة زبر.

كتاب، ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا[1] فِيهَا نَذِيرٌ[2] ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[3].

أخبر أنه ليس أمة من الأمم إلَّا خلا فيها نذير، كما قال:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4].

ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والكتاب[5] المنير، وهذا من عطف الخاص على العام، لاختصاصه بوصف يختص به، كقوله:

---

(١) خلا: مضى.
انظر: تفسير البيضاوي ٥/١٨٤.

(٢) نذير: نبي أو عالم ينذر عنه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) فكيف كان نكير: أي كيف كان إنكاره ـ عز وجل ـ عليهم بالعقوبة.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة فاطر: الآيات ٢٤ ـ ٢٦.
في ك و ط ٢٤ ـ ٢٥ فقط.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٥) في ك و ط (بالكتاب).

﴿ . . . وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ . . . ﴾[1].

فإن الزبر من البينات، والكتاب المنير من الزبر، وهو كقوله:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[2].

فإن الهدى من العلم، والكتاب المنير من الهدى.

وبين أنه أخذ الذين كفروا بهم[3]، وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين. ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال:

﴿ . . . فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ . . . ﴾[4].

وهذه السورة مكية[5]. ثم أنزل في آل عمران ــ وهي مدنية[6] ــ في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول، والمؤمنين به، وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيره ــ فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ[7] لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ[8] وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟[9]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٨؛ وسورة لقمان: الآية ٢٠.

(٣) في ك و ط (بربهم).

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن ــ ١/١٩٣. وهي تسمى سورة الملائكة.

(٦) المصدر السابق ١/١٩٤.

(٧) القرح: الجراح.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٤٤.

(٨) حسبنا الله: أي الله كافينا وحافظنا ومتولي أمرنا.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٤٥.

(٩) فانقلبوا: فرجعوا. انظر: المصدر والموضع السابق.

﴿ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1].

أي يخوفكم أولياءه ــ كما قاله جمهور العلماء[2].

ثم قال:

﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ .. ﴾[3].

وسياق الكلام في بيان أن الكفار لا يضرون الله ولا عباده المؤمنين، بل ضررهم على أنفسهم، وأن ما حصل لهم من نعمة إنما هو استدراج وإملاء[4]، ــ إلى أن قال ــ :

﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

بيَّن ــ سبحانه ــ أن هذا القول منهم: مع أنه كذب، فلم يقولوه إلَّا دفعاً للحق، لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك، إذ قد جاءهم رسل من

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٧٢ ــ ١٧٥.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣/١٢٠ ــ ١٢١؛ وتفسير القرآن العظيم ٢/١٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

(٤) **الإملاء**: هو المَدُّ في الآمال والأماني.
انظر: الكشاف ٣/٥٣٧.

(٥) سورة آل عمران: الآيات ١٨١ ــ ١٨٣.

قبله بـالآيات البينـات، والقربـان الذي تـأكله النار، ومـع هـذا قتلوهم. والكلام في مثل هذا الجنس، الذي يوالي بعضهم بعضاً، ويتبع بعضهم بعضاً، كاليهود، الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك.

ولهذا يذمهم[1] بصيغة الخطاب، كقوله:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾.

إلى قوله[2]:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً . . . ﴾[3].

فالخطاب لجنس بني إسرائيل، وإن كان الذين عاينوا ذلك ماتـوا. ثم قال:

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[4].

فحـذف هنا الفـاعل، وبنى الفعـل للمفعـول، إذ المقصـود هنـا: تسلية الرسول وتعزيته، لا ذكر عقوبة المكذبين، فلهذا كانت هذه أخص من تلك.

• • •

---

(١) في ك و ط (يخاطبهم).

(٢) في أ و ك بدون جملة (إلى قوله) وإثباتها أولى لأن الآيتين غير متواليتين.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٥٠ ــ ٥٩.

جهرة: علانية.

انظر: تفسير القرآن العظيم ١٣٢/١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

فصل

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم، فهذا من أعلام نبوتهم، ودلائل صدقهم، كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه، وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر[1]، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وإهلاك قوم شعيب بالظلة[2]، وإهلاك قوم لوط بإقلاب[3] مداينهم، ورجمهم بالحجارة، وكإهلاك قوم فرعون بالغرق.

وقد ذكر الله القصص في القرآن، في غير موضع، وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم، كما يذكره[4] في سورة الشعراء، لما ذكر قصة موسى، قال:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

---

(١) **الصرصر**: ذات الصوت الشديد.
انظر: صفوة التفاسير **٢٩/٤٣٥**.

(٢) قال المفسرون: بعث الله عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت، هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادي بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً، وكان ذلك من أعظم العذاب.
انظر: المصدر السابق **١٩/٣٩٣**.

(٣) في ك و ط (بقلب).

(٤) في ك و ط (ذكره).

(٥) سورة الشعراء: الآية ٦٧.

ثم ذكر قصة إبراهيم، وقال ــ في آخرها ــ :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ومن ذلك: ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم، ومن لسان الصدق والثناء[2] والدعاء لهم، ولمن آمن بهم، كما قال ــ تعالى ــ في قصة نوح:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝٧٨[3] سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[4].

وكذلك في قصة إبراهيم:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[5].

أي: تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون. وكذلك في قصة موسى وهارون:

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[6].

و ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٠٣.

(٢) في ك و ط (بالثناء).

(٣) وتركنا عليه في الآخرين: أي تركنا عليه ثناء حسناً في كل أمة إلى يوم القيامة. انظر: صفوة التفاسير ٣٧/٢٣.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ٧٨ ــ ٧٩.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ١٠٨ ــ ١٠٩.

(٦) سورة الصافات: الآية ١٢٠.

(٧) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

وكذلك في قصة إبراهيم، قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[1].

وقال ــ في قصة فرعون ــ :

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ[2] ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[3].

ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ . . . ﴾[4].

وقال[5] لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ . . . فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٤٩ ــ ٥٠.
وجعلنا لهم لسان صدق عليا: يقول ــ تعالى ذكره ــ : ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل بين الناس.
انظر: جامع البيان ١٦/٩٣.

(٢) اليم: البحر.
انظر: المصباح المنير ص ٦٨١.

(٣) سورة القصص: الآيات ٣٩ ــ ٤٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٥) في ط (قال).

(٦) سورة هود: الآية ٤٩.

فأخبر أن العاقبة للمتقين، ثم إنه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة، ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة، كما قال ـ عن أهل النار ـ :

﴿ . . . لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1].

كما ذكر الله الطريقين، في قوله:

﴿ . . . وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

ثم قال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

---

(١) سورة تبارك: الآية ٥.

(٢) سورة الحج: الآيات ٤٠ ـ ٤٦.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ[1] هَلْ مِن مَّحِيصٍ[2]؟ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ[4] أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[6].

---

(١) نقبوا في البلاد: ساروا فيها، وطافوا وجالوا في أقطارها.
انظر: صفوة التفاسير ٢٤٧/٢٦.

(٢) أي: فهل كان لهم من الموت من مهرب؟ وهل كان لهم من عذاب الله من مخلص؟.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) أي: أصغى إلى الموعظة، وهو حاضر القلب، ليتذكر ويعتبر.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة ق: الآيتان ٣٦ ــ ٣٧.

(٤) أي: وكانت نهاية المجرمين العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وهي نار جهنم ــ أعاذنا الله منها ــ.
انظر: المصدر السابق ٤٧٣/٢١.

(٥) سورة الروم: الآيتان ٩ ــ ١٠.

(٦) سورة غافر: الآيتان ٢١ ــ ٢٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم [(١)] مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[(٢)].

وقال ـ لما قص قصص نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، في سورة هود ـ :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ [(٣)] (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[(٤)].

ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات، قال:

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٥)].

---

(١) حاق بهم: نزل بهم.
انظر: جامع البيان ٢٤/٨٩.

(٢) سورة غافر: الآيتان ٨٢ ـ ٨٥.

(٣) تتبيب: تخسير وتدمير وإهلاك.
انظر: جامع البيان ١٢/١١٣.

(٤) سورة هود: الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨.

وفي سورة الحجر:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[1] ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ[2] ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[3] ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾[4].

والإمام المبين: هو الطريق المستبين الواضح[5]. بين ــ سبحانه ــ: أن هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس[6]، يرونها بأبصارهم، فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم، ودلالة نصر الله المؤمنين[7]، وانتقامه من الكافرين، على صدق الأنبياء[8]، من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم، فكون هذا فُعل لأجل هذا، و[9]كون ذاك سبب هذا، هو مما يعلم بالإضرار، عند تصور الأمر على ما هو عليه، كانقلاب العصا حية، عقب سؤال فرعون الآية، وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية، وأمثال ذلك.

مناقشة نفاة التعليل، في أمور الخوارق والآيات النبوية

والسؤال المشهور الذي يورد في هذا الموضع، على قول من

---

(١) **المتوسمين**: المعتبرين، المتأملين بعين البصر والبصيرة.
انظر: صفوة التفاسير ١١٤/١٤.

(٢) أي بطريق ثابت لم يندرس، يراها المجتازون في أسفارهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) في ك و ط زيادة (ثم قال) بين هاتين الآيتين.

(٤) سورة الحجر: الآيات ٧٥ ــ ٧٩.

(٥) انظر: جامع البيان ٤٧/١٤.

(٦) في ك و ط (الناس).

(٧) في ك و ط (للمؤمنين).

(٨) في أ (للأنبياء) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٩) في ط (أو).

ينفي التعليل في أفعال[1] الله، و[2]يجوّز على الله كل فعل؟ حيث قيل لهم: على أصلكم: لا يفعل الله شيئاً لأجل شيء، وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة، لأجل تصديق الرسول، ولا[3] عاقب هؤلاء لتكذيبهم له؟ ولا أنجى هؤلاء ونصّرهم لإيمانهم به؟ إذا كان لا يفعل شيئاً لشيء عندكم؟ وقالوا لهم ـ أيضاً ـ : إذا جوزتم على الرب كل فعل، جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب! ويقال لهم ـ أيضاً ـ : أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلا بعادة أو خبر الأنبياء، فقبل[4] العلم بصدق النبي لا يعلم شيء بخبره، والعادة إنما تكون فيما تكرر، كطلوع الشمس، ونزول المطر ونحو ذلك، والإتيان بالخارق للتصديق ليس معتاداً.

فيقال[5]: هذا السؤال ـ إن كان متوجهاً ـ فإنما يقدح[6] في قول هؤلاء الذين يقولون: لا يفعل شيئاً لأجل شيء، ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن، لا ينزهونه عن فعل سيء[7] الأفعال، وليس عندهم قبيحاً وظلماً[8] إلا ما كان ممتنعاً، مثل جعل الشيء موجوداً معدوماً، وجعل

---

(١) في ط (أعمال).

(٢) في ك و ط (أو).

(٣) في ك و ط (ولم) هنا والذي بعده، وقد توافقت أ وأكسفورد.

(٤) في أ (فقيل).

(٥) في ك و ط زيادة (في جوابه).

(٦) هذه الكلمة يمكن أن تقرأ (يندرج) في أ، وقد اتفقت النسخ الأخرى كلها على كلمة «يقدح» بما فيها نسخة أكسفورد والنسخة السعودية. وسوف تأتي بعد قليل واضحة في أ.

(٧) في ك و ط (من).

(٨) في ك و ط (قبيح وظلم).

الجسم في مكانين. ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة في إبطال مذهبهم، وقالوا: قولهم يقدح في العلوم الضرورية، ويسد باب العلم بصدق الرسل، قالوا: إذا جوزتم أن يفعل كل شيء، فجوِّزوا أن يكون[1] الجبال انقلبت ياقوتاً[2]، والبحار لبناً، ونحو ذلك، مما يعلم بالضرورة بطلانه، وجوِّزوا أن يخلق المعجزات على يدي[3] الكذابين، وليس المقصود هنا الجوابَ عن هؤلاء، ولا بيان[4] فساد قولهم، ولكن المقصود: أن هذا السؤال إن كان متوجهاً، فإنما يقدح في قوله هؤلاء، لا يقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نجّى موسى ونصره لصدقه، ونبوته، وإيمانه، وأهلك فرعون لتكذيبه.

وكذلك نصر محمداً ومن اتبعه، على من كذبه من قومه، ونصر نوحاً على من كفر به، ونصر المسيح على من كذبه، ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١﴾[5].

---

(١) في ط (تكون).

(٢) **الياقوت**: نوع من الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة، منه الياقوت الأحمر، وهو حجر أحمر شفاف كثير اللمعان مبلور، وهو من أصلب المعادن بعد الماس، ومنه الأزرق والأصفر. ويسمى الياقوت بالإفرنجية: ياسنت.
انظر: دائرة معارف وجدي ١٠/٩٠٥.

(٣) في ك و ط (يد).

(٤) في ط (عن هؤلاء ببيان).

(٥) سورة غافر: الآية ٥١.

وقــال:

﴿ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ [1] ﴾.

كمـا لا يقدح مـا[2] علم بـالإضـطرار من أن الله ينـزل المـطر في إبَانِه[3]، لسقي المزارع، وأنه يسوق النيل لسقي أرض مصر، وأنه جعل أعضـاء الإنسان لمـا[4] فيها من المنـافع، كـالبـطش بـاليـدين، والمشي بالرجلين، والنظر بالعينين، والسمع بالأذنين، والنطق باللسان، وجعل ماء العين ملحـاً لكونهـا شحمة، والملوحـة تمنعها[5] أن تـذوب، وماء الأذن مراً[6] ليمنع الذباب من الـولوج في الـدماغ، ومـاء الفم عذبـاً ليطيب[7] الطعام والشراب، وجعل مـاء البحر مـالحاً * لبقـاء الأنام، فـإنه لـو كان عذباً فيموت فيه من الحيـوان العظيم، فيفسـد الريـح، فيموت الآدميـون والبهائم بهذه الريح *[8] إلى مـا لا يحصى من حكمة الله المشهـودة في خلقه.

ونفـاة التعليل يقـولـون: نحن نعلم أن هـذا مقـارن لهـذا، بحكم العـادة، التي أجراهـا الله، وإن لم يخلق شيئاً لشيء، وكـذلـك مَنْ نفى

---

(1) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

(2) في ك و ط (فيما).

(3) إبانه: وقته.
انظر: مختار الصحاح ص ٣.

(4) في ك و ط (بما).

(5) في ك (يمنعها).

(6) في أ (مر) وقد صوبناه من ك و ط.

(7) في ك (لتطيب) بالتاء.

(8) ما بين النجمتين ليس في أ، وقد أثبتناه من ك و ط.

الأسباب مع نفي التعليل ـ أيضاً ـ يقولون: نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا، لا به، فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب ـ عندهم ـ، لكن يبقى عليهم: أن هذا لا يعلم إلا بالعادة، ولا عادة. فلا جرم[1] رجعوا إلى فطرتهم، من أن هذا أمر معلوم بالإضطرار، وإن كان مناقضاً لأصلهم الفاسد، وضربوا لذلك مثلاً بالمَلِك الذي أظهر ما يناقض عادته لتصديق رسوله.

لكن يقال لهم: الملك يفعل فعلاً لمقصود، فأمكن أن يقال: أنه قام ليصدق رسوله، وأنتم عندكم أن الله لا يفعل شيئاً لشيء، فلم يبق المثل مطابقاً، ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع، تارة يقولون: المعجزات دليلاً[2] على الصدق، لئلا يفضي إلى تعجيز الرب، فإنه لا دليل على الصدق إلا خلق العجز[3]، فلو لم يكن دليلاً لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق، وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه، وأحد قوليه، وسلكها القاضي أبو بكر[4]،[5] وأبو إسحاق

---

(١) لا جرم: أي لا بد، أو حقاً، أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم، فلذلك يجاب عنه باللام، فيقال: لا جرم لآتينك. ولهذا كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف: فلا جرم لقد رجعوا.
انظر: ترتيب القاموس ٤٨١/١.

(٢) في ك و ط (المعجز دل)، والأولى أن تكون هنا (دليل) بالرفع حيث لا ناصب.

(٣) في ك و ط (المعجز).

(٤) القاضي أبو بكر: هو محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقِلاّني، أو الباقِلاَني، ولد سنة ٣٣٨هـ، وهو يعد أعظم الأشاعرة بعد الأشعري، وتوفي سنة ٤٠٣هـ في بغداد.
انظر: تبيين كذب المفتري ص ٢١٧ ـ ٢٢٦؛ وشذرات الذهب ١٦٨/٣ ـ ١٦٩؛ والأعلام ١٧٦/٦؛ ووفيات الأعيان ٢٦٩/٤ ـ ٢٧٠.

(٥) في ك و ط زيادة (أحياناً).

الإسفرائيني[1]، وأبو بكر بن فَوْرَك[2]، وأبو محمد بن اللبان[3]، وأبو علي بن شاذان[4]، والقاضي أبو يعلىٰ وغيرهم.

والثاني[5] قالوا: نحن نعلم بالاضطرار *[6]أنه فعل هذا لأجل التصديق، كالمثل المضروب، وهذا هو القول الآخر، وهي طريقة أبي الحسن الأشعري في أماليه[7]، وهي طريقة أبي المعالي[8] وأتباعه

---

(١) الأسفرائيني: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الملقب بركن الدين، الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي، مات بنيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن بإسفراين.
انظر: وفيات الأعيان ١/٢٨؛ ومعجم المؤلفين ١/٨٣.

(٢) ابن فورك: هو الأستاذ محمد بن الحسن، المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني مات مسموماً في طريقه إلى نيسابور سنة ٤٠٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٢ ـ ٢٧٣؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٢١٤ ـ ٢١٦.

(٣) ابن اللبان: هو العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التيمي، عالم فقيه أصولي، سكن بغداد وولي قضاء إِيْذَج وتوفي بأصبهان سنة ٤٤٦ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٣ ـ ٦٥٤؛ وشذرات الذهب ٣/٢٧٤؛ ومعجم المؤلفين ٦/١٢٥.

(٤) ابن شاذان: هو الإمام الفاضل الصدوق سيد العراق، الحسن بن أبي بكر أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي البزاز، الأصولي، ولد سنة ٣٣٩هـ وتوفي في نهاية سنة ٤٢٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٤١٧ ـ ٤١٨؛ وشذرات الذهب ٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) هذا معطوف على قوله سابقاً: (تارة يقولون: المعجز دل على الصدق).

(٦) من هنا إلى النجمة الثانية سقط من أ.
والمعنى لا يستقيم بدونه.

(٧) أماليه: أي ما أملاه على الناس مما لم يذكر له اسم، وهو ما عدا المؤلفات المستقلة.
انظر: تبيين كذب المفتري ص ١٣٥.

(٨) أبو المعالي: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن حَيُّويَة الجُوَيني الفقيه الشافعي، الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من =

كالرازي وغيره، وتنازعوا هل يمكن خلق ذلك على يد كذاب؟. فقيل: لا يمكن، لأنه لو أمكن لجاز وقوعه، وقيل: بل هو مقدور، لكن نعلم أنه لا يفعله * كما نعلم أنه لا يفعل كثيراً من الخوارق المقدورات، كقلب الجبل ياقوتاً، والبحر زيتاً[1].

قالوا: فنحن[2] نعلم بالضرورة أنه لا يفعلها، فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة أن لا يُعلم انتفاء وقوعها، بل قد يُعلم[3] عدم وقوعها بالاضطرار، وإن كنا نقول: إنها ممكنة مقدورة. وظهور المعجزات على يد الكذاب في دعوى النبوة من هذا الباب عندنا.

وقالوا: المعجز عَلَم على[4] صدق الأنبياء، فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه، وهذا القول حق، لكن منازعوهم يقولون: هو يستلزم نقيض ما نفوه، من كون الله يخلق شيئاً لشيء، ويخلق شيئاً بشيء، وما قالوا من كونه يَجُوز عليه فعل كل شيء، وكان ما ذكروه من الحق دليلاً على أن الخلق يعلمون ما يعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر، وأنه ــ سبحانه ــ منزه عن أن يفعل أشياء[5]، لا يجوز منه فعل كل شيء. وهم يقولون هنا: قد يكون الشيء ممكناً جائزاً مع العلم بأنه غير واقع، كانقلاب الجبال ياقوتاً،

= أصحاب الشافعي على الإطلاق، متفنن في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك كان مولده سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ ودفن في نيسابور.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ ــ ١٧٠؛ والبداية والنهاية ١٢٨/١٢.

(١) في ك و ط (زئبقاً).

(٢) في ك و ط زيادة (نجوز أشياء و).

(٣) في ك و ط (علم) بصيغة الماضي.

(٤) في أ (عين) ويظهر أنه تحريف نسخي.

(٥) في ك و ط (شيئاً).

والبحر زئبقاً[1]، وموت أهل البلد كلهم في لحظة، ومصير الأطفال علماء حكماء في لحظة واحدة.

وعلى هذا الجواب: يعتمدون كثيراً، كما يذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، والرازي، وغيرهم. ثم إنهم يقولون في العقل: أنه علوم ضرورية، كالعلم بوجوب الواجبات، وامتناع الممتنعات، وجواز الجائزات، فالممتنعات: كانقلابِ دجلة دماً، وأمثال ذلك من الأمور العادية، فيجعلون العادات واجبة تارة، وممتنعة أخرى، مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا.

ويقولون: نعلم أن هذا جائز ممكن، لا يتوقف على سبب، ولا له مانع كالآخر، ثم نعلم أن هذا واقع، وهذا غير واقع، لمجرد العادة، مع أن خرق العادة ليس له عندهم[2] ضابط، بل كل ما يجري[3] من العادات معجزات للأنبياء، فيجوز أن يكون عندهم للولي وللساحر. والفرق بينهما ــ عندهم ــ: التحدي أو عدم المعارضة. وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون: أسباب الآيات القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية، وهذه كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة، لكن النبي يقصد الخير والعدل، والساحر يقصد الشر والظلم.

---

(١) **الزئبق**: معدن سائل، يوجد في الكون منفرداً، ويوجد على حال أخرى، وهو سائل لماع يتجمد على درجة ــ ٤٠° تحت الصفر مئوية ويغلي على درجة ٣٦٠° ولا يتغير في الهواء.
انظر: دائرة معارف وجدي ٤/٥١٤.

(٢) في ط (عنده).

(٣) في ك و ط (يخرق).

وكذلك أولئك الذين وافقوا جهماً، على أصله في القدر، لا فرق عندهم بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة، لكن الولي مطيع لله، والساحر غير مطيع لله. هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب في أفعال الله ــ تعالى ــ.

وجمهور الناس يخالفونهم، ويقولون: هذا القول فاسد[1]، بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده، فإنه إذا تماثل هذا وهذا من كل وجه: فمن أين يُعلم وجود هذا أو وجوبه، وعدم هذا أو امتناعه. وإذا قيل: مستندي العادة. قيل له: منازعوك يقولون: هذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنك ــ أنت ــ تجوِّز انتقاض العادة، وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به، ولا حكمة انتقضت لأجلها، بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء والسحرة وغير ذلك، ولهذا قلتم ليس بين معجزات الأنبياء وبين[2] كرامات الأولياء والسحرة[3] فرق، إلَّا مجرد اقتران دعوى النبوة، والتحدي بالمعارضة، مع عدم المعارضة، مع أن التحدي بالمعارضة قد يقع من المشرك، بل ومن الساحر، فلم يثبتوا فرقاً يعود إلى جنس الخوارق المفعولة، ولا إلى قصد الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته.

والثاني: أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع، يعلم بها اطرادها تارة، وانتقاضها أخرى، وبهذا يظهر الجواب عما قالوه: من أن انقلاب الجبل ذهباً، والبحر زئبقاً، والأناسي قروداً، ونحو ذلك ممكن معلوم

---

(١) سقطت (فاسد) من أ وقد استدركناها من ك و ط.

(٢) سقطت (بين) من ط.

(٣) في أ بإسقاط التاء المربوطة فتكون (السحر) والسياق دال على ما في ك و ط فلهذا أثبتناها منهما.

الجواز، مع العلم بأنه لم يقع، فإنهم يقال لهم: جمهور[1] الناس لا يسلمون لكم أن هذا ممكن إلاَّ مع لوازمه، وانتفاء أضداده، وحينئذ يقال[2]: لم قلتم إن هذا لا يستلزم أسباباً تكون قبله، وموانع ترتفع، كسائر ما يحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة. فإنه لا يحدث شيئاً إلَّا بإحداث أسباب، ودفع موانع.

مثال ذلك: غَرَق قوم نوح، لم يكن ماء وجد بلا سبب، بل أنزل الله ماء السماء، وأنبع ماء الأرض، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ [3] ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ [4] ﴾[5].

وكذلك عاد لما أهلكهم، أرسل[6] الريح الصرصر، سبع ليال وثمانية أيام حسوماً[7]، كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) سقطت (جمهور) من ط.

(٢) في ك و ط (فيقال).

(٣) وازدجر: أي انتهره قومه وزجروه عن دعوى النبوة، بالسب والتخويف والوعيد، بقولهم:
﴿... **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين**﴾ [سورة الشعراء: الآية ١١٦].
انظر: البحر المحيط ٨/١٧٦.

(٤) **الدُّسر**: المسامير.
انظر: البحر المحيط ٨/١٧٧.

(٥) سورة القمر: الآيات ٩ ـ ١٣.

(٦) في ط زيادة (عليهم).

(٧) حسوماً: أي متتابعة لا تفتر ولا تنقطع.
انظر: صفوة التفاسير ٢٩/٤٣٥.

﴿. . . (1) فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾(2)؟.

وكذلك ثمود، قال لهم صالح:

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ(3) أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا(4) لِّثَمُودَ﴾(5).

وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات: آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته، كآيات(6) موسى، من مثل مصير العصى حية، كانت بعد أن ألقاها، إما عند أمر الله له بذلك، لما ناداه من الشجرة، ورأى النار الخارقة للعادة(7)، وإما عند مطالبة فرعون له

---

(1) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. . .﴾ [سورة الحاقة: الآية ٦].

(2) سورة الحاقة: الآيتان ٧، ٨.

(3) كأن لم يغنوا فيها: أي كأن لم يقيموا في ديارهم، ولم يعمروها.
انظر: صفوة التفاسير ٢٣/١٢.

(4) بعداً: سحقاً وهلاكاً ولعنة.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(5) سورة هود: الآيات ٦٤ ـ ٦٨.

(6) في ك و ط (فآيات).

(7) سقطت (للعادة) من ك و ط.

بالآية، وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم. وكذلك سائر آياته، حتى إغراق فرعون، كان بعد مسير الجيش، وضربه البحر بالعصا، وكذلك تَفَجُّر[1] الماء من الحجر، كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه، واستسقاء قومه إياه، وهم في بَرِّية لا ماء عندهم.

وكذلك آيات نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، مثل تكثير الماء، كان بوضع يده فيه، حتى نبع الماء من بين الأصابع، أي تفجر[2] الماء من بين الأصابع، لم يخرج من نفس الأصابع. وكذلك البئر، كان ماؤها يكثر، إما بإلقائه سهماً من كنانته فيها، وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها. وكذلك المسيح، كان يأخذ من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، إلى أمثال ذلك.

فأما جبل ينقلب ياقوتاً، بلا أسباب تقدمت ذلك، فهذا لا كان ولا يكون، وكذلك نهر يطّرد، يصبح لبنا بلا أسباب تقتضي ذلك، يخلقها الله، فهذا لا كان ولا يكون، ومن قال إن الشيء ممكن، فهذا يُعنى به شيئان: يعنى به الإمكان الذهني، والإمكان الخارجي.

فالإمكان الذهني: هو عدم العلم بالامتناع، وهذا ليس فيه إلَّا عدم العلم بالامتناع، وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالإمكان، فكل من لم يعلم امتناع شيء، كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار، لكن هذا ليس بعلم بإمكانه، ومن استدل على إمكان الشيء: بأنه لو قدر لم يلزم منه محال، من غير بيان انتفاء لزوم كل محال، كما يفعله طائفة من أهل الكلام، كالآمدي[3] ونحوه لم يكن فيما ذكره إلَّا مجرد الدعوى.

---

(١) في ك و ط (تفجير).

(٢) في ك (يفجر) بالياء في أوله.

(٣) الآمدي: هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين، كان حنبلياً ثم صار شافعياً، ألف عدة كتب منها: أبكار =

وأما الثاني: وهو العلم بإمكان الشيء في الخارج، فهذا يُعلم بأن يُعلم وجوده، أو وجود نظيره، أو وجود ما هو أقرب إلى الامتناع منه، فإذا كان حَمْل البعير للقنطار[1] ممكناً، كان حمله لتسعين رِطلاً[2] أولى بالإمكان، وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن إمكان ما يريد بيان إمكانه، كإحياء الموتى والمعاد، فإنه يبين ذلك: تارة ببيان وقوعه، كما أخبر أن قوم موسى قالوا:

﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً . . . ﴾[3].

فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون.

وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فأحياه الله، كما قال:

= الأفكار، وكتاب رموز الكنوز، وكتاب أحكام الأحكام، وكتبه قرابة العشرين. درس بمصر ثم انتقل إلى حماة بالشام ثم إلى دمشق، ومات سنة ٦٣١هـ وكانت ولادته سنة ٥٥١هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٩٣ ـ ٢٩٤؛ ولسان الميزان ٣/١٣٤ ـ ١٣٥؛ ومعجم المؤلفين ٧/١٥٥.

(١) **القنطار**: وزن أربعين أوقية من ذهب، أو ألف ومئتا دينار، أو ألف ومئتا أوقية أو سبعون ألف دينار وثمانون ألف درهم أو ملء جلد ثور ذهباً أو فضة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٧٠٠.

(٢) الرطل: اثنا عشرة أوقية، والأوقية: أربعون درهماً، والدرهم: ثمان وأربعون حبة بر أو شعير.

انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٥١ و ٤/٢٧٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ (١) فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

وكما أخبر عن الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم (٣). وكما أخبر عن الذي:

﴿... مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

وأخبر ـ سبحانه ـ بنظير ذلك في قصة إبراهيم حيث قال:

﴿... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥).

واستدل ـ سبحانه ـ بما هو أعظم من ذلك، وهو النشأة الأولى وخلق السموات والأرض (٦)، كقوله (٧):

---

(١) ادارأتم: اختلفتم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٦٠.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٧٢، ٧٣.

(٣) كما جاء في سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٦) سقطت جملة (وخلق السموات والأرض) من ط.

(٧) سقطت (كقوله) من ك مع أول الآية، وفي ط (قال).

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[1].

وقال:

﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ . . . ﴾.

إلى قوله[2]:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[3].

فاستدل ـ سبحانه[4] ـ على إمكان الإحياء بابتداء خلق الحيوان، وبخلق النبات، وذكر ذلك في القرآن في غير موضع، وبَسْط هذا له موضع آخر[5].

والمقصود: أن قول القائل: هذا ممكن، لا يحتاج إلى دليل، لا يكفي في العلم[6] بإمكانه عدم العلم بامتناعه، والله ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير. والممتنع ليس بشيء باتفاق العقلاء، وكل ما خلقه الله فلا بد أن يخلق لوازمه، ويمتنع أضداده، وإلَّا فيمتنع وجود الملزوم

---

(١) سورة يس: الآية ٨١.

(٢) في ك و ط أورد الآية كاملة.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) لم يرد التسبيح في أ.

(٥) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٢٩٨/٣ ـ ٢٩٩ و ٢٢٤/٩ و ٢٥١/١٧ ـ ٢٥٩.

(٦) في ط (العالم).

دون[1] اللازم، ويمتنع اجتماع الضدين، وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق، ولا أضداده المنافية لوجوده.

فالجزم بإمكان وجوده، بدون العلم بلوازمه وإمكانها وأضدادها وانتفائها: جهل، والله ــ سبحانه ــ قادر على تغيير ما شاءه من العالم، وهو يشق السموات، ويُسَيِّر الجبال، ويَبُسها بساً[2]، فيجعلها هباء منبثاً، إلى أمثال ذلك، مما أخبر الله به، كما يخلق سائر ما يخلقه بما ييسره[3] من الأسباب، وهذا مبسوط في موضع آخر[4].

آيات الأنبياء تكون قبل مبعثهم، وفي حياتهم، وبعد موتهم

والمقصود هنا: أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث، وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم، فقبل المبعث[5]: مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به[6] ومثل الإرهاصات[7] الدالة عليه. وأما حين المبعث فظاهر، وأما في حياته فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه. وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه، كما قال ــ تعالى ــ:

---

(١) في ك و ط (بدون).

(٢) البس: الفت.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨.

(٣) في ك و ط (يسره).

(٤) راجع ــ إن شئت ــ درء تعارض العقل والنقل ٨/١٠٣ ــ ١٠٨.

(٥) سقطت (المبعث) من ط.

(٦) سقطت (به) من ط.

(٧) من الارهاص: وهو المقدمة للشيء والإيذان به.
انظر: اللسان ٧/٤٤، مادة رهص.
في ك (الاتهامات) وقد صوبها في الهامش (الارهاصات).

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴾[2].

وقال للمسيح :

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ . . . ﴾[3].

وقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ﴾[4].

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جعلت له الآيات البينات، قبل مبعثه، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته، إلى الساعة[5] وإلى قيام

---

(١) سورة غافر: الآية ٥١.
الأشهاد: هم الذين يشهدون بأعمال العباد، من ملك ونبي ومؤمن.
انظر: صفوة التفاسير ١٠٦/٢٤.
(٢) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٤) سورة الصف: الآية ١٤.
(٥) سقطت جملة (إلى الساعة) من ك و ط.

الساعة، فإن ذِكْره[1] وذِكْر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة، كما قد بسط في موضعه[2].

والخليل دعا به فقال ـ في دعائه لذريته ـ :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . . . ﴾[3].

ولمَّا ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف، وجرى ذلك

---

(١) زادت جملة (إلى الساعة) هنا في ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (وقد تقدم بعض ذلك).

وقد أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عباس، قال: لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مَرَّ به على كاهنة من أهل تُبَالة (بلد باليمن) متهودة قد قرأت الكتب يقال لها: فاطمة بنت مُرّ الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: يا فتى! هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل، فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه ... والحلال حل فأستبينه
فكيف لي الأمر الذي تبغينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة. . . ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الخثعمية، فأتاها، فقالت: يا فتى ما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة. . . قالت: إني والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون في، وأبى الله إلَّا أن يصيره حيث أحب. . . وذكر شعراً قالته فاطمة.

ثم عقَّب أبو نعيم، بقوله: ففي ابتغاء اليهود واليهودية وضع هذا النور الذي انتقل إلى آمنة. . . وذِكْرهم بني زهرة، وأن هذا الأمر لا يكون إلَّا فيهم: دلالة واضحة على تقديم الخبر والبشارة بذلك في الكتب السالفة، وما يكون من أمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبعثته، كل ذلك آيات واضحة، وبراهين صحيحة لائحة على نبوته، وبعثته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

انظر: الدلائل لأبي نعيم ١/١٦٤ ـ ١٦٧.

وانظر صفحة ٢٢٧ وما بعدها، م ١، الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه، د. علي بن ناصر.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

العام قصة أصحاب الفيل المشهورة[1]، وكان يحصل له في مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة، قد ذُكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها[2] مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها. ومثل ما شوهد من أحواله في صغره. وأما انتصار الله له ولأتباعه، وإعلاء ذكره، ونشر لسان الصدق له، وإهلاك أعدائه، وإذلال من يحاده[3] ويشاقه، وإظهار دينه على كل دين باليد، واللسان، والدليل، والبرهان، فهذا مما يطول وصف تفصيله، قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[5].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١/٤٤ ـ ٦٣؛ والدلائل لأبي نعيم ١/١٧٨ ـ ١٨٩؛ والدلائل للبيهقي ١/٨٥.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١/١٧١ ـ ١٧٧؛ والدلائل لأبي نعيم ١/١٩٢ ـ ٢٠٣؛ والدلائل للبيهقي ١/١٣٣ ـ ١٤٩.

(٣) **يحاده**: يخالفه، ويمنع ما يجب عليه.
انظر: مختار الصحاح ص ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

والأنبيـاء ـ صلوات الله عليهم ـ وأتبـاعهم المؤمنـون وإن كـانـوا يبتلون في أول الأمر، فالعاقبة لهم، كما قال ـ تعـالى ـ لما قص قصـة نوح:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

وفي الحـديث المتفق على صحتـه لمـا أرسـل النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ رسولاً إلى ملك الـروم، فطلب من يخبـره بسيرتـه، وكان المسؤولون[٢] حينئذ أعداءه، لم يكونوا آمنوا بـه، فقال: «كيف الحـرب بينكم وبينه»؟ قالـوا: «الحرب بيننـا وبينه سجـال[٣]، يدال علينـا المرة، وندال عليه الأخرى»[٤].

فقال: «كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة».

فـإنـه كـان يـوم بـدر: نصـر الله المؤمنين، ثم يـوم أحد: ابتلى المؤمنين، ثم لم يَنْصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الإسلام.

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) في ك و ط (المشركون).

(٣) **سجال**: من السِّجْل: وهـو الدلـو، أصله أن المستقيين بسِجلين من البئر يكـون لكل واحد منهما سجل: أي دلو ملأى ماء.
انظر: اللسان ١١/٣٢٥، مادة سجل.

(٤) **يدال**: أي نغلبه مـرة ويغلبنا أخـرى، من الدولـة: وهو الانتقـال من حال الشـدة إلى حال الرخاء.
انظر: المصدر السابق ١١/٢٥٢، مادة دول.

فإن قيل[1]: ففي الأنبياء من قد قتل، كما أخبر الله أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق، وفي أهل الفجور من يؤتيه الله ملكاً وسلطاناً، ويسلطه على مُذْنِبين[2]، كما سلط (بخت نصر) على بني إسرائيل، وكما يسلط[3] كفار المشركين وأهل الكتاب أحياناً على المسلمين[4]. قيل: أما من قتل من الأنبياء، فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيداً. قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ[5] كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]

ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه[7]، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[8].

---

(١) في ط (قيلي) وهو خطأ مطبعي.

(٢) في ك (مدينتين) وفي ط (المتدينين).

(٣) في ك و ط (سلط).

(٤) والشواهد في هذه الأيام على ذلك أكثر من أن تحصى.

(٥) ربيون: علماء ربانيون وعباد صالحون.
انظر: صفوة التفاسير ٤/٢٣٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

(٧) حتف أنفه: أي بلا ضرب ولا قتل، وهو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات، وكانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه، فإن جرح خرجت من جراحته.
انظر: اللسان ٩/٣٨، مادة حتف.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ[1] بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . . .﴾[2].

أي إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة، ثم الدِّين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة، من قتل منهم كان شهيداً، ومن عاش منهم كان[3] منصوراً سعيداً، وهذا غاية ما يكون من النصر، إذ كان الموت لا بد منه، فالموت على الوجه الذي يحصل[4] به سعادة الدنيا والآخرة أكمل، بخلاف من يهلَك هو وطائفته، فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم، وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهم اختاروا هذا الموت، إما أنهم قصدوا الشهادة، وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون[5] شهداء، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة، وفي الدنيا بانتصار طائفتهم، وببقاء لسان الصدق لهم: ثناء ودعاء، بخلاف من هلك من الكفار، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم، هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة هم من المقبوحين، وقيل فيهم:

---

(١) تربصون: تنتظرون.
انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٤١.
(٢) سورة التوبة: الآية ٥٢.
(٣) سقطت (منهم كان) من ط.
(٤) في ك و ط (تحصل) بالتاء في أوله.
(٥) في أ (يصيروا) وقد صوبناه من ك و ط.

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ [١] وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾[٢].

وقد أخبر ــ سبحانه ــ أن كثيراً من الأنبياء قُتل معه ربيون كثير، أي ألوف كثيرة[٣]، وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. فإذا كان هذا قتلى[٤] المؤمنين، فما الظن بقتلى[٥] الأنبياء، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح.

وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب[٦] ذنوب المسلمين، كيوم أحد، فإن تابوا انتصروا على الكفار، وكانت العاقبة لهم، كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار، وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها، فإن النبي إذا قاموا بعهوده ووصاياه، نصرهم

---

(١) روى ابن جرير الطبري في جامع البيان **١٢٥/٢٥** بإسناده عن شريح الحضرمي، قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ألا لا غربة على المؤمن، ما مات مؤمن في غربة، غابت عنه فيها بواكيه، إلَّا بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: ﴿... **فما بكت عليهم السماء والأرض**...﴾، ثم قال: «إنهما لا يبكيان على الكافر» وإسناده: حدثنا يحيى بن طلحة، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمرو، عن شريح.

(٢) سورة الدخان: الآيات **٢٥ ــ ٢٩**.

(٣) تفسير القرآن العظيم **١١١/٢**.

(٤) في ك و ط (قتل).

(٥) في ك و ط (بقتل).

(٦) في ك و ط (سبب).

الله، وأظهرهم على المخالفين له، فإذا ضيعوا عهوده، ظهر أولئك[1] عليهم، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجوداً وعدماً، من غير سبب يزاحم ذلك، ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً من غير مزاحمة: وصف آخر، موجب للعلم[2] بأن المَدَار علة للدائر.

وقولنا: من غير مزاحمة، وصف آخر يزيل النقوض الواردة، فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي، وأنه ـ سبحانه ـ يريد إعلاء كلمته ونصره، ونصر أتباعه على من خالفه[3]، وأن يجعل لهم السعادة، ولمن خالفهم الشقاء، وهذا يوجب العلم بنبوته، وأن من اتبعه كان سعيداً، ومن خالفه كان شقياً، ومن هذا: ظهور (بخت نصر) على بني إسرائيل، فإنه من دلائل نبوة موسى، إذ كان ظهور (بخت نصر) إنما كان لمّا غيروا عهود موسى، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بذلك، وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين، كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا

(١) سقطت (أولئك) من ط.
(٢) في ك و ط (يوجب العلم).
(٣) في ط (خالفهم).

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[١].

فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة، وظهور عدوهم[٢] تارة، من دلائل نبوة موسى ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[٣]، وكذلك ظهور أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم[٤] تارة، هو من دلائل رسالة محمد وأعلام نبوته، وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم، في حياته وبعد موته، كما جرى لهم مع[٥] يوشع وغيره، من دلائل نبوة موسى.

وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[٦]، في حياته وبعد مماته مع خلفائه، من أعلام نبوته ودلائلها، وهذا بخلاف الكفار، الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحياناً، فإن أولئك لا يقول مطاعهم: إني نبي، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين، ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم، بل قد يصرحون: بأنا إنما نصرنا عليكم بذنوبكم، وأن لو اتبعتم دينكم لم نُنصر عليكم، وأيضاً ــ فلا عاقبة لهم، بل الله يهلك الظالم بالظالم، ثم يهلك الظالمين جميعاً، ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت، ولا يختارون القتل لِيَسْعَدوا بعد الموت، فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم، وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ٤ ــ ٨.
(٢) في ك و ط زيادة (عليهم).
(٣) في ك و ط زيادة (وآياته).
(٤) سقطت (عليهم) من ط.
(٥) في ط (من).
(٦) الجملة الدعائية ليست في أ ولا ك.

وبين أن ظهور محمد وأمته على أهل الكتاب: اليهود والنصارى، هو من جنس ظهورهم على المشركين، عُبَّاد الأوثان، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته، ليس هو كظهور (بخت نصر) على بني إسرائيل، وظهور الكفار على المسلمين، وهذه الآية مما أخبر بها موسى.

وَبَيِّنٌ أن الكذاب المدعي للنبوة لا يَتِم أمره، وإنما يتم أمر الصادق، فإن من أهل الكتاب من يقول: «محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا، مع صحة ديننا الذي نحن عليه، كما سلط (بخت نصر) وغيره من الملوك». وهذا قياس فاسد، فإن (بخت نصر) لم يدعِ نبوة، ولا قاتل على دين، ولا طلب من بني إسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى إلى شريعته، فلم يكن في ظهوره إتماماً[1] لما ادعاه من النبوة، ودعا إليه من الدين، بل كان بمنزلة المحاربين، قطاع الطريق، إذا ظهروا على القوافل، بخلاف من ادَّعى نبوة وديناً دعا إليه، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة، ثم نصره الله وأظهره، وأتم دينه، وأعلا كلمته، وجعل له العاقبة، وأذل مخالفيه، فإن هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة، فإنه دليل عليها، وذلك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة، فإنه ليس دليلاً عليها.

وقد يَغْرق في البحر أمم كثيرة، فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي، بخلاف غرق فرعون وقومه، فإنه كان آية بينة لموسى، وهذا موافق لما أخبر به موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن الكذاب لا يتم أمره، وذلك أن[2] الله حكيم، لا يليق به تأييد الكذاب على

---

(١) في ك و ط (إتمام).

(٢) في ك و ط (بأن).

كـذبـه، من غيـر أن يتبين[1] كـذبـه، ولهـذا أعظم الفتن فتنـة الـدجـال الكذاب، لما اقترن بدعـواه الإلٓهية بعض الخـوارق، كان معهـا ما يـدل على كذبه من وجوه:

منهـا: دعواه الإلٓهيـة وهو أعـور، والله ليس بـأعـور، مكتـوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء، والله ــ تعالى ــ لا يراه أحـد حتى يمـوت. وقـد ذكـر النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ هـذه العـلامات الثـلاث في الأحاديث الصحيحـة[2]، فأمـا تـأييـد الكـذاب، ونصـره، وإظهـار دعـوتـه دائمـاً، فهـذا لم يقـع قط، فمن يستـدل على مـا يفعله الرب ــ سبحـانه ــ بـالعـادة والسنـة، فهـذا هـو الـواقـع، ومن يستـدل[3] على ذلك[4] بـالحكمة، فحكمتـه تناقض أن يفعـل ذلك، إذ الحكيم لا يفعل هذا، وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[5].

فـأخبـر أن سنـة الله[6] التي لا تبـديـل لهـا نصـر المؤمنين على الكافرين.

والإيمـان المستلزم لذلـك يتضمن طاعـة الله ورسولـه، فإذا نُقض

---

(١) في ك و ط (يبين).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الدجال ١٣/٩١ (٧١٣١) من الفتح، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٤/٢٢٤٨ ٢٢٤٩ (٢٩٣٣ ــ ٢٩٣٤).

(٣) سقطت (ومن يستدل) من ك و ط.

(٤) في ك و ط زيادة (أيضاً).

(٥) سورة الفتح: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٦) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ، وفيها (سنته).

الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه، كما جرى يوم أحد. وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ (١) لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ (٢) وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣).

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلَّا سنة الأولين، ولا يوجد لسنة الله تبديل[٤]، تستبدل[٥] بغيرها، ولا تتحول، فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم؟.

وكذلك قال في المنافقين ـ وهم الكفار في الباطن دون الظاهر ـ ومن فيه شعبة نفاق:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ (٦) فِى ٱلْمَدِينَةِ

---

(١) جهد أيمانهم: أشد الأيمان وأبلغها.
انظر: صفوة التفاسير ٢٢ / ٥٨٠.

(٢) مكر السيِّىء: أي المكر السيِّىء بالرسول وبالمؤمنين ليفتنوا ضعفاء الإيمان عن دين الله.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة فاطر: الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٤) في ك (تبديلاً) بالنصب.

(٥) في ك و ط (لا تبدل).

(٦) **المرجفون**: ناس كانوا يرجفون بأخبار السؤ عن سرايا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيقولون: هزموا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين، يقال: ارجف بكذا: إذا أخبر به على غير حقيقة، لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت، من الرجفة: وهي الزلزلة.
انظر: الكشاف ٣/٢٧٤.

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(١).

والسنة: هي العادة(٢) فهذه عادة الله المعلومة، فإذا نصر من ادَّعى النبوة واتباعه على من خالفه، إما ظاهراً وباطناً، وإما باطناً(٣)، نصراً مستقراً، كان(٤) ذلك دليلاً(٥) على أنه نبي صادق، إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها.

ومن ادَّعى النبوة وهو كاذب، فهو من أكفر الكفار، وأظلم الظالمين، قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ . . . ﴾(٦).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾(٧).

---

(١) سورة الأحزاب: الآيات ٦٠ ــ ٦٢.

(٢) انظر: اللسان ١٣/٢٢٥ ــ ٢٢٦، مادة سنن.

(٣) في ك و ط (إما ظاهراً وإما باطناً).

(٤) في ك و ط (فإن).

(٥) في ط (دليل).

(٦) سورة الأنعام: الآية ٩٣.
بعد هذه الآية في ك و ط زيادة: وقال ـ تعالى ـ:
﴿فمن أظلم ممن كَذَب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه. . .﴾ [سورة الزمر: الآية ٣٢].

(٧) سورة الزمر: الآية ٣٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

ومن كان كذلك، كان الله يمقته، ويبغضه، ويعاقبه، ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة، قال: «إن الله يملي[2] للظالم، فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[3].

وقال أيضاً في الحديث[4] الصحيح عن أبي موسى، أنه قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «مثل المؤمن: كمثل الخامة من الزرع[5] تفيئها[6] الرياح، تقومها[7] تارة وتميلها أخرى، ومثل

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٤.

(٢) **يملي**: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة. وهو مشتق من الملوة وهي المدة والزمان.
انظر: شرح النووي لمسلم ١٦/١٣٧.

(٣) سورة هود: الآية ١٠٢.
صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود، باب: (وكذلك أخذ ربك...) ٨/٣٥٤ (٤٦٨٦) من الفتح بمثله. ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ (٢٥٨٣).

(٤) سقطت كلمة (الحديث) من ط.

(٥) **الخامة**: الغضة الرطبة من النبات.
انظر مختار الصحاح ص١٩٣.

(٦) في ط (تقيمها).

(٧) في ك (تقيمها). وقد سقطت من ط.

المنافق: مثل شجرة الأرْز[1] لا تزال ثابتة على أصلها، حتى يكون انجعافها مرة واحدة»[2]. فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة[3]، فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذَمِّه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعاً، ويزول سريعاً، كدولة الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي[4] ونحوهم.

وأما الأنبياء: فإنهم يبتلون كثيراً، ليمحصوا[5] بالبلاء، فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه[6]، ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً، كالزرع، قال ـ تعالى ـ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ[7] فَـَٔازَرَهُۥ[8] فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

---

(١) **شجرة الأرز**: هو ذكر الصنوبر، وليس هو من نبات أرض العرب، ولا ينبت في السباخ، بل يطول طولاً شديداً ويغلظ.
انظر: الفتح الرباني ١٠/١٠٧.

(٢) صحيح البخاري بنحوه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ١٠/١٠٣ (٥٦٤٣) من الفتح. ومسلم، بنحوه من عدة روايات، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٤/٢١٦٣ ـ ٢١٦٤ (٢٨٠٩ ـ ٢٨١٠).

(٣) في ك و ط (عظمت دولته).

(٤) لم أجد له أي ذكر.

(٥) ليمحصوا: ليخلصوا من الشوائب.
انظر: مختار الصحاح ص ٦١٦.

(٦) في ط (ابتلاء).

(٧) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي فراخه).

(٨) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قواه).

سُوقِهِۦ[1] يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[2].

ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس. فاعتبار هذه الأمور، وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين، وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين، مما يوجب الفرق بين النوعين، وبيْن دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبيء الكذاب.

وقد ذُكر ابتلاء النبي والمؤمنين، ثم كون العاقبة لهم في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ

---

(١) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قوائمه).

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1] .

• • •

(١) سورة يوسف: الآيات ١٠٩ ـ ١١١.

فصل

دلائل النبوة أخبار تحمل الترغيب والترهيب

ومما ينبغي أن يعرف، أن الأدلة نوعان:

نوع: يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه. **ونوع**: يحض ــ مع ذلك ــ على الرغبة فيه، أو الرهبة منه.

فالأول[1]: من جنس الخبر المجرد.

والثاني: من جنس الحث والطلب والإرادة والأمر بالشيء، والنهي عنه، وذلك كمن علم أن في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات، أو نبات ليس له فيها غرض، لا حب، ولا بغض، فليس هو بمنزلة من علم أن في المكان الفلاني صديقه، وولده، ومحبوبه، وماله، وأهله، وأهل دينه، وفي المكان الفلاني عدوه، ومبغضه، ومن يقطع عليه الطريق، ويقتله، ويأخذ ماله. فكذلك دلائل النبوة، هي كلها تدل على صدق النبي، ثم يُعلم ما يخبِر به النبي من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لأنه أخبر عن الله بذلك، وهو صادق فيما يخبر به، فهذا طريق صحيح عام.

وأما إثبات نبوة الأنبياء: بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة والسعادة، والنصرة وحسن العاقبة، وما جعله لهم من لسان الصدق، وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب، وسوء العاقبة، وإتباعهم

(١) في أ (والأول)

اللعنة في الدنيا، مع عذاب الآخرة، فهذا يدل ــ مع صدق الأنبياء[1] ــ على الرغبة في اتباعهم، والرهبة من مخالفتهم، ففيه العلم بصدقهم، والموعظة[2]. والوعظ: هو أمر ونهي بترغيب وترهيب، قال ــ تعالى ــ :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ . . . ﴾[3].

أي يؤمرون به[4] وقال:

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

أي ينهاكم الله أن تعودوا لمثله، وهذه الطريق أكمل وأبلغ في حصول المقصود، فإنها تفيد العلم بصدقهم، والرغبة في اتِّباعهم، والرهبة من خلافهم، وتفيد[6] صحة الدين الذي دعوا إليه، وسعادة أهله، وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة أهله.

ولهذا كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقرأ في صلاة[7] العيد

---

(١) في أ (النبي)، وكذلك أكسفورد.

(٢) في ك و ط زيادة (للخلق).

(٣) سورة النساء: الآية ٦٦.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ :
﴿. . . لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً * وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً * ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ [سورة النساء: الآية ٦٦ ــ ٦٨].

(٤) في ك و ط زيادة (أي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به، وما يؤمرون به) وفي ك (ما يوعظون به: يؤمرون به).

(٥) سورة النور: الآية ١٧.

(٦) في ك و ط زيادة (ثبوت).

(٧) في ك و ط زيادة (المجامع الكبار، كصلاة).

بـ (قاف) و (اقتربت الساعة)[1] لما فيهما من بيان ذلك، وسورة قاف، كان يقرأ بها في الجمعة[2]، فإنها جامعة لإثبات النبوات والمعاد[3]، وبيان حال متبعي الأنبياء ومخالفيهم في الدنيا، كما قال ـ تعالى ـ فيها:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[4].

• • •

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين ٦٠٧/١ (٨٩١)؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ٣٠٠/١ (١١٥٤)؛ وسنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين ٤١٥/٢ (٥٣٤)؛ وسنن النسائي كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ١٨٣/٣؛ والموطأ، كتاب العيدين، باب ما جاء في التكبير والقراءة في العيدين ١٨٠/١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٥/٢ (٨٧٣)؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس ٢٨٨/١ (١١٠٠)؛ وسنن النسائي كتاب الجمعة، باب القراءة في الخطبة ١٠٧٣/٣.

(٣) في ك و ط زيادة (مع ما فيهما من التوحيد وأصول الشرائع).

(٤) سورة قاف: الآيات ١٢ ـ ١٤.

فصل

من طلب آية ثانية وثالثة: هل يجاب؟ والحكمة من تتابع الآيات

ومما ينبغي أن يعلم: أن الله إذا أرسل نبياً وأتى بآية دالة على صدقه، قامت بها الحجة، وظهرت بها المحجة، فمن طالبهم بآية ثانية، لم تجب إجابته إلى ذلك، بل وقد لا ينبغي ذلك، لأنه إذا جاء بآية ثانية، طولب بثالثة، وإذا جاء بثالثة، طولب برابعة، وطلب[1] المتعنتين لا أمد له، ومعلوم أنه من قامت عليه حجة[2] في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، وقال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة، كان ظالماً متعدياً، ولم يجب[3] إجابته إلى ذلك، ولا يُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك، بل إذا قامت البينة بحق المدعِي حُكم له بذلك، ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية وثالثة ورابعة، لم يُجَب إلى ذلك. فحق الله الذي أوجبه على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى، إذا أقام بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله، أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة، فيتابع ــ تعالى ــ بين الآيات، كما أرسل محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بآيات متعددة، لعموم دعوته وشمولها، فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد

(١) في ك و ط (فإن طلب).
(٢) في ك و ط زيادة (وبينة).
(٣) في ك و ط (تجب).

كان أوكد، وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة من لا يَعْرف الآخر، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، وتُقَسىٰ[1] قلوب الكفار عن الإيمان، لتتابع الآيات آية بعد آية، لينتشر ذلك ويظهر، ويبلغ ذلك قوماً آخرين، فيكون ذلك سبباً لإيمانهم، كما فُعِل بآيات موسى وآيات محمد، كما ذُكِر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون، لتظهر عجائبه وآياته[2]، وكما صدَّ المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى[3] يمانعوه، ويسعوا في معارضته، والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته، فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه، بخلاف ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك، فإنه قد كان يُظَن أنهم قادرون على معارضته، وكذلك ــ أيضاً ــ يكون في ذلك على[4] يقينه، وصبره، وجهاده، ويقين من آمن به[5]، وصبرهم، وجهادهم، ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة.

وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال، كما ذكره الله في كتابه، من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها، فتارة يجيبهم الله إلى ذلك، لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم، لما في ذلك من المضرة والمفسدة، عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون: إنه يفعل للحكمة. ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى

---

(١) في ك و ط (يقسي).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح السابع، ٤ ــ ٥؛ والإصحاح الثامن ٢٠؛ والإصحاح التاسع ١٣؛ والإصحاح الحادي عشر ١٠. العهد القديم ٧٩ و ٨١ و ٨٣ ــ ٨٥.

(٣) في ك و ط زيادة (يعارضوه، و).

(٤) في ك و ط (من).

(٥) هكذا في ك و ط (آمن به) وفي أ (من أمره) وما في ك و ط أولى.

محض المشيئة، ويقول: إقترن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله، وإن لم يفعل هذا لهذا.

وقد كان الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ربما طلب تلك الآيات، رغبة منه في إيمانهم بها، فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها، والله ـ تعالى ـ قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما، لما في ذلك من الحكمة العظيمة، كما دلَّ على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما، وقد بيَّن[1] أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها، أو لوجود المفسدة، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ[2] ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا[3] مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ

---

(١) في ك و ط (تبين).

(٢) **يعمهون**: يتخبطون ويترددون متحيرين.
انظر: صفوة التفاسير ٤١١/٧.

(٣) **قبلاً**: مقابلة ومواجهة وعياناً ومشاهدة.
انظر: المصدر السابق ٤١٢/٧ ـ ٤١٣.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ١٠٩ ـ ١١١.

ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ[1] فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[2].

بيَّن ـ سبحانه ـ أنما منعه[3] أن يرسل بالآيات إلَّا تكذيب الأولين بها، الذي استحقوا بها الهلاك، فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال، وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث، وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش، عن جعفر بن إياس[4]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «سأل أهل مكة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا، قال: فقيل له: إن شئت تستأني بهم[5] وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أُهْلِكت من قبلهم، قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ . . .﴾[6].

---

(١) **مبصرة**: أيْ: آية بينة ومعجزة ساطعة واضحة.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٦٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٣) في ك (أنه إنما) وفي ط (أنه ما).

(٤) **جعفر بن إياس**: هو أبو بشر بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، مات سنة ١٢٤هـ وهو ساجد خلف المقام.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٥ ـ ٤٦٦؛ وتقريب التهذيب ١/١٢٩.

(٥) في ك و ط زيادة (نجتبي منهم).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٩.
أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٠٨ والإمام أحمد في المسند ١/٢٥٨ وأورده الهيثمي في المجمع ٧/٥٠ بروايتيه وقال: «ورجال الروايتين رجال الصحيح. إلَّا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم وهو وهم، وفي بعضها =

وروى ابن أبـي حاتم وغيره، عن مـالك بن دينـار، قال: «سمعت الحسن[1] البصري في قوله:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ . . .﴾[2].

قال: رحمة لكم أيتها الأمة، أنـا لو أرسلنـا بالآيـات فكذبتم بهـا، أصابكم ما أصاب من قبلكم»[3].

وفي الإنجيل: أن اليهود طلبوا من المسيح آيـة من السماء، فقـال لهم المسيح: «الأمة الفاجرة تطلب آية، ولا تعطى إلا مثل آية نونان»[4].

= عمـران أبو الحكم وهـو ابن الحارث وهـو الصحيح. ورواه البـزار بنحوه». وأخـرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٣٦٢/٢ وقال: «هذا حـديث صحيح الإسنـاد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبـي.

في ك و ط زيـادة (رواه أحمـد والنسـائي من حـديث جـريـر، عن الأعمش. وروى الإمام أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، أنبأنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمـران بن حكيم، عن ابن عبـاس قـال: قـالـت قـريش للنبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: ادع لـنـا ربك يجعـل لنا الصفـا ذهباً، ونؤمن لـك، قال: «وتفعلون؟»، قالوا: نعم. قال: فدعا، فأتاه جبريل، فقال: «إن ربك يقرئـك السلام، ويقـول: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العـالمين. وإن شئت فتحت لهم بـاب التـوبـة والـرحمة»، قـال: «بل بـاب التـوبـة والرحمة»).

(١) في ك و ط زيادة (يعني).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٣) أخرجه ابن جرير في جـامع البيـان ١٠٨/١٥. وإسناده: حـدثني إسحاق بن وهب، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مسعود بن عباد عن مالك بن دينار عن الحسن.

(٤) في ط (يونان).
في ك و ط زيادة (يعني ذا النون).
نونان: تسمية بالنون وهو الحوت، وذو النون لقب يونس بن متى ــ عليه السلام ــ.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٨٦.
نص الترجمة الحَـالية: «حينـئـذ أجاب قـوم من الكتبة والفـريسيين قائلين: يـا معلم! =

وقد كانت الآيات يأتي بها محمد[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ آية بعد آية، فلا يؤمنون بها. قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا[2] وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ[3] ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4].

= نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية، إلَّا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».
انظر: إنجيل متى، الإصحاح الثاني عشر ٣٨ ــ ٤٠ العهد الجديد ٢٠.

(١) لم يرد الاسم الشريف في ط.

(٢) مدراراً: حال من السماء، يوصف به المذكر والمؤنث، وهو للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة.
انظر: البحر المحيط ٤/٧٧.

(٣) أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم، فإنهم لو رأوا المَلَك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك، وهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور فلا بد أن يأتيهم الملك في صورة رجل.
انظر: المصدر السابق ٤/٧٩؛ وصفوة التفاسير ٧/٣٨٠.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٤ ــ ١١.

أخبر ـ سبحانه ـ بأن الآيات تأتيهم، وما تأتيهم من آية[1] إلَّا أعرضوا عنها، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول، كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول، فإن الله يقول:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا[2] رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[3].

وأخبر بشدة[4] كفرهم، بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم: «إن هذا إلا سحر مبين». وبيَّن ـ سبحانه ـ أنه لو جعل الرسول ملَكاً لجعله على صورة الرجل، إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول بشر لا ملك.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا[5] ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

---

(١) في ط (آيات).

(٢) **أمها**: أصلها وعظيمتها، كأمهات الرساتيق (المناطق) والأقاليم والأولى أن تكون مكة ـ شرفها الله ـ .
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٨.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٤) في ك و ط زيادة (عن قوة).

(٥) **ينبوعاً**: أي عيناً غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تنقطع.
انظر: الكشاف ٢/٤٦٥.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا[1] أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا[2] ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[3].

وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ولم يؤمنوا[4] أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم. ـ ويضاً ـ فهي مما لا يصلح الإتيان بها، فإن قولهم: حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعاً. يقتضي تفجير الينبوع بأرض مكة، فيصير وادياً ذا زرع، والله من حكمته جعل بيته بوادٍ غير ذي زرع، لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا، فيكون حجهم للدنيا لا لله، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يُفَجِّر[5] الأنهار خلالها تفجيراً، كان في هذا من التوسع في الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته. وكذلك إذا كان له بيت من زخرف، والزخرف: الذهب[6]. وأما إسقاط السماء كسفاً، فهذا لا يكون إلى[7] يوم القيامة،

---

(١) كسفاً: قطعاً قطعاً.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٧٦.

(٢) قبيلًا: كفيلًا بما تقول، شاهداً بصحته، أو مقابلًا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه، أو جماعة. حالًا من الملائكة.
انظر: الكشاف ٢/٤٦٦.

(٣) سورة الإسراء: الآيات ٩٠ ـ ٩٥.

(٤) في ط زيادة (بها).

(٥) في ك و ط (ففجر).

(٦) انظر: اللسان ٩/١٣٢، مادة زخرف.

(٧) في ط (إلّا).

وهو لم يخبرهم أن هذا لا[1] يكون إلَّا يوم القيامة. فقولهم: كما زعمت. كذب عليه، إلَّا أن يريدوا التمثيل، فيكون القياس فاسداً[2].

وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلاً، فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة. قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

وأما إنزال الكتاب فقد قال ـ تعالى ـ:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ[4] وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ[5] بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

---

(١) سقطت (لا) من ك وط.

(٢) في ط (فاسد).

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٤) يقال: عدا عليه أشد العداء والعدو والعدوان: أي: ظلمه وجاوز الحد، وهو نهي لهم عن العمل والكسب يوم السبت.
انظر: التفسير الكبير ١١/٩٨.

(٥) غُلْف: إما أن يكون جمع غلاف، المعنى: أنها أوعية للعلم، فلا حاجة لهم إلى علم سوى ما عندهم، وهو كذب على الأنبياء. وإما أن يكون جمع أغلف، وهو المتغطي بالغلاف، والمعنى: أن قلوبهم في أغطية فهي لا تفقه ما تقول الرسل.
انظر: المصدر السابق ١١/٩٩.

قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ[١] وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ . . . ﴾[٢].

بيَّن ـ سبحانه ـ أن المشركين سألوه إنزال كتاب وأن[٣] أهل الكتاب سألوه ذلك، وبيَّن ـ سبحانه ـ أن الطائفتين لا تؤمن[٤] إذا

---

(١) للمفسرين عدة أقوال في قضية الشبه، وقد جاء عن ابن عباس ـ بإسناد صحيح إليه ـ كما يقول ابن كثير ـ أن عيسى طلب من أصحابه أن يستعد أحدهم لإلقاء شبهه عليه، فتطوع لذلك أحدثهم سناً، فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه. ويرى ابن جرير أن الشبه ألقي على أصحابه جميعاً، وأما الرازي فقد استبعد إلقاء الشبه بهذه الصورة، وفسرها بأن اليهود لما لم يجدوا المسيح أخذوا رجلاً وقتلوه وصلبوه مكان المسيح تمويهاً على العامة، ولم يكتشف الناس ذلك، نظراً لقلة معرفتهم بالمسيح، لندرة اختلاطه بالناس، فهو بذلك يسند التشبيه إلى اليهود. هذا وأنني لا أرى موجباً للجزم بهذا الرأي أو ذاك، ما دام أن القرآن لم يصرح في هذه القضية بشيء، وأصح ما فيها من الآثار هو ما يثبت موقوفاً على ابن عباس. ويكفي أن يتفق العلماء على إدانة اليهود بمحاولة قتله ـ عليه السلام ـ وصلبه.
انظر: جامع البيان ٦/١٥ ـ ١٦؛ والتفسير الكبير ١١/١٠٢؛ وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٠٠ ـ ٤٠٣.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٥٣ ـ ١٦١.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ.
﴿. . . وأكلهم أموال الناس بالباطل، واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾.

(٣) سقطت (أن) من ط.

(٤) في ط (يؤمنون).

جاءهم[1] ذلك، وإنما سألوه تعنتاً، فقال ــ عن المشركين ــ :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك، وهو رؤية الله جهرة، فقال:

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ[3] ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ[4] وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[5].

فهم[6] مع هذا نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حق، إلى أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات أحلت لهم، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: أن هذه الأمة المكذبة بك، الذين لا يهتدون

---

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ سقطت (جاءهم) وهو سقط واضح.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧.

(٣) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله (وأنهم عبدوا العجل كما قال)، وفي ط (لما قال).

(٤) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله: (وأن الله آتى موسى سلطاناً مبيناً، ورفع الطور فوقهم، وقال لهم لا تعدوا في السبت وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً، كما قال).

(٥) سورة النساء: الآية ١٥٣.

(٦) في ك و ط (وإنهم).

إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها، لم يك[1] في مجيئها منفعة لهم، بل فيها ما يوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها[2]، وتغليظ الأمر عليهم، فكان أنْ لا يَنْزِل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض الله على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يهلك قومه لمّا كذبوه فقال: «بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»[3]. كما في الصحيحين عن عائشة، أنها قالت للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلَال[4]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك،

---

(١) في ط (بك).

(٢) في ط زيادة (وبك).

(٣) هذا الحديث أخذه الشيخ بالمعنى من حديث ابن عباس السابق ٤٣٢/٦. ومن الحديث الذي بعد هذا. وهو حديث عائشة.

(٤) في ط (عبد كلاب).

ابن عبد ياليل: اسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه، وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال: اسم ابن عبد ياليل: مسعود، وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف...، وذكر موسى بن عقبة في المغازي... أنهم إخوة: عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو.

انظر: الفتح ٣١٥/٦.

وقد بعث إليك مَلَك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، وقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعثني إليك، لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]؟ فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئاً» أخرجاه[2].

و[3]لمَّا طُلِب من المسيح المائدة، كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه أحداً من العالَمين. قال ــ تعالى ــ:

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب

---

(١) في ط زيادة (فعلت).
الأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله، وكأنه قعيقعان، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة.
انظر: الفتح ٦/٣١٦.

(٢) أخرجه البخاري، بنحوه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. . .، ٦/٣١٢ ــ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح. ومسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من أذى المشركين والمنافقين ٤/١٤٢٠ ــ ١٤٢١ (١٧٩٥).

(٣) في ك و ط زيادة (لهذا).

(٤) سورة المائدة: الآيات ١١٢ ــ ١١٥.

الاستئصال، عذاباً عاجلاً يهلك الله به جميع المكذبين، كما أهلك قوم نوح، وكما أهلك عاداً وثمود، وأهل مدين، وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لمّا أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال، بل قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[١].

بل كان[٢] بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يُعَذب بعضهم، ويبقى بعضهم، إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر. ولهذا لم يزل[٣] في الأرض أمة من بني أسرائيل باقية. قال ــ تعالى ــ لما ذكر بني إسرائيل ــ :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤].

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة القصص: الآية ٤٣.
في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ :
﴿بصائر الناس﴾.
(٢) في أ (كانوا).
(٣) في ك و ط (تزل).
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.
(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣ ــ ١١٤.

وكان[1] من حكمته ورحمته ـ سبحانه وتعالى ـ لمّا أرسل محمداً أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال، كما أُهلكت الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم[2] بأنواع العذاب، كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب، كالمستهزئين الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

فعذَّب الله[4] كل واحد بعذاب معروف. وكالذي دعا عليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يسلط عليه كلباً من كلابه[5] فكان يحترس بقومه، فجاءه الأسد وأخذه من بينهم[6] فقتله، وأمثال ذلك وقد تقدَّم ذلك[7].

وقال ـ تعالى ـ[8]:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا. . . ﴾[9].

---

(١) في ك و ط (فكان).

(٢) في ك و ط زيادة (بدون ذلك من).

(٣) سورة الحجر: الآيتان ٩٥ ـ ٩٦.

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ط.

(٥) في ك و ط فقال فيه: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

(٦) في ك و ط (فجاء الأسد، فتخطى الحلقة، حتى أخذه من وسطها فقتله).

(٧) في ك و ط زيادة (وأمثال ذلك، مما هو موجود إلى زماننا هذا) ولم ترد فيها جملة (وقد تقدم ذلك).
تقدَّم ذلك الخبر وتخريجه ٦/ ٢٩١.

(٨) في ك و ط زيادة (للكفار).

(٩) سورة التوبة: الآية ٥٢.

فأخبر أنه يعذب الكفار تارة[١] بأيدي عباده المؤمنين، بالجهاد، وإقامة الحدود. وتارة بعذاب غير ذلك، فكان يعذبهم بمثل هذه الأسباب، مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم، فإنهم لمّا كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادتا[٢] وانقطعت المنفعة به عنهم، ولم يبقَ لهم ذرية تؤمن به، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب، ولو بالهزيمة والأسر، وقتل بعضهم، كما عذبوا يوم بدر، فإن في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم ــ مع بقائهم ــ والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها، فلا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها، فإن ذلك مما يدعوها إلى التوبة، كما يقال: من العصمة أن لا تقدر. فكان ما وقع بهم تعجيزاً وزاجراً وداعياً إلى التوبة. ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك، لم[٣] يقتل منهم إلا قليل، وهم صناديد[٤] الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة. كما روى أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال عن أبي جهل: «هذا فرعون هذه الأمة»[٥]. وقد ذكر الله لموسى في التوراة: «إني أقسي قلب فرعون، فلا يؤمن بك لتظهر[٦] آياتي وعجائبي».

---

(١) في ك و ط زيادة (بعذاب من عنده، وتارة).

(٢) في ك و ط (لبادوا).

(٣) في ط (ولم).

(٤) مفرده: صنديد، بوزن قنديل: السيد الشجاع. انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٠.

(٥) هذا جزء من حديث رواه أحمد والطبراني، أوردهما الهيثمي في المجمع ٦/٧٩ وقال: «رواه أحمد، وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة».

(٦) في ك و ط (لأظهر).

بَيَّن أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته، الدالة على صدق أنبيائه في الأرض، إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له، وبكتابة التوراة له، فأظهر الله من الآيات ما يبقي ذكرها في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون، ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين، وفرعون كان جاحداً[1] للصانع، منكراً لربوبيته، لا يقر به، فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله.

وأما بنو إسرائيل مع المسيح، فكانوا مقرين بالكتاب الأول، فلم يحتاجوا إلى مثل ما احتاج إليه موسى. ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة، إذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثَبَّت ذلك، وقومه كانوا مقرين بالصانع، وإنما كانت الحاجة داعية إلى تثبيت نبوته. ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم.

ومع هذا [3] فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل، كما استحقه قوم فرعون، وهود، وصالح، وشعيب وغيرهم. فلهذا يبين الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم[4]، إذ كانوا لا يؤمنون بها، ولكن تضرهم، إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذٍ، ومع وجود المانع، وعدم المقتضي، لا يصلح الفعل، على قول الجمهور القائلين بالحكمة، ومن لم يعلل

---

(١) في أ (جاحد).

(٢) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ ولا ك.

(٣) كان الأولى بالشيخ المؤلف أن يغير هذا اللفظ، أويضيف كلمة ـ أيضاً ـ هنا كاعتذار عن التكرار، علماً بأن النسخ قد اتفقت على ورود هذه العبارة بهذه الصورة.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (ينعفهم).

فلا يطلب سبباً ولا حكمة[1]، بل يرد الأمر إلى محض المشيئة.

قال ــ تعالى ــ[2]:

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ . . . ﴾[3].

وهو يعلم أن قلوب هؤلاء، كقلوب أولئك الأولين، فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك، كقوم نوح،وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وغيرهم.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ عن أهل الكتاب:

﴿ . . . يُضَـٰهِـُٔونَ[6] قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ . . . ﴾[7].

---

(١) في ك و ط زيادة (أو يطلب سبباً بلا حكمة).

(٢) ليس في أ جملة (قال ــ تعالى ــ).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

(٤) سورة الذاريات: الآيات ٥٢ ــ ٥٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٨.

(٦) يضاهئون: يشابهون.
انظر: صفوة التفاسير ١٠/٥٣١.

(٦) سورة التوبة: الآية ٣٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ[1] ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[2].

ذكر هذا في سورة (اقتربت)، التي ذكر فيها انشقاق القمر، وإعراضهم عن الآيات، وقولهم: هذا سحر مستمر، وتكذيبهم واتباعهم[3] أهواءهم، فقال ـ تعالى ـ :

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾.

ثم قال:

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[4].

أي من أنباء الغيب وما أخبر به، ما فيه، مزدجر: أي ما يزجرهم عن الكفر، إذ كان في تلك الإنباءات[5] بيان صدق الرسول، والإنذار لمن كذبه بالعذاب، كما عُذب المتقدمون[6]. ولهذا يقول عقيب

---

(١) الزبر، الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٢٩٠.

(٢) أدهى وأمر: أي أعظم داهية وأشد مرارة من القتل والأسر.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة القمر: الآيات ٤٣ ــ ٤٦.

(٣) في ك و ط (واتباع).

(٤) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٤.

(٥) كأنها رسمت في أ (الآيات).

(٦) انظر: جامع البيان ٢٧/٨٩؛ والبحر المحيط ٨/١٧٤؛ والكشاف ٤/٣٦.

القصة:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[1].

أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي، و[2]إنذاري بذلك قبل مجيئه[3] يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم[4].

ثم ذكر قصة المكذبين، كنوح، وهود، وصالح، ولوط، إلى قوله:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[5].

فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى، وجميع آيات الأنبياء قبله، وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب، وقدرته ومشيئته، إذ كانوا جاحدين للخالق، منكرين له فكذبوا بآياته كلها.

ثم قال: (أكفاركم) أيتها الأمة التي أُرسل محمد إليها[6]:

﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾.

الذين كذبوا نوحاً، وهوداً، وصالحاً، ولوطاً، وموسى:

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[7].

---

(١) سورة القمر: الآيات ١٦ و١٨ و٢١ و٣٠.

(٢) في ك و ط زيادة (كيف كان).

(٣) في ك و ط (مجيئهم).

(٤) انظر: جامع البيان ٢٧/٩٦ ــ ٩٧.

(٥) سورة القمر: الآيتان ٤١ ــ ٤٢.

(٦) في ك و ط (أرسل فيها محمد).

(٧) سورة القمر: الآيتان ٤٣ ــ ٤٤.

وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم، إما أن يكون لكونكم خيراً منهم، فلا تستحقون مثل ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم، فتكون لكم براءة[1] في الزبر، فتعلمون ذلك بخبره، فإن[2] ما يفعله الله تارة يعلم بخبره، وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله. فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه، أو من هذا الوجه، هذا إن نُظر إلى ما فعل الله الذي لا طاقة للبشر به، وإن نُظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون:

﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾[3].

فإنهم أكثر[4] وأقوى[5]. كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا[6] ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[7].

أي أموالاً ومنظراً[8]، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[9].

---

(١) في ك و ط (البراءة).

(٢) في ك و ط (بأن).

(٣) سورة القمر: الآية ٤٤.

(٤) في ط زيادة (منتصرون).

(٥) في ك و ط زيادة (من محمد وأتباعه).

(٦) أي يقولون: من أحسن مسكناً وأطيب عيشاً، وأكرم منتدى ومجلساً. انظر: صفوة التفاسير ١٦/٢٢٥.

(٧) سورة مريم: الآيتان ٧٣ ـ ٧٤.

(٨) انظر: جامع البيان ١٦/١١٧ ـ ١١٩. وتفسير القرآن العظيم ٥/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٩) سورة القمر: الآية ٤٥.

أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم، ولا يظن أحد[1] بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يهاجر إلى المدينة، وقبل أن يقاتلهم.

وكان كما أخبر، فإنهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الأدبار، وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين. قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2].

وحيث ظهر الكفار، فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت[3] نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل[4] إيمانهم نصرهم الله، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[5].

وقال:

﴿ . . . أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾[6].

فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لا يهلكهم[7] هلاك

---

(١) في أ (أحداً) وقد صوبنامن ك و ط.
(٢) سورة الفتح: الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) في أ (أوجب).
(٤) في ك و ط (فكمل).
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.
(٧) في أ (يهلك).

استئصال[1] كما أهلك المكذبين، وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال، كما أُهلكت[2] الأمم قبلهم، كما قال:

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ...﴾[3].

كان أن لا يأتي بموجب[4] عذاب الاستئصال، مع إتيانه ـ سبحانه ـ بما يقيم الحجة، ويوضح المحجة، أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير، والمنفعة، والهدى، والبيان، والحجة على من كفر، وما امتنع منه دَفَعَ من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يتوبوا، ويؤمنوا، ويهتدوا، وكان[5] في إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة، والمنن السابغة، ما لم يكن في رسالة رسول غيره[6] ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ[7].

• • •

(١) في ك و ط (الاستيصال).
(٢) في ط (أهلك).
(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.
(٤) في ك و ط (بما يوجب).
(٥) في ك و ط (فكان).
(٦) في ك و ط (قبله).
(٧) في ك و ط زيادة (والحمد لله رب العالمين)، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وما أرسلناك إلَّا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

فصل

كل ما يقال في إثبات النبوة متصل بطبيعة الخبر.

جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر، فإن قول القائل: إني رسول الله إليكم: خبر من الأخبار[1]، وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته إلينا هو بالأخبار. والخبر تارةً يكون مطابقاً لمخبَره، كالصدق المعلوم أنه صدق، وتارة لا يكون مطابقاً لمخبره، كالكذب المعلوم أنه كذب، وغير المطابق مع التعمد: كذب، ومع اعتقاد أنه صدق: إن[2] لم يكن معذوراً، كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ، والمحدث بلا علم: يسمى كاذباً ــ أيضاً ــ ، كقوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «كذب أبو السنابل[3] بن بَعْكَك»[4]، وقوله لمن قال: ــــــــــــــــ

---

(١) انظر: باب الكلام في الأخبار من كتاب المحصول في علم أصول الفقه، الجزء الثاني، القسم الأول ٣٠٥ إلى آخر الكتاب ص ٦٨١ للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ــ ٦٠٦هـ، ت: د. طه العلواني، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٢) سقطت (إن) من ك و ط.

(٣) **أبو السنابل**: هو ابن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار، القرشي، واسمه عمرو، وقيل: حبة، أسلم يوم الفتح، وهومن المؤلفة قلوبهم وسكن الكوفة، قيل: أنه أقام بمكة حتى مات.
انظر: أسد الغابة ١٥٦/٥ ــ ١٥٧؛ وتهذيب التهذيب ١٢/١٢١.

(٤) الحديث بتمامه عن أبي السنابل بلفظ آخر عند أحمد في المسند ٣٠٥/٤ وقد أورده الهيثمي عن عبد الله بن مسعود: أن سبيعة الأسلمية بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها، بعد خمس عشرة ليلة فدخل عليها أبو السنابل فقال: كأنك تحدثين نفسك بالباءة، ما لك ذلك حتى ينقضي أبعد الأجلين. فانطلقت إلى =

بطل عمل عامر بن[1] الأكوع ـ لما قَتَل نفسه خطأ ـ : «كذب من قال ذلك[2]، إنه لجاهد مجاهد»[3].

وقد تكون المطابقة في عناية المتكلم، وقد يكون في إفهام المخاطب، إذا كان اللفظ مطابقاً لما عناه المتكلم، ولم يطابق إفهام المخاطب، فهذا ـ أيضاً ـ قد يسمى كذباً وقد لا يسمى، ومنه المعاريض[4] لكن يباح للحاجة، وإن[5] لم يحصل به المقصود[6]، بل يكون مأموراً بالسكوت عنه إلاَّ مع البينة، فقد يسمى كاذباً، لقوله[7] ـ تعالى ـ :

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ

= رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخبرته بما قال أبو السنابل، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «كذب أبو السنابل، إذا أتاك أحد ترضينه فأتي به»، أو قال: «فأتني» فأخبرها أن عدتها قد انقضت». قال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، المجمع ٥/٢ ـ ٣ م ٣.

(١) في ط (ابن).

(٢) سقطت (ذلك) من أ.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤٦٤/٧ (٤١٩٦) من الفتح، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسيرة، باب غزوة خيبر ١٤٢٧/٣ ـ ١٤٢٩ (١٨٠٢).

(٤) في أ: (المعارض). والصواب بإثبات الياء كما قال الحافظ في الفتح ٥٩٤/١.
المعاريض من الكلام: ما عُرض به ولم يُصرح، وأَعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه: كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني، كالرجل تسأله: هل رأيت فلاناً؟ فيكره أن يكذب، وقد رآه فيقول: إن فلاناً لَيُرىٰ. والتعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء. انظر: اللسان ١٨٣/٧، مادة عرض.

(٥) في ك و ط زيادة (كان الخبر).

(٦) انظر: الفتح الرباني ٥٩٣/١ ـ ٥٩٤؛ والمغني لابن قدامة ٦٠٨/٦ ـ ٦١٠. وهو عبد الله بن أحمد بن محمد ـ ٦٢٠هـ تصوير مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٧) في ك و ط (كقوله).

ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[1].

والمقصود هنا: أن الخبر قد يُعلم أنه صدق، وقد يُعلم أنه كذب، وقد لا يُعلم واحد منهما، والعلم بأنه صدق له معنيان:

أحدهما: أن يعلم أنه مطابق لمخبَره من غير جهة المخبِر[2]، كمن أخبرنا بأمور يُعلم[3] أنها حق بدون خبره.

والثاني: أن يُعلم أن المخبِر به صادق فيه، وقد يجتمع الأمران بأن يُعلم ثبوت ما أخبر به، ويُعلم أنه صادق فيه، وقول محمد: (. . . إني رسول الله. . .)[4] هو من هذا الباب، كما سنبينه ــ إن شاء الله ــ . وكذلك كونه كذباً قد يراد به أنه على خلاف مخبَره، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب، وقد يعنى به أن قائله[5] يتعمد الكذب.

ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانها على نوعين: تارة يعلم أن صاحبها تعمد الكذب. وتارة يكون قد غَلِط، والصحابة لم يُعرف فيهم من يتعمد الكذب على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكذلك جمهور التابعين، لم يعرف فيهم من[6]يتعمد الكذب، ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف أنه كان فيها من يتعمد الكذب، بخلاف غيرهم من أهل

---

(١) سورة النور: الآية ١٣.
(٢) كأنها في أ (للخبر).
(٣) في ك و ط (نعلم).
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٥) في ك و ط (صاحبه).
(٦) في ك و ط زيادة (كان).

الأهواء، كالخوارج، فإنه لم يكن فيهم من يُعرف بالكذب، بل يقال: هم من أصدق الناس حديثاً. والرجل الفاسق المعروف أنه يكذب لا بد أن يَصْدق في بعض الأخبار[1]، فلا يكون في الناس من لا يخبر إلاّ بكذب. ولهذا قال ــ تعالى ــ:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ. . .﴾[2].

وفي القراءة الأخرى:

﴿فَتَثَبَّتُوٓاْ﴾[3].

فأمر بالتبين والتثبت إذا أخبر الفاسق بخبر، ولم يأمُر بتكذيبه بمجرد إخباره، لأنه قد يصدق أحياناً.

فلما[4] أمر ــ سبحانه ــ بالتبين والتثبت في خبر الفاسق: دل ذلك على أنه لا يجوز تصديقه بمجرد إخباره، إذ[5] كان فاسقاً، قد[6] يكذب، ولا يجوز ــ أيضاً ــ تكذيبه، قبل أن يُعرف أنه قد كَذَب، وإن كان فاسقاً، لأن الفاسق قد يصدق، وهذا كما قال ــ تعالى ــ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾.

---

(١) في ك و ط (أخباره).

(٢) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٣) وهي قراءة عامة أهل المدينة، وذُكر أنها في مصحف عبد الله (أي ابن مسعود) منقوطة بالثاء.

انظر: جامع البيان ١٢٣/٢٦.

(٤) في ك و ط (ولما).

(٥) في ط (إذا).

(٦) في ط (فقد).

وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا)[1].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ . . .﴾[2].

فأمرهم[3] بالتبين والتثبت في الجهاد، وأن لا يقولوا للمجهول حاله: لست مؤمناً. يبتغون عرض الحياة الدنيا. فيكون إخبارهم عن كونه ليس مؤمناً خبراً بلا دليل، بل لهوى أنفسهم ليأخذوا ماله، وإن كان ذلك في دار الحرب إذا ألقى (السلم)[4]، وفي القراءة الأخرى: (السلام)[5]، فقد يكون مؤمناً يكتم إيمانه، كما كنتم ـ أنتم ـ من قبل مؤمنين تكتمون إيمانكم فإذا ألقى المسلم[6] السلام، فذكر أنه مسالم لكم لا محارب، فتثبتوا وتبينوا[7] لا تقتلوه ولا تأخذوا ماله حتى تكشفوا أمره، هل هو صادق أو كاذب؟[8].

---

(١) لم ترد الجملة الاعتراضية في ط، وفي أ جاءت هكذا (فثبينوا) وهو خطأ نسخي.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٣) في أ (فأمره).

(٤) في ط (السلام).

(٥) في ط (السلم).

قراءة: «السلم» هي قراءة عامة قراء المكيين والمدنيين والكوفيين.

وقراءة: «السلام» هي قراءة بعض الكوفيين والبصريين. والأولى بمعنى الاستسلام والثانية بمعنى التحية.

انظر: جامع البيان ٥/٢٢٥ ــ ٢٢٦.

(٦) في ك و ط (إليكم).

(٧) في ك و ط (فتبينوا وتثبتوا).

(٨) انظر: جامع البيان ٥/٢٢١ ــ ٢٢٢، وما بعدها. وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٣٦ ــ ٣٣٩؛ والبحر المحيط ٣/٣٢٨ ــ ٣٣٠؛ والتفسير الكبير ١١/٣ ــ ٦ م ٦.

وهذا خبر يتضمن دعوى له، فإن المدعي مخبر، والمنكِر مخبر، والشاهد مخبر[1] والمقر مخبر، وكما نهاهم عن تكذيب المدعي بلا علم، نهاهم عن تصديق المنكِر المتهم ورمي[2] البريء بلا حجة، وتبرئته وتزكيته بلا علم، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[3] .

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عَرَف منه الخبر، فقال :

﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ .

---

(١) سقطت (والشاهد مخبر) من ط.

(٢) في ك و ط (الذي يرمي).

(٣) سورة النساء: الآيات ١٠٦ ـ ١١٣.

إلى قوله[١]:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ [٢] فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[٣].

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ . . . ﴾[٤].

وهذا نهي عن التكلم[٥] بلا علم، وهو عام في جميع أنواع الأخبار، وقد[٦] يتناول ما أُخبِر به الإنسان، وما قد يعتقده بغير الأخبار من الدلائل والآيات والعلامات، ليس له أن يتكلم بلا علم، فلا ينفي شيئاً إلَّا بعلم، ولا يثبته إلَّا بعلم. ولهذا كان عامة العلماء على أن

---

(١) في ك و ط وردت الآية الكريمة:
﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، فإذ لم يأتوا بالشهداء، فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾.

(٢) أفضتم فيه: خضتم فيه من أمر عائشة.
انظر: جامع البيان ١٨/٩٧.

(٣) سورة النور: الآيات ١٢ ـ ١٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿. . . **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾.
أي: لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك، بل تثبت من كل خبر.
انظر: صفوة التفاسير ١٥/١٥٩.

(٥) في أ (عني عن المتكلم) وهما خطأن نسخيان.

(٦) في ك و ط (وهو).

النـافي للشيء عليه الـدليل على مـا ينفيه، كمـا أن المثبت للشيء عليـه الدليل على ثبوته. وحُكي عن بعض النـاس أنه قـال: النافي ليس عليـه دليـل. وفَرّق بعضهم بين العقليـات والشرعيـات، فأوجبـه في العقليـات دون الشرعيات، وهؤلاء[1] اشتبه عليهم النافي بـالمانـع المطالب، فـإن من أثبت شيئاً، فقال لـه آخر: أنـا لا أعلم هذا، ولا أوافقـك عليه، ولا أُسَلمـه لك حتى تـأتي بالـدليل: كـان هذا مصيبـاً، ولم يكن على هـذا المانع ـ المطالب بالدليل ـ دليل، وإنما الدليل على المثبِت، بخـلاف من نفى مـا أثبته غيـره، فقـال لـه: قـولـك خـطأ، والصـواب في نقيض قولك، ولم يكن هذا كذا، فـإن هذا عليـه الدليـل على نفيه، كمـا على ذلك المثبت الدليل على إثباته، وإذا لم يأت واحـد منهما بـدليل، كـان كلاهما[2] بلا حجة.

ولهذا كان من أثبت شيئـاً أو نفاه وطُلب[3] منـه الحجة، فلم يـأت بها، كان منقـطعاً في المنـاظرة، وإذا اعتـرض المعترض عليـه بممانعـة أو معارضة، فأجاب عنها، انقطع المعترض عليه وثبت قـول الأول، وإن لم يُجب عن المعـارضة انقـطع المستدل، إذ[4] كـان الدليـل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعـارِض المقاوِم، ولـو أقام دليـلاً قطعيـاً، فعـورض بما لا يفيـد القطع، كـان له أن يقـول: ما ذكـرتُه يفيـد العلم، والعلم لا يعارضه الـظن، والبينات لا تعـارض بالشبهـات، التي هي من جنس كلام (السوفسطائية)[5]، فهو ـ سبحانه ـ نهى عن الكلام بلا علم

---

(١) في أ (وهذا) وهو خطأ نسخي.

(٢) في ك و ط زيادة (متكلماً).

(٣) في ك و ط (طلبت).

(٤) في ط (إذا).

(٥) **السوفسطائية**: هم مبطلوا الحقـائق، وهذا الاسم مـركب في اليونـانية من: سـوفيا: =

مطلقاً، وخص الكلام على الله بقوله ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

ونهى عن اتباع خطوات الشيطان، وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم: فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2] .

= وهي الحكمة، ومن أسطس: وهي المموهة فمعناه: الحكمة المموهة. فهو بذلك اسم للمهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والإيهام. وهم ثلاثة أصناف: ١ ــ صنف نفى الحقائق جملة. ٢ ــ وصنف شكوا فيها. ٣ ــ وصنف قالوا: «هي حق عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل. وقد ذكر أحمد أمين وزكي نجيب أن مذهبهم يشبه مذهب البرجماتزم الحديث في الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل.

انظر: الفصل في الملل والنحل ١/٤٣ ــ ٤٥ لعلي بن حزم الظاهري ــ ٤٥٦هـ ت: د. محمد نصر ود. عميرة، ط ١ شركة مكتبات عكاظ، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م. وكتاب الصفدية للشيخ المؤلف ١/٩٧ ــ ٩٨ ت: د. محمد رشاد سالم. الرياض ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م. وإحصاء العلوم ٢٤ لمحمد بن محمد الفارابي ــ ١٣٩٩هـ، ت: د. عثمان أمين، ط الخانجي، القاهرة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م. وقصة الفلسفة اليونانية ١٠٧ لأحمد أمين وزكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٦٨ ــ ١٧٠.

وكذلك ذمَّ من يجادل ويحاج بلا علم، بقوله ـ تعالى ـ[1] :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[2].

وقال :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ . . . ﴾[5].

يتناول خبر كل فاسق ـ وإن كان كافراً ـ لا يجوز تكذيبه إلَّا ببينة، كما لا يجوز تصديقه إلَّا ببينة.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية[6]، ويفسرونها بالعربية[7]، فقال النبي

---

(١) في ك و ط (كقوله) وليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٢) سورة الحج: الآية ٨، وسورة لقمان: الآية ٢٠.

(٣) سورة الحج: الآيتان ٣، ٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٦) في ك و ط (العبرانية).

(٧) في ك و ط زيادة (لأهل الإسلام).

ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ : «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقـوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق، فتكذبوه، وإما أن يحدثـوكم بباطـل، فتصدقوه وقولوا:

﴿ . . . ءَامَنَّا بِالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وهـذا الذي دل عليـه الكتاب والسنـة، من إمسـاك الإنسـان عمـا لا يعلم انتفـاؤه وثبوتـه، هو مـأثور عن غيـره من الأنبيـاء، كمـا جـاء عن المسيـح ـ عليه السـلام ـ أنـه قـال: «الأمـور ثـلاثـة: أمـر تبين رشـده فـاتبعـوه، وأمـر تبين غيـه فـاجتنبـوه، وأمـر اشتبـه عليكم فكِلوه إلى عالمه»[2].

وعامة عقلاء بني آدم على هذا، ولهذا لا يجوز أن يُصَدَّق[3] بخبر منقـول عن الرسـول أو غيره إلاَّ بـدلالة تـدل على صدقـه، ولا يجوز أن يكَذبه إلاَّ بدلالة تـدل على كذبـه، وعلى هذا العلم والـدين، وقد تكلم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
ورد الحديث في ك و ط هكذا: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿. . . آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم. . . ﴾.
وفي رواية: فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه».
صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، ٨/ ١٧٠ (٤٤٨٥) من الفتح بنحوه.

(٢) هذا الحديث من رواية ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أن عيسى ابن مـريم قال: الأمـور ثلاثـة. . .» وذكره بنحـوه، وقـد أورده الهيثمي في المجمـع ١/ ١٥٧، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون».

(٣) الضمير يعود إلى العاقل، أو الإنسان أو المسلم. . . إلخ.

العلماء وصنفوا كتباً كثيرة في الجرح والتعديل: في الرجال[1]، والأحاديث[2]. فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط، فهذا هو العدل المقبول خبره. ومنهم من يكون صدوقاً لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط، فيقولون في مثل هذا: هو صدوق تُكلم فيه من قبل حفظه. ومنهم من عرف بالكذب. وإذا رَوَى الحديث من هو سيِّىء الحفظ، أو من قد يكذب، لم يحكموا بذلك الحديث، ولم يثبتوه.

ثم تارة يقوم الدليل على كذبه، وتارة يتوقفون فيه، لا يعلمون أصدقٌ هو[3] أم كذب؟، ومثل هذا لا يُعتقد ولا يثبت ولا يحتج به، كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل مرضي أو هو خصم أو متهم ظنين[4]، فهذا إذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه أو خطئه، بل معنى ذلك أنه لا تقوم به حجة، ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه.

والمدعى عليه إذا كان صحاب يد أو ذمته بريئة، فهو[5] حجة ترجح جانبه، وقد ضم إليها الشارع[6] اليمين، كما في صحيح

---

(١) **مثل كتاب**: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ــ ٣٢٧هـ وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٧١هـ، ومثل كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ٢٤١هـ طبع طلعت بيكيت، أنقرة. تركيا، سنة ١٩٦٣م، وكتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي ــ ٤٧٨هـ، ت: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

(٢) مثل كتاب العلل لابن أبي حاتم، وكتاب العلل للدارقطني.

(٣) سقطت (هو) من ط.

(٤) ظنين: تَصَوُّر اتهاماته وأقواله عن ظن وليس عن معرفة وعلم.

(٥) في ك و ط (فمعه).

(٦) **الشارع**: هو الذي أنزل الشريعة أو الذي أُرسل بتبليغها، وهو الله ــ عز وجل ــ أو رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: اللسان ٨/١٧٦، مادة شرع.

البخاري، عن ابن عباس، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه»[1]، فإذا لم يكن مع المدعي إلَّا مجرد دعواه فجانب المنكِر أقوى من جانبه، لأن معه: أن الأصل في الأيدي: أنها محقة، والأصل: براءة الذمة، ولكن قد يكون المدعي صادقاً ولا يكون له حجة، وهذا كثير جداً، فلا يدفع بمجرد الأصل، بل يحلف المنكر، فيكون يمينه مع الأصل حجة، فيكون إنكار هذا مقابلاً لدعوى هذا، كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا، وترجح[2] المنكر بالأصل، فيبقى على ما كان، لا يسلم بحجة للمدعي ما ادعاه بمجرد دعواه، ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه، لأنه لم يأت بحجة تدفعه، فإذا حلف المنكر، كانت يمينه حجة، فصلت الخصومة، وقطعت الدعوى.

وإذا لم يأتِ المنكِر باليمين، بل نَكَل[3] عنها، ولا أتى المدعي بحجة: وُقِّف للأمر[4] عند أكثر العلماء. وعند بعضهم: يقضى على المنكِر بالنكول، فيجعل نكوله إما بدلاً لما طلب وإما إقراراً به. والأكثرون يقولون: بل ترد[5] اليمين على المدعي الطالب، الذي يقول: إنه يعلم

---

(١) رواه البخاري بنحوه، وله قصة، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: «إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم». ٢١٣/٨ (٤٥٥٢) من الفتح. ورواه مسلم وفيه: (ناس) بدل (رجال) و(رجال) بدل (قوم) كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، ١٣٣٦/٣ (١٧١١).

(٢) في ك (يرجح) بالياء في أوله وفي ط (رجح).

(٣) نكل: ينكل: جبن.
انظر: اللسان ٦٧٧/١١، مادة نكل.

(٤) في ك و ط (الأمر).

(٥) في ك و ط (يرد).

صدق نفسه فيما ادعاه، وأنه عالم بما ادعاه، فيقال له: احلف وخذ. فإن حلف أخذ، وإلاَّ دُفِعا[1]. ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوي. ومنهم من يحكم بالنكول، وإن[2] كان المنكر يقول: لا أعلم ما ادعى به[3]. وكل من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة.

والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل، وهو أظهر الأقاويل، وهو أنه إن كان المنكر هو العالم دون المدعي، كما إذا ظهر في المبيع عيب، وقد بِيْع بالبراءة[4]، فقال المشتري: أنا لم أعلم به. فإنه هنا يقال له ــ كما قال عثمان بن عفان لابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ: «احلف أنك بعته، وما به داء تعلمه»[5]، فإن حلف وإلاَّ قضي عليه بالنكول، كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول[6].

---

(1) في ط (دفع).

(2) في ك (فإن) وفي ط (إن).

(3) انظر: المغني لابن قدامة ٩/٢٧١ ــ ٣٢٨ والكافي في فقه أهل المدينة المالكي ٢/٩٢١ ــ ٩٣٧ ليوسف بن عبد الله بن عبد البر ــ ٤٦٣هـ تحقيق د. محمد وِلْد ماديك، ط ١، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

(4) البراءة في البيع: كأن يقول البائع: لا أعلم في هذه السلعة عيباً، أو أن يسمي له المشتري عيوباً فيبرأ البائع منها.
انظر: الجوهر النقي لابن التركماني ــ ٧٤٥هـ بذيل سنن البيهقي ٥/٣٢٨ ــ ٣٢٩.

(5) في ك و ط (ذا يعلمه).
رواه البيهقي بإسناده عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر باع غلاماً له بثمانمائة درهم، وباعه بالبراءة، فقال الذي ابتاعه لعبد الله بن عمر: بالغلام داء ــ لم يسمه ــ فاختصما إلى عثمان بن عفان، فقال الرجل: باعني عبداً وبه داء لم يسمه لي، فقال عبد الله بن عمر: بعْتُه بالبراءة! فقضى عثمان بن عفان على عبد الله بن عمر باليمين أن يحلف لقد باعه الغلام وما به داء يعلمه، فأبى عبد الله أن يحلف له وارتجع العبد، فباعه عبد الله بن عمر بعد ذلك بألف وخمسمائة. السنن الكبرى ٥/٣٢٨.
ولم يعزه، أما صاحب: منار السبيل فقد عزاه لأحمد، قال الألباني: «صحيح، ولم =

وإن كان المدعي يقول: إنه يعلم ما ادعى به، كمن ادعى على آخر دَيناً أو عيناً[1]، فقال: أنا لا أعلم ما ادعيته، احلف وخذ[2]، فإن لم يحلف لم يُعْط شيئاً.

والبينة في الدعاوى عند أكثر العلماء هي: ما يبين الحق ويظهره ويوضحه[3]، كالدليل والآية والعلامة، فمتى ترجح جانب أحدهما حلف، مثل أن يقيم المدعي شاهداً، فإنه يحلف مع شاهده، ويقضى له بشاهد ويمين، كما مضت به سنة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ وهذا[5] قول أكثر العلماء. ومنهم من يقول: اليمين دائماً في

= أره في مسند أحمد ولا هو مظنة وجود مثل هذا الأثر فيه فالظاهر أنه في غيره من كتب الإمام». إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٢٦٣/٨ (٢٦٤٠) لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١ بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م. وقد أورده ابن قدامة في المغني ١٩٨/٤ وقال: «وهذه القضية اشتهرت فلم تنكر، فكانت إجماعاً».

(٦) في ط زيادة (بناء). وفي جميع النسخ (عليه) وقد شطب عليها في نسخة أكسفورد وهو ما رجحناه.

(١) في ك و ط (عيباً).

(٢) في ك و ط زيادة (فإنه يقال له كما قال عمر بن الخطاب: أنصفك خصمك احلف وخذ).

(٣) في ك و ط (تبين الحق وتظهره وتوضحه).

(٤) فقد روى ابن عباس أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قضى بيمين وشاهد. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد، ١٣٣٧/٣ (١٧١٢) ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد ٣٠٨/٣ (٣٦٠٨). وروى الترمذي في سننه عن أبي هريرة، قال: «قضى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باليمين مع الشاهد الواحد. قال: «وفي الباب عن علي وجابر وابن عباس وسُرَّق... وحديث أبي هريرة حديث حسن غريب». كتاب الأحكام، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد، ٦١٨/٣ (١٣٤٣).

(٥) في ك و ط (وهو).

جانب المدعى عليه، وكذلك لو كان في دعوى القتل لَوَث[1] ولَطْخ[2] وشبهة، وهو[3] علامات ترجح جانب المدعي، فإن أولياء المقتول يحلفون خمسين يميناً، ويقضى لهم بذلك عند أكثر العلماء[4]، كما مضت بذلك السنة[5].

وكذلك في اللعان[6] إذا حلف الزوج، وشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ووكدها بالخامسة، فقد أقام بينة على دعواه، فإن التعنت[7] المرأة وشهدت أربع شهادات، مؤكدة بالخامسة، أنه كاذب،

---

(١) **اللوث**: من التلوث، وهو التلطخ، يقال: لأنه في التراب ولوثه، وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت: إن فلاناً قتلني، أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما، أو تهديد منه له، ونحو ذلك.
انظر: اللسان ٢/١٨٥، مادة لوث.

(٢) هو بمعنى اللوث.
انظر: ترتيب القاموس ٤/١٤٤.

(٣) في ط (وهي).

(٤) وهي مسألة القَسَامة: وهي الأيمان التي يقسم بها أولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم، أو يقسم بها المتهَمون على نفي القتل عنهم، وهي مصدر، يقال: اقسم يقسم قسماً وقسامة: إذا حلف.
انظر: جامع الأصول ١٠/٢٧٩.

(٥) كما جاء من حديث سهل بن حثمة ــ رضي الله عنه ــ، رواه البخاري، كتاب الديات، باب القسامة، ١٢/٢٢٩ ــ ٢٣٠ (٦٨٩٨) من الفتح ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ٣/١٣٩١ ــ ١٣٩٢ (١٦٦٩).

(٦) **اللعان**: مشتق من اللعن، لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة إن كان كاذباً، وقال القاضي: سمي بذلك لأن الزوجين لا ينفكان من أن يكون أحدهما كاذباً فتحصل اللعنة عليه: وهي الطرد والإبعاد. والأصل فيه قوله ــ تعالى ــ: ﴿**والذين يرمون أزواجهم، ولم يكن لهم شهداء إلاَّ أنفسهم...**﴾ [الآيات من سورة النور: ٦ ــ ١٠].
انظر: المغني لابن قدامة ٧/٣٩٠.

(٧) اللام هنا في (التعنت) لام قمرية.

تعارضت البينتان والشهادتان، فلم يحكم بقول واحد منهما، لا يحكم بأنه قاذف، ولا يحكم بأنها زانية. وإن نَكلت فلم تحلف: فأكثر العلماء يقولون: يحكم بأنها زانية، وتعذب على ذلك، كما دل عليه القرآن لأنه اجتمع شهادة الزوج، ونكولها عن المعارضة، كما اجتمع في القسامة العلامة والأيمان[1]، وكما اجتمع الشاهد واليمين، وكما اجتمع في جانب المنكر: الأصل واليمين[2].

فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة، وبسطه له موضع آخر[3].

والمقصود هنا: أن الخبر إن قام دليل على صدقه أو كذبه وإلَّا بقي مما لم يصدقه ولم يكذبه[4]، وأهل العلم بالحديث إذا قالوا: هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح[5] أو ضعيف، أو سيِّىء الحفظ، أو ممن لم تقبل روايته، ونحو ذلك، فهو كقول القائل: هذا الشاهد مجروح، أو سيِّىء الحفظ، أو ممن لا تقبل شهادته، وهذا يفيد أنه لا يحكم به، لا[6] يفيد الحكم بأنه كاذب، بل قد يمكن أنه صادق، فلا يقال: إنه كاذب إلَّا بحجة.

---

(١) في ط (الإيمان) بكسر الهمزة.

(٢) وبه قال مكحول والشعبي ومالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وأبو إسحاق الجوزجاني وابن المنذر.
انظر: المصدر السابق ٧/٤٤٤.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥/٣٥١ و ٢٠/٣٩٠.

(٤) في ك و ط (نصدقه ولم نكذبه) والضمير في اللفظ الأول راجع إلى الدليل.

(٥) يقال: جَرَح الحاكم الشاهد: إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره، وقد قيل ذلك في غير الحاكم، فقيل: جَرَح الرجل: عض شهادته. وقد استجرح الشاهد، والاستجراح: النقصان والعيب والفساد، وهو منه.
انظر: اللسان ٢/٤٤٢، مادة جرح.
وانظر: تدريب الراوي ١/٣٤٥ ـ ٣٥٠.

(٦) في ك و ط (ولا).

وإن قالوا ــ عن الحديث ــ : إنه ضعيف. فهذا مرادهم، أي أنه لم يثبت، ولا يحتج به، ولا يجوز الحكم بصدقه. ليس مرادهم أنه بمجرد[1] ذلك يحكم بكذب الناقل، وينفي ما نقله، ويقول: إن هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي، بل إن قام دليل على انتفاء ما أخبر به حكمنا بذلك، وإلَّا سكتنا، لم ننفه ولم نثبته. فهذا أصل يجب معرفته، فإن كثيراً من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه، وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته، بل تراهم ما لم يعلموا إثباته، فيكونون قد قَفَوْا[2] ما ليس لهم به علم: وقالوا بأفواههم ما ليس لهم به علم، وهذا كثير من[3]أهل الاستدلال والنظر، وأهل الإسناد والخبر، فمن الأولين طوائف يطلبون الدليل[4] على ثبوت الشيء، فإذا لم يجدوه نفوه، ومعلوم أن عدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، إلَّا إذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك إما بعلم أو ظن غالب، فمن هؤلاء من يقول في صفات الله ما لم يقم دليل قطعي على إثباته، وإلَّا وجب القطع بنفيه، لأن صفات الله لا تثبت إلَّا بالقطع. وخالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع في الإثبات إلَّا بدليل قطعي، فلا يجوز القطع في النفي إلَّا بدليل قطعي على النفي، فلما[5] لم يجز أن نثبت إلَّا بعلم، فلا ننفي[6] إلَّا بعلم.

---

(١) في أ (مجرد) والباء من ك و ط.

(٢) من قفا أثره: أي اتبعه، وبابه عدا وسما.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٧.

(٣) في ك و ط (في).

(٤) سقطت (الدليل) من أ.

(٥) في ك و ط (فكما).

(٦) في ك و ط (يثبت... ينفي).

والنافي عليه الدليل، كما على المثبت الدليل، قال هؤلاء: هذه المسائل مبناها على القطع، فإنه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن، فإذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي. فقيل لهم: هذا حجة عليكم، فإنكم إذا نفيتم ما لم تعلموا نفيه، تكلمتم بالظن، وإذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع، نفياً كان الكلام أو إثباتاً، وليس يعلم في الأدلة الشرعية أو العقلية أن كل ما لم يقم دليل سمعي أو عقلي على إثباته، فإنه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه، بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم.

ومن هنا أخطأ كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب وأحكامه وأفعاله، حيث لم يعلموا دليلاً قطعياً يثبتها فنفوها، وكانت ثابتة في نفس الأمر، وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها، ولو قُدر عدم علم الناس كلهم بها، فللّه علم لم يعلمه العباد، ولله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، لم يعلمها الناس[1]، وليس إذا لم يُعلم[2] ثبوت الصفة يجب أن يُعلم انتفاؤها، بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها، وقد يشك

(١) فقد ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي. إلاّ أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً». فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى!، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها». رواه أحمد في المسند ٣٩١/١ وقد أورده الهيثمي في المجمع ١٨٦/١٠ ــ ١٨٧. وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار، إلاّ أنه قال: «وذهاب غمي» مكان «همي» ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان».

(٢) في أ (نعلم).

في ذلك، فلا يعلم ولا يظن واحد[1] منهما.

والواجب على الإنسان أن يقول ــ لما يعلمه ــ: أعلمه، ولما يظنه: أظنه، ولما يشك فيه: أشك فيه، والله ــ تعالى ــ لم يوجب على الإنسان أن يقطع بانتفاء شيء: إن لم يعلم أنه منتف، فمن قال: «وجب[2] علينا القطع بانتفاء ما لم يقطع[3] بثبوته ولا انتفائه». فقد غلط.

وهذا بخلاف ما يناقض صفات الإثبات، فإن هذا يجب نفيه عن الله. فقد علم بالأدلة القطعية[4]، أن الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص، مثل: إنه حيّ قيّوم، بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأنه غني عن كل ما سواه بكل وجه. فكل من قال قولاً يناقض هذا: عُلم أنه باطل، كالذين قالوا: إن له شريكاً، أو ولداً، أو أنه يشفع عنده الشفعاء بغير إذنه، ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له.

وما كان من الأمور مستلزماً لوازم لو كان موجوداً، فإنه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم، كالأمور التي لو كانت موجودة لوجب أن تنقل نقلاً متواتراً شائعاً، فإنه يستدل[5] بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم، كما لو قال قائل: إنه بُنِيَ بين العراق والشام، أو بين الحجاز

---

(١) في ك و ط (واحداً).
(٢) في ك و ط (أنه أوجب).
(٣) في ك و ط (نقطع).
(٤) في ط (العقلية).
(٥) في ط: (يقول).

والشام مدينة أعظم من بغداد[1]، والموصل وأصبهان[2]، ومصر: دُورها ثلاثة أيام[3]، ونحو ذلك، فإنه يعلم كذبه، فإن هذا مما تتوفر[4] همم الناس على نقله لو كان موجوداً، فإذا لم يستفض هذا وينتشر[5]، علم أن المخبر به كاذب.

وكذا لو ادعى مدع: أنه يوم الجمعة أو العيد قُتل الخطيب، ولم يصل الناس يوم الجمعة، ولم يستفض هذا وينتشر، أو ادعى[6] أنه قُتل بعض ملوك الناس[7]، ولم يستفض هذا ولم ينتشر، أو ادعى أنه بُعث نبي بين المسيح ومحمد ــ صلّى الله عليه وسلّم[8] ــ أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن أو الإنجيل، واتبعه خلق كثير، وكذبه خلق كثير، فإنه يعلم كذب هذا، إذ مثل هذا لا بد أن يستفيض وينتشر.

وكذلك لو ادعى أن قريشاً أو غيرهم عارضوا القرآن، وجاؤا[9] بكتاب يماثل القرآن، وأنهم أظهروا ذلك وأبطلوا به حجة محمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فهذا مما يقطع بكذبه، لأن مثل ذلك ــ لو وقع ــ لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، وكذلك لو ادعى

---

(١) أصل اسمها من (باغ) ومعناها بستان. و(داد) اسم رجل، وقد بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ على نهر دجلة والفرات. قريباً من الكوفة بالعراق. وهي الآن عاصمة الجمهورية العراقية. انظر: معجم البلدان ١/٤٥٦ ــ ٤٦٧.

(٢) أصبهان: سميت بأَصبَهان بن فَلُّوج بن سام بن نوح ــ عليه السلام ــ وقد كانت مدينة عظيمة مشهورة وهي في أرض فارس، ويسمى الإقليم التي هي فيه باسمها، فتحها عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ.
انظر: معجم البلدان ١/٢٠٦ ــ ٢١٠.

(٣) في ط (وأنه بني دورها في ثلاثة أيام) والظاهر أنه تصرف من الطابع.
أي مسيرة ثلاثة أيام (١٥٠ كلم) تقريباً.

(٤) في أ (توفر).

(٥) في أ (فينتشر).

(٦) في أ (وادعى).

(٧) في ك و ط (بعض الملوك علانية بين الناس).

(٨) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٩) رسمت في أ (جاوو).

أن محمداً أمر بِحَجِ بَيْتٍ[1] غير البيت العتيق، أو أوجب صوم شهرٍ غير شهر رمضان، أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى، أو أمر بالأذان والإقامة لغير الصلوات الخمس، أو أنه قال ـ علانية بين الناس لأبي بكر، أو العباس، أو علي[2]، أو غيرهم ـ : هذا هو الخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، أو أن علياً دعا إلى نفسه في خلافة الثلاثة، وأمثال هذه الأمور التي لو وقعت، لكان لها لوازم، يستدل[3] بانتفاء اللازم على انتفاء الملزم، ثم هذه اللوازم منها جلي، ومنها خفي: يعرفه الخاصة.

فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب أحاديث، لا يَقْطع غيرهم بكذبها. لعلمهم بلوازم تلك الأحاديث، وانتفاء لوازمها[4]، كما يقطع من يعلم مغازي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه لم يقاتل في غزوة تبوك، وأن غزوات القتال إنما كانت تسعة مغازي، وأنه لم يغز بنفسه إلى اليمن، ولا العراق، ولا جاوز تبوك بعد النبوة، وأنه لم يحج بعد الهجرة إلاَّ[5] حجة الوداع، ولم يصم إلاَّ تسع رمضانات.

وهكذا يعلمون أن فلاناً أخطأ في هذا الحديث على فلان، لأنهم قد علموا من وجوهٍ ثابتةٍ، أن ذلك الحديث إنما رواه على صورة معينة، فإذا روى غير الثقة ما يناقض ذلك، علموا بطلان ذلك، وأنه أخطأ أو تعمَّد الكذب، مثل ما يعلمون كذب من زاد في قول النبي

---

(١) سقطت (بيت) من ط.

(٢) في ك و ط (للعباس أو لعلي).

(٣) في ك و ط (فيستدل).

(٤) أي ولعلمهم ـ أيضاً ـ بانتفاء تلك اللوازم.

(٥) في ط (لا).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا سبق[١] إلَّا في خُف[٢]، أو حافر، أو نَصْل»[٣] فزاد بعض الناس فيه (أو جَنَاح)، لما رأى بعض الأمراء عنده حمام[٤]، فعلموا أنه كذب تقرباً إلى ذلك الأمير[٥].

وكما يعلمون كذب من روى أن مسيلمة وقومه كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإنما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوا[٦] الزكاة، فإنهم قد علموا بالتواتر أن مسيلمة ادعى النبوة، واتبعه قومه على ذلك، وأنه كتب إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حياته يقول: «من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله» فكتب إليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب»[٧] ويعلمون أنه

---

(١) السبق: بسكون الباء. مصدر سبقتُ اسبِق سبقاً، وبفتحها: الجُعْل (المبلغ المادي) الذي يقع السباق عليه. والرواية الصحيحة: بفتح الباء، والمعنى: أن الجعل والعطاء لا يستحق إلَّا في سباق هذه الأشياء.
انظر: جامع الأصول ٣٦/٥ ـ ٣٧.

(٢) الخف: كناية عن الإبل، والحافر، عن الخيل، والنصل: عن السهم، وذلك بتقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي ذو خف، وذو حافر، وذو نصل.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السبق ٢٩/٣ (٢٥٧٤)؛ والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرهان والسبق ٢٠٥/٤ (١٧٠٠) وقال: «هذا حديث حسن»؛ والنسائي، كتاب الخيل، باب السبق ٢٢٦/٦ ـ ٢٢٧؛ وابن ماجه، أبواب الجهاد، باب السبق والرهان ١٥١/٢ (٢٩٠٨)؛ وأحمد في المسند ٤٢٥/٢.

(٤) في ط (حماماً).

(٥) زيادة: (أو جناح) من وضع إبراهيم بن غياث النخعي، أبو عبد الرحمن، يعد في الكوفيين، وقد زاد هذه الزيادة تزلفاً للمهدي، ولما قام، قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب.
انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٥٠٥هـ ٤٢/١، ط ١، الدار السلفية، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ، واللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٤٧٠/٢؛ وميزان الاعتدال ٣٣٧/٣ ـ ٣٣٨؛ ولسان الميزان ٤٢٢/٤؛ وتاريخ بغداد ٣٢٣/١٢ ـ ٣٢٧.

(٦) في ك و ط (يعطوه).

(٧) وقد كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع =

كان له مخاريق[1]، وأنه ظهر كذبه من وجوه متعددة، وأن أبا بكر[2] الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة، وقاتلوا قومه على ردتهم عن الإسلام، واتباعهم نبياً[3] كاذباً، لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة لأبي بكر[4].

وكذلك الأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة في حياة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقُتل في حياته، كل منهما عُرف كذبه،

= عمرو بن أمية الضمري، فكتب إليه مسيلمة جواب كتابه، ويذكر فيه أنه نبي مثله، ويسأله أن يقاسمه الأرض، ويذكر أن قريشاً قوم لا يعدلون، وقد جاء بهذا الكتاب رسولان هما: ثمامة بن أثال وعبد الله بن النَّواحة، ورد عليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بهذا الكتاب، الذي ذكر طرفه الشيخ المؤلف وبقية الكتاب: «... بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى». وبعث به مع السائب بن العوام أخي الزبير بن العوام، ويذكر أنه ـ عليه السلام ـ قال في مسيلمة: «العنوه، لعنه الله!».

انظر: السيرة لابن هشام ٢٤٧/٤؛ وطبقات ابن سعد ٢٧٣/١؛ والمصباح المضيء في كتاب النبي الأمي، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢ لمحمد بن علي بن حديدة الأنصاري ـ ٧٨٣هـ، ط ٢، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(١) **مخاريق**: من التخرق: وهو لغة في التخلق من الكذب. ومنه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿... **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه**...﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٠].
انظر: اللسان ٧٥/١٠، مادة خرق.
ومنها قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، **أخرج منها** نسمة تسعى من بين صفاق وحشا. وقوله: والمبديات زرعاً، والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوؤه».
انظر: السيرة لابن هشام ٢٢٣/٤؛ والكامل ٢٤٤/٢.

(٢) في (أبي بكر) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) في ك و ط (متنبياً).

(٤) في ك و ط (إلى أبي بكر).

بتكذيب النبي الصادق والمصدوق لهما، ومما[1] ظهر من دلائل كذبهما، مثل الأخبار الكاذبة التي تناقض النبوة، ومثل الإتيان بقرآن مختلق، يعلم من سمعه أنه لم يتكلم الله به، وإنما هو[2] تصنيف الآدميين، كما قال أبو بكر الصديق لهم لمّا تابوا من الردة، وعادوا إلى الإسلام: «أَسْمِعوني قرآن مسيلمة» فلما أسمعوه إياه قال: «ويحكم[3]، أين يذهب بعقولكم، إن هذا كلام لم يخرج من إل» أي لم يخرج من رب[4]. ومثل ما كان يفعله ويأمر به من الفجور والكذب، ومثل اطلاع أخص الناس به[5] على أنه كان يكذب، ويستعين بمن يختلق له الكذب، ومثل أنه كان يعدهم بأن جبريل أخبره أنه[6] سينصر، فلما حقت[7] الحقائق، قال لهم: «إنه لا جبريل لكم، فقاتلوا عن[8] أحسابكم»[9] إلى أمثال هذه الأمور التي تدل على كذب الكاذب.

---

(١) في ك و ط (وبما).

(٢) في ك و ط زيادة (من).

(٣) ويح: كلمة رحمة، وويل: كلمة عذاب، وقيل: هما بمعنى واحد.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٣٩.

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخ الأمم والملوك بمعناه ٣/٣٠٠؛ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٣٢٦.
وانظر: في معنى كلمة إل: اللسان ١١/٢٦، مادة ألل. وترتيب القاموس ١/١٧١.

(٥) سقطت (به) من ك و ط.

(٦) في ك و ط (بأنه).

(٧) حقت: تحققت. وصار الناس منها على يقين.
انظر: مختار الصحاح ص ١٤٧.

(٨) في ك و ط (على).

(٩) جمع حسب: وهو ما يعد من المآثر، وهو مصدر: حَسُب، والحسب والكرم: يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، والرجل الحسيب: الكريم بنفسه، وأما المجد والشرف: فلا يوصف بهما الشخص إلاّ إذا كانا فيه وفي آبائه، والحسب مأخوذ من الحساب، وهو عَدّ المناقب، لأنهم إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه. =

فالصدق له دلائل مستلزمة[1] له تدل على الصدق. والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب، ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر إلاَّ بدليل، وما لم يعلم صدقه، ولا كذبه، ولا ثبوته، ولا انتفاؤه: فإنه يجب الإمساك عنه، ويقول القائل: هذا لم أعلمه، ولم يثبت عندي، ولا أجزم به، ولا أحكم به، ولا[2] أستدل به، ولا أحتج به، ولا أبني عليه مذهبي واعتقادي وعملي، ونحو ذلك. لا يقول: هذا أقطع بكذبه وانتفائه، وإن كنت أقطع أن من أثبته تكلم بلا علم، فالقطع بجهل مثبته، المعتقد له، غير القطع بانتفائه، فمن قطع فيه[3] بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه وإن لم يقطع بانتفاء ما أثبته في نفس الأمر، كمن[4] حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره، فمن حكم وقطع بخبره، من غير دليل يدل عى صدقه، حكمنا بأن هذا متكلم حاكم بلا علم، وإن لم يحكم بكذب الشاهد المخبر، لكن لا يجوز للإنسان أن ينفي علم غيره، وقطع غيره، من غير علم منه بالأسباب التي بها[5] يَعْلم ويُخْبِر، فإنه كثيراً ما يكون للإنسان دلائل كثيرة، تدل على صدق شخص معين، وثبوت أمر معين، وإن كان غيره لا يعرف شيئاً من تلك الدلائل.

وهذا ــ أيضاً ــ مما يغلط فيه كثير من الناس، ينظرون في أنفسهم

= انظر: المصباح المنير ١٣٤/١؛ وتاريخ الأمم والملوك ٢٩٤/٣ بمعناه؛ والكامل ٢٤٦/٢؛ والبداية والنهاية ٣٢٤/٦.

(١) سقطت (له) من ط.

(٢) سقطت (لا) من ط.

(٣) في ك و ط (بشيء).

(٤) في أ (كم) وقد صوبناه من ك و ط.

(٥) في ك و ط (يعلم بها).

ومبلغ علمهم، فإذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العلم بذلك الأمر، جعلوا غيرهم كذلك، من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير، وقد يقيمون حججاً ضعيفة على أنه غيرهم لا يعلم ذلك، مثل ما يفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار، ومن لم يساوهم في نظرهم وأدلتهم وقوة أذهانهم لا يعلم ما علموه، وكثير من الناس يعلم بالأخبار والنقل والاستدلال بذلك أموراً كثيرة، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر[1] وكمال معرفتهم بذلك لا يعلم ما علموه.

فلهذا، كان لأهل النظر العقلي طرق لا يعرفها أهل الأخبار. ولأهل الأخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد[2] العقول، ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته، والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لا يعرفها أهل الحديث والأخبار[3]، وعند هؤلاء من الأحاديث المتواترة عندهم، والآيات[4] المستفيضة عندهم، ما يعلمون بها صدق الرسول، وإن كان أولئك لا يعرفونها. بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم منها طريق أو طرق لا يعلمها آخرون، وهم مشتركون في الإقرار بالله وبرسوله، ولكل قوم طرق وأدلة غير طرق الآخرين وأدلتهم.

بل ما تواتر عندهم من أحوال الرسول: قد يكون المخبرون

---

(١) سقطت (والمخبر) من ط.

(٢) في أ (لا يعرف مجرد).

(٣) في ك و ط (الآثار).

(٤) في ك و ط (والآثار) ـ أيضاً ـ.

لهؤلاء[1]، الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه، غير المخبرين لأولئك، كما كان الصحابة المخبرون لأهل الشام بآيات الرسول، وبالقرآن، وشرائع الإسلام، غير الصحابة المخبرين لأهل العراق، ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء، وإن كان كل من الطائفتين لا يعلم أعيان أولئك الذين أخبروا أولئك.

وهكذا سائر العلوم: قد يكون الذي عَلَّم هؤلاء الفقه أو النظر[2]، أو النحو، أو الطب، غير الذي علم هؤلاء، وإن اشترك الجميع في جنس الفقه، والنظر، والنحو، والطب. وعَلِم ما عَلِمه هؤلاء[3] من الأعيان والأنواع، مع أن طريق هؤلاء ليس طريق أولئك، وإن اشتركوا في النوع.

وعامة ما يعلمه الناس بالحس، هو من هذا الباب، فإن الإنسان يحس بأحوال نفسه: من جوعه، وعطشه، وشبعه، وريه، وحبه، وبغضه، وشهوته، ونفرته، وألمه، ولذته، بل يحس بأعضائه كبطنه، وفرجه، ولا يحس بأحوال غيره، ولكن يشتركان في الجنس العام، فيشتركون في جنس الإحساس بجوعهم وشبعهم، وقد يشتركون في غير ما يحسونه، كاشتراكهم في رؤية الشمس، والقمر والهلال، والكواكب.

وقد غلط في مثل هذا طائفة من المتكلمين في المنطق اليوناني، فزعموا أن العلوم التجريبية، والتواترية، والحدسية، إن جعلوها[4] قسماً

---

(١) سقطت (لهؤلاء) من أ.

(٢) في أ (والنظر).

(٣) أليس من الأولى من جهة الأسلوب أن تستخدم كلمة (أولئك) هنا، حتى لا تتكرر الكلمة بعينها؟ كما هو موجود بالموضع الذي يليه.

(٤) سقطت (إن جعلوها) من ط.

غير التجريبية فإن فيهم[1] من يجعل الحدسية نوعاً من التجريبية، ومنهم من يجعلها جنساً آخر، فزعم هؤلاء أن هذه العلوم مختصة، لا تقوم بها الحجة على من لم يعلمها، دون الحسيات، والوجديات[2] والعقليات. وليس كذلك، بل كما أن هذه تكون مشتركة تارةً، ومختصة أخرى، فكذلك الحسيات، فإن كل أهل[3] زمان ومكان، يعلمون بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان، وأحوال أهله ما لا يشركهم فيه غيرهم. وكذلك الوجديات[4]: فإن من ابتلى بالغرائب في الأمور السياسية والبدنية، يعلم منها ما لا يشركه فيه غيره.

وكذلك العقليات: فإن من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع، فيعلم القدر المشترك الذي هو الحد الأوسط[5]، ويعلم من تَعَلُّقِ الحكم به ما لم يعلمه غيره.

فأجناس العلوم وطرقها منها ما هو مختص، ومنها ما هو مشترك، والمشترك منه ما يشترك فيه جنس بني آدم، ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة، فهذا أصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذا الباب.



---

(١) في ط (وفيهم).

(٢) في ط (الوجدانيات).

(٣) في ك و ط (أهل كل).

(٤) في ط (الوجدانيات).

(٥) **الحد في اللغة**: هو الفاصل بين المحدود وغيره. وفي الإصلاح: هو إما أن يكون بحسب الاسم وهو الحد اللفظي الذي يحتاج إليه في الاستدلال بالكتاب والسنة وكلام كل عالم. وأما بحسب الوصف، وهو تفهيم الحقيقة التي عُرفت صفتها، وهذا يحصل بالرسم والخواص وغير ذلك. والحد الأوسط كالحد المكرر في قياس الشمول مثل قولنا: كل مسكر خمر وكل خمر حرام.
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٩/٢٣٤ و٢٦٣ وصون المنطق والكلام ص ٢٣٥.

فصل

أحوال وشواهد صدق المخبر وكذبه

وإذا كان جنس من يُخْبِر قد يكون كاذباً، وقد يكون صادقاً، فقد علم أنه ليس كل واحد أخبر بخبر يصدق مطلقاً، ولا يكذب مطلقاً، فلم يقل أحد من العقلاء إن كل خبر واحد، أو خبر كل واحد يكون صدقاً، أو يفيد العلم، ولا أنه يكون كذباً بل الناس يعلمون أن خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم أنه صدق، وإن كان خبر واحد، وقد يقوم الدليل على كذبه، فيعلم أنه كذب وإن أخبر به ألوف، إذا كان خبرهم على[1] غير علم منهم بما أخبروا به، أو عن تواطىء منهم على الكذب، مثل: إخبار أهل الاعتقادات الباطلة بالباطل الذي يعتقدونه، وأما إذا أخبروا [2] عن علم منهم بما أخبروا به، فهؤلاء صادقون في نفس الأمر، ويعلم صدقهم تارة بتوافق[3] أخبارهم من غير مواطأة، ولو كانا اثنين، فإن الاثنين إذا أخبرا[4] بخبر طويل، أسنداه إلى علم، وقد علم أنهما لم يتواطأا[5] عليه، ولا هو مما قد[6] يتفق ـ في العادة ـ تماثلهما فيه في الكذب أو الغلط: علم أنه صدق.

---

(١) في ك و ط (عن).

(٢) في ك و ط زيادة (به).

(٣) في ك و ط (بتواتر).

(٤) في أ (أخبروا).

(٥) في ط (يتواطئا).

(٦) سقطت (قد) من ك و ط.

وقد يُعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل، تدل على صدقه، ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن[1] بخبره يعلم بها صدقه. وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه، ودينه، وتحريه الصدق، بحيث يُعلم قطعاً أنه لا يتعمد الكذب، كما يَعْلم علماء أهل الحديث ـ قطعاً[2] ـ أن ابن عمر، وعائشة، وأبا سعيد، وجابر بن عبد الله، وأمثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فضلاً عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأمثالهم، بل يعلمون علماً يقينياً أن الثوري، ومالكاً[3]، وشعبة[4]، ويحيى بن سعيد[5]، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبا زرعة، وأبا داود وأمثالهم لا يتعمدون الكذب في الحديث.

وقد تكون الدلائل صفات في المُخْبَر به مختصة بذلك الخبر، أو بنوعه[6]، يُعلم بها أن ذلك المُخْبِر لا يَكْذِب مثل ذلك الخبر، كحاجب

---

(١) سقطت (تقترن) من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (علماً يقينياً) وجاء بدل «قطعاً» كلمة (قطعياً) في ط.

(٣) في ك و ط (مالك).

(٤) هو شعبة بن الحجاج.

(٥) هناك أكثر من رجل بهذا الاسم في محيط علماء المسلمين الأوائل، ومن المؤكد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ يقصد: يحيى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول القطان، الإمام الكبير الحافظ، ولد سنة ١٢٠هـ، سمع من سليمان التيمي وهشام بن عروة والثوري وغيرهم، وسمع منه سفيان وشعبة وأحمد وغيرهم، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة إذا لم يجد النص، مات سنة ١٩٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٩/١٧٥ ـ ١٨٨؛ وتهذيب التهذيب ١١/٢١٦.

(٦) في ك و ط (تنوعه).

الأمير إذا قال بحضرته لعسكره أن الأمير قد أذن لكم في الانصراف، أو أمركم أن تركبوا غداً، أو[1] أمَّر عليكم فلاناً، ونحو ذلك، فإنهم يعلمون أنه لا[2] يتعمد الكذب في مثل هذا، وإن لم يكن بحضرته، فكيف إذا كان بحضرته، وإن كانوا قد يكذبونه في غير هذا[3].

وقد تكون الدلائل: سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر، وإقراره[4] عليه، فإن العادة كما قد تمنع التواطؤ على الكذب، فإنها قد تمنع التواطؤ[5] على الكتمان، وإقرار الكذب، والسكوت عن إنكاره، فما توافرت الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر على كتمانه، كما يمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة، تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، في الحج، أو الجامع، أو العسكر، وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه، ثم لا ينقل ذلك أحد.

وإقرار الكذب والسكوت على رده أعظم امتناعاً في العادة من الكتمان، فإن الإنسان في العادة قد تدعوه نفسه إلى أن يسكت على[6] ما رآه وسمعه، فلا يخبر به. ولا تدعوه نفسه إلى أن يكذب عليه، ويخبر عنه بما يعلم أنه كذب عليه، فيقره ولا ينكره، إذ كانت عادة الناس إلى

---

(١) في ك و ط زيادة (قال: قد).

(٢) في ك و ط (لم).

(٣) في ك زيادة (لا) بخط كبير، وفي الهامش (كذا بخط الشيخ هنا «لا» هـ) ويبدو أنها كانت علامة لبداية كتابة ملغاة. وأن الإلغاء وهم من الناسخ نظراً لتكرر عبارة: (وقد تكون الدلائل...) إلخ، عند بداية هذا الإلغاء وما بعد نهايته، والتي سوف يشار إليها في موضعها وهي بمقدار ثلث صفحة من ك.

(٤) في ك (وإقراؤه) وفي ط (وأقروه).

(٥) في أ و ك رسمت (التواطي).

(٦) في ك و ط (عما).

تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم بالإخبار به[١].

وكـذلك إذا كُـذب في قصة[٢]، وبلغ ذلـك من شاهـدها، فتـوفُـر الهمم على تكـذيب هـذا أعـظم من تـوفـرهـا على إخبـارهم بمـا وقــع ابتـداء[٣]، فإذا كـانت من القضايـا التي يمتنع السكـوت عن إظهارهـا، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعاً[٤].

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره، فـإن الإنسان قـد يرى حُمـرة وجهه، فيميـز بين حمرتـه من الخجل والحيـاء، وبين حمرتـه من الحمى وزيــادة الـدم، وبين حمــرتـه من الحمــام، وبين حمـرتــه من الغضب. وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والـوجل، وبين صفـرته من الحزن والخوف، وبين صفرته من المـرض، فكما أن سَحْنَتـه[٥] ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية، من أمراضـه المختلفة، حتى إن الأطبـاء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنتـه، فلا يحتـاجون مـع ذلك إلى نبض وقـارورة[٦]. وكذلـك[٧] تعرف أحـواله النفسـانيـة، هـل هـو فـرح مسرور؟ أو محزون مكروب؟ ويعلم هل هو محب صديق، مريد للخيـر؟

---

(١) في ك و ط (في الإخبار بما رأوه).

(٢) في ك و ط (قضية).

(٣) في ك و ط تقدمت (ابتداء) على جملة (بما وقع).

(٤) في ك زيـادة (إلى) بخط كبير بـارز مـرتفعـة عن السـطر، وفي الهـامش (إلى هنـا). وتفسيرها كما أشرت منذ قليل.

(٥) السحنة: الهيئة واللون والحال.
انظر: اللسان ١٣/٢٠٤، مادة سحن.

(٦) القارورة هنا: هي الزجاجة التي يوضع فيها بول المريض، فقد كانت بمثابة المجهر أو المختبر.

(٧) في ك و ط (فكذلك).

أو هو مبغض عدو، مريد للشر؟ كما قيل:

تحدثني العينان ما القلب كاتم[1]

....

والعين تعرف من عيني محدثها

إن كان من حزبها[2] أو من أعاديها[3]

وكما قيل:

....

ولا خير في الشحناء[4] والنظر الشَّزْر[5]

---

(١) هذا شطر بيت من بحر الطويل، وشطره الأخير هو الآتي، وقد عزاه د. محمد رشاد سالم في فهرس درء تعارض العقل والنقل ١٤٧/١١ إلى سويد بن الصامت وقال د. طه العلواني في تحقيقه للمحصول للرازي ج ٢، ق ٣٠٦/١ وذكر من استشهد بهذا البيت ثم قال: «ولم أستطع معرفة الشطر الآخر للبيت ولا قائله».

(٢) في ك و ط (حربها) بالراء المهملة.

(٣) البيت من بحر البسيط، وقد أورده الشيخ المؤلف بدون فصل بينه وبين الشطر من بيت الذي قبله.

(٤) في ك و ط (السحناء) بالسين المهملة.

(٥) هذا هو الشطر الثاني ــ فيما أظن ــ للبيت الذي أورد الشيخ صدره قريباً، وعليه يكون البيت هكذا:

تحدثني العينان ما القلب كاتم ولا خير في الشحناء والنظر الشزر

والنظر الشزر: هو إذا نظر بمؤخر عينه متبغضاً، وهو نظر فيه إعراض كنظر المعادي، وقيل: هو النظر عن يمين وشمال، وليس بمستقيم الطريقة، قال الفراء: «شزرته أشزره شزراً، ونزرته أنزره نزراً: إذا أصبته بالعين».

انظر: معجم مقاييس اللغة، باب الشين والزاء وما ثلثهما ٢٧٠/٣ لأحمد بن فارس بن زكريا ــ ٣٩٥هـ ت: عبد السلام هارون، ط ٢، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م، واللسان ٤٠٤/٤، مادة شزر.

ثم إذا تكلم مع ذلك[1]، دل كلامه على أبلغ مما يدل عليه سيما[2] وجهه، كما قال ـ تعالى ـ عن المنافقين ـ : ﴿**ولو نشاء لأريناكهم، فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول . . .**﴾[3] * فأخبر أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن القول *[4] وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة، والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فبين أنه في لحن قوله يُعلم أنه كاذب.

وقال ـ في حق المؤمنين ـ :

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ . . .﴾[5].

وقال ـ في حق الكافر ـ :

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[6].

أي له زنمة من الشر، أي علامة يعرف بها[7].

---

(١) سقطت (مع ذلك) من ك و ط.

(٢) السيما: العلامة.
انظر: الكشاف ٣/٥٣٧.

(٣) **لحن القول**: نحوه وأسلوبه، وقيل: اللحن: هو أن تلحن بكلامك: أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك، كالتعريض والتورية. وقيل للمخطىء: لاحن، لأنه يعدل بالكلام عن الصواب.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : الآية ٣٠.

(٤) ما بين النجمتين سقط من ط.

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٦) سورة القلم: الآية ١٣.

(٧) هذا تفسير ابن عباس وتلميذه سعيد بن جبير كما أخرجه ابن جرير بإسناده عنهما، جامع البيان ٢٩/٢٦، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٩٩؛ كتاب التفسير، وقال: =

وقد روي عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه[1] ــ : «ما أسر أحد سريرة إلَّا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»[2].

وقد بسطنا الكلام على هذه في مسألة[3] الإيمان[4]، وبينا أن[5] ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله وتعظيم، لا بد أن يظهر على الجوارح، وكذلك بالعكس. ولهذا يستدل[6] بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن، كما في الحديث الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إلَّا أن في الجسد مضغة[7] إذا

= «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٢٠ ــ ٢٢١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣ إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والخرائطي في (مساوىء الأخلاق) والحاكم وصححه عن ابن عباس.

(١) لم ترد في ط الجملة الدعائية.

(٢) هذا الأثر ذكره ابن مفلح ولم يعزه إلى مصدر.
انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٥٣/١ لمحمد بن مفلح المقدسي ٧٦٣هـ تصوير ونشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

(٣) رسمت في أ و ك هكذا (مسئلة).

(٤) وهو الكتاب الذي ألفه الشيخ المؤلف باسم (الإيمان) وقد طبع مرات متعددة في دلهي بالهند سنة ١٣١١هـ وفي مصر سنة ١٣٢٥هـ وفي دمشق سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م. وهو يقع في مجلد، وقد قام شيخ الإسلام بالكلام على هذا الأصل الهام من أصول الدين بكلام شاف، أورد فيه كل ما يحتاجه المسلم لمعرفة اعتقاده، وما يكون حجة على المعاند في عناده وكفره، ففيه بيان حقيقة الإيمان وشعبه، والفرق بينه وبين الإسلام والإحسان، وفيه الرد على أهل البدع والضلالات.
انظر: مقدمة طبعة المكتب الإسلامي بدمشق، بقلم زهير الشاويش سنة ١٣٨١هـ.

(٥) سقطت (أن) من ط.

(٦) في ط (استدل).

(٧) **المضغة**: مقدار ما يمضغ في الفم.
انظر: المصباح المنير ص ٤٢٦.

صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد[1] لهـا سائـر الجسد، ألا وهي القلب»[2]. وكما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنـه ـ لمن رآه يعبث في الصـلاة: «لو خشـع قلب هذا لخشعت جـوارحه[3]». ومن هذا الباب قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[4].

وقوله:

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[5].

وقوله:

﴿ . . . وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً . . . ﴾[6].

---

(١) في أ (فسدت).

(٢) رواه البخاري بمعناه، كتاب الإيمان، بـاب فضل من استبـرأ لدينـه، ١٢٦/١ (٥٢) من الفتح. ورواه مسلم بمعناه ـ أيضـاً ـ كتاب المسـاقاة، بـاب أخذ الحـلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣ ـ ١٢٢٠ (١٥٩٩).
ورواه أبو داود الطيالسي بنحوه في مسنده ١٠٦/٣ ـ ١٠٧ (٧٨٨).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في (النوادر) مرفوعاً بسند شديـد الضعف، قال الـزين العراقي في شرح الترمـذي: «وإنما يعـرف هذا عن ابن المسيب، وقـد رواه ابن المبارك في (الـزهد) مـوقوفـاً على سعيد بسنـد ضعيف ـ أيضاً ـ ». قـال الألباني: «فـالحديث مـوضوع مـرفوعـاً، ضعيف موقـوفاً بـل مقـطوعـاً. ويـروى عن حـذيفـة ـ رضي الله عنه ـ ».
انظر: رسالة الخشوع في الصلاة لابن الجوزي ١٧، ت: محمـد عفيفي، ط ١ نشر مكتبة الحرمين بارياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م وسلسلة الأحـاديث الضعيفة ١٤٣/١ ـ ١٤٤ (١١٠).

(٤) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٥) سورة المائدة: الآية ٨١.

(٦) سورة التوبة: الآية ٤٦.

فإن الإرادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد. والسفر في غزوة بعيدة لا يكون[1] إلا بعُدَّة، ومن هذا الباب أن عثمان قال لعمر، لمّا شاوره في المرأة التي أقرت بالزنا ــ : «إني أراها تستهل به استهلال من لا يعرف أنه حرام»[2]. فإنه لما رآها تجهر بما فعلته، وتحكيه من غير اكتراث، تبين له أنها لم تعتقد تحريمه، وأنه يذم وتعاقب عليه، ووافقه عمر، وعلي، وغيرهما على ذلك.

والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه، وبهجة وجهه سِيْما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه، حتى إن الرجل يكون في صغره جميل الوجه، فإذا كان من أهل الفجور مصراً على ذلك، يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أثّره باطنه وبالعكس.

وقد روى عن ابن عباس أنه قال: «إن للحسنة لنوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، ووهنا في البدن، وبغضة[3] في قلوب الخلق»[4].

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب، لكن يعتقد اعتقادات

---

(١) في ك (تكون) بالتاء المثناة الفوقية.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الشبهات ٢٣٨/٨ وإسناده ــ كما قال الألباني في إرواء الغليل ٣٤٢/٧ (٢٣١٤): «إسناد ضعيف».

(٣) في ط (بغضاً).

(٤) أخرجه أبو نعيم بمعناه عن أنس بن مالك مرفوعاً كما في الحلية ١٦٠/٢ ــ ١٦١، وقال: «غريب لم نكتبه إلاّ من هذا الوجه، تفرد به عمرو بن أبي قيس». كما أخرجه أبو نعيم ــ نفسه ــ عن الحسن بن صالح موقوفاً، الحلية ٣٣٠/٧.

باطلة كاذبة، في الله أو في رسله، أو في دينه، أو[1] عباده الصالحين، وتكون له زَهادة وعبادة، واجتهاد في ذلك، فيؤثر ذلك الكذب، الذي ظنَّه صدقاً وتوابعه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القَتَرة[2] والسواد ما[3] يناسب حاله، كما قال بعض السلف: «لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان، إن سواد البدعة لفي وجهه».

وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهوراً تاماً، [4]قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى[5] لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ[6] لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[7].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[8].

---

(١) في أ (وعباده) وفي ط (أو في).

(٢) في ط (الفترة) بالفاء.
القترة: جمع قتر، وهو الغبار.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢١.

(٣) في أ (وما يناسب) وعدم العطف أولى.

(٤) في ك و ط زيادة (كما).

(٥) مثوى: مقام ومأوى.
انظر: صفوة التفاسير ٨٦/٢٤.

(٦) بمفازتهم: بسبب سعادتهم وفوزهم بمطلوبهم وهو الجنة.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة الزمر: الآيتان ٦٠، ٦١.

(٨) سورة آل عمران: الآيتان ١٠٦، ١٠٧.

قـال[1] ابن عباس وغيـره: «تبيض وجوه أهـل السنة والجمـاعـة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[2].

والمقصود أن ما في القلوب من قصـد الصدق، والمحبـة، والبر، ونحو ذلك، قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علماً ضرورياً من أبلغ العلوم الضـروريـة، وكـذلـك مـا فيهـا من قصـد الكـذب، والبغض، والفجور، وغير ذلـك. والإنسان يـرافق في سفره من لم يـره قط إلَّا تلك الساعة، فلا يلبث إذا رآه مدة وسمـع كلامـه، أن يعرف هـل هو مـأمون يـطمئن إليه، أو ليس كـذلك؟ وقـد يشتبه عليـه[3] في أول الأمر، وربمـا غَلِط، لكن العادة الغالبة أنه يتبين ذلك بَعْدُ لعامة الناس.

وكذلك الجار يعرف جاره، والمُعَامِل[4] يعرف معامله: ولهذا لمـا شهد عند عمـر بن الخطاب رجـل، فزكـاه آخر، قـال: «هل أنت جـاره الأدنى، تعرف مساءه وصباحه؟» قال: لا، قال: «هل عاملته في الدرهم والدينار، الذين تمتحن بهما أمانات الناس؟» قال: لا، قال: «هل رافقته في السفر الذي ينكشف[5] فيه أخلاق النـاس؟» قال: لا، قـال: «فلست

(١) في ط (وقال).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنـة والجماعـة ١/٧١ ـ ٧٢ لهبة الله بن الحسن الـطبري الـلالكائي ـ ٤١٨هـ ت: د. أحمـد سعد حمـدان، دار طيبة، الـريـاض وقـد عـزاه السيوطي إلى ابن أبـي حاتم، وأبـي نصر ـ أي السجزي ـ في (الإبـانة) والخـطيب في (تاريخه) واللالكائي في (السنة) عن ابن عباس، وقال: (الضلالة) بدل (الفـرقة) كما عزاه إلى الخطيب في رواية مالك والديلمي عن ابن عمر بنحـوه، وقد عـزاه إلى أبـي نصر السجزي في الإبانة عن أبـي سعيـد الخدري. وذكـره ابن كثير في تفسيـره ٢/٧٦. ولم أجده عند الطبري، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢/٦٣.

(٣) في ك و ط زيادة (ذلك).

(٤) لم تظهر الميم الأولى جيداً في كلمة (المعامل) في أ.

(٥) في ك و ط (تنكشف) بالتاء في أوله.

تعـرفه» وروي أنـه قال: «لعلك رأيتـه يركـع ركعـات في المسجـد»[1].
وذلك أن المنافق قد يُظْهِر الصلاة فمن لم يَخْبُره لا يعرف باطن أمره كمـا قيل:

ذئب تـراه مصليـاً ... فـإذا مررت بـه ركع
يـدعو وجـل دعـائـه ... مـا للفريسـة لا تقع
وإذا الفريسة خيلت[2] ... ذهب التنسك والورع[3]

فإذا كان كـذلك، فمن نبـأه الله واصطفـاه للرسالـة، كان قلبـه من أفضل القلوب صدقـاً وبراً، ومن افتـرى على الله الكذب، كـان قلبه من شر القلوب كذباً وفجوراً، كما قال عبـد الله بن مسعود: «إن الله نـظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فـوجد قلوب أصحـابه خيـر قلوب

---

(١) السنن الكبـرى للبيهقي، كتـاب آداب القـاضي، بـاب من يـرجـع إليـه في السؤال ١٠/١٢٥. قال الصنعاني: «رواه ابن كثير (ويقصد: ذكـره، فابن كثيـر مؤلف وليس براو) في الإرشاد... قال ابن كثير: «رواه البغوي بإسناد حسن».
انظر: سبل السلام ١٢٩/٤ لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ــ ١١٨٢هـ ط ٢، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م. وقـد راجعت مضان وجـود هذا الأثـر في شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي ــ ٥١٦هـ فلم أجده.

(٢) **خيلت**: تهيأت.
انظر: المصباح المنير ص ١٨٦/١.

(٣) هذه الأبيات من مجزوء الكامل، ولم أصل إلى قائلها، مع طول بحث. وقـد أوردها الشيخ عبد العزيز السلمان في كتابه: من معجزات النبي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ص ٧١، ط ٨، مطبعة المدينة، الـرياض ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م وجـاء بالبيت الثـالث منها هكذا:
عـجـل بـهـا عـجـل بـهـا ... إن الـفـؤاد قـد انـصـدع
وقد سألته عنها في زيارة له بمنزله بالعلياء بمدينة الرياض فلم نجد لها مصدراً.

العباد، فاتخذهم[1] لصحبة نبيه وإقامة دينه، فما رآه المؤمنون[2] حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون[3] سيئاً، فهو عند الله سيِّىء»[4].

وقال عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مستناً[5] فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد: أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[6].

وإذا كان من أعظم، بل أعظم أهل زمانه صدقاً وبراً، فإنه لا بد أن يظهر على فلتات لسانه، وصفحات وجهه، ما يناسب ذلك، كما أن الكاذب الكافر لا بد أن يظهر على وجهه، وفلتات لسانه ما يناسب ذلك. وهذا يكون تارة حين إخباره بما يخبر به، وتارة موجوداً في غير تلك الحال، فإن الرجل إذا جاء، وقال: إن السلطان، أو الأمير أو الحاكم، أو الشيخ، أو فلاناً أرسلني إليكم بكذا، فإنه قد يقترن بنفس إخباره من كيفيته وحاله ما يُعلم به أنه صادق أو كاذب. وإن كان معروفاً قبل ذلك

---

(١) في ك و ط (فاختارهم).

(٢) في ك و ط (المسلمون).

(٣) في ك و ط (المسلمون).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢١١ (٣٦٠٠) ت: شاكر. وأورده الهيثمي في المجمع ١/١٧٧، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني ــ في الكبير ــ ورجاله موثقون». ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ١/٣٣ (٢٤٦).

(٥) مستناً: سالكاً طريق غيره في الهداية والصلاح.
انظر: اللسان ١٣/٢٢٥ ــ ٢٢٦، مادة سنن.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٥ عن ابن عمر، وليس فيه: «فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة. . . إلخ». وهذه الجملة عن ابن مسعود في الحلية ١/١٣٦.

بالصدق أو الكـذب، كان ذلـك دلالة أخـرى، وقد يكـون ممن يكذب، ولكن يُعـرف أنه صـادق في ذلك الخبـر، دع من يستمر على خبـر واحد بضعاً وعشرين سنة مع أصناف الناس، واختلاف أحوالهم.

ومما ينبغي أن يعلم أن النـاس تختلف أحـوالهم في المعـرفـة، والخبرة، والنظر، والاستدلال في جميع المعـارف، فقد يتفـطن الإنسان لدلالة لا يتفطن لها غيره، وقد يتبين له ما يخفى على غيره، حتى الأنبياء يتفاضلون، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ [1] غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ [2] فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾[3].

والمقصـود: أن العلم بصدق الصـادق، وكذب الكـاذب كغيرهمـا من المعلومات قد يكـون ضروريـاً، وقد يكـون[4] نظريـاً، وهو ليس من الضروريات الكليـة الأولية، كـالعلم بأن الـواحد نصف الاثنين، بـل من العلم بالأمور المعينة، كالعلم بحمرة الخجل، وصفرة الوَجَـل[5]، وعدل العـادل، وظلم الـظالم، ونحـو ذلـك ممـا يعـرفـه الخبيـر بـذلـك علمـاً ضرورياً، وإذا كان استدلالياً، فالمعرفة[6] بالعلم لا تحصل بمجرد وجود

---

(١) نفشت فيه. رعت فيه ليلاً فأفسدته.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٦٩.

(٢) أي: مطلعين على حكم كل منهما عالمين به.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٤) في ك و ط زيادة (كسبياً).

(٥) الوجل: الخوف.
انظر: مختار الصحاح ص ٧١١.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (كالمعرفة) وما أثبتناه أولى.

الدليل في نفسه، بل لا بد من معرفة القلب به، والناس متفاوتوت[1] في ذلك. والدليل أبداً هو ما استلزم المدلول، فكل ما كان مستلزماً للشيء، كان دليلاً عليه، لكن لا بد من معرفته ومعرفة أنه مُسْتَلْزِم. ثم إذا حصل العلم صار ضرورياً، وقد يكون ضرورياً بلا واسطة دليل معين، وليس العلم بالمعينات[2] كالعلم بصدق هذا وكذب هذا، مما يحتاج فيه إلى القياس الشمولي[3]، فإن ذلك إنما يفيد بتوسط قضية كلية، والمعينات قد لا يحتاج فيها إلى ذلك، وإن كان لا بد فيها من خبرة بحال ذلك المعين.

وإذا كان القائل: إني رسول الله: إما أن يكون من خيار الناس وأصدقهم، وأبرهم، وأفضلهم، وإما أن يكون من شرار الناس وأكذبهم وأفجرهم. والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة، لا تكاد تنضبط، كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا، وكانت المعرفة بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا، وخبر هذا، ورؤية وجهه، وسماع كلامه، وما يلزم ذلك، ويقترن به من بهجة الصدق، ونوره، ومن ظلمة الكذب، وسواده، وقبحه.

يتبين[4] بذلك أن كثيراً من الناس يحصل لهم علم ضروري بأن

---

(١) في ك و ط (متفاضلون) ورسمها الناسخ في أ هكذا (متفافاوتون).

(٢) في ك و ط (المغيبات).

(٣) القياس الشمولي: هو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي، المتناولة له ولغيره.
انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ١١٩/٩.

(٤) في ك (تبين) وفي ط (فتبين).

هذا النبي صادق، وهذا المتنبي كاذب، بمثل ذلك، من قبل أن يروا خارقاً للعادة[1].

وقول بعض المتكلمين: ما لم يكن خارقاً للعادة، لا[2] اختصاص للنبي به فلا يدل. فيقال له: لفظ (خرق العادة) لفظ مجمل، وإن تعين[3] دعوى النبوة صدقاً وكذباً ليس هو أمراً معتاداً، ولم يقع هذا إلَّا في أفراد من العالم[4]، وهو أقل بكثير من الأخبار بالمغيبات، فإن هذا أكثر في الوجود من دعوى النبوة، إذ كل نبي يخبر بالمغيبات، وليس كل من أخبر بها كان نبياً، وهؤلاء الذين يقولون هذا، يقول أكثرهم أو كثير منهم: إن دعوى النبوة، والتحدي، والمعْجِز مجموعها هو المختص بالنبي. وإلَّا فهم يقولون: إن ما كان معجزة لنبي جاز أن يظهر على يدي ولي، أو ساحر، وإنما يفرق بينهما[5] التحدي وعدم المعارضة، ومنهم من ينكر خرق العادة أن[6] يظهر على يد غير نبي، ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر، إلَّا ببر هذا، وفجور هذا، ومنهم من يَطْرِد[7] ذلك في النبي لا سيما متفلسفة اليونان[8]، فإنهم من أجهل

---

(١) في ك و ط زيادة (منفصلاً عنه).

(٢) في ك و ط (فلا).

(٣) في ك و ط (نفس).

(٤) في ك و ط (العالمين).

(٥) في ك و ط زيادة (دعوى النبوة مع).

(٦) في ك و ط تقدمت (أن) على جملة (خرق العادة).

(٧) من اطرد الأمر: أي تبع بعضه بعضاً وجرى.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٩.

(٨) في ك و ط زيادة (منهم).

الناس بأمر النبوة، إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء، وبما[1] جاؤوا به من الآيات والبراهين والعلم بصفاتهم، وإنما أخذوها من القياس على المنامات، فجوزا فيها مثل ما يجوز على النائم من الأحلام والتخيل، وما يصيب أهل المرة السوداء[2] مما يشبه ذلك.

وهذا هو الموجود في[3] عامة أتباع أرسطو، ولكن متأخروهم كابن سينا ضم إلى ذلك تصرفه في هيولي[4] العالم، لما بلغه من خوارقهم الفعلية، التي لم يكن يعرفها أولئك، إذ كان علم أرسطو هو ما[5] كان يعلمه قومه من اليونان، وهم أمة أولاد يافث[6]، لم يكن

---

(١) في ك و ط (ما).

(٢) وهو مرض سببه إكثار الإنسان من الأغذية السوداوية، كالعدس والدخن ولحم البقر والباذنجان ونحو ذلك، وهو يبتدي بفترة (خمول) في البدن، وشدة عطش وقلة نوم، وإذا لم يُعالح منه أدى ذلك إلى أمراض خطيرة، عسرة البرء، مزمنة، كالجذام والجرب والسكتة والصرع، وعلاماته يبوسة العين وسائر الجسم، وقلة النوم، وكثرة الشراب، وزيادة الوسواس، والفكر والبلغم، وأن يرى في نومه الأهوال والمخاوف والخيالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة، ويهرب من كل أحد، ويرى الأموات، ونحو ذلك.
انظر: تسهيل المنافع، في الطب والحكمة: ٦.

(٣) في أ كتب الناسخ كلمة (كلام) هنا، ثم شطبها.

(٤) الهيولى: تقال عند الفلاسفة على مراتب منها: الهيولى الأولى: وهي غير الصورة. ومنها: ما هي ذوات صور، فهذه منها: صور الأجسام البسائط، ومنها صور الأجسام الآلية، ومنها صور الأجسام السماوية.
انظر: لباب العقول: ٥٥.

(٥) في ك و ط (بما).

(٦) يافث: هو أحد أولاد نوح الثلاثة، وهو أبو الروم، وقيل: أبو الترك والسقالبة، =

فيهم ما في أولاد سام[1]، كهود، وصالح، وغيرهما، ثم أولاد إبراهيم الخليل، الذي وعده[2] الله أن يجعل في ذريته النبوة والكتاب، حتى يكون علم النبوة مشهوراً فيهم.

وقد جعل الله ـ تعالى ـ من زمن الخليل في ذريته النبوة والكتاب، كما أخبر بذلك في القرآن، وهم[3] لم يكونوا من ذريته، ولا كانوا خبيرين بأحوال ذريته، وقد ذكر طائفة منهم، كمحمد بن يوسف العامري[4]، وصاعد بن صاعد[5] الأندلسي[6]، أن أساطينهم خمسة

= ويأجوج ومأجوج، وهو يافث بن نوح بن لامك بن فتشولخ ابن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن فينق بن أنوش بن شبث بن آدم أبي البشر ـ عليه السلام ـ.
انظر البداية والنهاية: ١: ١٠٠ و ١١٥.

(١) سام: ويقال: ساما، ابن نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ قيل: إنه ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقد أوصى إليه أبوه نوح عند موته، لأنه أكبر أولاده، وهو أبو العرب وفارس والروم، وامرأته (صلب) ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وولدت له أربعة أولاد، وعمِّر ٦٠٠ سنة.
انظر: الكامل ١: ٤١ ـ ٥٢ و ٤٤ و ٤٦.

(٢) في ك و ط (وعده) بالهاء في آخره.

(٣) في ك و ط زيادة (يعني الفلاسفة).

(٤) العامري: هو النيسابوري أبو الحسن، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراسان، أقام بالري واتصل بابن العميد (الوزير الكاتب) فقرأا معاً عدة كتب، له كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام) مطبوع. توفي سنة ٣٨١هـ، الأعلام ١٤٨/٧؛ ومعجم المؤلفين ١٢٧/١٢.

(٥) في ك و ط (عباد).

(٦) الأندلسي: هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد التغلبي، أبو القاسم =

ثم[1] أربعة: ابندقلس[2]، ثم فيثاغورس، ثم سقراط[3]، ثم أفلاطن، قدموا الشام واستفادوا من بني إسرائيل. ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم، بخلاف أرسطو، قالوا: فإنه لم يقدم الشام، وذكر هؤلاء، كمحمد بن يوسف العامري وغيره: أن أول من لُقب بالحكمة: لقمان[4]، وأن ابندقلس استفاد منه، ومن أتباع داود ــ عليه السلام ــ

= مؤرخ بحاث، أصله من قرطبة، ومولده في المرية، ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي سنة ٤٦٢هـ وكان مولده سنة ٤٢٠هـ له كتاب: طبقات الأمم. مطبوع. انظر: الأعلام ١٨٦/٣؛ ومعجم المؤلفين ٣١٧/٤.

(١) سقطت جملة (خمسة ثم) من ك و ط.

(٢) ولد أبندقلس سنة ٤٩٥ق.م تقريباً، ومات سنة ٤٣٥ق.م، وهو أحد الفلاسفة اليونانيين الكبار، وكان في زمن داود ــ عليه السلام ــ وقد أخذ الحكمة عن لقمان بالشام، ثم انصرف إلى بلاد اليونان، وهناك طائفة من الباطنية تنتهي إلى حكمته وتزعم أن له رموزاً قلما يوقف عليها.
انظر: طبقات الأمم ٢١ لصاعد الأندلسي ــ ٤٦٢هـ نشر لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٢م. وقصة الفلسفة اليونانية ٦٦ وما بعدها. وتاريخ الحكماء للقفطي ١٥.

(٣) **سقراط**: هو ابن سفرنيسفوس الحكيم، ولد سنة ٤٧٠ق.م تقريباً في أثينا، وكان أبوه يصنع التماثيل فاشتغل سقراط مثل أبيه ثم انصرف إلى الحكمة والفلسفة، فأخذ من أنكسفوراس وأرخيابوس الطبيعي الأدب والأخلاق، واقتصر من الحكمة على الإلَهيات فنهى عن الشرك والأوثان، ثم قتله ملوك اليونان بالسم سنة ٣٩٩ق.م.
انظر: الملل والنحل ٢٨٩/٢.

(٤) **لقمان**: هو ابن عنقاء بن سدون، ويقال: ابن ثاران، كان نوبياً من أهل أيلة، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة، ويقال: كان قاضياً في زمن داود =

فإنه كان في زمن داود، وإذا كان هذا قول هؤلاء النظار وأهل[1] الكلام والفلسفة، فمجرد خارق العادة ــ عندهم ــ ليس وحده مستلزماً للنبوة، حتى يكون وحده دليلاً، بل لا بد أن ينضم إلى ذلك التحدي وعدم المعارضة.

ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم، كأبي الحسن وأتباعه، هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب؟ فقيل: لا يجوز، لأنه عَلَم النبوة، فيمتنع أن يتخلف عنه مدلوله، كسائر الأدلة. وقيل: بل يجوز، ولكن الله لا يفعله. ثم قيل: لأنه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول، إذ لا طريق[2] إليه إلَّا المعجز ــ عندهم ــ، وقيل: بل هو مقدور ممكن، ولكن نحن نعلم اضطراراً أنه لا يفعله، مثل كثير مما يمكن في العادة، ونعلم أن الله لا يفعله ــ وجميع من جمع بين القولين ــ وقال: مجموع ما يدل على النبوة ــ وهو الخارق السالم عن المعارض[3] ــ يمتنع أن يكون لغير نبي، بخلاف جنس الخارق. فقيل له: هذا الامتناع إما أن يكون عادياً، وإما أن يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبي، وذلك ممتنع، فإذا[4] كان ممتنعاً لاستلزامه أمراً ممتنعاً، وإذا كان انفلات[5]

= ــ عليه السلام ــ والمشهور عند الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً.
انظر: البداية والنهاية ٢/١٢٣ و١٢٥.

(١) في ك و ط (من أهل).
(٢) في ك و ط زيادة (لنا).
(٣) في ك و ط زيادة (مع التحدي).
(٤) في ك و ط (فإنما).
(٥) في ك و ط (انقلاب).

العادة ليس عندك ممتنعاً، فلا بد لك من ذلك الجواب، وهو القول: بأنا نعلم ضرورة أن ذلك لم يكن، ثم إذا علمت أن هذا علم ضروري، وأن العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري، كالمثل الذي ضربته في إرسال الملك رسولاً، وقول رسوله: إن كنت صادقاً فغير عادتك بقيامك، ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول، فإن ذلك يوجب العلم الضروري بصدق الرسول.

وقيل لك: المَلِك تعلم[١] عادته، ويعلم أنه فعل ذلك للتصديق، والرب عندك لم يخلق شيئاً لشيء. فقلت: بل يخلق شيئاً مقارناً لشيء، كالعاديات، وهذا منها. فقيل لك: العادات[٢] قد تكررت. فقلت: قد نعلم ذلك بلا تكرر. وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية، كدلالة اللفظ على قصد المتكلم. وقلت: قد نعلم قصده اضطراراً من غير سبق مُوَاضَعة[٣]، وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت أنه يُعلم بها صدق الرسول ــ وإن كانت حقاً ــ فجمهور الناس يقولون: إنك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا، ويقولون: القول بأنه خلق المعجزة لقصد[٤] التصديق، مع القول بأنه لا يخلق شيئاً لأجل شيء تناقضاً[٥]. فقلت: لا يشترط في العلم الضروري العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا. فقيل

(١) في ك و ط (نعلم) في هذا الموضع والذي بعده.
(٢) في ك و ط (العاديات).
(٣) من (واضعه في الأمر) أي: وافقه فيه على شيء. انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٧.
(٤) في ك و ط (له قصد).
(٥) سقطت (تناقضاً) من ط.

لـك: هب أنه كـذلك، لكن لا يحصـل العلم الضـروري مع العلم بمـا يناقضه.

والمقصود أن ما يذكره هؤلاء وأمثالهم من النظار، بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومـة أسد[1] منهم وأصـوب فيما ينفـونه، فـإن الإنسان لمـا[2] يثبته أعلم منـه بمـا ينفيـه، وشهـادتـه على الإثبات أقوى من شهادتـه على النفي، وإن كان النفي قد يكون معلوماً، لكن غلط الناس فيما ينفونه ويُكَـذِّبون بـه، أكثر من غلطهم فيمـا يثبتونـه ويُصَدقون به، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ . . . ﴾[3].

ولهـذا تجـد من سلك طـريقـاً من الـطرق، إمـا في إثبـات العلم بالصانع، وإما في العلم بالنبوة، أو العلم بالمعاد، أو غير ذلك واحـد[4] يقول: لا طريق إلاَّ هـذا الطريق. يخـطيء في النفي أكثر من خـطئه في الإثبـات، ومنهم هؤلاء، فإنهم قـد ينفـون من العلم والـطرق مـا يعلمـه غيرهم بالاضطرار، ويثبتون ما يقولون أنه معلوم بـالاضطرار، وقـد يكون غيرهم أصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه، بل وفيما يثبتونه.

---

(١) في ك و ط (أشد) بالشين المعجمة.
أسد: من التسديد وهو التوفيق للسَّداد: وهو الصواب والقصد من القول والعمل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٩١.

(٢) في ك و ط (بما).

(٣) سورة يونس: الآية ٣٩.

(٤) في ط (وأي أحد).

ولهذا[١] الذين اتفقوا على أنه لا طريق إلاَّ المعجزات، تنوعوا[٢] في وجه دلالتها، فيثبت هؤلاء وجهاً يستدلون به، وينفون طريق غيرهم، وبالعكس. فإذا قالوا: ما سوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبي، فلا يدل على نبوته[٣]. قيل لهم: الدليل هو الذي يكون مستلزماً للمدلول، يلزم من تحققه تحقق المدلول، ولفظ الخارق للعادة فيه إجمال ــ كما تقدم ــ، وحينئذ فنفس إنباء الله للنبي، واصطفائه لرسالته، وإقداره على التلقي من الملك[٤]، هو من خوارق العادات، وذلك من المعجزات التي أعجز الله الخلق أن يفعلوه، وهو مختص بالأنبياء، وهذا الوصف أجل وأعظم قدراً من غيره من الخوارق، والمستلزم لهذا الخارق لا يكون إلاَّ خارقاً، وهو الدليل، إذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم، ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم، والمعتاد الذي يوجد بدون النبوة لا يكون دليلاً[٥].

وأما ما لا يوجد إلا وجدت النبوة، فهو دليل، فقد تبين أن كل ما يدل على صدق الرسول، وهو[٦] خارق للعادة، يكون آية ونبوة على صدقه، وأما ما كان[٧] خارقاً[٨] للعادة ولا يستلزم النبوة، فليس يكون دليلاً. وقد يكون الشيء معتاداً بدون النبوة، ومع النبوة يكون خرقاً

(١) في ك و ط زيادة (كان).

(٢) في ك (يتنوعوا) وفي ط (يتنوعون).

(٣) في ك و ط (ثبوته) بالثاء المعجمة المثلثة.

(٤) في أ تأخرت جملة: (وإقداره على التلقي من الملك) بعد جملة (هو من خوارق العادات).

(٥) سقطت جملة (لا يكون دليلاً) من أ، وقد أثبتناها من ك و ط.

(٦) في أ (فهو).

(٧) في ك و ط (يكون).

(٨) في أ (خرقاً).

للعادة، بحيث يكون وجوده مع النبوة خرق[1] للعادة، بخلاف وجوده مجرداً عنها[2]، لأن النبوة خرق للعادة، فلا يكون مستلزماً لها إلاَّ خارق للعادة.

فقول القائل: لا يعلم[3] صدقه إلاَّ بالمعجزة، وهو الخارق للعادة: إن أراد به المعنى العام، وهو ما يستلزم صدقه، بطل تخصيصه ذلك بما يخلقه[4] منفصلاً عنه من الآيات. وإن أراد بذلك نوعاً مخصوصاً، مع اشتراك الجميع في الدلالة، ظهر بطلان نفيه[5].

وأما ما يوجد بدونها، كما يوجد معها، كالأمور التي تكون للصادق في دعوى النبوة، والكاذب فى دعوى النبوة، فهذه لا تدل، وما يظهره الله على يد النبي، من الأنواع التي بها يعرف صدقه، ليس فيها شيء يكون للكاذب.

بل الكاذب لا يكون له من الأدلة[6] إلاَّ ما يستلزم كذبه، فكل ما يدل على كذب الكاذب لا يدل على صدق الصادق، وبالعكس، فإن دليل الكذب مستلزم له، ودليل الصدق مستلزم له، وهما ضدان، يمتنع أن يكون مدعي النبوة نبياً صادقاً، ومتنبئاً كاذباً، والضدان لا يجتمعان، فيمتنع أن يكون شيء واحد يدل على الضدين[7].

وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع:

---

(١) في ط (خرقاً).

(٢) سقطت (عنها) من أ.

(٣) في ط (يعلم).

(٤) في جميع النسخ (يخلفه) بالفاء الموحدة، وما أثبتناه من أكسفورد.

(٥) في ك و ط (قوله).

(٦) في ط (الدلالة).

(٧) في ك و ط زيادة (فتبين أن دليل الصدق يمتنع أن يدل على الكذب، ودليل الكذب يمتنع أن يدل على الصدق).

منها: أن كثيراً من الناس إذا رأوا الكاذب، وسمعوا كلامه، تبين لهم كذبه، تارة: بعلم ضروري، وتارة: بعلم استدلالي، وتارة: بظن[1] قوي. وكذلك النبي الصادق، إذا رأوه وسمعوا كلامه، فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري، أو نظري، وقد يكون أولاً بظن قوي، ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً، كما في المعلوم[2] بالأخبار المتواترة والتجارب، فإن خبر الأول يفيد نوعاً من الظن، ثم يقوى بخبر الثاني والثالث حتى يصير يقيناً[3].

وهذا الطريق سلكها طوائف من الناس، وممن نبه على ذلك: القاضي عياض. قال القاضي عياض: «إذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمنا[4] من جميل أثره، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمتر في صحة نبوته، وصدق دعوته» قال: «وقد[5] كفى هذا غير واحد في إسلامه، والإيمان به. فروينا عن الترمذي، وابن قانع[6]، وغيرهما بأسانيدهم: أن عبد الله بن سلّام قال: لما قدم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت[7] وجهه،

---

(١) في ط (يظن).

(٢) في ك و ط (العلوم).

(٣) في ك و ط (يقينياً).

(٤) سقطت جملة (ما قدمنا) من أ، وهي في متن الشفا.

(٥) سقط (قد) من ك و ط.

(٦) ابن قانع: هو الإمام الحافظ البارع الصدوق ـ إن شاء الله ـ القاضي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي مولاهم، البغدادي، صاحب كتاب معجم الصحابة، ولد سنة ٢٦٥هـ وكان واسع الرحلة كثير الحديث بصيراً به وتوفي سنة ٣٥١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٥٢٦ ـ ٥٢٧؛ ولسان الميزان ٢/٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٧) في ط (رأيت).

عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»[1] رواه غير واحد، كعبد الوهاب الثقفي[2] ومحمد بن جعفر[3]، وابن أبي عدي[4]، ويحيى بن سعيد[5]، عن عوف بن أبي جميلة ————————

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ٤٢، ٤/٦٥٢ (٢٤٨٥) قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، ويحيى بن سعيد، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن زرارة بن أوفى، عن عبد الله بن سلام قال: «لما قدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المدينة انجفل الناس إليه (ذهبوا إليه مسرعين).

وقيل: قدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت (وعند ابن ماجه: استبنت) وجه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. . .» الحديث. قال أبو عيسى: «هذا حديث صحيح».
وأخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد ــ نفسه ــ، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل ١/٤٢٢ (١٣٢٨)؛ وأخرجه أحمد في مسنده ٥/٤٥١؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، ٤/١٥٩ ــ ١٦٠ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) **الثقفي**: هو عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت، أبو محمد البصري، ثقة، تغير قبل موته بثلاث سنين، مات سنة ٩٤هـ وله ٨٠ سنة.
انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٤٩؛ وتقريب التهذيب ١/ ٥٢٨.

(٣) محمد بن جعفر: هو المدني البصري، المعروف بغُنْدَر، ثقة، صحيح الكتاب، إلَّا أن فيه غفلة. مات سنة ٢٩٣هـ أو ٢٩٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٩/٩٦؛ وتقريب التهذيب ٢/١٥١.

(٤) **ابن أبي عدي**: هو محمد بن إبراهيم، أبو عمرو البصري، ثقة مات سنة ٩٤هـ على الصحيح.
انظر: تهذيب التهذيب ٩/١٢؛ وتقريب التهذيب ٢/ ١٤١.

(٥) **يحيى بن سعيد**: هو ابن قيس بن عمرو بن سهل (ويقال يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد، ولا يصح، قاله البخاري) الأنصاري البخاري أبو سعيد المدني القاضي، مات سنة ١٤٣هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ــ ٢٢٤؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٤٩.

الأعـــرابـي[١]، عن زرارة بـن[٢] أوفى[٣]، عن عبـد الله بن سلام، وعن أبـي رمثـة البلوي[٤] قـال: «أتيت النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعي لي[٥] ابن لي، فأريته، فلما رأيته قلت: هذا نبـي الله»[٦].

وروى مسلم في صحيحه وغيره، عن ابن عباس، أن ضِماداً قـدم

---

(١) **الأعرابـي**: هو البصري، أبو سهل، الإمام الحـافظ، ولم يكن أعرابيـاً بل شُهِـر به، ولد سنة ٥٨هـ روى عن أبـي العـالية والعـطاردي وابن سيرين وغيـرهم، وعداده في صغار التابعين، حدث عنه شعبة وابن المبارك وغندر وغيرهم، رمي بالقدر والتشيع، قال الذهبـي: «لكنه ثقة مكثر»، مات سنة ١٤٦هـ.
انـظر: سير أعـلام النبلاء ٦/٣٨٣ ـ ٣٨٤؛ وتهـذيب التهـذيب ٨/١٦٦؛ وتقـريب التهذيب ٢/١٨٩.

(٢) في ك و ط زيادة (أي).

(٣) **زرارة بن أوفى**: هو أبو حاجب العامـري البصري، الإمـام الكبير، قـاضي البصرة، أحـد الأعلام، سمـع عمـران بن حصين وأبـا هـريـرة وابن عبـاس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وروى عنـه أيـوب السختيـاني، وقتـادة، وبهـز بن حكيم وآخـرون. قـال الذهبـي: «صح أنه قرأ في صلاة الفجر، فلما قرأ:
﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾. سورة المدثر: الآية: ٨.
خر ميتاً سنة ٩٣هـ.
انـظر: سير أعـلام النبلاء ٤/٥١٥ ـ ٥١٦؛ وتهـذيب التهـذيب ٣/٣٢٢؛ وتقـريب التهذيب ١/٢٥٩.

(٤) **أبـو رمثة البلوي**: لـه صحبة، سكن مصـر ومات بـأفريقيـة، وأمرهم أن يسـووا قبره وحديثه عند أهل مصر.
انظر: أسد الغابة ٥/١١١ (٥٨٨١)؛ والإصابة ٤/٧٠.

(٥) سقطت (لي) الأولى من ك و ط.

(٦) هـذا الحديث ذكـره القاضي عيـاض في الشفا ١/٣٤٣ ولم أعثـر عليـه عنـد غيـره. والظاهر أن الشيخ المؤلف قد نقله عنه بجانب ما سبقه من حديث عبد الله بن سلام.
انظر: الشفا، بتعريف حقوق المصطفى ١/٣٤٢ ـ ٣٤٣.

مكـة، وكان من أزد شنؤة، وكـان يـرقى[1] من هـذه الـريـح[2]، فسمـع سفهاء من أهل مكة، يقولون: إن محمداً مجنـون. فقال: لـو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه[3] فقال: يا محمـد، إني أرقي من هـذه الريـح، وإن الله يشفي على يدي من شـاء الله، فهل لـك[4]؟ فقـال رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «إن الحمـد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي لـه، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـك له، وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله، أما بعد»، فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ثلاث مرات، قال: فقـال: «لقد سمعت قـول الكهنـة، وقول السحـرة، وقـول الشعـراء، فمـا سمعت بمثـل كلمـاتـك هؤلاء، ولقـد بلغن قامـوس البحر، هـات يدك أبـايعـك على الإسـلام، فبـايعه، فقـال رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «وعلى قـومـك»؟ قال: «وعلى قومي. . .»[5] الحديث.

---

(١) الرقية: العوذة، إذا عوذ ونفث في عوذته.
انظر: اللسان ١٤/٣٣٢، مادة رقا.

(٢) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن، وفي غير رواية مسلم: يـرقى من الأرواح: أي الجن، سموا بذلك لأنهم لايبصرهم الناس فهم كالروح والريح.
انظر: شرح النووي لمسلم ٦/١٥٧.

(٣) في ط (فلقيته).

(٤) أي: فهـل لـك رغبـة في رقيتي؟ وهـل تميـل إليهـا؟ تعليق عبـد البـاقي على مسلم ٢/٥٩٣.

(٥) رواه مسلم بمثله، كتاب الجمعة، بـاب تخفيف الصلاة والخـطبة، ٢/٥٩٣ ــ ٥٩٤ (٨٦٨).

وقال جامع بن شداد[1]: «كان منا[2] رجل يقال له طارق[3]، فأخبر أنه رأى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمدينة، فقال: «هل معكم شيء تبيعونه؟» قلنا: هذا البعير. قال: «بِكَمّ؟» قلنا: بكذا وكذا، وسقا من تمر، فأخذ بخطامه، وسار إلى المدينة، فقلنا: بعنا رجل لا ندري من هو؟ ومعنا ظعينة[4]، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير! رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر، لا[5] يخيس بكم[6]، فأصبحنا فجاء رجل بتمر، فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر، وتكتالوا حتى تستوفوا. ففعلنا»[7].

---

(١) **جامع بن شداد**: هو أبو صخرة المحاربي، الإمام الحجة، أحد علماء الكوفة، حدث عن صفوان بن محرز وحمران بن أبان، وأبي بردة بن أبي موسى وغيرهم، وحدث عنه الأعمش، ومسعر، وشعبة، وغيرهم، مات سنة ١١٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٥/٥ ـ ٢٠٦؛ وتهذيب التهذيب ٥٦/٢؛ وتقريب التهذيب ١٢٤/١.

(٢) في ك و ط (فينا).

(٣) **طارق**: هو ابن عبد الله المحاربي، من محارب بن خصفة، له صحبة، روى عنه جامع بن شداد، وربعي بن خراش، له حديثان أو ثلاثة.
انظر: أسد الغابة ٤٥٣/٢؛ وتهذيب التهذيب ٤/٥؛ وتقريب التهذيب ٣٧٦/١.

(٤) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٤.

(٥) في ك و ط (ولا).

(٦) من خاس فلان بوعده: يخيس: إذا أخلف، أو خاس بعهده: إذا غدر ونكث.
انظر: اللسان ٧٥/٦، مادة خيس.

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٨٠/٥ ـ ٣٨١ من طريقين عن جامع بن شداد بنحوه.

وفي خبر الجَلَنْدِي[1] ملك غسان[2]: لما بلغه رسول[3] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يدعوه إلى الإسلام، فقال الجلندي: «والله لقد دلني على هذا النبي الأمي، أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِب فلا يبطر[4]، ويُغْلَب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز بالموعود، وأشهد أنه نبي»[5].

وقال نفطويه[6] ــ في قوله تعالى ــ :

---

(١) **الجلندي**: هو جيفر بن الجلندي بن المستكبر بن الحراز بن عبد العزى بن معولة بن عثمان الأزدي العماني، كان رئيس أهل عَمان هو وأخوه عباد بن الجلندي، أسلما على يد عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى ناحية عَمان، ولم يقدما على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر.
انظر: أسد الغابة ١/٣٧١.

(٢) **غسان**: قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان، وهو باليمن، بين زبيد ورمع، فسموا به، والذي شرب منه جفنة والحارث، وهو محرق وثعلبة العنقاء وحارثة ومالك وكعب وعوف بنو عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد.
انظر: اللباب . . . ، ٢/٣٨١ ــ ٣٨٢.

(٣) سقطت (رسول) الأولى من ك و ط، وفي ط (أن).

(٤) البطر: الطغيان بالنعمة. انظر: ترتيب القاموس ١/٢٨٦.

(٥) انظر: الروض الأنف ٤/٢٥٠؛ والمصباح المضيء ٢/٢٥٩.

(٦) **نفطويه**: هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي النحوي الواسطي، له التصانيف الحسان في الآداب، وكان عالماً بارعاً ولد سنة ٢٤٤هـ ولقب نفطويه لدمامته وأدمته (سمرته) تشبيهاً له بالنفط، وهذا اللقب على مثال (سيبويه) لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري على طريقته، ويدرس كتابه، مات سنة ٣٢٣هـ له كتاب غريب القرآن، وكتاب المقنع في النحو؛ وتاريخ الخلفاء، في مجلدين.
انظر: وفيات الأعيان ١/٤٧ ــ ٤٩؛ وسير أعلام النبلاء ١٥/٧٥ ــ ٧٧.

﴿ . . . يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ . . . ﴾[1].

هو مثل ضربه الله لنبيه، يقول: يكاد منظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآناً، كما قال ابن رواحة:

لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تنبيك[2] بالخبر[3]

قلت[4]: وإيمان خديجة، وأبو بكر، وغيرهما من السابقين الأولين، كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن، الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه، ونفس كلامه وإخباره: بأني رسول الله، مع ما يعرف من أحواله، مستلزم لصدقه، إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه.

بل خديجة قالت له: «كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ[5]، وتقري الضيف[6]،

---

(١) سورة النور: ص ٣٥.
(٢) في ك و ط (تأتيك).
(٣) ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي، شاعر الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ٩٥، جمع ودراسة وتحقيق د. حسن محمد باجودة، نشر مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٢م.
(٤) في ط (قالت).
القائل هو الشيخ المؤلف ـ نفسه ـ.
(٥) **الكَلّ**: العيال والثِّقَل.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٦.
(٦) أي تحسن إليه.
انظر: اللسان ١٥/١٧٩، مادة: قرا.

وتُكسِب المعـدوم[1]، وتعين على نـوائب الحق»[2]. فكـانت عـارفـة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره، وتلاعب الشيطان به.

وأبو بكر كان من أعقل النـاس وأخيرهم، وكـان معظمـاً في قريش لعلمه، وإحسانـه، وعقله، فلما تبين لـه حالـه، علم علماً ضـرورياً أنـه نبـي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً: علماً وحالاً.

وكذلك (هرقل) ملك النصارى، لما أرسل إليه النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ يدعـوه إلى الإسلام، سـأل عن عشـرة خصـال، كمـا في الصحيحين عن ابن عباس قال: «حـدثني أبو سفيـان بن حرب، من فيـه إلى فيَّ[3]، قـال: انطلقت في المـدة التي كـانت بيني وبين رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ[4] قال: فبينـا أنا بـالشام إذ جيء بكتـاب من رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إلى هـرقـل، قـال: وكـان دِحْيَـة الكلبـي جـاء به، فـدفعه إلى عـظيم بُصرى، فـدفعه عـظيم بصـرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هل هنـا أحد من قـوم هذا الـرجل، الـذي يزعم أنـه نبـي؟ قالوا: نعم.

---

(١) أي تَكْسِب المال المعدوم، وتصيب منـه ما لا يصيب غيـرك. وكانت العـرب تتمادح بكسب المال. لا سيما قريش. وكان النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ محـظوظـاً في التجارة، وأنك مع ذلك تجود به في وجوه المكرمات.
انظر: الفتح ٢٥/١.

(٢) رواه البخاري، كتاب بـدء الوحي، بـاب حدثنـا يحيى بن بكير. . .، ٢٢/١ (٣)؛ ومسلم، كتاب الإيمان، بـاب بدء الـوحي إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ١٣٩/١ ــ ١٤٢ (١٦٠).

(٣) من فيه إلى في: أي حديثاً شخصياً مباشراً (ومشافهة).

(٤) في ك و ط زيادة (هدنة).

قال: فدعيت في نفر من قريش: فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه.

فقال[1]: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

قال أبو سفيان: فقلت[2]: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، فدعا بترجمانه، فقال:

قل لهم: إني سائل هذا[3] عن هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبني فكذبوه.

قال: فقال أبو سفيان: وأَيْم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت عليه.

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟

قال: قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل كان من آبائه[4] مَلَك؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: ومن اتبعه؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

---

(١) في ك و ط (قال).

(٢) في ط (قلت).

(٣) سقطت (هذا) من ط.

(٤) في ك و ط زيادة (من).

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا، بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه، بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قال: قلت: يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منا ونصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه على مدة ما ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قال: قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذا الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت: أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك عن أتباعه، أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب، قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليدع

الكذب على الناس، ثم يذهب[1] ويكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، سخطة له[2]؟ فزعمت أن لا. فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة[3] القلوب[4]، وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لها العاقبة، وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

ثم قال[5]: بم يأمركم؟

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة والصلة، والعفاف.

قال: «إن يكن ما تقول فيه حقاً: إنه نبي[6] وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أَخْلُص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدميّ»، ثم دعا

---

(١) سقطت من ط (يذهب و).

(٢) يخرج بهذا من ارتد مكرها، أو لغير سخط لدين الإسلام، بل لرغبة في غيره، كحظ نفساني، كما وقع لعبيد الله بن جحش.
انظر: الفتح الرباني ١/٣٥.

(٣) في ط (خالطت بشاشته).

(٤) أي: شَرْحه القلوب التي دخل فيها.
انظر: الفتح الرباني ١/٣٧.

(٥) في ك و ط (سألتك).

(٦) في ك و ط (لنبي).

بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقرأه[1] فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، [2]إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن[3] عليك إثم الأريسيين[4]، و:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[5].

وفي رواية: فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وقال: فهذه[6] صفة نبي»[7].

وما استدل به ملك النصارى ـ هرقل ـ من العلم بصفاته هو

---

(١) سقطت (فقرأه فإذا فيه) من ك وسقطت (فقرأه) من ط وفيها (وإذا فيه).

(٢) في ط زيادة الجملة الدعائية، وهي ليست في محلها.

(٣) في ك و ط (فإنما).

(٤) جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس، على وزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء، والأريس: هو الأكّار أو الفلاح، قال الخطابي: «أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر».
انظر: الفتح الرباني ٣٩/١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٦) في ط (فقال هذه).

(٧) رواه البخاري بمثلها، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الناس إلى الإسلام والنبوة، ١٠٩/٦ ـ ١١٠ (٢٨٤١) من الفتح.

استدلال على عينه، فإن الناس في النبوة على درجات: منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوة، فيصدق بجنس الرسل من البشر، لا يكذب بالجنس، كما كذب بذلك من كذب، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم.

ولهذا يقول ــ تعالى ــ :

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[4].

لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد، بل كانوا مكذبين لجنس[5] الرسل، وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ . . . ﴾[6].

فاحتج بإنزال كتاب موسى، لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات، الدالة على صدقه، والإنجيل تبع للتوارة، ثم قال:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾[7].

---

(١) في ك و ط زيادة (به).
(٢) سورة الشعراء: الآية ١٠٥.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٢٣.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٤١.
(٥) في ك و ط (لجميع).
(٦) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

لمَّا قام من الآيات الدالة على نزوله.

ولهذا يَذْكُر ــ سبحانه ــ في السور المكية من تثبيت أمر الرسل، وآياتهم، وبراهينهم[(١)]، وحسن عاقبتهم، ومن ضلال مخالفيهم، وجهلهم، وغيهم، وخذلانهم، وسوء عاقبتهم، ما فيه عبرة.

ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة، لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم، كالملاحدة وأهل البدع، الذين يعظمون الأنبياء، مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به، لشبهات انعقدت في قلوبهم، ظنّوها علوماً عقلية، وهي مناقضة لما أخبرت به الرسل، فيحتاجون إلى أن يوفقوا بينهما، وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ[(٢)] بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[(٣)].

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن، فقال ــ تعالى ــ :

---

(١) في ك و ط زيادة (ونصرهم).

(٢) في أ أشار إلى بقية الآية والآية التالية لها بإشارة: (إلى قوله: (بليغاً). وقد رأينا إثبات النص الكريم كما في ك و ط.

(٣) سورة النساء: الآيات ٦٠ ــ ٦٣.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ [1] أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[3].

وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف:

أهل التخييل[4]: من الملاحدة المتفلسفة، والباطنية الذين يقولون: إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر، ليخيلوا[5] إلى الجمهور ما ينتفعون به، ويعدون هذا من فضائل الرسل، وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع[6].

---

(١) أي: ولتميل إليه.
انظر: البحر المحيط ٤/٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام: الآيات ١١٢ ـ ١١٦.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٣١.
(٤) في أ (التخيل).
(٥) في ك (فتتخيلوا) وفي ط (فخيلوا).
(٦) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام، الفتوى الحموية الكبرى ٥/٣١.

وأهل التحريف والتأويل: الذين يؤلون كلامهم على ما يخالف مرادهم، ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنى، مع أنه ليس في كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى، بل كلامهم يدل على إرادة خلافه[1].

وأهل التجهيل: الذين يقولون: ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا غيره، وإنما[2] يعلمه الله وحده، وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل، وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع[3].

وأما من قال: إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه، ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه، كما استأثر بعلم غيب الساعة، فهذا قول السلف والأئمة، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أن الكلام في النبوات تارة في جنسها، وتارة في شخص النبي المعين، و(هرقل) ملك الروم لم يكن محتاجاً إلى الإيمان بجنس النبوات، فإنه كان من أهل الكتاب، وأهل الكتاب يقرون بجنس النبوة، فإنهم يقرون نبوة[4] نوح، والخليل، وموسى، وأنبياء بني إسرائيل، والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والإنجيل.

والذين يحتاجون إلى معرفة النبي المُعَين نوعان:

نوع: عرفوا أنه يبعث نبي، وقد يعرفون بعض نعوته، فيحتاجون أن يعرفوا عينه، و(هرقل) وأمثاله من أهل الكتاب، كانوا من هذا النوع، وكانوا[5] يعلمون أن نبياً سيبعث، وإنما كانت حاجتهم[6] أن يعرفوا:

---

(١) انظر: المصدر السابق ٥/٣٢ ــ ٣٨.

(٢) في ك و ط زيادة (هو). وقد حكت (محيت) من أ. وبقي موضعها بياضاً.

(٣) انظر: المصدر السابق ٥ /٣٤ ــ ٣٥.

(٤) في ك و ط (بنبوة).

(٥) في ك و ط (فكانوا).

(٦) في ك و ط زيادة (إلى).

هل هو هذا النبي المذكور أم[1] غيره؟ فيكون ما يحتاجون إليه من دلائل صدقه أيسر ما[2] يحتاج إليه من لا يؤمن بالرسل، أو لا يعرف أن نبياً سيبعث، ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدري هل يبعث نبي أم[3] لا؟ يحتاج إلى تعلم[4] أن هذا المعين: هل هو من جنس الأنبياء الصادقين، أو من جنس المتنبئين الكاذبين؟ وهذا يُعْرف بما يخصه من آيات صدقه، وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله، فإن أصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، وهي الأمور التي لا تقبل النسخ، كالإخبار عن الله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر. فهذا مما لا يمكن اختلاف الأنبياء فيه، إذ كان كل ما يخبر به النبي، فهو صدق، والأخبار الصادقة لا تتناقض، ولا تقبل النسخ، ولكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض ذلك من بعض، وفي كلام بعضهم من الأخبار ببعض ذلك ما ليس في كلام بعض.

وما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو أكمل وأكثر مما أخبر به[5] موسى، والمسيح ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض أخبار الأنبياء، كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به، وهذا ممتنع، بل لا بد أن يكون المعارض العقلي[6] خطأ، ليس بمعقول صحيح، أو السمعي لم يثبت عنهم لفظه[7] أو دلالته، وكذلك الأخبار: لا بد أن يكون أحد

---

(١) في ط (أو).

(٢) في ك و ط (مما).

(٣) في ط (أو).

(٤) في ك و ط (أن يعلم).

(٥) سقطت (به) من أ.

(٦) كتبت في أ كذا (العلقي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٧) في أ (لفظه) وقبلها واو مطموسة، وقد أثبتت في ك و ط.

الخبرين كذباً أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر.

وأما الأصول الجامعة، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبِر الوالدين، والصدق، والعدل، وتحريم الأجناس الأربعة، وهي: الفواحش: ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق، والإشراك بالله، وأن يقال عليه غير الحق، وذلك مثل ما ذكره في سورة الأنعام، والأعراف، وبني إسرائيل[1].

وقد تنازع الناس في مثل هذا: هل يمكن نسخه، وتنوع الشرائع به[2]؟ على قولين: فمن جوز أن يأمر الله بكل شيء، وينهى عن كل شيء، رد ذلك إلى محض المشيئة، لا إلى صفات تقتضي الأمر بهذا دون هذا، فإنهم جوزوا دخول النسخ في هذا، وتنوع الشرائع فيه، كما يقوله جهم بن صفوان، والأشعري، ومن وافقه من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وإن كانوا[3] يقولون: إنه لم[4] يقع فيه نسخ.

وأما جمهور الناس من السلف والخلف، فإنهم لا يُجَوِّزون دخول النسخ في هذا، ولا تنوع الشرائع فيه. ولهذا كان دين الأنبياء واحداً[5]، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

---

(١) هي سورة الإسراء.
سورة الأنعام: الآية ١٥١؛ وسورة الأعراف: الآية ٣٣؛ وسورة الإسراء: الآيات ٣١ ـ ٣٩.

(٢) في ك و ط (فيه).

(٣) في ك و ط زيادة (قد).

(٤) في أ سقطت (لم) والصواب إثباتها.

(٥) في أ (واحد)، والصواب ما أثبتناه من ك و ط.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ . . . ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أنه قال: «إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[4].

وهذا مبسوط في موضع آخر[5].

• • •

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث ٥/٣٤٢.

(٥) في ك و ط زيادة: (والحمد لله رب العالمين) وليس في أ وإنما فيها بعد ذلك بخط دقيق عبارة «الحمد لله وحده، وصلَّى الله على محمد، وعلى سائر النبيين». ثم جاء بعد ذلك قول الناسخ: «نجز الكتاب المسمى بـ (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ـ عليه وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام ـ تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاثين وسبعمائة، وقوبل على أصل صحيح ـ ثم كتبت عبارة (بخط مؤلفه) ثم شطب عليها، وكتب بعدها (نقل من خط مؤلفه).



فهرس موضوعات الجزء السادس

الموضوع	الصفحة
فضل أمة محمد على غيرها من الإيمان والعمل آية لنبوته	٥
توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات والحلال والحرام وغير ذلك	٢٢
أقسام مدعي النبوة، ودلالة ذلك على صدقه ــ عليه السَّلام ــ	٤٦
من آيات النبوة: قصة الفيل وحراسة السماء	٥٥
من آيات النبوة: ما ثبت بالقرآن أو بالتواتر وهو أكثر	٦٨
إخباره ــ عليه السَّلام ــ بالكثير من الغيوب الماضية والمستقبلة ودلالتها على نبوته	٨٠
آيات النبي المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير	١٥٩
تصرفه ــ عليه السَّلام ــ في الحيوان من آيات نبوته	١٨٥
التأثير في الأشجار والخشب، من آيات نبوته ــ عليه السَّلام ــ	٢٠٨
تكثير الماء والطعام والثمار من آيات النبوة	٢١٥
قصص تكثير الطعام من أعلام نبوته ــ عليه الصلاة والسَّلام ــ	٢٣١
من آيات النبوة: تكثير الثمار	٢٤٧
تسخير الأحجار له ــ عليه السَّلام ــ من أعلام نبوته	٢٥٥
تأييد الله لرسوله بالملائكة: من أعلام نبوته	٢٦٣
حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته	٢٧٣
إجابة دعواته ــ عليه السَّلام ــ من أعلام نبوته	٢٩٦

● ● ●

انتهى المجلد السادس

ويليه المجلد السابع

وفيه الفهارس